

الإسلام والمسلمون

في أمريكا

المجلس
الأعلى
للإمامة



المشروع القومي للترجمة

تأليف: جين سميث
ترجمة: محمد الخولي

861

يستمد هذا الكتاب قيمته من واقع صدوره ضمن سلسلة التعريف بالأديان الكبرى في أمريكا المعاصرة التي تتولى أمرها مطبعة جامعة كولومبيا المرموقة بالولايات المتحدة. وفي تصدير الكتاب يصف الناشر الإسلام بأنه عقيدة تدين بها واحدة من أسرع الجماعات الدينية نموا في أمريكا، حيث ظلت وتيرة التحول؛ إلى الإسلام تتسارع على مستوى الولايات المتحدة. قبل أحداث ١١ سبتمبر/أيلول ٢٠٠١ وبعدها. سواء بين صفوف المجتمع الملون للأفرو-أمريكيين، أو مجتمع اللاتينو من الأمريكيين المنحدرين من، أو المنتمين إلى، الثقافة الإسبانية (ويعرفون في أمريكا باسم الهسبان أو المتأسبنون) وترجع أصولهم إلى قارة أمريكا الجنوبية أو منطقة البحر الكاريبي، هذا فضلاً عن الإسلام الوافد على متن موجات الهجرة من ربوع الشرق الأوسط ومن جنوب وشرقي آسيا حيث يرجع تاريخ هذه الموجات، إلى القرن التاسع عشر وأحياناً إلى أواخر القرن الثامن عشر للميلاد.

المشروع القومي للترجمة

الإسلام والمسلمون في أمريكا

تأليف: جـين سميث

ترجمة: محمد الخولي



٢٠٠٥

المشروع القومي للترجمة
إشراف: جابر عصفور

- العدد: ٨٦١
- الإسلام والمسلمون في أمريكا
- جين سميث
- محمد الخولي
- الطبعة الأولى ٢٠٠٥

هذه ترجمة كتاب

Islam in America

By: Jane I. Smith

Copyright ©1999 Columbia University Press

This Arabic edition is a complete translation of the U.S.
edition, specially authorized by the original publisher,
Columbia University Press.

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمجلس الأعلى للثقافة.

شارع الجبلية بالأوبرا — الجزيرة — القاهرة ت: ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس: ٧٣٥٨٠٨٤

EL Gabalaya st. Opera House, El Gezira, Cairo

TEL: 7352396 Fax: 7358084

تهدف إصدارات المشروع القومي للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربي وتعريفه بها، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلس الأعلى للثقافة.

المحتويات

7	● تقديم المترجم.....
13	● حول سلسلة كولومبيا للأديان في أمريكا المعاصرة.....
15	● مقدمة.....
25	● الفصل الأول: الإسلام: العقيدة والشريعة.....
49	● الفصل الثاني: الذين ساهموا في نشأة وتطور الإسلام.....
83	● الفصل الثالث: الإسلام يأتي إلى أمريكا.....
121	● الفصل الرابع: الإسلام في المجتمع الأفرو - أمريكي.....
157	● الفصل الخامس: المرأة والأسرة الأمريكية المسلمة.....
189	● الفصل السادس: حياة المسلم في المجتمع الأمريكي.....
219	● الفصل السابع: الإسلام في الحياة العامة.....
253	● الفصل الثامن: التطلع نحو المستقبل.....
269	● ملامح سير شخصية: مسلمون أمريكيون مرموقون.....
289	● سلسلة زمنية.....
293	● المصادر المتاحة على شبكة الإنترنت.....

تقديم المترجم

يستمد هذا الكتاب قيمته من واقع صدوره ضمن سلسلة التعريف بالأديان الكبرى في أمريكا المعاصرة التي تتولى أمرها مطبعة جامعة كولومبيا المرموقة بالولايات المتحدة. وفي تصدير الكتاب يصف الناشر الإسلام بأنه عقيدة تدين بها واحدة من أسرع الجماعات الدينية نموًا في أمريكا، حيث ظلت وتيرة «التحول» إلى الإسلام تتسارع على مستوى الولايات المتحدة - قبل أحداث ١١ سبتمبر/أيلول ٢٠٠١ وبعدها - سواء بين صفوف المجتمع الملون للأفرو - أمريكيين، أو مجتمع اللاتينو من الأمريكيين المنحدرين من، أو المنتمين إلى، الثقافة الإسبانية (ويُعرفون في أمريكا باسم الهسبان أو المتأسبنون) وترجع أصولهم إلى قارة أمريكا الجنوبية أو منطقة البحر الكاريبي، هذا فضلاً عن الإسلام الوافد على متن موجات الهجرة من ربوع الشرق الأوسط ومن جنوب وشرقي آسيا حيث يرجع تاريخ هذه الموجات إلى القرن التاسع عشر وأحياناً إلى أواخر القرن الثامن عشر للميلاد.

كل هذه الأطياف الإثنية والتباينات الثقافية والقومية أفضت إلى صورة أقرب إلى الموزاييك يجسدها المشهد الإسلامي المعاصر بالولايات المتحدة، وهي بالطبع صورة تثيرها حقيقة التنوع في إطار التعدد كما أنها صورة يشعر القارئ إزاءها أن مؤلفة الكتاب قد شغفت بها سواء في جانبها العقيدى أو الطقسى - الشعائرى، دع عنك الجوانب المتعلقة بأصول الوجود الإسلامى فى القارة الأمريكية الشمالية التى حاولت البروفيسور «جين سميث» أن تتقصى جذورها ربما منذ رحلة كولومبس الاكتشافية عام ١٤٩٢، إضافة إلى المراحل الأولى من تاريخ حركة الاسترقاق التى قامت فى غمارها قوى أوروبية (إنجليزية أساساً) بممارسة اصطلياد وتجارة العبيد فكان أن نقلت آلافاً من أبناء شعوب الجنوب - من غرب أفريقيا بالذات إلى أرض العالم الجديد حيث تلقفتهم جموع المستوطنين من أجل تشغيلهم عسفاً واستغلالاً فى مزارع الشقاء وخاصة فى الأصقاع الجنوبية مما يعرف اليوم باسم الولايات المتحدة، حيث المناخ القائظ المشبع بالرطوبة، وحيث الحياة تنقسم حكماً إلى سادة متجبرين وعبيد مسترقين، وحيث لم يكن الأمر ليقتصر على

استغلال الكدح البشرى لحساب رفاهية مجتمع ملاك العبيد، بل تعداه — كما توضح مؤلفة الكتاب — إلى عمليات تحويل العبيد قصداً إلى المسيحية فيما كان بين صفوفهم عدد كبير من مسلمى غرب أفريقيا.

وكم أحسنت المؤلفة حين رجعت إلى المظان الأولية من تاريخ تلك المرحلة سواء كانت وثائق مرجعية محفوظة في الأرشيف القومى الأمريكى أو كانت مقتنيات دالة على وقائع تلك الفترات الكئيبة من تاريخ الولايات المتحدة وهى مودعة بدورها فى متاحف الولايات الجنوبية من الكيان السياسى الأمريكى المعاصر.

وفى كل حال، فالكتاب موجه أساساً إلى قارئ الإنجليزية فى أمريكا وفى غيرها. ولأنه كتاب تعريفى فى جوهره، فقد جهدت الفصول الأولى فى إلقاء لمحات كاشفة من الضوء المعرفى أو الضوء التعريفى، ومن وجهة نظر المؤلفة فى حدود اجتهاداتها، على أسس العقيدة الإسلامية وجوهر شعائرها وأطوار نشأتها ويفاقتها ونضوجها. وربما كان فى هذا المبحث الذى استهلت به المؤلفة كتابها أموراً تبدو بديهية للذين يدينون بالإسلام ويستخدمون اللغة العربية، ويعرفون أو يعرف معظمهم أسس الديانة فى جانب العقيدة والشريعة. لكن أهميتها — فى تصورنا — هو أنها تتيح أن نطل على رؤية «الآخر» لنا من الجانب المقابل أو من الضفة الأخرى خاصة إذا كان هذا «الآخر» كما هو الحال مع مؤلفة الكتاب يمتلك أدوات البحث الأكاديمى ويتحلى من ثمَّ بقدرٍ واضح من موضوعية التناول ومحاولة الإنصاف ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

وفى هذا السياق تتطرق سطور الكتاب إلى نشأة وتطور جماعات «الإسلام الأسود» التى بدأت من أرضية الخرافة مع بدايات القرن العشرين ثم تطورت إلى سفوح التعصب العرقى أو ما يسمى فى الأدبيات السياسية باسم الزنوجة النبيلة وهى نوع من الاستعلاء المضاد — هذا بالإضافة إلى متابعة الكتاب لجولات الصراع التى نشبت داخل مجتمع الأفرو — أمريكيين المسلمين ثم نضالات قادتها المعاصرين (الإمام وارث دين محمد بالذات) للتخلص من أوشاب الخرافات العقيدية والارتقاء من غياهب التعصب العرقى (الأسود) إلى حيث التسامى بعقيدة الملونين فى أمريكا إلى مراقى الإسلام الحنيف والدين القويم الحق فى سلامة

فطرته وسماحته وإنسانيته التي تتعامل مع البشر جميعاً من موقع الفهم والتعاطف والإنصاف.

لا يفوت المؤلفة كذلك أن تعرض لمجتمعات الإسلام الوافد الذي جاء إلى القارة الأمريكية بين جوائح المهاجرين وأفئدة الوافدين وهنا تتوقف المؤلفة بقدر من البحث التأملي عند المشاكل التي يصادفها مسلمو المجتمعات الوافدة بالهجرة من أجل التوفيق بين ديانتهم وثقافتهم القومية وبين مقتضيات ومستجدات بل وتحديات تصادف الفرد المهاجر في مجتمع فريد في أعرافه وأوضاعه الاقتصادية وأنماطه السلوكية وأساليب ممارسته لحياته على مستوى الفرد وصعيد الجماعة على السواء.

في هذا السياق أيضاً نلمح مساهمات لها أهميتها أسداها الأزهر الشريف في مصر إلى الجماعة المسلمة في أمريكا وبالذات في مجال تخريج كوادر (غير مصرية) ما لبث بعضها أن تولى زمام القيادة العقائدية أو التنظيمية في المجتمع المسلم بالولايات المتحدة. على أننا نؤكد مع المؤلفة في هذا الصدد على أن الأمر لا يحتاج إلى «أئمة» بمعنى دعاة أو وعاظ على نحو ما قد يتبادر إلى الذهن أو كما جرت عليه الأعراف المتبعة: إن مفهوم «إمام» في أمريكا المعاصرة يتسع. كما أوضحت المؤلفة، ليشمل طائفة واسعة ومتعددة من المهام التي تتجاوز مجرد الخطابة المنبرية أو إقامة الشعائر أو تولى إمامة الصلوات الجامعة: إنه مفهوم «رعوي» إن أجزنا استخدام المصطلح المسيحي حيث الإمام على صعيد المجتمع المحلي في أمريكا يجمع بين وظائف المرجعية الدينية في الفتوى وفي المشورة الاجتماعية والخصوصية وفي قيادة المؤسسات الدينية إدارياً ومالياً وفي المشاركة في حوارات ما بين الأديان، كل هذا فضلاً عن مهمة الريادة والتوجيه إزاء ما يطرحه المجتمع الأمريكي من مستجدات وخاصة في مجال وضعية المرأة وتنشئة الطفل ورعاية المسنين والعلاقات العامة والخاصة مع أبناء الديانات الأخرى.

وبديهي أن كل هذه القضايا والتحديات تتطلب كوادر مزودة بمواهب خاصة وإعداد متخصص، بل يمكن القول إن هذه المتطلبات زادت تشابكاً وعمقاً وتعقيداً بعد أحداث أيلول/سبتمبر ٢٠٠١ بكل ما أضافته إلى المشهد الأمريكي العام من ظواهر، جاء معظمها سلبيًا في مواجهة المجتمع الإسلامي في أمريكا، وفي مقدمتها

مشكلة تعميق الصورة النمطية الجامدة والمقولة التي صدرت بدورها عن ظاهرة رهاب الإسلام (إسلاموفوبيا) وكانت بمثابة رد فعل طبيعي وتلقائي لكارثة المركز التجارى من جهة، فيما عمدت إلى تعميقها وتزويدها بشحنات من الكراهية والتحريض والتربص والترصد من جهة أخرى كل العناصر الكارهة لمطلق «عربي» ومطلق «مسلم» وخاصة العناصر اليهودية المتصهينة أو المتأسرلة فى الولايات المتحدة بكل ما تملكه من قدرات وموارد - إعلامية بالذات - إضافة إلى قدرتها على الاختراق السياسى لصفوف النواب والشيوخ فى مجلسى الكونجرس على وجه الخصوص.

لم يفت مؤلفه الكتاب أيضا - وبحكم تكوينها الأكاديمي - أن توافي قارئها الناطق بالإنجليزية بمعجم موجز تعريفى لأهم المصطلحات الإسلامية من قبيل: أركان: أذان، دعوة، فقه، حديث، أهل الكتاب، طريقة، توحيد، شرك، شورى... إلى آخر حروف الهجاء فى الإنجليزية بطبيعة الحال (يضم هذا الثبت ٦٥ مصطلحًا تبدأ بكلمة «عبد» التى تفسرها المؤلفة على أنه خادم أولاً وعلى أنه ثانيًا المؤمن فى إطار علاقته بالله (سبحانه) كما ينتهى المعجم بلفظة «زكاة» التى تقول عنها الدكتورة سميث إنها أموال البر المدفوعة أو الضريبة المفروض جبايتها من أجل خير ورفاه المجتمع).

ولما كانت مثل هذه التعريفات تدخل فى حكم البديهى بالنسبة للقارئ المسلم فقد صرفنا عنها النظر ومعها أيضًا القائمة الببليوغرافية التى أشارت فيها المؤلفة إلى أهم الموارد المرجعية التى تفيد فى دراسة ما تصفه بأنه «الإسلام الأمريكى».

وربما كان من المهم الإشارة إلى أن البروفيسور جين سميث لا تقصد بمصطلح «الإسلام الأمريكى» ما قد تذهب إليه حاليًا بعض الكتابات أو الاجتهادات فى العالم العربى والإسلامى وفى خارجه حيث الخشية من أن يعنى «الإسلام الأمريكى» نوعًا من إخضاع الديانة المحمدية فى عقيدتها وشريعته لأوامر ونواهي وأعراف وأنماط الحياة الأمريكية.

إن هذا الكتاب بعيد تمامًا عن تلك العملية التى تقصد إلى تفكيك الإسلام إذا استخدمنا مصطلح «ديرودا» الشهير أو فلنقل إنها عملية «أمركة الإسلام».

إن قصارى ما تطمح إليه سطور الكتاب هو الوقوف على جوانب مختلفة من حياة المسلمين المعاصرين فى أمريكا الملونين والكاريبين والأصليين والمهاجرين على السواء، مع ما يكتنف هذه الحياة من مشاكل وتعقيدات ومن ثمّ نضال هذه الجماعات لإثبات وجودها فى ظل شعور بالكرامة والاعتزاز والشراكة فى المواطنة الأمريكية من جهة، وفى ظل حرصها-أو حرص أغلبية أفرادها من جهة أخرى على أن يعيشوا حياة من الورع والتقوى كمسلمين قادرين فى الوقت نفسه على تكيف حياتهم هذه مع ما تقتضيه ظروف الطموح المشروع للتطور والارتقاء فى مدارج ذلك المجتمع وفى مواقعه ومناصبه.

تلك معادلة صعبة، وربما زادت صعوبتها إلى حد الدراسة وخاصة بعد كارثة أيلول/سبتمبر عام ٢٠٠١.

لكن مسلمى أمريكا على اختلاف أطرافهم ناضلوا وحاولوا، ولا يزالون يناضلون ويحاولون. وهو ما اجتهدت المؤلفة فى التطرق إليه بأدوات العرض والسرد والتحليل.

وفى هذا تكمن قيمة هذا الكتاب.

ولهذا أيضاً كان عزمنا على ترجمته لكى يطلع القارئ العربى المثقف الشغوف، فضلاً عن صاحب القرار - فيما نرجو - على هذه الإطلالة التى تأتى إلينا من الشاطئ الآخر للمحيط.

والله غالب على أمره،

محمد الخولى

القاهرة ٢٧/٣/٢٠٠٥

حول سلسلة كولومبيا للأديان في أمريكا المعاصرة

الولايات المتحدة موئل للتعددية الدينية، حيث تتميز الساحة الروحية لأمريكا المعاصرة بالتباين والتعقيد أكثر من أى بلد فى العالم. وهذه الكتب التى تصدر فى السلسلة الجديدة بأقلام أعلام الأساتذة من أجل الدارسين وعموم القارئ تتدرج ضمن فئتين اثنتين، فبعضها يقدم صوراً دقيقة التشكيل ومثيرة للتأمل والتفكير عن الجماعات الدينية الرئيسية فى البلاد بحيث تصف وتفسر ما تتميز به الأديان من عبادات وشعائر ومعتقدات فضلاً عن التحديات الرئيسية التى تواجهها اليوم هذه الجماعة أو تلك، أما الفئة الثانية فتقصد إلى استكشاف آفاق القضايا والمواضيع الراهنة المطروحة فى مجال الأديان بأمريكا، وهى التى تتقاطع عبر الخطوط المذهبية ومضامين النصوص، على أن تكملها صور فوتوغرافية وأعمال فنية منتقاة بعناية، مع تزويدها بقوائم ببليوغرافية مشروحة. كما أنها مذيّلة بنبذات عن ملامح السير الشخصية للأفراد المرموقين إضافة إلى سلاسل زمنية بالأحداث الكبرى.

مقدمة

«قمت بجولات «أتسوق» فيها دينًا جديدًا. فبعد خمس وعشرين سنة أمضيتها كاتبة في أمريكا كنت أريد شيئًا يخفف من نزعة التشاؤم السوداوية التي كانت تعتريني ومن ثم كنت أبحث عن ظروف جديدة أرى الدنيا من خلالها... ولم أستطع أن أطرح قائمة أحصر فيها ما أريد ولكن كان لدى فكرة عما أبحث عنه... أريد عقيدة لا تضم كهنة ولا تفصل بين ما هو فطري وما هو مقدس ولا تشن حربًا على الغريزة، بل يصبح الجنس أمرًا طبيعيًا وليس لعنة تلحق بالبشر جيلًا بعد جيل. وأخيرًا كنت أبحث عن شعائر تمثل بالنسبة لى نظامًا يوميًا يكفل لحواسي أن تصبح أكثر حدة ويجعل عقلي أشد انضباطًا. وفوق هذا كله كنت أنشد الوضوح والحرية، وما كنت أريد أن أتخلي عن الرشد لصالح فكرة جامدة تفرض عليه الأغلال وكلما عرفت المزيد عن الإسلام، بدا الأمر وكأن هذا بالضبط ما كنت أبحث عنه»^(١).

هذه العبارات، كتبها سيدة تحولت إلى الإسلام وكان والدها يهوديًا فيما كانت والدتها مسيحية وهي تشير بسبل شتى إلى الكيفية التي تجذب الإسلام إلى كثير من الأمريكيين. إنهم يفهمونه على أنه ديانة مباشرة وطبيعية تنفذ إلى عمق الأشياء وتكفل الانضباط. وكان الزعيم الأسود المسلم مالكولم إكس وغيره ممن دخلوا في هذه العقيدة عن طريق الانتماء إلى حركات مثل «أمة الإسلام» يشعرون بهذه الجاذبية بل كانت هي مضمون الدعوة إلى الإسلام التي عاشت في وجدان المهاجرين المسلمين الذين يعتقدون أن واجبهم يتمثل في دعوة الآخرين للانضمام إلى الجماعة المسلمة. ومن خلال تلك الدعوة، وبوصول المسلمين من كل مكان تقريبًا على ظهر البسيطة إلى سواحل الولايات المتحدة، أصبح الإسلام واحدًا من الأديان الثلاثة الكبرى في أمريكا.

كما أصبح بديهيًا أن نلاحظ ما يحدث في الغرب بعامة وفي الولايات المتحدة بخاصة حيث لم تعد النظرة إلى المسلمين تتمثل في أنهم «موجودون وكفى». بل تزايد دورهم الملحوظ ومشاركتهم الفاعلة بوصفهم جزءًا من نسيج

المجتمع الغربى. ومع ذلك فلم يحدث سوى فى السنوات الأخيرة أن أصبح كثير من الأمريكيين يفهمون أن الإسلام فضلاً عن المسيحية واليهودية هو دين «غربي» بحد ذاته إذ إن كثيراً من الكتابات العلمية، فضلاً عن الكتابات الشعبية، ما زالت تنزلق إلى حيث القول بثنائية «الإسلام والغرب» (أو الإسلام فى مواجهة الغرب). لكن المعلومات المتاحة عن الإسلام وعن المسلمين يزداد توافرها عن طريق وسائل الإعلام حتى صار من الصعب ألا نلاحظ وجود المسلمين فى المدن الأمريكية الكبرى والصغرى. ومع ذلك فكثير من الأمريكيين ما زالت لديهم فكرة غامضة عن حجم وأهمية الجالية الإسلامية فى أمريكا بل لا يعرفون سوى النذر اليسير عن الديانة نفسها. ومن عجب أننى كنت أتكلم فى أحد الاجتماعات عن الدين الإسلامى وشعائره فى الآونة الأخيرة فإذا بسيدة تسألنى قائلة «أين يقع الإسلام؟» وكانت بذلك تفترض أننى أتحدث عن بلد من البلدان. بل إن الأمريكيين فى معظمهم ليس لديهم سوى فكرة ضئيلة عن واقع الحال الذى يقول بأن عدد المسلمين فى أمريكا يكاد يقارب عدد اليهود المقيمين على أرضها بل ويتجاوز كثيراً عدد أتباع مذاهب البروتستانت الرئيسية.

وينطوى مشروع ديانا إيك أستاذة تاريخ الأديان فى جامعة هارفارد بشأن التعددية، وهو متاح على قرص ليزرى (سيدىروم)^(١) على نظرة مرموقة إلى ما تسميه دينا مقارناً فى حال من التشكيل. وقد قام تلاميذها بتوثيق وتصوير شواهد عن الحالات التى شهدت الآونة الأخيرة وما قبلها من مراحل من وصول المسلمين والهندوس والبوذيين وأصحاب الديانات الشنتية والزرادشتية وكثير غيرهم إلى المناطق الحضرية والريفية فى أمريكا. وثمة أجزاء كبيرة من مشروعها تتعامل مع الجماعات المسلمة عبر القارة الأمريكية حيث يمكن للمشاهد أن يلمح تتناقض الأحوال التى تفصل بين عمال الزراعة المسلمين والعاملين باليومية وبين أقرانهم من الأطباء وغيرهم من محترفى المهن الذين بلغوا شأواً عالياً من النجاح فضلاً عن صور المساجد الساذجة البسيطة التى تتناقض بدورها مع بعض المراكز الإسلامية الجديدة الفاخرة التى جرى تشييدها فى العقود الأخيرة. ومن شأن مصادر من هذا القبيل، إلى جانب الزيادة البالغة فى الدراسات العلمية التى تمت فى ميدان الإسلام الأمريكى، فضلاً عن إضافة مواد بشأن مسلمى الولايات المتحدة

إلى عدد من المقررات الجامعية، مع ما يحوزه الدين الإسلامى من اهتمام متزايد وما تحظى به الثقافة الإسلامية فى مناهج المدارس الثانوية وكذلك الفرص المتاحة أمام الأطفال المسلمين لكى يتحدثوا عن عطلاتهم أمام أقرانهم التلاميذ على مستوى الصف الدراسى، من شأن هذا كله أن يجعل من الصعب على خريجى النظام التعليمى فى أمريكا أن يحتاجوا يوماً إلى طرح السؤال الذى يقول: أين يقع الإسلام؟^(٥).

«يتألف المجتمع الإسلامى الأمريكى اليوم من أفراد جاءوا من خليط عرقى ومهنى واسع النطاق. وسواء كانوا وافدين بالهجرة أو أمريكيين بالأصل أو متحولين إلى الدين، فثمة وشيجة واحدة تربطهم جميعاً وتتمثل فى التجربة الفريدة التى تحمل اسم الإسلام. وسواء كانوا أطباء أو محامين أو مقاولين أو أساتذة أو كانوا طباطخين أو عمالاً فى الصناعة فهم جميعاً يسدون مساهمة إلى مستقبل أمريكا»^(٦). هذه الملاحظات، المستقاة من كلمة موجّهة إلى المؤتمر السنوى الرابع والثلاثين للجمعية الإسلامية فى أمريكا الشمالية فى عام ١٩٩٧ إنما تشير إلى التعددية التى يتسم بها المجتمع الإسلامى فى أمريكا وفيما توحى بالانشغال الذى يساور كثيراً من أفراد ذلك المجتمع وقادته إزاء ضرورة الاعتراف بالإسلام بوصفه قطاعاً شرعياً يساهم فى مقاليد المجتمع الأمريكى. وهنا يُطرح السؤال: ما هو هذا الدين الذى أصبح وجوده فى الولايات المتحدة مجسّداً بشكل ملحوظ بل ودائم لدرجة أن كثيراً من المسلمين باتوا يطالبون بوصف أمريكا على أنها بلد يهودى - مسيحي - ومسلم؟ وهل الإسلام مجرد دين أجنبى زرعوه بصورة أو بأخرى فى تربة غريبة أو أنه ظاهرة أصيلة من ظواهر الحياة الأمريكية؟

نبعت العقيدة الإسلامية فى القرن السابع الميلادى فى الجزيرة العربية حيث يعتقد المسلمون أن الله سبحانه اصطفى رسولاً اسمه محمد لكى يكون ختام أنبياء أديان التوحيد. ثم انتشرت العقيدة بسرعة فى جميع أنحاء منطقة الشرق الأوسط الكبير ثم شمال أفريقيا وجنوبى أوروبا. وفى غضون قرن واحد أصبحت قوة دافعة فى أنحاء كثير من العالم المعروف وقتئذ. وظل المسلمون على مدار معظم

(٥) بديهى أن هذا الاهتمام بـ «الشأن الإسلامى» ما يروح يتزايد، على مستوى السلب والإيجاب خاصة بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١ فى نيويورك «المترجم».

تاريخهم قوى تسهم فى الإبداع والابتكار فى مجال تطوير العلوم والفنون والآداب والفلسفة والتكنولوجيا والثقافة. وكثير من الإمبراطوريات الإسلامية الكبرى بسطت نفوذها على مناطق شاسعة من العالم وحتى بدايات القرن العشرين. واليوم يوجد أكثر من مليار مسلم فى طول العالم وعرضه وهم موجودون فيما يكاد يكون كل بلد من أقطار البسيطة. كما أن الإسلام يُعتَبَر واحدًا من «أديان العالم الكبرى» «الخمسة أو الستة» ويفهم المسلمون القرآن وهو كتاب الإسلام المقدس على أنه الوحي الذى نزل بنصّه من عند الله سبحانه على (النبي) محمد. ويتاح القرآن حاليًا فى ترجمات يسميها المسلمون «تأويلات» فى معظم لغات العالم.

وقد جاء نمو الإسلام خلال القرون الأولى من وجوده ليشكل ظاهرة صعبة أمام المسيحية الغربية من حيث فهمه أو إساءة فهمه مع ما انطوت عليه هذه الظاهرة من تحيز وتخوف بل ومن بغض فى بعض الحالات على نحو ما اتسمت به تواريخ المجابهة بين العقيدتين. وهذا الميراث، فضلاً عن المخاوف والشواغل الراهنة بشأن ما يُفترَض بأنه «التطرف الإسلامى» يشكل جزءًا من السياق الذى يتم من خلاله فهم تجربة المسلمين على صعيد ما يوصف حاليًا بأنه أمريكى المسيحية فى الأساس. ويقول مؤرخ مسلم من جامعة شيكاغو: «برغم أن الإسلام ديانة إبراهيمية تنهض جنبًا إلى جنب مع اليهودية والمسيحية، فقد درج القوم على النظر إليه وكأنه عنصر يهدد نسيج الحياة وقوام التراث فضلاً عن تهديده للقيم اليهودية - المسيحية الأساسية^(٤). على أن هذا الشعور يواجه باستمرار فى الولايات المتحدة بجهود من جانب الأمريكيين غير المسلمين الذين يعملون مع مسلمين من أجل التوصل إلى صورة أكثر إنصافًا للإسلام سواء فى الميديا الإعلامية أو فى المدرسة أو على صعيد الوجدان العام.

ويرد فى الجزء الأخير من الفصل الثانى تفاصيل عن تطوّر الإسلام فى القرن العشرين. وكثير من تلك التفاصيل وردت كاستجابة إلى التصوّر الذى رسخ فى أذهان المسلمين عما يصفونه بأنه الاستعمار الإمبريالى الغربى فى جوانبه السياسية والاقتصادية بل والدينية. وفى العقود الأخيرة قامت حركات كثيرة فى أنحاء شتى من العالم الإسلامى تدعو إلى تجديد الصورة التى تشكلت بشأن دور الإسلام فى إدارة الدولة وكذلك فى حياة المسلمين الخاصة والعامة. وقد أمعنت

الصحافة الغربية فى الإصرار على توصيف هذه الحركات بأنها «أصولية متطرفة» حيث رأت فيها خصائص مشتركة من التطرف بل ومن العداء إزاء الغرب وأحياناً من العنف. وفى واقع الأمر فكلمة «أصولي» (Fundamentalist) ينقصها الدقة بقدر ما تنقص الدقة الافتراض بأن تلك ظاهرة عامة.

وقد يكون ثمة توصيف أعم لتلك الحركات على أنها إحيائية (تجديدية) وأحياناً تُعرف ببساطة بوصفها إسلامية (إسلاموية). وهذا مصطلح يغطى طائفة واسعة من التفسيرات والإجراءات التى قلما تتجلى فى أعمال العنف التى باتت تخيف الفرد الأمريكى العادى. ويتمثل التحدى الذى يواجهه المسلمون الأمريكيون فى محاولة العيش وممارسة إسلام يحوى قيماً من العدل ومكارم الأخلاق والتعايش السلمى مع أهل الديانات والمذاهب الأخرى بحيث تغطى قيم الإسلام هذه على صورة الإسلام المتطرف الذى كثيراً ما تُروّج له الميديا الأمريكية.

ولقد كان من جوانب مسئوليتى المهنية كأستاذ للدراسات الإسلامية، فضلاً عن سعادتى الشخصية عبر العقود العديدة الماضية، أن أشرك جماهير أمريكية فيما توصلت شخصياً إلى فهمه بشأن الأبعاد التاريخية والأخلاقية والروحية للإسلام. وفى هذا السياق تلقيت العون من جانب كثير من الأصدقاء والدارسين المسلمين الذين مدّوا إلى يد المساعدة فى صبر وأناة كى أدرك معنى أن يكون الإنسان مسلماً سواء على مستوى الفرد أو الجماعة. ولهذا أمضيت فترات طويلة من الزمن فى محادثات مع مسلمين: منهم من ينتمى إلى الصفوف الأكاديمية ومنهم من جاء من خلفيات مشتركة بين المذاهب وهؤلاء شاركونى فى دعوات كثيرة لتناول الطعام حيث نعمنا بكرم الضيافة والسخاء الإسلامى. وبعض تجاربى ذات الأهمية الفائقة عشتها عندما كنت أدعى للمشاركة فى حضور شعائر الصلاة سواء فى البيوت الخاصة أو فى الساحات العامة الملحقة بالمسجد أو بالمركز الإسلامى. على أن بعض الأمريكيين المسلمين لا يجدون أنفسهم قادرين على الانفتاح إزاء التفاعل مع غير المسلمين على الأقل لفترة مرحلية من الزمن ومن ثم فهم يشعرون أنهم بحاجة إلى العزلة لكى يكرسوا اهتمامهم لتقرير الأسلوب الذى يحتفظون فيه بهويتهم المسلمة ضمن سياق ثقافة غربية. ومع ذلك فهناك الكثيرون من الحريصين على تقاسم معتقداتهم وممارساتهم مع أصدقاء يريدون بحق أن يتعلموا وأن يفهموا. وفى

هذا الكتاب أ طرح منظورات كثيرة من المسلمين الأمريكيين على أنها أفكار ممكنة التحقيق مع إتاحة الفرصة لكي تسمع أصواتهم ولكي يدلوا بأرائهم للبت في القضايا المهمة وفي إضفاء مزيد من الضوء على عرض المادة العلمية التي يحتويها هذا الكتاب.

ومنذ ثلاثة عقود من الزمن كان هناك عدد يقل عن نصف المليون من المسلمين في أمريكا بمن في ذلك المهاجرون والأفرو - أمريكيين (الملونون). وفيما تتباين الإسقاطات الإحصائية تبيننا واسعاً من حيث العدد الراهن للسكان المسلمين فضلاً عن قيام اختلاف أحياناً بشأن الأفراد الذين يجوز تعريفهم على أنهم مسلمون، فإن التوافق السائد يصل بالعدد إلى نحو ستة ملايين مسلم يعيشون في إقامة دائمة بأمريكا، خاصة وأن هذه الجماعة المسلمة تتزايد باضطراد. على أن المسلمين أنفسهم يقدرون عدداً أكبر في هذا الصدد كما أن كثيراً من العوامل تبرر الزيادة الملموسة في عدد المسلمين عاماً بعد عام على نحو ما سوف تبينه الفصول التالية من هذا الكتاب. وأكبر مجموعة من مسلمي أمريكا تتألف من مهاجري الأجيال الأول والثاني والثالث إضافة إلى عدد من الطلاب المسلمين الذين يقيمون فترة ثم يعودون إلى أوطانهم الأصلية كي يشغلوا مراكز القيادة في معظم الأحيان.

وبرغم صعوبة البت في النسب الدقيقة، فكثير من دارسي الإسلام في أمريكا يتصورون أن ٤٠ في المائة من أفراد المسلمين الأمريكيين قد يكونون من الأفرو - أمريكيين. ويشمل هذا العدد أتباع الإمام وارث محمد وأعضاء المنظمات السننية الأخرى إضافة إلى من ينتمون إلى جماعات متناثرة تؤمن بتفسير معين للإسلام ومنهم جماعة «أمة الإسلام» أو «أنصار الله» التي يقودها لويس فرقان. بيد أن صورة الإسلام الأمريكي تكتنفها تعقيدات كثيرة بفعل وجود الكثير من الحركات الطائفية التي تبغى تعريف نفسها بوصفها «إسلامية» وهذا تعريف كثيراً ما يرفضه المسلمون الآخرون. وفي كل حال فإن مسلمي أمريكا مشاركون بعمق في صياغة ما يمكن أن يفهم بأن الفرد جزء من «الأمة» ومن خلال تطور المنظمات الإسلامية وزيادة عدد الاجتماعات والمؤتمرات المحلية والوطنية ثم الانتشار السريع لوسائل الاتصال، فهم عاكفون حالياً على تحديد طابع وأصالة إسلام أمريكي صميم.

من ناحية أخرى يورد هذا الكتاب مقدمة عامة لتعريف الدين الإسلامى على نحو ما يعيشه ويمارسه مسلمو أمريكا إضافة إلى لمحة عن مدى ما يشمله المجتمع من تجمعات وجاليات تُعدّ جزءاً من هذا الدين. وتساعد الفصول الأولى القارئ^(٥) على الوقوف على تجارب المسلمين الأمريكيين ضمن سياق تاريخ المعتقدات والمؤسسات والتطورات الإسلامية. فالفصل الأول عبارة عن مدخل إلى المعتقدات والشعائر التى ميزت الجماعة الإسلامية منذ زمن الرسول، كما أنها كانت الإطار للحياة الدينية للمسلمين الأمريكيين. ويعرض هذا الفصل الدعائم الخمس التى بنيت عليها العقيدة الإسلامية والأركان الخمسة للممارسة الدينية المعتادة ضمن سياق حياة المجتمع مشيراً إلى بعض الأسباب التى تجعل محمداً أسوةً حسنةً يقتدى بها المؤمنون. ومع ذلك يقول رئيس الجمعية الإسلامية فى أمريكا الشمالية: «إن اتباع سنة النبي لا يعنى مجرد تقليد المظاهر الخارجية ولكنه يعنى أن نتعلم بصورة مُبدعة من شخصيته ونموذج سلوكه. إنه قدوتنا إذ كان الأقرب فى علاقته إلى الله سبحانه كما أنه كرّس حياته كلها من أجل مرضاة الله عز وجل وهذا هو سر امتيازه الأخلاقى مما جعل حياته أسوةً حسنة»^(٥). الفصل الثانى من الكتاب يعرض سيرة الذين اضطلعوا بأدوار مهمة فى تاريخ الإسلام القديم والحديث ولتجاربهم الشخصية، حيث يصف الانتشار الواسع السريع للدين خلال السنوات الأولى من وجوده فضلاً عن تطوّر المذاهب الإسلامية الرئيسية بما فى ذلك مدارس الشريعة والديانة والفلسفة والتصوف. ويصور هذا الجزء من الكتاب بعض السبل التى نهجها أفراد مسلمون بكل تأثيراتهم وفى ضوء ما انتهوا إليه بشأن معنى الإسلام وأساليب الحياة الأخلاقية والدينية التى شكّلت العقيدة وصاغت ممارسات الذين يسعون إلى رسم صورة دقيقة لما يعنيه أن يكون المرء مسلماً فى المجتمع الغربى اليوم.

أما الفصلان الثالث والرابع فينظران فى أمر السبل العديدة التى أضفت أهمية على الإسلام فجعلته جزءاً فاعلاً فى تاريخ أمريكا وثقافتها: فالفصل الثالث يصوّر بشكل عام التاريخ المُعَدّ للإسلام الوافد مهاجراً إلى أمريكا حيث يصف السبل التى وصل بها المسلمون إلى أمريكا أو اختاروا أن يعتنقوا الإسلام ديناً لهم.

(٥) القارئ - الهدف هنا هو بالذات القارئ الأمريكى غير المسلم «المترجم».

كما يتتبع حركات المهاجرين من منتصف القرن التاسع عشر وخاصة الوافدين من الشرق الأوسط من خلال موجات الهجرة العديدة وحتى الوقت الحاضر حيث أصبح المسلمون متواجدين فيما يكاد يكون كل بقعة في العالم. ويصور الفصل النطاق الواسع للسياقات الثقافية التي يمثلها المهاجرون المسلمون كما يصف بإسهاب مستوياتهم التعليمية والمهنية والسبل المختلفة التي يرون من خلالها ضرورة ممارسة الإسلام في أمريكا. ويضاف إلى هذا المشهد المعقد أصلاً ظاهرة تزايد أعداد المتحولين إلى اعتناق الإسلام بين صفوف السكان البيض وذوى الأصل الإسباني^(*) وسكان أمريكا الأصليين وهم يدخلون حظيرة الدين أحياناً من خلال الانتساب إلى واحدة من الحركات الصوفية العديدة الموجودة في الولايات المتحدة وكندا. أما الفصل الرابع فيبدأ بمقدمة عن العبيد المسلمين الذين جاءوا بهم إلى أمريكا وما تم (في معظم الحالات) من إجبارهم على التحول إلى المسيحية: إن قصتهم تشمل مناقشة تفصيلية لصعود الإسلام الأفرو - أمريكي منذ التعبيرات الأولى عن القومية السوداء ابتداء من ظهور وتطور جماعة «أمة الإسلام» إلى المظاهر المعاصرة للحركات الإسلامية السنية والمنشقة على السواء.

يتلو ذلك فصول ثلاثة تنطرق إلى مجموعة واسعة من القضايا التي تواجه المسلمين الذين يريدون أن يعيشوا حياتهم العقائدية ضمن السياق الأمريكي. والحق أن كثيراً من المسلمين في الغرب لا يترددون على المساجد ولا يشاركون في الشعائر الدينية وهم يعدون أنفسهم مسلمين بالمولد أو من خلال الانتماء الثقافي في الأساس. أما الآخرون فهم متدينون يمارسون الشعائر ويختلفون إلى المساجد. وهذه الفصول تصف الشواغل التي تساور هؤلاء المسلمين وتواجههم فيما يتعلق بأمور العبادة والسلوك الديني والأسرة والمسائل الشخصية ودور المرأة في أمريكا المسلمة وتربية أبنائهم وتعليمهم ورعاية المسنين فضلاً عن قضايا الملتحقين بالخدمة العسكرية أو المودعين في غياهب السجون إضافة إلى استخدام المنتجات المشروعة إسلامياً وارتداء الملابس المحتشمة وانتهاج أنماط السلوك القويم فضلاً عن العديد من القضايا الأخرى المتصلة بالحياة في بلد كثيراً ما يتعرض فيه الإسلام إلى سوء الفهم وقلة التقدير. وفي هذا السياق يولى اهتمام خاص إلى تطور

(*) يعرفون باسم الهسبان أو اللاتينو «المترجم».

المساجد والمنظمات الإسلامية الأمريكية وإلى جهود نشر الدعوة ومشاركة المسلمين فى العملية السياسية والطرق التى يعمل بها المسلمون وغير المسلمين على تحديد ومعالجة حالات التحيز والمعاملة المجحفة. ويتم بقدر من التفصيل مناقشة ظاهرة النشاط الإعلامى الإسلامى بما يعكس عزم بعض المسلمين على جعل أمريكا ميداناً للتبشير بديانتهم. وفى هذا الصدد يقول إسماعيل الفاروقى الأستاذ الفلسطينى من جامعة تمبل: «إن الرؤية الإسلامية تهيب أمريكا الشمالية نصيراً جديداً لها وجديراً بها لكى تجدد حياتها وروحها وتعيد اكتشافها لأداء رسالة كلفها بها الله سبحانه وحيث تكرر جهودها لخدمة تلك الرسالة ومن ثم لا تملك هذه القارة سوى أن تشعر بالامتنان للمهاجرين الذين وفدوا عليها وهم يحملون فى وجدانهم هذه الرؤية الإسلامية وهى لا تملك سوى أن تفسر وصولهم إلى أرضها وسواحلها سوى على أنه نعمة من عند الله ومحبة ورحمة جاءت فى وقتها من لدن السماء»^(١). أما الفصل الأخير من الكتاب فيطرح بعض الشواغل والمشاكل التى تواجه المسلمين فى أمريكا ومنهم المهاجرون أو الأفرو - أمريكيين أو المتحولون إلى الإسلام وهم يتطلعون إلى ما يأتى من عقود زمنية قادمة. أما القضايا فهى تلك التى يثيرها المسلمون أنفسهم فى أدبياتهم وأحاديثهم وفى اجتماعاتهم المحلية والوطنية وهذه القضايا تعكس مدى تعقيد المشهد الإسلامى الأمريكى على النحو الذى ينعكس فى واقع الخليط العرقى - الإثنى والثقافى الذى يعيشه المسلمون هناك وأنماط التحول من واقع المهاجرين الأوائل إلى واقع الأمريكيين المنتمين إلى الجيل الثانى ثم الجيل الثالث الحالى فيما يتعلق بالطرق التى يرتضيها، أو لا يرتضيها، المسلمون من حيث تأثرهم بالاتجاهات والحركات القادمة عبر البحار ثم طرق الفهم المختلفة لما يعنيه تأكيد الهوية الإسلامية والحفاظ عليها ضمن سياق يطرح دينا ما زال يشكل عقيدة أقلية صغيرة الحجم.

ويقدم الجزء الخاص بـ «ملاحم السير الشخصية» نبذات عن حياة بعض المسلمين المرموقين الذين ساهموا فى تعريف وصياغة الإسلام فى أمريكا ضمن سياقات تاريخية وثقافية متنوعة. وهو يشير إلى الأفراد والتجارب ممن شكّلوا الصورة الغنية والمتنوعة للإسلام فى الولايات المتحدة، ويعرض للمسلمين الذين تفوقوا فى المضمار الأكاديمى إضافة إلى الجانب التنظيمى للجماعة الإسلامية فضلاً عن مشاهير الرياضيين والشخصيات البارزة فى بعض جوانب الحياة

الأمريكية العامة. ويعقب ذلك فى الكتاب عرض زمنى لسلسلة الأحداث التى شهدتها تاريخ الإسلام الأمريكى إلى جانب قائمة بالمراجع التى يمكن أن تساعد القارئ الراغب فى معرفة المزيد عن الإسلام فى الولايات المتحدة وكندا بما فى ذلك قائمة ببليوغرافية مشروحة بالكتب والدوريات والصحف والمنظمات التعليمية الإسلامية وأشرطة الفيديو التى تتناول الإسلام فى أمريكا ثم إذاعات الراديو والتلفزيون ومصادر شبكة الإنترنت.

إن صورة الإسلام فى أمريكا تتغير كل يوم لأن هذه العقيدة ينضم إليها أفراد جدد وتصبح المعلومات الجديدة متاحة من خلال مجموعات متنوعة من المصادر كما تتم تفسيرات جديدة تساعد المسلمين على معرفة المزيد بشأن ديانتهم وبأساليب ممارستها على صعيد مجتمع يأخذ بالتعددية. وفى هذا السياق، يُصِرُّ مُعَلِّق مسلم على «أنه قد حان الوقت لكى تتولى جماعة المسلمين فى أمريكا مقاليد المسؤولية الكاملة عن شئونها». كما أن علينا أن نرسى الأساس لكى يعيش الجيل الشاب ويزدهر فى هذا البلد على قَدَم المساواة السياسية والاقتصادية^(٧). ولن تتاح هذه المهمة إلا بقدر ما يعرف الأمريكيون الكثير عن الدين الإسلامى ويصلون إلى مستوى أفضل لفهمه بوصفه عاملاً حيويًا فى تقديم مساهماته للساحة الدينية فى أمريكا. ومن ثم فهذا الكتاب يقصد إلى أن يكون واحدًا من السبل التى تُيسّر هذه المهمة.

الفصل الأول

الإسلام العقيدة والتشريعة

وقت الظهيرة من يوم الجمعة، في المسجد الصغير بالحى الفقير يلتئم ببطء عقد المتعبدين وهم في معظمهم من الأمريكيين الملونين. ثمة رجل تطوَّع بكنس المسجد عقب كل صلاة ليتأكد من أن السجاجيد نظيفة لكي تصافحها جباه الذين سوف يسجدون تضرعاً لله. يخلع كل شخص حذاءه / أو حذاءها قبل أن يدخل إلى صحن المسجد. ويضع الحذاء على رف خشبي قرب باب المدخل. السجاجيد مصنوعة في حقيقة الأمر من أبسطة مطاطية رفيعة مرتَّبة لكي تتيح للعابدين أن يولُّوا وجوههم نحو مكة ويوضَّح هذا الاتجاه لوحة معلقة في مقدمة الصحن. القاعة عارية من الأثاث اللهم إلا من منصَّة (منبر) في أولها أما في نهايتها فتُمة عدد من الكراسي البسيطة من القماش يستخدمها الذين لا يستطيعون الجلوس فوق الأرض. ثمة عبارات بالخط العربى معلقة على الجدران وتشمل البسملة أو الفاتحة «بسم الله الرحمن الرحيم» التى تبدأ بها جميع سور القرآن اللهم إلا السورة الفاتحة^(*). تتوقَّف عملية كنس المكان. العابدون الذين أتموا وضوءهم فى الطابق السفلى قبل أن يدخلوا إلى مكان الصلاة يُعدُّون أنفسهم للمشاركة فى الصلاة الجامعة. ينهض رجل منهم ويتوجه نحو القبلة ويرفع يديه خلف أذنيه ثم يرفع نبرات صوته فى الدعوة بالصلاة التى تبدأ بعبارة: حى على الصلاة حى على الفلاح... «يتقدَّم الإمام خطوات ثم تبدأ الشعائر».

بالنسبة للمسلم فالصلاة ليست مجرد موقف فكرى أو روحى ولا حتى مجرد شكر يرفعه بالحمد إلى مولاه بالعقل أو الوجدان. الصلاة تتطوى على استجابة جسدية كاملة لا تقتصر على مجرد الجلوس ولكن تتعدى ذلك إلى سلسلة من الركوع والسجود. ولهذا السبب فالمساجد لا تحوى كراسى ولا أرائك ويتألف كل من الصلوات الخمس اليومية من سلسلة من شعائر الركوع والسجود وكل ركعة يصحبها ما يتيسر من التلاوة والدعاء. يقف العابدون كتفاً بكتف وقَدَمًا بقَدَم فى

(*) هكذا فى الأصل (المترجم).

صفوف من خلف الإمام الذى يقود الصلوات حيث الرجال فى المقدمة والنساء فى الصفوف الخلفية، أما الأطفال الصغار الذين يضمهم المكان بشكل يكاد يكون دائماً فيبقون بطريقة أو بأخرى مع النساء وقد التزموا الهدوء، فى حين أن الأطفال الأكبر سنًا يتعلمون بذلك خطوات أداء شعيرة الصلاة. الغلمان الذين جاوزوا سن الطفولة يجلسون مع آبائهم ومعظم الرجال يرتدون أغطية للرأس صغيرة منسوجة أو مُزَيَّنة فى حين ترتدى النساء أردية طويلة الأكمام أو سراويل مع تغطية الرأس. وهم يؤدّون معًا السلسلة العديدة من شعائر الصلوات التى تشمل الوقوف والركوع والسجود حيث يضع المرء جبهته على أديم البساط فى استسلام كامل للعبادة وهنا يقول الإمام موضحًا «عندما تكون فى هذا الوضع من الاستضعاف الكامل فإنك تشعر ماذا يعنى أن يُسَلِّم الإنسان أمره كاملاً لله سبحانه».

تشمل الشعيرة قراءة سورة الفاتحة وهى أولى سور القرآن وتكاد توازى بالنسبة للمسلم الصلاة الربانية^(*) التى يؤدّيها المسيحى عند التعبد ثم يقرأ الإمام آيات من القرآن باللغة العربية حتى يتاح للجمع الذى يصلى مزيد من الألفة مع تلك اللغة ولأنه يوم الجمعة فالشعائر تشمل خطبة يلقيها الإمام بالإنجليزية وعادة ما يختار موضوعًا يتصل بأسلوب المعيشة للمسلمين الأتقياء فى أمريكا أو تعاليم تتصل بأهل الديانات الأخرى. ويظل الجمع جالسًا على الأبسطه مُصَغِّيًا إلى الخطبة وفى نهاية الصلاة يتلو المصلون التشهد وهى تستدعى السلام على النبى وعلى عباد الله الصالحين من حوله ومن حولها فضلاً عن التسليم لله الواحد وعند انتهاء الصلاة يقف المصلون ليحيى كل منهم الآخر، ثم تنتشر جموعهم ليعاودوا ممارسة أنشطتهم اليومية. فى الوقت نفسه وعبر المدينة، تتم الشعائر المتماثلة ولكن فى ظل ظروف مختلفة تماماً، فهذا المسجد الذى يتألف مرتادوه أساساً من مسلمين مهاجرين من المهنيين تم بناؤه على أساس معمار إسلامى كلاسيكى حيث تقبع فوق قمته قبة فى أعلاها هلال ظاهر للعيان مما لا يدع مجالاً للشك فى أن المرء بإزاء دار لعبادة المسلمين. أما صحن الصلاة فهو بهو واسع تغطيه سجاجيد سميكة على الأرض وتقد النساء إلى الجامع من خلال مدخل منفصل ويؤدين الصلاة فى الطابق الثانى الذى يتخذ شكل الشرقة ومنها يستطعن رؤية الإمام

(*) أبانا الذى فى السموات... «المترجم».

والرجال من خلال ستار من القضبان المعدنية. يتحرك الأطفال هنا وهناك بحرّية ولا يشعرون بضرورة الالتزام بالهدوء بأكثر ما يستلزمه الأمر إذا ما كانوا بحضرة الرجال والإمام. ومعظم النساء يشاركن في أداء الصلوات وإن كان بعضهن يفضلن الجلوس وتبادل الأحاديث بهدوء في ركن المكان ويرتدين بدورهن ملابس محتشمة وعادة ما تكون ملابسهن على غرار السائد في الوطن - الأم.

ولكن فيما تختلف الظروف المحيطة بالمكان فإن الشعيرة التي تؤدّى لا تتغيّر ما بين الاغتسال للوضوء إلى الوقوف ثم الجلوس والركوع والسجود وتلاوة القرآن والأدعية. والمسلمون يعتزون أيّما اعتزاز بحقيقة أنه برغم التباينات المعمارية وغيرها، وعلى اختلاف الأماكن التي يتوجّه فيها الإنسان للعبادة في أنحاء العالم فإن أسس أداء الشعيرة تظل هي نفسها بغير تغيير. بل إن مساجد الأقرو - أمريكيين وجوامع المهاجرين لا تتورع عن الترحيب بغير المسلمين الذين يمكنهم أن يشهدوا الصلوات بل ويشاركوا فيها إذا ما رغبوا في ذلك رغم أن هذا الأمر لا ينطبق على جميع المساجد أو الجماعات المسلمة سواء في الولايات المتحدة أو في غيرها. وعندما تنتهي الصلاة في مسجد مهاجرين يمكث الرجال ليحادثوا الإمام أو يتبادلون الأحاديث فيما بينهم، وتدور الأحاديث أحيانا عن الصلاة والشعائر وإن كانت تدور غالبا حول مشاكل الجماعة المسلمة ذاتها، أما النساء فيجمعن شمل الأطفال ويتبادلن التحية والعناق مع جاراتهن ويستعدن الأحذية ثم يغادرن المكان وهن بدورهن على استعداد لكي يتدبرن ما يحفل به اليوم من شئون وشجون.

كيف أصبحت هذه الشعائر جزءا من نسيج الإسلام؟ وما الذي يربط بين المسلمين حول العالم من ناحية الاعتراف بأهمية شعائر الصلاة سواء شاركوا فيها بالفعل بانتظام أو لم يشاركوا، وما الذي يجعلهم يشاركون في الأركان الأخرى من العقيدة والممارسة الإسلامية؟ إن الإجابة التي يعطيها المسلمون الأمريكيون على مثل هذه التساؤلات واضحة ومباشرة ومؤداها أن المسلمين يؤمنون بما يفعلون وهم يترجمون إيمانهم في أعمالهم لأن الأسوة الحسنة هي نبيهم محمد الذي أنشأ الجماعة الأولى في مكة والمدينة طبقا للتعاليم التي تلقاها من ربه. وقبل أن ننظر بصورة أكثر تحديدا إلى تلك العوامل التي تتألف منها عقيدة الإسلام وشرائعه يظل من المهم أن نطرح فكرة عن مدى أهمية شخصية النبي بالنسبة للمسلمين وعن

السبب الذي يدفع كثيرًا من المسلمين الأمريكيين إلى صياغة حياتهم الخاصة لكي تصبح أقرب ما تكون قدر الإمكان من نموذج القدوة الذي وضعه نبيهم لكل الأجيال اللاحقة. وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ (سورة النجم. الآيات ١-١٠).

بهذا الوصف الملهم لظهور الملاك جبريل لرجل يدعى محمد (ابن) عبد الله في الجزيرة العربية منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا من عمر الزمان، يؤكد القرآن، كتاب الإسلام المقدس، أن الله ذاته اختار أن يبعث بوحيه إلى هذا الرجل ليكون خاتم الأنبياء والمرسلين.

وليس هناك ما هو أكثر إقناعًا بالنسبة لقوم تعودوا على انتظام نواميس الطبيعة من طلوع نجم الصباح: ولذلك فسورة القرآن التي تتحدث عن اللقاء الأول بين محمد وجبريل تحمل اسم «النجم» ويعتقد المسلمون أنه بقدر ما أن طلوع النجم كحادثة تتكرر يوميًا أمر موثوق به تمامًا فعلى ذلك يكون التأكد من أن محمدًا نفسه الذي يتحدث عنه الوحي بوصفه «الصاحب» هو من تلقى الوحي الإلهي حقًا وصدقًا.

يولى المسلمون محمدًا أقصى درجات التوقير إذ يرون فيه نبراس الهداية الروحية ونموذج القيادة الحكيمة وقدوة البشر في مكارم الأخلاق سواء بالنسبة لعلاقتهم بعضهم ببعض أو بالنسبة لعلاقتهم مع خالقهم سبحانه. والمسلمون الأمريكيون كثيرًا ما يحرصون بالذات على أن يرددوا عبارة «عليه أفضل الصلاة والسلام» عندما يتطرقون إلى اسم نبيهم. «إن التوازن المرفف والدقيق بين عظمة نبوة محمد وقربه من الله سبحانه وبين مواهبه الرسالية والمهام العظمى التي اضطلع بها وأنجزها للعالم إلى جانب دفء وحيوية معيشته بين أسرته، كل هذا يكمن في جوهر النظرة إلى حياة المسلم، فإذا ما كان ذلك مفهومًا يصبح الإسلام نفسه مفهومًا» هكذا يكتب أمريكي تحول إلى الإسلام وجعل غايته أن يحيط الذين لا يعرفون عن الإسلام سوى النذر اليسير بمدى أهمية النبي محمد للمسلمين^(١).

مع ذلك فقد جاءت مراحل لاحقة من التاريخ لكى ترثد الشكوك التى عرّضت لها ضمناً تلك الآيات من القرآن الكريم بشأن المهام الثلاث التى اضطلع بها محمد. فعلى مدار قرون وجّهوا إليه الاتهام، وخاصة من جانب المسيحيين، بأنه ضلّ وغوى أو أن ضلّته (خدعته) قوى الشيطان أو أنه استسلم لرغباته سعيًا من أجل السلطة لدرجة أن اصطنع دينًا زائفًا وشيطانيًا خدع به قومه. بل هناك من أشار إلى أن محمدًا لا بد وأنه كان يعانى من مرض الصرع مستشهدًا بأنه كان يقع تمامًا تحت سيطرة آيات الوحي الأولى التى كان يتلقاها من لدن الله عن طريق الملاك جبريل. وما زال المسلمون فى أمريكا حتى اليوم يجدون أن هذه الاتهامات هى التى تميّز آراء معظم غير المسلمين بشأن نبي الإسلام. هل كان يقصد الخير ولكنه ضلّ وغوى؟ وبصورة أقل تعاطفًا: هل كان واقعًا بصورة أو بأخرى فى برائن قوة شريرة أفضت به إلى تلك المزاعم الخاطئة؟ والأسوأ هو التساؤل عما إذا كان مجرد باحث عن مجد شخصى فكان أن اصطنع الوحي الإلهى لكى يضمن لنفسه الطامعة موقع قيادة سياسية؟

وفيما لا يزال معظم الأمريكيين يستكرون مثل هذه التقييمات السلبية لمحمد التى ميّزت معظم أحكام الغرب على مدى قرون، فما زال الأمر يشهد نماذج صارخة من هذا القبيل. وقد حدث فى يونيو ١٩٩٨ أن قررت خدمة AT&T World net، وهى أكبر شركة لتقديم خدمة شبكة الإنترنت المباشرة فى الولايات المتحدة إلغاء موقع إلكترونى على الشبكة أشار إلى محمد بوصفه شخصًا منافقًا شريرًا ولم يكن بحالٍ من الأحوال رسولاً من عند الله^(٢). وغير المسلمين الذين لا يريحهم النظر إلى محمد على أنه كان على ضلال أو أنه كان انتهازيًا أو ببساطة مخطئًا فيما ذهب إليه، قد يسمحون، مع قدر من التردد، لمحمد بأن يحظى بمكانة نبي الله برغم أنه ينقصهم بعامة الفهم الإسلامى الأصيل بأن رسالته التى أوحيت إليه هى الرسالة الأخيرة والخاتمة، أو برغم عدم الموافقة على أن الرسالة التى تلقاها محمد يمكن بأى طريقة أن تتعارض مع صحة ما جاء فى الإنجيل. على أن المسلمين يسوءهم وأحيانًا يحيرهم أن غير المسلمين الأمريكيين ما زال ينقصهم الكثير من الفهم ولا يقدّرون الأمر حق قدره بالنسبة إلى السجايا البشرية العليا التى تجسّدت فى مؤسس الإسلام. ومع ذلك فما زال المسلمون الأمريكيون

ينظرون إليه بوصفه البشر الذي تلقى كلمات ربه الأخيرة والخاتمة فضلاً عن كونه الأسوة الحسنة في مسالك حياتهم العامة وسلوكياتهم الخاصة، كما يرجع إليه الفضل في إرساء دعائم وأركان الإسلام - العقيدة والشريعة على نحو ما أصبح يشكل حياة المؤمنين بهذا الدين.

عناصر عقيدة وشريعة الإسلام

تطورت عناصر الإيمان والسلوك التي تشكل الآن حياة المسلم الأمريكي الوريث من واقع تجارب النبي محمد (يجرى تفصيلها في الفصل ٢) كما استقيت من التعاليم الأساسية للقرآن. ويفهم المسلمون أن ثمة واجبات خمسة لابد للمؤمنين أن يضطلعوا بها ويشار إليها عادة بأنها «أركان الإسلام الخمسة» بمعنى أن ثمة بنوداً خمسة للإيمان تشكل في مجموعها عقيدة المسلم الثابتة من حيث الإيمان بالله وبمسئولية الإنسان. ويناضل الكثيرون من أجل الامتثال لجميع هذه الأركان بأقصى قدر ممكن من الإيمان العميق على أن يُصدّق ذلك العمل في حياتهم اليومية، في حين أن هناك منهم من يمارس حرية الانتقاء أو الاختيار بل والتعديل إذا ما شعروا أن هناك من هذه الأركان ما لا يتناسب مع الحياة في أمريكا.

عناصر الإيمان الخمسة

يتعلم الطفل المسلم من بدايات العمر من والديه ومن المسجد والمدرسة أن الإسلام بني على خمس قواعد مُحَدَّدة هي:

١. الإيمان بالله: وهو أمر مُتَضَمَّن في الفهم الإسلامي للرب حيث تُعبّر عن ذلك فكرة الاختلاف غير المحدود بين ما هو إلهي وما هو بشري. فمجرد التسليم بالله سبحانه يُعبّر عنه بمصطلح التوحيد بمعنى وحدانية الله واعتراف البشر بهذه الوحدانية وهم يفترضون بذلك أن الله لا يشبهه شيء وأن على البشر ألا يشهدوا فقط بهذه الوحدانية ولكن عليهم أن يُعبّروا عن هذا الإيمان في كل أطوار حياتهم وأفعالهم. وبما أن الله وحده هو خالق الكون فإن المسلم يعترف بهذه الوحدانية من خلال حياة يعيشها في إطار من التكامل والنزاهة ومكارم السلوك والمسئولية الأخلاقية. وفي ضوء

الفهم الإسلامى فإن أكبر الكبائر التى يُقِم عليها البشر هى الشرك بوحداية الله سواء بالكلمة أو الفعل باعتبار أن خطيئة الشرك تجعل مع الله إلهاً آخر أو شريكاً. ولكن بعض المتصوفة المسلمين لا بد وأنهم فى مراحل تاريخية قاربوا، فى عيون جماعة المؤمنين، حواف الكفر المهلكة عندما كانوا يؤكدون تجاربهم الصوفية فى التوحد مع الله سبحانه.

والإسلام هو الديانة الكبرى الوحيدة التى يوحى اسمها فى حد ذاته بثنائية جوهر العقيدة: فعلى المحور الأول يشير الإسلام إلى استجابة الفرد البشرى إزاء وحدانية الله. أما المحور الآخر فهو يعنى إجماع كل البشر الذين يشكلون جماعة المؤمنين بالدين على التسليم بوجود الله والإيمان به والاستجابة الدينية لهؤلاء البشر جميعاً ممن أكدوا أن وحدة الله يمكن فهمها على أنها «إسلام» شخصى. ولم يحدث إلا مع البداية الرسمية لوجود الجماعة بعد الهجرة إلى المدينة أن ساد أو نشأ اعتراف محدّد بأن المسلمين يشكلون معاً جماعة أو وحدة أو أمة برغم أن مصطلح إسلام ذاته لم يكن قد شاع استخدامه بهذا المعنى إلا فى مراحل لاحقة. والكفاح من أجل تحديد ماهية «الأمة» على صعيد المجتمع الغربى وتحديد ما إذا كان ثمة جماعة مسلمة أمريكية مجال ما زال مسلمو أمريكا يخوضون غمراته على نحو ما سوف تبينه الفصول اللاحقة.

٢. الإيمان بالملائكة: فى الغرب، وفى نهاية القرن العشرين، كان الملائكة موضع تصوّرات شتى. وهذا الانتشار للتصوّرات يبدو وكأنه يشهد انبعاثاً واسع النطاق باعتبار أن الصور التى ترسم الملائكة ما زالت تُزيّن أغلفة المجلات الشعبية. وقد يجد المسلمون فى هذا أمراً مُسلّماً باعتبار أن وجود الملائكة والأقوار الفعّالة التى يقومون بها فى حياة البشر ما برح جزءاً من وعيهم الدينى منذ أيام التواصل الأولى بين محمد وربّه عن طريق الملاك جبريل الذى لا يمثل سوى أحد الملائكة فيما أن إسرافيل هو أكثرهم درامية لأنه ينفخ فى الصور فى نهاية الزمان إيذاناً بحلول يوم الحشر أو يوم القيامة.

٣. الإيمان برسُل الله: يفهم المسلمون أن الله أنزل الوحي من خلال سلسلة من عمليات التواصل إلى البشر بطرق شتى وعن طريق أفراد مختلفين. والذين تلقوا هذه الرسائل يشار إليهم إما على أنهم الأنبياء أو المرسلون. والتمييز بين النبي والرسول يتمثل في أن كلمة الأول تقصد مجتمعات بعينها من الناس بينما تتسم رسالة الثاني بأهمية عالمية ومن ثم فجميع الرُّسل أنبياء رغم أن العكس ليس صحيحًا. ويحفل القرآن بإشارات إلى الذين يُعترف بهم كأنبياء وكثير منهم يعترف بهم اليهود والمسيحيون بحكم الأدوار التي اضطلعوا بها في تاريخ العهد القديم. لكن عددًا محدودًا من الأنبياء هم أيضًا مرسلون بمن فيهم إبراهيم وموسى وعيسى قبل أن يأتي محمد خاتمًا للأنبياء والمرسلين. وفي المراحل المتأخرة من الزمن فإن العلاقات بين المسلمين والمسيحيين واليهود في أمريكا كانت تتشأ تحت شعار «الديانات الإبراهيمية» بما يشير إلى أن العقائد الثلاث وقد نشأت عن أسلاف مشتركين يمكن أن تشكل أساسًا مثمرًا أكثر بالنسبة للحوار الذي يدور بين الأديان أكثر من مجرد إعادة سرد الخلافات الثيولوجية. وينظر إلى عيسى المسيح بوصفه أعظم الأنبياء والمرسلين في الإسلام قبل بعثة محمد برغم أنه ليس ابنًا لله ولا يتسم بأى صفة إلهية. ومع نزول الوحي على محمد، يُقال إن الله أكمل بذلك عملية الوحي ومن ثم يشار إلى محمد على أنه خاتم الأنبياء وهذا مذهب ذو أهمية كبرى في الإسلام ومن ثم فإن من يدعى النبوة لنفسه أو لغيره يُعد دعيًا أو كاذبًا.

٤. الإيمان بالكتب المقدسة: يوضح القرآن بصورة صريحة أن الله أنزل كتبًا بمعنى الوحي الكامل إلى اليهود والنصارى قبل بعثة محمد. وقد احتوت الرسالة في تلك الكتب المقدسة ما جاء أساسًا في القرآن. ومن أسف أن الجماعات اليهودية والمسيحية بدلت أو حرقت رسالات الله إما عن قصد أو عن غير قصد مما أفضى إلى ضرورة نزول الوحي مرة أخرى وأخيرة. ومن ثم فالقرآن هو الوحي النهائي ومع ذلك فإن للنصارى واليهود مكانة خاصة في المجتمع الإسلامي لأن الله اختارهم لكي يرسل إليهم كتبه ولا يفتأ القرآن يشير إلى اليهود والنصارى على أنهم أهل

الكتاب. وأحياناً يطرح المسلمون الأمريكيون هذه السمة المشتركة لتشكّل أساساً لتأكيد وجود الولايات المتحدة بوصفها بلداً مسيحياً ويهودياً ومسلماً. وكثيراً ما يُشار إلى القرآن ذاته على أنه ببساطة «الكتاب» وهذا مصطلح يتصل بأيام الوحي الأولى ويومئ إلى مكانة القرآن بوصفه آخر كلمة من لدن الله إلى البشر.

٥. الإيمان بيوم البعث أو القيامة: يمثل الوحي الأساسى الذى نزل على النبى محمد رسالة مزدوجة عن وحدة الله وكذلك عن يوم يقف فيه البشر إزاء تقييم نهائى لما أتوه من أعمال. وفى الإسلام، وبما أن فكرة التوحيد ترتبط بوحدانية الله ومسئولية البشر، يؤمن المسلمون بأن الله سيجمع الناس كافة فى نهاية الزمن لكى يُسأل كل عما فعل بحياته. وبما أن القرآن يوضّح باستمرار أن تلك ستكون مناسبة رهيبة حيث ينفخ الملاك إسرافيل فى الصور وحيث تتوالى أحداث جسام عجيبة وتبعث الأجداد جميعاً من مرقدها حيث تحل فيها الروح انتظاراً للحساب ويؤتى كل امرئ كتاب أعماله، فإذا تناول الكتاب يمينه فمعنى ذلك أن يكافأ بجنات الفردوس فى جوار الله سبحانه، وإذا ما تلقى الكتاب بشماله فإن على هذا الخاطئ التاعس أن ينتظر أن يُنزل به مخلداً عذاب الجحيم. ويؤكد يوم الحساب أهمية أن يعيش المرء عيشة إسلامية وكثيراً ما يناقش المسلمون الأمريكيون قضايا السلوك واللباس وغيرها من القضايا فى سياق التقييم النهائى من جانب الله لأعمال البشر.

وهذه البنود الخمسة للإيمان تنشأ على أساس رسالة القرآن وهى لا تقبل نقضاً ولا إیراماً بالنسبة للمسلمين وإن كان الأمر عرضة للتفسير أو التفصيل فى الأدبيات المطروحة بين صفوف الجماعة الإسلامية فى أمريكا. وطبقاً لقدرة الطفل على استيعابها تظل تشكّل جزءاً من مناهج التعليم الدينى التى يتسع نطاق الأخذ بها فى المساجد والمراكز الإسلامية فى طول أمريكا وعرضها.

الأركان الخمسة

يتعلم شباب المسلمين، حتى قبل أن يعرفوا شيئاً عن عناصر الإيمان، أسس

الحياة الطيبة المسنولة طبقاً للفهم الإسلامى. وهذه الأسس تجد تعبيراً عنها فى الأركان الخمسة التى تشكّل بدورها جوهر التقوى لدى الفرد المسلم. والمسلمون الذين ينشطون فى الدعوة إلى الإسلام فى أمريكا يفهمون أن من أشد الجوانب جاذبية فى ديانتهم بساطة ووضوح المسئوليات التى تشكّل إطار حياة المسلم:

١- شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله: هذا التأكيد المزدوج يُسمى الشهادة ويتصدّر مباشرة عناصر الإيمان. وفيما يتوجّب على كل مسلم أن يؤمن بالدعائم الخمس ويمارس المسئوليات الخمس فإن الشهادة هى الأساس ويمكن لأى امرئ أن يحيد عن أى من الأركان أو الدعائم ثم يظل مسلماً وإن كان من المطلوب تشجيعه بقوة على الالتزام بها. ولكن عدم الإيمان والتأكيد على وحدانية الله ورسالة محمد يعنى أن المرء أصبح خارج جماعة المسلمين. والذين يرغبون فى الانتماء إلى الإسلام فى أمريكا أو فى أى مكان آخر لا يحتاجون سوى نطق الشهادة ثلاث مرات فى ظل ظروف رسمية علنية لكى يصبحوا مسلمين من الناحيتين العملية والقانونية. وكثير من المباني فى الولايات المتحدة وكندا تم تحويلها لكى تصلح مساجد فى حين أن من دلائل وضعيتها الجديدة وجود لوحة بالخط العربى تؤكد الشهادتين تعلق على الجدران أو تحملها لافتة تزين صدر المكان.

٢- إقامة الصلاة: الصلوات جزء من الشعائر التى بشر بها النبى أعضاء جماعته منذ البداية. «إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا» (١٠٣) (سورة النساء الآية ١٠٣) «وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَى النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ» (سورة هود الآية ١١٤). وكان محمد قد أمر المؤمنين فى بداية الأمر أن يولوا وجوههم قبل بيت المقدس عند الصلاة ولكن فى مرحلة ما بعد الهجرة أمرهم بأن يتجهوا نحو مكة وجميع المساجد تضم ما يسمى بالقبلة أو المؤشر الذى يبيّن الاتجاه الدقيق لكى يولى المصلّى وجهه عندما يؤدى الصلاة. وفى أمريكا، كما فى البلاد الأخرى غير الإسلامية، إذا لم يكن المبنى مهياً بالذات ليصلح مسجداً، فإن اتجاه الصلاة لن يتواءم على الأرجح مع «واجهة» المبنى. ويمكن للمسافرين استخدام أجهزة

ميكانيكية صغيرة لمساعدتهم على أن يولّوا وجوههم شَطْرَ مَكَّةَ وكثير من الفنادق في المدن الإسلامية تهبيء مؤشرات على الصلاة في الغُرف.

وليست الصلاة بالأمر العابر بالنسبة للمسلم بل إنها تكتسب طابعاً نظامياً وانضباطياً، فالله سبحانه فرضها على محمد على أساس خمس صلوات مفروضة يومياً يؤديها كل مؤمن برغم أن القرآن ذاته لا يحدّد هذا المطلب. أما المواقيت الدقيقة من اليوم لأداء الصلوات فهي واردة في الحديث النبوي وتم تقنينها في متن الشريعة. وعلى وجه التحديد فهي صلاة الفجر قبل طلوع الشمس وصلاة الظهر بعد أن تتوسط الشمس كبد السماء وصلاة العصر في الجزء الأخير من النهار ثم صلاة المغرب فور غروب الشمس وصلاة العشاء في وقت ما بين الغروب وإلى هزيع الليل الأخير. فإذا ما كان الإنسان مريضاً أو على سفر يستطيع الجمع بين صلاتي الظهر والعصر أو بين صلاتي المغرب والعشاء وهذا أمر مقبول. وعلى نحو ما سوف نرى في الفصل السادس يختلف رأى المسلمين بشأن ما يتعيّن على المرء أن يقوم به في مكان العمل حيث لا يتسنى أداء الصلاة في أوقاتها. وبعض المسلمين يجدون أن الصلوات صعبة الأداء في موقع العمل ومن ثم يمكنهم الجمع بين صلاتي الظهر والعصر. أما الطلاب في المدارس الثانوية فكانوا يطالبون أحياناً، ثم أصبحوا الآن يطالبون كثيراً بحقهم في أداء الصلوات. وفي هذا تتذكر سيدة فلسطينية قائلة: ابنة عمي وأنا كنا الطالبتين المسلمتين الوحيدتين في المدرسة ولم تكن المدرسة راغبة في أن تمنحنا إذناً بمغادرة الصف من أجل الصلاة وأخبرت معلمتي بأنها لو لم تسمح لي بالصلاة فلسوف أغادر الصف وأصلي أيّاً كانت النتيجة وأخيراً رضخوا وسمحوا لنا بالذهاب^(٢). وهناك من الطلاب المسلمين من يشاركون أقرانهم المسيحيين الذين يريدون الصلاة في المدارس الحكومية وهم يلتفون من حول القانون من خلال تنظيم نواد للصلوات بعد ساعات الدراسة.

وقلّما فات على زائري العالم الإسلامي على مدى قرون أن يلاحظوا، في سخط أو في ارتياح، الدعوة للصلاة (الأذان) التي يتم من خلالها تذكير المؤمنين بأن يقطعوا روتين حياتهم اليومية ويثوبوا إلى الله. وشعيرة الصلاة مهمة في الإسلام لدرجة أنه يُقال إن دعوة المؤذن لها قيمة خاصة في كثير من أحاديث النبي. وعلى مدى قرون، كانت دعوة الصلاة ترفع وتعلن من فوق منبذة أو برج

للمسجد. وفيما تتوازي دعوة الأذان من بعض النواحي مع شعائر في أعراف أخرى ومن ذلك مثلاً الشوفار (قرن الحمل) في اليهودية أو قرع الأجراس في المسيحية فإنها فريدة في بابها من حيث اعتمادها على الصوت البشري. ويتلقى المؤذن تدريباً دقيقاً من حيث سلامة الأداء والترنيم الصوتي كما أن حرفته هذه يُنظر إليها على أنها من أفضل الفنون في الإسلام. وفي الوقت المحدد فإنه (دائماً) الرجل هو الذي يؤدي هذه المهمة) يصعد إلى موقعه في المنذنة أو يرتقى بقعة ملائمة أخرى ويولي وجهه شطر مكة ثم يبدأ في رفع الأذان. وفي الأزمنة الحديثة، وخاصة بالمدن الإسلامية الكبرى، أثت الجلبة المتصاعدة بحركة المرور ونشاط الصناعة إلى ضرورة أن يحل محل الصوت الإنساني الحي تسجيل يُذاع عبر مكبر للصوت. ومن المدن الأمريكية ما شهد جدلاً واسع النطاق بشأن ما إذا كان الأذان يمكن السماح به وتكون نتيجته «إفلاق راحة» سكان الجيرة الآخرين حيث يقع المسجد. وقد عالجت المجتمعات المختلفة هذه المشكلة بطرق شتى في مقدمتها أن المساجد الأمريكية ترفع دعوة الصلاة داخل صحن المسجد بدلاً من خارجه بحيث لا تكون تذكيراً للمؤمنين بمواعيد الصلاة بل بالأحرى تكون بداية لأداء الشعيرة ذاتها. وأحياناً يكون الأذان نفسه نوعاً من الدعاء ومن ثم يهيمسون به في أذني المولود بدءاً من اليمنى ثم اليسرى أما الشيعة فأحياناً يضيفون إلى دعوة الصلاة عبارة احترام خاص للإمام علي (ابن أبي طالب).

ولا يمكن أداء الصلاة بغير استعداد دقيق من جانب المتعبدين بمعنى أن يدخلوا في حالة من النقاء الديني بما في ذلك طهارة الجسد ونقاء السريرة والنفوس. فشعيرة الاغتسال (الوضوء) يتم أداؤها خارج الجامع أو داخله وتشمل صبّ المياه على الرأس والأذنين والساعدين والرقبة والقدمين. والمباني الأمريكية التي تم تعديلها لتصلح مساجد تعيّن عليها تخصيص مرافق معينة محدّدة لهذا الغرض وعادةً ما تشمل مغاسل منفصلة للرجال والنساء. وخلال أداء الصلاة لا بد أن يغطي الرجل جسمه من وسطه حتى ركبتيه على الأقل أما المرأة فلا تكتشف سوى وجهها ويديها حسب معظم التعاليم. وبعد الاغتسال تكون النية التي تشكل لحظة الانتقال من النشاط اليومي العادي إلى حيث الاندماج في الحالة الخاصة لأداء شعيرة الصلاة.

والصلاة يمكن أن تتم في الجامع أو في البيت أو في أى مكان نظيف وملائم. أما صلاة الجماعة فتقام يوم الجمعة ويشهدها الرجال والنساء في بعض الأحيان (الفصل الخامس سوف يتطرق إلى موضوع مشاركة المرأة في الصلاة) وهذه الشعيرة الجامعة يمكن في أمريكا (أيضاً) أدائها يوم الأحد بسبب الصعوبة التي يلقاها بعض العابدين في ترك أعمالهم أيام الجُمُع^(*). كما أن المسلمين يمارسون شكلاً خاصاً وشخصياً وغير مُقتن من الصلوات يسمى النوافل وفيه يتجه العابد إلى ربه حمداً وضراعة.

٣- إيتاء الزكاة: في عدد من المواقع يحث القرآن المؤمنين بالذات على أداء الزكاة «إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ» (سورة فاطر الآية ٢٩) ومنذ أيام الإسلام الأولى علّمهم النبي أن الذين يدعون أنفسهم مسلمين عليهم مسؤولية أن يراعوا من هم أقل منهم حظاً. والقرآن يحدّد بخاصة الفقراء والأرامل واليتامى بوصفهم الفئات التي تحتاج إلى الاهتمام كما أن مسؤولية إعطاء جزء من ممتلكات الفرد الشخصية على أساس منتظم أدّى إلى خدمة أغراض شتى في بناء الأمة الإسلامية وإن كان من الطبيعي أن بعض هذه الأغراض لم تحقق هدفها المنشود على طول الخط أو بصورة كاملة. ومع ذلك فمن الناحية النظرية فإن الزكاة تقدّم العون والدعم للمساكين المحتاجين وتكفل توزيعاً أكثر إنصافاً للثروة كما أن الزكاة تدعم صون كيان الدولة الإسلامية في مجموعها. (وتلك وظيفة كان لها أهميتها الخاصة في الأيام الأولى للمجتمع الذي شاده محمد) فضلاً عن كونها وسيلة لشكر الله على النعماء التي أفاءها على الناس. وتوحى كلمة زكاة نفسها بمعنى التزكية والتطهير مؤكدة في ذلك على العلاقة بين مسؤولية المال وبين تقوى الله. وشأن جميع المتطلبات الإسلامية فإن أداء الزكاة يعين على أن يتاح لدافعي الزكاة فرصة أفضل لنيل الجزاء الأوفى في الآخرة.

(*) تأمل! (المترجم).

من الناحية الفنية فالزكاة هي ضريبة بنسبة ٢,٥ في المائة مما يُقَدَّر بأنه القيمة الإجمالية لجميع ما يمتلكه الإنسان، وبمعنى أنها ليست ضريبة دخل بهذا المعنى بل إنها تأخذ في اعتبارها مجموع ما يحوزه الفرد. وفي القرون الأولى كانت السلطات المركزية تحتفظ بالأموال التي جُمِعت من خلال الزكاة ثم توزعها من أجل إدارة الدولة. على أن حصائل الزكاة لم يكن استخدامها ليقتصر على أغراض البر والإحسان وحدها ولكن كانت تُوجَّه إلى التعليم وافتداء الأسرى وغير ذلك من الأغراض التي تُعدُّ مهمة لخير الجماعة. أما غير المسلمين واليهود والنصارى على وجه التحديد ممن تبسط عليهم حماية "أهل الذمة" باعتبارهم من أهل الكتاب فكان يتعين عليهم دفع جزية بدلاً من الزكاة. وتعدُّ إدارة أمر الزكاة أصعب حالياً من ذي قبل وخاصة لأن كثيراً من البلدان التي يقيم فيها المسلمون تُطبِّق ضريبة دخل إجبارية. وفي معظم الأحيان فإن العطاء لأغراض البر والإحسان أصبح اليوم طوعياً برغم أن المسلمين يُحتَوْنَ بقوة على التعامل مع العطاء المنظم لصالح قضايا لها قيمتها بوصفه جانباً من مسئولياتهم الدينية بل وتعبيراً عن تقواهم واستقامتهم. وتُصِرُّ قلة من الأقطار الإسلامية على حق الحكومة في جباية الزكاة من مواطنيها. وفي معظم العالم الإسلامي تتولى الحكومة إدارة المساجد ودعمها مالياً، ولكن يختلف الأمر بطبيعة الحال في أمريكا. كما أن جماعة مسلمي أمريكا أدارت مناقشات شتى بشأن كيفية فهم واستخدام الزكاة من أجل بناء المساجد وصيانتها.

ويتزايد الفهم حالياً على أساس اعتبار الزكاة وسيلة من وسائل تقديم خدمة من نوع ما لأعضاء الجماعة المسلمة وهذه الخدمة يمكن تقسيمها سواء عن طريق المنظمات والمراكز الإسلامية أو من خلال جماعات خاصة محدودة العدد بل وأحياناً من خلال الأفراد. وها هي طالبة في الصف الأخير من المدرسة الثانوية تتكلم عن العمل الذي تقوم به هي وصديقاتها في المستشفيات والمطاعم الشعبية المجانية ودور المسنين المتقاعدين فتقول «إن جماعتنا الشبابية تزور هذه الأماكن وتساعد الناس هناك وكثير منهم يشعرون بوحدة قاسية وكم يسعدهم كثيراً أن يجدوا من يجاذبهم أطراف الحديث وبما أن كثيراً منهم لم يلتقوا بمسلمين قط فنحن نحدثهم عن ديننا ونحيطهم علماً بما نؤمن به ولماذا نرتدى ما نرتديه وهذا أمر يشعرونا نحن بأننا أحسننا صنعا»^(٤).

٤- صوم رمضان: فيما يضم القرآن عددًا من الإشارات بعضها مباشر وبعضها غير مباشر إلى الأركان الأربعة للديانة فإنه في موضع معين يحض المؤمنين تحديدًا على صوم شهر رمضان حيث يقول «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» (١٨٣) أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ» (سورة البقرة). وتعنى هذه الآيات على وجه التحديد أن كل فرد يصل إلى سن مناسب (عادة ما يكون سن الحلم) ولا يكون طاعنًا في السن أو مريضًا يُتَوَقَّع منه الامتناع عن الطعام والشراب والتدخين والجماع خلال نهار الشهر. وينبثق عن ذلك أن يُتَوَقَّع من المسلمين اتباع أكثر قواعد السلوك الأخلاقي صرامة خلال هذا الوقت بأن يتوخوا أكبر قدر من الأمانة والتفكر والإحساس باحتياجات الآخرين وألا يمتنعوا فقط عن الطعام والشراب ولكن حتى عن الرفق في القول والكنب على الآخرين وثمة قول يتردد كثيرًا في هذه المناسبات حديث مأثور عن النبي محمد يقول فيه «من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»^(٥).

وشأن كثير من الواجبات المطلوبة من المسلم فإن الصوم ينطوى على بُعدين: بدني وروحاني. وكما أن الصلاة وشعيرة الحج تشمل الجسد والعقل والوجدان، فإن الصوم والإفطار يمسان ملكات المرء في شمولها فالصوم في كل يوم من بدء ظهور الخط الأبيض وإلى أن تغرب الشمس يتطلب انضباطًا عقليًا وانفعاليًا وجسميًا شديد التركيز. وعملية تناول الطعام في نهاية اليوم عندما يتسّم المرء ويتذوق أول ما تمتد إليه يده من أنواع الفاكهة وصنوف الحلوى تبعث في القلب شعور الامتنان كما تتبّه الحواس إلى أن تتعم بالطعام. وفي ضوء الفهم الإسلامي فإن الله خلق الكون بميزان مقدور (الميزان كلمة تُستخدم أيضًا لتقدير أفعال المرء يوم القيامة) وعليه فإن كلا من المسئوليات الخمس التي يتحملها المسلم توازن وتدعم بعضها بعضًا وجميع العناصر التأسيسية التي يتشكل منها الفرد البشري تعمل جميعًا وفق ميزان مقدور وانسجام مرسوم.

سُئِلَت أُمّ مسلمة تعيش في شيكاغو عن وقت الصيام فقالت: عندما نشأت في

باكستان لم نكن نتصور رمضان شهراً لليقظة الروحية فقط، بل كان أقرب إلى احتفال ثقافي. ومن الأمور الطيبة أن شبابنا هنا أصبحوا يتحدثون الأعراف القديمة وينظرون إلى رمضان من منظور جديد تماماً. وتقول شابة مسلمة من واشنطن العاصمة: رمضان ينبغي أن يكون وقتاً لا للتركيز على التزاماتنا أو حتى احتياجاتنا الروحية فحسب، بل علينا أن نستخدمه كفرصة لطرح الإسلام على الآخرين ولتنظيم حملات خاصة لتقديم الطعام للمشردين والمساكين. وتقول أيضاً مسلمة شابه من جنوبي كاليفورنيا: كم أتوق إلى حلول الشهر وأن أكون في المسجد كل يوم أصغى إلى رسالة الله حيث أعيد اكتشاف نفسي في هذا الشهر وأعتقد أن كل جانب من جوانب شخصيتي ينمو كل سنة، تلك تعليقات توضح بعض السبل التي يعيش وفقها المسلمون شهر رمضان ضمن السياق الأمريكي.

ولم يحدث سوى في الآونة الأخيرة أن باتت الميديا الإعلامية الأمريكية تدرك أن كثيراً من المسلمين في هذا البلد يسدون شيئاً له قيمة خلال شهر من شهور السنة. وجاء ذلك على سبيل تغيير جديد يتم من خلاله التحول في تركيز الصحافة على ما كان يُسمى باسم «التطرف الإسلامي» إلى حيث تتم تغطية أعمق وربما أكثر احتراماً لهذا الموسم المهم من حياة المسلمين في أمريكا الذين يقومون من جانبهم بتكريس مزيد من الاهتمام في الدوريات والصحف التي يصدرونها والمواقع الإلكترونية التي يقومون على أمرها من أجل أن يتشاركوا في تقدير أهمية هذا الحدث الذي يطول شهراً بأكمله وبالذات سماع استجابات شباب الجالية الإسلامية إزاء تجربة المشاركة في رمضان^(*).

إن ضبط النفس الذي يمثله صوم رمضان بكل دقته وشروطه أمر يزداد صعوبة عندما يتعين على المرء أن يتحمل أعباءه في بقعة من العالم ما زالت تفتقر إلى المرافق والتسهيلات التي تكفل دعم هذا الحدث أو فهم مقاصده على الوجه الصحيح من جانب معظم غير المسلمين. وهناك من مسلمي الولايات المتحدة من لا يشاركون كاملاً بل منهم من لا يشاركون على الإطلاق في هذه الممارسة الصارمة بالرغم أن كثيراً من الذين يختارون عدم الصوم يعربون عن الرغبة في

(*) علينا أن نعترف في ضوء عواقب سبتمبر ٢٠٠١ أن دوائر شتى من تلك الميديا الأمريكية عادت إلى عزف متكرر بشكل تحريضي لنغمة «التطرف.. بل الإرهاب.. الإسلامي» (المترجم).

الانضباط والالتزام أو دعم الانضباط والالتزام لكي يصبحوا قادرين على أداء الشعيرة، أما الذين يصومون فيؤمنون بوضوح بأن الأجر يأتي على قدر المشقة ويزيد. ويُصِرُّ صبي مسلم في طور المراهقة بدأ مؤخراً في الصوم الكامل على أن يقول «فجأة تغيرت كل عاداتي في النوم والعمل. أصبحت أنام مبكراً وأستيقظ مبكراً وثمة حافز دفعني إلى قراءة القرآن والتفكير في معانيه وهأنذا في حقيقة الأمر أتطلع إلى إفطار كل يوم لا لأتني أشعر بجوع رغم أن ثمة جوعاً أحس به بطبيعة الحال ولكن لأن هذا هو الوقت الوحيد من السنة التي أصبحت متأكداً فيه أن العائلة بأكملها سوف تلتف حول المائدة لتقاسم أنواع الطعام». وتقول فتاة شابة «أنا أصوم وكم تعودت أن أتوقف عن تناول بعض الوجبات أو تناول طعام بين الوجبات وكنت أدخن أو أحتسى شراباً من الكوكا أو شيئاً آخر ولكن منذ أن بدأت أتردد على المسجد ساورني الاعتقاد بأن الصوم يعني في حقيقة الأمر التزاماً نحو الله وها هو رمضان لم يعد مجرد شهر من الشهور بالنسبة لي بل أصبح وقتاً خاصاً للتعود على ضبط النفس»^(٦).

وجرى العرف على أن يبدأ يوم الصوم بعد أن يتبين الخط الأبيض من الخط الأسود عند طلوع الصبح ثم ينتهي عندما لا يصبح هذا التمييز متاحاً في نهاية اليوم. وأشهر التقويم القمري أقصر قليلاً من التقويم الشمسي وهي تدور في واقع الأمر حول التقويم العربي، وعليه قد يحل رمضان في أي وقت من السنة "ويمتد" بضعة أيام إلى الأمام كل سنة. والصوم في الشتاء أقل مشقة في العادة لأن النهار أقصر والحرارة أخف بينما يمكن للصوم خلال الصيف أن يتسم بقدر خاص من المشقة. وفي هذا يُعَلَّقُ طالب عربي اعتاد العيش في منطقة شمال غربي المحيط الهادئ قائلاً «تعودت على العمل في ساحات قطع الأخشاب كل يوم وهذا أمر يتطلب قدراً كبيراً من الطاقة وخاصة في الصيف حيث يطول النهار وحيث الحرارة شديدة فضلاً عن الامتناع عن شرب أي مياه. إن رئيسي في العمل فهم المسألة بصورة ما وإن لم تكن كافية لكي يمنحني أي وقت للراحة على نحو ما كان سيتاح لي لو كنت في البيت»^(٧). وقد أشارت جمهرة المفكرين والمفسرين المسلمين الذين طرحوا أفكارهم وكتاباتهم ومؤلفاتهم بشأن صيام رمضان على مدى قرون إلى أن الصوم يحقق عدداً من المنافع المؤكدة، كما أنه في ضوء اعتباره

خيرًا من الناحية البدنية والروحية، يحمل في طياته تقديرًا أعمق لأنعم الله التي عادة ما تؤخذ مأخذ التسليم، كما يكفل أن يتأمل المرء ما يعنيه العيش في طاعة أوامر الله ويذكر المرء بأن حياته ملك خالقه ثم أنه يؤدي إلى وحدة بين جميع الذين يشاركون في الصوم في إطار سبيكة من الرقعة المشتركة.

كما أن شهر الصوم هو الوقت الذي درج فيه المؤمنون على العفو عن أي فرد أساء إليهم في السابق فضلًا عن أنه يمكن أن يكون الوقت الذي يتراحم فيه الناس ويتواصلون مع من هم خارج نطاق جماعة المسلمين وفيما تظل هذه الصلة معروفة للمسلمين في أماكن وأزمان أخرى فهي تشكل سلوكًا إيجابيًا خاصة من جانب الذين يعيشون في أمريكا. ومن منطلق الفهم بأن الصوم جزء من الممارسة اليهودية والمسيحية فإن بعض المعلقين أشاروا إلى أن هذا الشهر يمثل مرحلة زمنية خاصة للدعوة إلى مزيد من التفاهم بين الأديان، وفي هذا الصدد فإن مجلس العلاقات الأمريكية الإسلامية في واشنطن (كير) يبث على شبكة الإنترنت اقتراحات تفصيلية لتعميم معنى الأحداث المرتبطة برمضان ومن ثم تشمل تعميماته بشأن «موجز وأخبار حملة الدعاية لرمضان» مقترحات للاتصال بالصحف ومحطات التلفزيون والراديو وبالمدارس والمكتبات والمستشفيات فضلًا عن أفكار تتعلق بإقامة وجبات إفطار لصالح المشردين وتنظيم تقديم وجبات مجانية للمحتاجين.

وما زال قادة التجمعات الإسلامية المختلفة في أمريكا يولون قدرًا كبيرًا من الاهتمام لشهر رمضان بوصفه وقتًا للبر والإحسان. ومن منطلق ملاحظة أن بعض المسلمين، في ضوء انشغالهم بحالتهم الجسمية خلال الصوم ينزعون إلى نوع من البيات فيفترطون في النوم ويوفرون بذل الطاقة، فإنهم يصبرون على أن النظام البدني الذي يمتنع عن تناول الطعام مؤقتًا بالموقف الفكري والروحي الملائم إنما يخدم في واقع الأمر في توليد طاقة جديدة للمرء يمكن من ثم توجيهها إلى خارج جسده. وهم يصرون على أن رمضان ينبغي أن يكون شهرًا لمزيد من النشاط الجسماني وبعضهم يشير إلى النموذج الذي ضربه النبي نفسه خلال أشهر رمضان التسعة التي عاشها ما بين تأسيس مجتمع المدينة ووفاته سنة ٦٣٢ ميلادية حين ظل يمارس سلسلة من الأنشطة التي يقصد بها التدليل على منعة الإسلام فضلًا عن

نموذج التضحية والإخلاص الكامل لله. وقد تشمل الأنشطة الخاصة في مجال الاتصال خلال رمضان حث الشباب من هذا المركز الإسلامي أو ذاك على زيارة ملجأ للأيتام لتقديم الملابس ولعب الأطفال ومجانبة الأطفال أطراف الحديث بشأن الإسلام ومعنى أن يصوم الإنسان شهراً بأكمله. ومع تزايد أعداد المسلمين من نزلاء السجون، فإن صوم رمضان بالنسبة للمساجين المحبوسين يتسم بأهمية متزايدة فالمسلمون يمضون أوقاتاً كثيرة لكي يزوروا المساجين ويتحدثوا إليهم. نزلائها من المسلمين بشأن العقيدة وبشأن أهمية الصوم بل إن بعضهم يمكث لكي يشارك في الصلوات الخاصة وتلاوة القرآن ولا سيما في ليلة القدر وتلك أمور قد تدوم طوال ساعات الليل بكاملها في بعض السجون.

إن أدبيات الإسلام تولى اهتماماً متزايداً لسبب مشاركة هذه الفترة المهمة مع غير المسلمين. فالدكتور حسّان حتوت الطبيب والعالم الإسلامي الذي يمارس نشاطه من المركز الإسلامي في جنوبي كاليفورنيا يتساءل على سبيل المثال عما إذا كان ممكناً إتاحة سبب مشاركة غير المسلمين بالفعل في خيرات رمضان حتى ولو كان ذلك ليوم واحد. وفي مقالة كتبها بعنوان «تأملات مسلم صائم» منشورة في مجلة «إسلاميك هورايزونز» يلاحظ أنه قد أصبح لنا الآن، إلى جانب أيام وأعياد الأم والأب والحب والرئيس أيام أخرى وأعياد أخرى للسكرتيرات والرؤساء وأي من كان ثم يضيف قائلاً «إن الحلم البعيد الذي يراود المرء ويلهب خياله هو: هل يتاح يوماً ما لأمريكا بأسرها أن تحتفل بمناسبة مماثلة» واقتراحه هو الاحتفال بـ «يوم ضبط النفس» تحت شعار «ما عليك إلا أن تقول لا» وبحيث يدل هذا الشعار على تشجيع اتباع أشكال شتى من الامتناع. وقد يؤدي هذا اليوم المقترح إلى مزيد من خفض حوادث العنف والقيادة تحت تأثير الكحوليات أو تعاطي المخدرات وارتكاب الجرائم بشكل عام. والهدف من ذلك بطبيعة الحال هو إشراك الأمريكيين روح الرغبة في تمديد هذه الأشكال من الانضباط الذاتي فيما يتجاوز يوماً واحداً ثم يتساءل «هل بوسع المسلمين حينئذ أن يدعوا أمريكا إلى يوم وطني للصوم؟» وفيما تظل الاحتمالات من هذا القبيل أقرب إلى الشعار منها إلى الناحية العملية فهي توحى بشعور متنامٍ بين مسلمي أمريكا بأن الآخرين يمكن أن يتعلموا شيئاً من عبادات المسلمين.

٥- حج البيت في مكة مرة في العمر: يورد القرآن إشارات عديدة إلى ضرورة الحج إلى بيت الله الحرام في مكة ومن ذلك قوله «وأتموا الحج والعمرة لله» (سورة البقرة الآيتان ١٩٦ و ١٩٧) وبرغم أن النبي انتقل بمجتمعه إلى المدينة وقت الهجرة فقد ظلت المدينة دائما في المرتبة الثانية من حيث الحياة العبادية للمسلمين بعد مسقط رأس النبي وموئل الكعبة التي تعدّ أقدس بقعة في الإسلام حيث تضم الحجر الأسود الذي يوقرّه المسلمون ويُقال إن جبريل أعطاه إلى إبراهيم. وعندما عاد محمد إلى مكة عمد إلى تطهيرها من كل الأوثان والأصنام المعبودة وأصبحت الكعبة رمز الفتح الذي تم للجماعة الإسلامية وما لبثت أن استعادت مكانتها بوصفها أقدس مكان للعابدين المؤمنين بإله واحد. وبات من مسئولية كل مسلم أن يؤدي شعائر زيارة واحدة بالحج إلى مكة. وهناك الكثيرون ممن يختارون العودة إليها أكثر من مرة لكي يعيشوا لحظة الانضمام إلى الملايين من رفاقهم الذين جاءوا مرضاة لله إلى هذا المكان. ويقع الوقت الرسمي المحدد للحج خلال شهر ذي الحجة وهو آخر شهور السنة القمرية وقد يختار المرء أيضا زيارة يقوم بها في أي وقت آخر من السنة وهي العمرة التي تعدّ بمثابة «حجّة أقل درجة».

والذين أفادوا عن التجارب التي عاشوها خلال الحج عادة ما يشهدون بأهميتها الهائلة بالنسبة للحياة الدينية للفرد. وفي ذلك تسجل مسلمة من فلادلفيا تأملاتها فتقول: «كيف يتأتى لي أن أعرف أن هذا الأمر سيكون رحلة حياتي؟ لقد انهمرت الدموع على وجهي مثل أمطار الربيع النديّة وشعرت بطعم الهواء الحلو في فمي كما لو كنت قد تناولت ألد ثمرة فاكهة في العمر فأنا هنا، حقيقة هنا، عيناى كائناتنا تجولان متأملات سحن الآخرين المستبشرة، ابتساماتهم كانت متألفة وهاماتهم كانت مطرقة كأنما تؤكد شعور السلام والسكينة الذي اطمأنت به قلوبهم، إيقاع الأصوات الجميل صادر عن كثير من الألسنة: هذا فيض من موجات من عباد الله جاء وتحذوه غبطة الترحيب... إن تجربتي في الحج أصبحت بمثابة أداة لكي تخلد روحي إلى السكينة وهذه الرحلة حملتني إلى مسارات ومسالك الروح البشري، أما القوة الداخلية التي اكتسبتها منها فقد زادت من حبي الحقيقي لله

سبحانه»^(٨). على أن تَجْمَعُ مثل هذا العدد الكبير من البشر فيما يُعْتَبَرُ أَقْدَسَ بقعة على وجه الأرض حيث يصل عددهم إلى مليوني نسمة في وقت واحد هو أمر رهيب بكل معنى الكلمة وقد أعرب البعض عن شعور بالروع باعتبار أن الأمر انطوى على خشية عميقة خالطها خوف إزاء رهبة المناسبة وأيضًا إزاء الحقيقة العملية لإمكانية التحرك وسط دوائر هائلة من جموع البشر.

ومع ذلك فمجرد وجود هذه الأعداد الضخمة، ورغم أن التجربة من المُفْتَرَض أنها تولّد فرحة غامرة، إلا أنها يمكن أيضًا أن تكون موضع خشية من جانب البعض. وتحكى باكستانية مسلمة تقوم بالتدريس في إحدى الثانويات في دنفر — كولورادو — عن رحلة حجها الأولى عندما لم تكن قد تجاوزت السادسة عشرة فتقول «برغم أنني كنت ممسكة بأيدي والدتي فقد أصبت برعب خشية أن تدهسنني تلك الأعداد الغفيرة من البشر وعندما ذهبت مرة أخرى في عشرينيات عمري كنت قادرة بصورة أفضل على أن أتوافق وأن أفهم التجربة في ضوء ما انطوت عليه من روعة وجمال لا يوصف»^(٩). وكثيرًا ما يُقال إن الفكرة الحقيقية خلال الحج هي تأكيد إحساس المساواة الذي حققه الإسلام. فجميع العابدين من الرجال أيًا كانت مكانتهم أو مراكزهم في الحياة اليومية يرتدون ثوب الإحرام الأبيض البسيط نفسه رمزًا لحالة من النقاء الشعائري كما يشاركون في السلسلة نفسها من المناسك التي يؤديونها فيما يُسمَح للنساء بمزيد من المرونة في الثياب التي يرتدينها.

وتبدأ عملية الحج عندما ينوي الحاج أو الحاجة أداء الفريضة وهو حيّى وصوله إلى مكة قائلًا "لبيك اللهم لبيك" وخلال أيام الحج يطوف الحجاج حول الكعبة ويقبلون الحجر الأسود ويعيدون تمثيل سعي هاجر الأسطوري بحثًا عن الماء ليروى عطش وليدها إسماعيل. وقرب نهاية الحج الذي يدوم نحو عشرة أيام يتوجّه الحجاج إلى موقع منى وسهل عرفات حيث يستعيد العابدون كفاح إبراهيم أبي الأنبياء ونضاله ضد الشرك والوثنية. وإذ يعودون إلى منى يقومون برمي الجمرات في مواجهة عمود صغير في الساحة الرئيسية ويُقال إنه يرمز إلى الشيطان إبليس الرجيم أما المنسك الأخير من الحج فهو التضحية بهذى يوجّه رأسه إلى مكة وجزء من اللحوم يتم تناوله فيما يوزّع الباقي على المحتاجين. وعند هذه النقطة يحلق الحجاج الرجال رؤوسهم ويبدءون في عملية الإفاضة والوداع وفك

الإحرام. وخلال أداء مناسك الحج يتلو العابدون كثيراً من الأدعية ويستمعون إلى كثير من المواعظ التي تساعد الحاج أو الحاجة على توجيه النفس إلى حيث الاستجابة الصحيحة والموقف القويم. ويختار بعض الحاج زيارة قبر النبي في المدينة برغم أن هذه الزيارة لا تشكل جزءاً أساسياً من شعيرة الحج. والمسافرون على الخطوط الجوية الدولية لدى انتهاء الحج كثيراً ما يراهم الناس وقد عادوا حاملين قناني من البلاستيك ممثلة بمياه بئر زمزم وهي ينبوع كان في إنجاسه من الأرض حفظ للحياة حيث يُقال إن الله سبحانه قد فجّره أمام هاجر لإرواء عطش إسماعيل ويُقال أيضاً إن هذا ينبوع ما زال قادراً على التجدد باستمرار.

وتبذل الدولة السعودية قصارى جهودها لضمان أمن وراحة الحجاج وتتصب خياماً هائلة الحجم لإيواء الحجاج وتُعدّ بذلك كثيراً من الوجبات فضلاً عن تهيئة سبل النقل والمواصلات إلى المناطق المقصودة وبالذات لغير القادرين على السير. وفيما تقع حوادث بين حين وآخر فإن الأمر يشهد بصورة مرموقة قلة انتشار الأمراض أو غيرها من المشاكل رغم الأعداد الهائلة من البشر الذين يلزم تلبية مطالبهم. إلا أن «معجزة» هذه العملية تتضاءل في أهميتها إذا ما قورنت بـ «المعجزة» الشخصية التي يعيشها الأفراد من العابدين خلال أداء الشعيرة وهي في واقع الأمر الحدث البارز على مدار حياتهم بأسرها. ولأن غير المسلمين لا يتاح لهم القدوم إلى مكة فإن القوم يتخذون إجراءات دقيقة لكفالة أن يكون المشاركون في الشعائر هم مسلمون حقيقيون صادقوا الشهادة. ويحمل الرجل أو المرأة ممن أكملوا شعيرة الحج لقب الحاج أو الحاجة ويتمتعان باحترام خاص من جانب العائلة والمجتمع بشكل عام.

وفي الأيام الأخيرة استطاع عدد من الكتب والأفلام تسجيل وقائع ومناسك الحج بحيث أتيح للمسلمين وغير المسلمين التعرف على تلك الأحداث بل وعلى العواطف والانفعالات التي تحيط بالحج. وعلى سبيل المثال فإن مايكل وولف في كتابه «الحج: أمريكي يحج إلى مكة يأخذ قارنه خلال كل مرحلة وكل تجربة ينطوي عليها الحج ولذلك يُحسن صنعاً الذين ينوون أداء الحج أو يؤدونه بأنفسهم فضلاً عن الأطراف الخارجية الذين ليس بوسعهم قط معايشة التجربة ولكن يمكن أن يفيدوا من هذه المنظورات الصريحة التي طرحها هذا المسلم الأمريكي^(١٠).

وفيما يتاح المزيد من المواد التربوية بشأن معتقدات الإسلام وممارساته أمام الجمهور الأمريكي بشكل عام، وفيما تكفل الميديا مزيداً من التغطية لتأدية الشعائر الإسلامية، فإن المسلمين يأملون في أن يرى سائر الأمريكيين في الإسلام جمالاً وقوة ومسئولية أخلاقية بدلاً من أن يرونه وسيلة للإرهاب أو مصدر إلهام لـ «القنابل الإسلامية».

من الأمريكيين المسلمين من يوجهون أسهم الانتقاد بشكل خاص إلى أبناء ديانته ممن لا يؤدون الشعائر الخمس بالقدر المطلوب من الحرص على الأداء. وهناك طبيب ممارس يكتب عن فهمه للطريق القويم في ممارسة شعائر الإسلام، وهو على سبيل المثال يصف الذين يراهم منصرفين كثيراً عن الالتزام بدينهم فيقول إنهم «مسلمو السوبر ماركت» كما يتهم مثل هؤلاء الأشخاص بأن قصارى اهتمامهم منصباً على التطلع إلى الالتحاق بالطبقات العليا في الغرب قائلاً «إنهم لا يصلون يومياً بل يقتصرون على الصلاة في أيام الجمع وصلوات الأعياد وهم لا يصومون خوفاً من ضعف الجسم (أو لاي عذر آخر) وهم عادة لا يعطون من أموالهم باعتبار أن للفقراء حقاً فيها ولكنهم يعطون لدفع أذى الشر. وأحياناً يذهبون إلى العمرة ولكن قلماً يذهبون لأداء فريضة الحج...»^(١١). على أن كثيراً من المسلمين لا يسعدهم كثيراً أن تخضع سلوكياتهم الدينية لمثل هذا الانتقاد وبعضهم يكتبون علناً بشأن حقهم كأفراد في الاستجابة لمقتضيات ديانته بالطريقة التي تعكس إيمانهم بعقيدتهم وفهمهم لها. وعليه يظل من القضايا العديدة التي يتعين على جماعة المسلمين في أمريكا أن توجه إليها الاهتمام في العقود المقبلة قضية من الذي يمتلك السلطة في أن يحدد ما الذي تشكله الممارسة الحقيقية للإسلام ضمن السياق الأمريكي.

المواشئ

- ١- جاي إيتون، الإسلام ومصير الإنسان (أولباني): (مطبعة جامعة ولاية نيويورك، ١٩٨٥).
- ٢- صادر على الإنترنت ٩٨/٤/٦ بواسطة مجلس العلاقات الأمريكية الإسلامية.
- ٣- ورمسر، الإسلام الأمريكي.
- ٤- المرجع السابق.
- ٥- «رمضان: شهر الصيام كما يحتفل به الشباب المسلم»، في مينارييت (يناير ١٩٩٧).
- ٦- المرجع السابق.
- ٧- حديث خاص إلى مؤلفة الكتاب في عام ١٩٩٢.
- ٨- سعاد لورانس إسلام «رحيق حياتي» الجمعة (العدد ١٢، ١٤١٨ هجرية).
- ٩- استمعت إليه مجموعة نسائية معنية بالعلاقات بين الأديان في ربيع ١٩٩٥ وكانت المؤلفة مشاركة فيها.
- ١٠- مايكل وولف، الحج: أمريكي يحج إلى مكة (نيويورك: مطبعة جورف أتلانتيك، ١٩٩٨).
- ١١- أثار، تأملات مسلم أمريكي.

الفصل الثانى

الذين ساهموا فى نشأة وتطوّر الإسلام

ما هو الإسلام؟ بالنسبة للمسلمين الأمريكيين ينصرف الإسلام إلى معانٍ شتى برغم أن أكثر الإجابات شيوعاً هو أنه يتألفون من وحى القرآن وتجارب رسول الإسلام ومقتضيات الإيمان والعمل باعتبار أن هذا هو الإسلام فى معناه الجوهرى. ومع ذلك فإن كثيراً من الأفراد الذين وصفوا أنفسهم على مدى قرون طويلة بأنهم مسلمون أسهموا فى تشكيل وتطوير الإسلام ليصبح عقيدة نابضة بالحياة. وبالطريقة نفسها فإن القرارات التى يتخذها المسلمون الأمريكيون بشأن كيفية فهم وممارسة العقيدة ضمن سياق غربى سوف تحدّد بدورها، وإلى حد كبير، مفهوم الإسلام فى القرن الحادى والعشرين. وفى هذا الفصل نعرف الكثير عن تطوّر الديانة الإسلامية عبر القرون الأربعة عشر من وجودها على نحو ما تصوّره حياة البشر الذين يُعرف بأنهم ساهموا فى تشكيل الإسلام إلى حيث أصبح حقيقة واقعة فى أيامنا. وهنا نذكر أسماء الكثيرين من رجال ونساء ممن قدّموا مساهمات خاصة إلى الحياة الدينية الإسلامية وفهمها وتفسيراتها وبذلك شكّلوا بل وحدّدوا أبعاد الإسلام التى يلتزم بها اليوم مسلمو أمريكا.

النبي محمد ونزول القرآن

بالنسبة لمسلمى اليوم، شأن ما كان عليه الحال عبر القرون، فإن محمداً رسول كامل البشرية ولا يشارك بحال من الأحوال فى أى لاهوت ربانى حيث يختص بذلك الله سبحانه وحده لا شريك له. ولذلك فإن محمداً جاء من أصول متواضعة وتربى يتيماً فى كنف عمه أبى طالب. وعندما كان محمد فى سنى المراهقة يُقال إن راهباً مسيحياً تعرّف فيه على علامات النبوة. وتحكى قصة أخرى أنه عندما سقط من الكعبة أحد أحجارها اختصمت قبائل مكة فيمن ينال شرف إعادته إلى مكانه ويُقال إن محمداً الشاب حل المشكلة عندما وضع الحجر فى ثوب استطاع ممثلو القبائل أن يرفعوه مغاً. وعند بلوغه سن الخامسة والعشرين استخدمته السيدة خديجة وكانت تعمل فى تجارة مزدهرة وميسورة ثم تزوجها فى

نهاية المطاف. كان زواج محمد وخديجة فيما يبدو يمثل رابطة تسودها المحبة والدفء وحتى وفاتها كانت هذه الزوجة أكبر معين له إذ تعدّ أول من آمن بدعوة الإسلام وكان لهما أربع بنات أفضل من يُعرف منهن فاطمة كما توفي جميع أبنائهما من البنين في سن الطفولة الأولى وأدّى ذلك إلى تعقيد مسألة قيادة الجماعة عند وفاة النبي نفسه في عام ٦٣٢ للميلاد.

أما مكة حيث عاش محمد وبدأ تعاليمه الأولى فكانت بلدة تجارية مزدهرة تقع عند مفترق طرق التجارة الرئيسية التي تربط أفريقيا إلى الشرق الأقصى. كما كانت مركزاً لطريق الحاج مما هيا لكثير من سكانها عيشاً ميسوراً وتجارة مربحة ومن ثم لم يكن من دأب أهلها أن يروا هذا الرغد من العيش وقد انقطع مساره بفعل تعاليم العقيدة الجديدة. ويُطلق اسم الجاهلية على السنوات المائة، قد تقل أو تزيد، التي سبقت زمن النبي الذي تلقى أولى آيات الوحي في نحو سنة ٦١٠ للميلاد. ومصطلح الجاهلية يُسلط الضوء على حقيقة أن عبادة الأصنام وقد كانت منتشرة داخل بيت العبادة المحلي وفيما حوله كانت ممارسة دينية في تلك الفترة، أما البيت نفسه وهو الكعبة فما زال يزورها المسلمون من أجل الحج إليها وهي تعدّ أقدس بقعة بالنسبة لهم إذ يؤمن المسلمون أن قد بناها الخليل إبراهيم بمساعدة ابنه إسماعيل. وقد عمل النبي محمد على تحويل الممارسة القديمة للحج من عبادة الأوثان إلى شعيرة الحاج التي سبق وصفها في الفصل الأول.

الجزيرة العربية في شباب محمد كان يسودها تصوّر غامض عن إله خالق أعلى هو الله ولكن كان لديهم تصوّر آخر بأن هذا الرب كان له ثلاث ربات أو بنات هن اللات ومناة والعزى إضافة إلى معبود آخر هو هبل. ومن الأسباب العديدة التي جعلت المسلمين في جميع أنحاء العالم يوجهون منذ عدة سنوات الاتهام بالكفر إلى سلمان رشدى بعد صدور روايته «آيات شيطانية»، تصويره النبي محمداً وكأنه يُسلم بوجود واحدة من تلك الربات وهو على فراش الموت.

«من هناك؟ نادى [محمد]» أهذا أنت يا عزرائيل [ملك الموت]؟ ولكن عائشة سمعت صوتاً رهيباً حلواً هو صوت امرأة يرد الجواب قائلاً: «لا يا رسول الله إنه ليس عزرائيل» ثم انطفأ نور المصباح وفي قلب الظلام سأل [محمد]: «هل هذا المرض من صنعك أيتها اللات؟ وهنا قالت «إنه انتقامي منك وأنا راضية بذلك...»^(١).

ويؤكد الحديث أنه عندما كان محمد يتعبد في غار قرب مكة داخله الروح إذ سمع صوتاً يأمره بأن يردد كلام الله وكانت سنة ٦١٠ وهو في الأربعين من عمره ولكن كلمات الله التي تلقاها محمد مرتعشاً عن طريق الملاك جبريل سجلتها سورة العلق التي حظيت بالإجماع بوصفها أولى سور الوحي الإلهي «اقرأ باسم ربك الذي خلق» (١) «خلق الإنسان من علق» (٢) «اقرأ وربك الأكرم» (٣) «الذي علم بالقلم» (٤) «علم الإنسان ما لم يعلم» (٥) «كان محمداً رجلاً بغير ادعاء ولكن ما هو يرتقى إلى هذه المرتبة السامية من التأمل والتعبد إلى حد أن يعيش تلك التجربة التي أدخلت الروح إلى نفسه وكان ذلك أمراً مفهوماً. وعند نزوله من الغار تراءى له الملاك جبريل يكاد يملأ الأفق كله واستمع إلى الصوت يناديه بمحمد رسول الله وعندما تدثر بعباءته انطلق إلى البيت بأسرع ما يستطيع طالباً من زوجته أن تدثره. ومرة أخرى، وكما نتبيننا الأحاديث، فقد أولته تشجيعها وحثه على أن يصدع لأمر الله.

الكلمة العربية لمعنى التلاوة هي نفس كلمة «القراءة» واستجابة محمد بالعربية لأول أمر بالتلاوة أو القراءة يأتيه من لدن الله لم يسجل في القرآن ولكن سجلته سنة النبي عندما قال «ما أنا بقارئ»، أما النظرية الثابتة التي تقول إنه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب فلم يأت القرآن على ذكرها ولكنها مفصلة فيما تلا ذلك من تفاسير. وفيما يبدو من الصعب تأييد هذا المنحى في ضوء اتصاله بتجارة القوافل إلا أن هذه النظرية لها أهميتها في تصوير النبي بوصفه متلقياً خالصاً للوحي الإلهي. فبوصفه أمياً، تقول النظرية، لم يكن بوسع أن يقرأ وينسخ أى شيء مستقى من الكتابات المقدسة الأخرى التي كانت شائعة في ما حول جزيرة العرب في ذلك الوقت. ولقد تلقى أولى آيات الوحي من ربه بواسطة جبريل خلال شهر رمضان في الليلة التي يشار إليها بأنها «ليلة القدر» وهي قرب نهاية الشهر وتحييها بصورة خاصة كل عام مساجد أمريكا.

وفي ضوء مؤازرة خديجة ومع توالي آيات الوحي التي جعلته يتحقق تماماً بأنها جاءت من عند ربه، بدأ محمد في تنفيذ المهمة التي كلفه بها الملاك جبريل وكان عليه أن يتلقى المزيد من الآيات التي وصلته بربه على مدى السنوات الخمس والعشرين اللاحقة. وفي الأيام الأولى كانت هذه الأوامر والآيات تأتي عادة

من خلال وساطة جبريل على أساس أن الاتصال المباشر بين الإنسانى والإلهى أمر يروع النفس ولا يمكن تحمّله إلا بتدريب طويل وخبرة، إلا أن النبى وقد نضجت عوامل قوته الروحية وحكمته أصبح مهيناً للاستغناء عن الوساطة بينه وبين ربه.

آيات الوحي الأولى التى نزلت على النبى احتوت رسالتين كانتا بعيدتين عن أفهام مواطنى الجزيرة العربية فى ذلك الوقت: أولهما فرضت على محمد أن يقول أن لا إله إلا الله وحده وأن الأصنام المعبودة الكثيرة وخاصة بنات الله كما كانوا يسمونها ما هى إلا محض خيال، وأن البشر مسئولون عن التصديق بوحداية الله من خلال الانصياع لجلاله، وثانياً حاول محمد جاهداً أن يقنع مستمعيه بأنه على خلاف المعتقدات السائدة وقتها فالحياة لا تنتهى بالموت وأن الخلود لا يتحقق فقط من خلال التكاثر ولكن البشر سوف يبعثون ويساءلون فى نهاية الزمان عما فعلوا ومن الأيام الأولى لتلقيه رسائل من ربه فهم محمد أن من أهم الأدوار التى يتعين عليه الاضطلاع بها هو أن يُنذِر الغافلين بأنهم سوف يكونون فى نهاية المطاف مسئولين عما يفعلون.

لم يجد محمد سوى قلة قليلة على استعداد لتفهّم التعاليم التى بُشّر بها. بل إن قريش، القبيلة التى ينتمى إليها، عارضته عند كل منعطف بل وسخرت من دعوته للنبوة. ثم جاء موت زوجته المحبّة ومن ثم عمه وحاميه أبى طالب ليجعل مهمة النبى أصعب وأشق. والمسلمون اليوم يولون كثيراً من التكريم الخاص لمحمد بفضل إيمانه وانقطاعه لتبليغ رسالة الله خلال تلك الأيام المظلمة التى بدت بغير أمل على الإطلاق. لقد مضت سنوات ظل فيها النبى عاجزاً عن أن يقنع أكثر من حفنة صغيرة من المؤمنين بصدق التعاليم التى جاء بها. وفضلاً عن ذلك فإن المحتوى الأخلاقى الصارم الذى اتسمت به آيات الوحي الإلهى كانت تقتضى من المؤمنين أن يبادروا لمساعدة المحتاجين وإطعام الجوعى وكفالة اليتامى بل ويكرموا وفادة الجميع. وفيما كانت هذه القيم غير بعيدة عن مجتمع الجاهلية إلا أنها شكّلت نوعاً جديداً من النظام الاجتماعى الذى انطوى على أكثر من خطر يهدد أسلوباً كان راسخاً ومريحاً من أساليب الحياة فى مجتمع مكة.

وبرغم الصعوبات البالغة التى اكتنفت العقد الأول من تعاليم محمد فى مكة،

فقد تَشَكَّلَت بالتدريج جماعة من أتباعه فبعد رحيل خديجة جاء آخرون ليؤمنوا بتعاليمه وصدقها بمن في ذلك ابن عمه علي ابن أبي طالب وصديقه أبو بكر الذي ما لبث أن أصبح أول خليفة أو قائد للجماعة بعد رحيل محمد.

ثم جاءت الحادثة التي كان لها أن تُغيِّر مسار حياته تغييراً جذرياً: جاءه وفد من مدينة تبعد عدة مئات من الأميال شمالي مكة يحتكمون إليه للبت في مسألة كانت مثار نزاع عميق فيما بين قبائل تلك المدينة. وكان من الواضح أن سمعة محمد كرجل حكيم قد بدأت في الانتشار. وعندما تحقّق من أن العداوة التي عاناها شخصياً فضلاً عن المعارضة للرسالة التي بشر بها كانت من العمق في مكة لدرجة أن يستحيل معها عملياً نشر رسالته، فقد اغتنم محمد الفرصة لكي يهاجر مع زمرته الصغيرة من الأتباع إلى الموقع الجديد. كانت تلك مدينة يثرب، التي عُرِفَت بعد ذلك بمدينة الرسول أو المدينة المنورة التي أصبحت ثاني أقدس مدينة في الإسلام لأنها أصبحت أيضاً المستقر النهائي لمحمد وجاءت سنة ٦٢٢ للميلاد لتمثل سنة الهجرة وهي شاهد على البداية الرسمية لأمة الإسلام بهذا المعنى كما أن التقويم الإسلامي الذي يستند إلى الدورة القمرية بدلاً من الدورة الشمسية ويتألف من ٣٥٤ يوماً يبدأ عند لحظة الهجرة.

والذين يحاولون أن يلتمسوا سابقة تاريخية ملائمة بالنسبة للجماعة المسلمة بوصفها أقلية في أمريكا كثيراً ما يحيلون إلى نموذج الهجرة. وبما أن الرسول وزمرته الصغيرة من الأتباع كانوا قادرين على أن يجدوا لأنفسهم وطناً في المدينة وأن يؤسسوا مجتمعاً إسلامياً نابضاً بالحيوية فيالمقياس نفسه يستطيع المسلمون اليوم الهجرة من أوطانهم الأصلية وقد رأوا في الهجرة النبوية نموذجاً للحياة معاً في ظل المسؤولية كمسلمين ضمن الإطار الأمريكي الجديد والغريب في غالب الأحيان.

إن قصة نمو وانتشار الإسلام من قاعدته تلك في المدينة أصبحت قصة معروفة فقد أصبح محمد نفسه وبحق نبي الرسالة ورجل السياسة بمعنى القائد الديني الذي واصل إبلاغ جماعته بما يُتلى عليه من الوحي الذي كان ينزل بانتظام من عند الله، وكذلك القائد السياسي الذي عمل بالتدريج على توطيد سلطته لتشمل الجزيرة العربية بأسرها. فضلاً عن أن معظم قبائل الجزيرة العربية ما لبثت أن

أمنت برسالتة ومن ثم دخلت في الدين الإسلامي عن قناعة، أو أنها تحققت من سلطته السياسية المتنامية فأمنت بمنطق المنفعة تحذوها رغبة في أن تجرّب حظها مع هذا المنتصر.

في الوقت نفسه توالى الوحي مُنزلاً من عند الله وبرغم أن الآيات التي تلقاها أيام الكفاح في مكة كانت بصفة عامة قصيرة ومركزة فإن الآيات المدنية جاءت أطول وأكثر تعاملًا مع قضايا خاصة كان يواجهها الرسول وهو يمضي قُدماً لترسيخ أسس الجماعة التي أسسها. وخلال هذا الوقت أصبح الكثير من التشريعات هو أساس إقرار القانون الإسلامي أو الشريعة. كما أن هذا الوقت شهد الرسول وهو يعزز المستقبل السياسي للإسلام حيث عكف على وضع إطار للحياة الدينية والاجتماعية لأتباعه بل إنه كان نموذجاً للفضائل التي كان يبشر بها وكثير منها كانت تمجيداً لقيم بلاد العرب فيما قبل الإسلام فأصبحت تميز السلوك الإسلامي القويم ومن بينها قيم الأمانة والسخاء وكرم الضيافة والإحسان والبر والنزاهة والتواضع. وما زال المسلمون الأمريكيون يستندون إلى تلك الشرائع في غمار سعيهم تشكيل أنماط لحياتهم.

وخلال توطيد ركائز مجتمع المدينة كانت العلاقة الأساسية بين المؤمنين والمؤمنات وبين محمد قد تم إرساؤها. ولا يكاد يلوح شك في أن المرأة كانت تعد عضواً كاملاً في الأمة بحيث تشارك في الحياة العامة فضلاً عن الحياة الخاصة للجماعة، كما تشارك في تطوير مجموعة من الالتزامات الدينية والأنشطة التعبّدية. وكثير من النساء المسلمات في أمريكا ينظرن اليوم إلى زمن النبي بوصفه المرحلة التي شهدت حقوق المرأة وقد حظيت بالاعتراف الكامل والإقرار التام حيث كانت المرأة تشجّع على تولى مواقع القيادة في إطار الجماعة ذاتها. ونساء أمريكا اليوم يرفضن ما يذهب إليه إخوانهن في الدين الذين يريدون الإمعان في استبعاد النساء من مجالات الحياة العامة وهن يُشرن بهذا إلى ممارسات المساواة التي كان الرسول ينهاجها فضلاً عن النموذج الذي تبدّى في كثير من زوجاته ممن تسنمن مواقع القيادة الاقتصادية والسياسية بل والدينية أيضاً. ومن أعراف الإسلام ما يصر على أن محمداً بذل كل جهد ممكن لكي يعامل زوجاته على أساس من العدل والمساواة برغم ما يبدو واضحاً من أنه كان يكن أعرق الحب لزوجته الأولى

خديجة ثم لأصغر زوجاته عائشة. وفي المدينة تم إرساء قواعد الزواج والطلاق كما أنه تلقى الوحي الذي يُبلّغه بأن عليه أن يحمي حياته الشخصية بأن يقوم حجاب بين زوجاته وبين من يزورونه من وفود الرجال وهناك من يقول بأن هذه الآية التي أخطأ البعض فسحبها لكي تنطبق على جميع النساء الأخريات هي التي اتخذت ذريعة من أجل المضي في إقصاء واستبعاد النساء من الحياة العامة وهو أمر ميّز قروناً إسلامية كثيرة لاحقة. وقبل وفاة محمد بسنتين نجح في إخضاع (فتح) مسقط رأسه في مكة ولكنه ما لبث أن طبق سياسته في البر قدر الإمكان فأصدر عفوه عن جميع أهلها برغم سنوات شهادتهم وهم يعارضونه وينكرون رسالته.

وقبل وفاته سحب محمد أتباعه لحجة الوداع إلى مدينة مكة المقدسة وفي الطريق أوحى الله إليه بالرسالة الآتية التي ترد في الآية الثالثة من سورة المائدة: اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً» ويلاحظ أن كلمة «أكملت» في اللغة العربية تجمع بين معنى التام ومعنى الكامل. ويرى المسلمون في هذه التعريفات التأكيد بأن الإسلام بلغ مرحلتى التمام والكمال بوصفه أفضل وأنسب السبل للاعتراف بوحدانية الله وعبادته وللعيش في إطار علاقة سليمة مع بعضهم البعض. ويحيل كثير من التفسيرات الإسلامية المعاصرة إلى هذه الآية على أنها تشكل البرهان النهائي على أن الإسلام وليس غيره هو الدين الصادق الحق للبشرية جمعاء.

وفي سنة ٦٣٢ للميلاد قبض رسول الله بعد مرضٍ قصير وكان قد استطاع جاهداً أن يجمع كل أجزاء شبه الجزيرة العربية تحت راية الإسلام وأن يمهّد السبيل لما أصبح بمثابة الانتشار السريع المرموق لهذه الديانة لتمتد إلى كثير من أرجاء العالم المعروف في ذلك الحين.

السابقون إلى الإسلام

لا ينظر مسلمو أمريكا اليوم إلى النبي وحده بوصفه نموذج التمسك بالحق وحياة التقى بل ينظرون أيضاً إلى آل بيت محمد وأصحابه وأتباعه استلهاماً لسيرتهم. وبرغم أن هؤلاء عاشوا في مرحلة البداية من تاريخ الإسلام فهم يُعدّون السلف الصالح من جانب الذين يتمتعون اليوم بالسلطة والحياة. كما أن الرجال والنساء الذين يعتنقون عقيدة الإسلام ينظرون إلى هذا السلف الصالح عندما

يختارون أسماءهم الإسلامية، فضلاً عن أن المسلمين لا يزالون يحيلون إلى تلك الأيام الأولى للجماعة الإسلامية طلباً للاسترشاد في علاقاتهم مع بعضهم البعض وفي صلتهم بالله. وعندما توفيت زوجته المحبّة خديجة عانى النبي من مصاب شخصي فادح وبرغم أنه انطلق من أسباب سياسية فيما بعد فتزوج عدداً من الزوجات إلا أنه لم يجد امرأة أخرى تقوم بنفس الدور الذي سبق واضطلعت به خديجة. ومع ذلك يُقال إن عائشة بنت أبي بكر هي التي استأثرت بقلبه وظلّت تستأثر به حتى نهاية حياته. ويتمثل أهم دور ديني قامت به عائشة في جمع وتسجيل الأحاديث التي استقتها من محمد والتي نقلت عنه وبحكم موقعها بوصفها أقرب الزوجات إلى محمد، كانت ذكرياتها عنه تتسم بأهمية خاصة حتى ليُقال أنه قد رُوي عنها مباشرة ١٢٠٠ حديث. كما أن من بين الحالات التي تولت فيها المرأة إمامة الصلوات للنساء في بدايات ظهور الجماعة يرد ذكر عائشة على الأغلب وكانت بجوار النبي عندما توفي كما أن عائشة نفسها دُفنت بعد ربع قرن من تاريخ وفاته في المدينة ويلاحظ أن اسم عائشة هو الأكثر شيوعاً بين الأسماء التي تتخذها الأمريكيات عندما يتحولن إلى الإسلام.

أبو بكر، والد عائشة كان من أول السابقين إلى تأييد النبي في الأيام التي كان فيها التأييد من أصعب ما يكون. وبرغم أن محمداً كان أكبر من أبي بكر بثلاث سنوات إلا أن أبا بكر أصبح صهره عندما تزوج عائشة الشابة فضلاً عن أن أبا بكر كان من الجماعة الصغيرة التي صحبت الرسول في هجرته إلى المدينة وكان رجلاً معروفاً بالحكمة والتقى ولذلك اختاره محمد لأداء المهمة المرموقة ألا وهي إمامة الصلاة عندما عجز النبي نفسه عن إمامتها.

أصحابه يقوم بتسجيلها على أي مادة تتاح وقتها. وعندما توفي محمد تم جمع هذه الشذرات في مجموعات مختلفة فظهرت تباينات ثانوية في تلك المجاميع وسرعان ما أصبح واضحاً أن الأمر اقتضى نوعاً من النسخة الرسمية المعتمدة. ويقال إن أبا بكر هو الذي بادر إلى إصدار نسخة موحدة برغم أن هذا الأمر لم يتم إنجازه رسمياً إلا في ظل الخليفة الثالث «عثمان ابن عفان» أي بعد نحو عشرين عاماً أو نحوها من وفاة النبي.

وعندما توفي النبي روّعت الجماعة الفتية وقتئذ، لا بسبب الخسارة التي مُنيت بها في وفاة زعيمها المحبوب فقط ولكن أيضاً نظراً للافتقار إلى سياسة

واضحة. وراسخة بالنسبة إلى البت في مستقبل قيادة الجماعة الإسلامية. لم يكن متاحاً أن تتم خلافة بالدم باعتبار أن أبناء الرسول جميعاً توفوا وهم أطفال وقد اجتمع أصحاب النبي لاتخاذ قرار لكي يُطمئنوا أتباع الرسالة أن الأمر سيشهد انتقالاً منظماً وحكيماً للسلطة وبحكم ما ذاع عنه من إيمان وتقوى اختار الصحابة أبا بكر لتولى القيادة الرسمية وليصبح هو الخليفة، ومن بعد أبي بكر (١٠ سنوات) جاء عمر ومن ثم عثمان (١٢ سنة) وكل منهما أصبح خليفة للجماعة الإسلامية التي كانت يافعة في ذلك الحين.

وبرغم أوجه النجاح التي تحققت في اشتداد ساعد الإسلام واتساع رقعته في الخارج فإن الأمر شهد في الداخل توترات خطيرة فقد اغتيل عمر وعثمان بخنجر فاخترت الجماعة علياً ابن أبي طالب ليكون الخليفة الرابع ولكنه واجه تحديات قاسية سواء من عائشة أو من القوى التي كان يستند إليها معاوية وإلى دمشق وفيما سُمي باسم «موقعة الجمل» ركبت عائشة على رأس جيش صغير لمعارضة علي. وكم كان بالقطع مشهداً تعيساً عندما خاضت زوجة النبي المحبوبة معركة ضد ابن عمه وصهره المحبوب أيضاً. وقد مات كثير من الرجال دفاعاً عن عائشة. ولكن النصر أصبح من نصيب علي في نهاية المطاف. وجاءت هذه الحادثة التي كانت الأولى من نوعها حيث تحاربت فيها قوات المسلمين وجهاً لوجه لتخدم أغراض المفسرين الذين دفعوا بأن مكان المرأة ليس في ميدان القتال ولا في ساحة السياسة ولا في أي مكان آخر بخلاف بيتها.

والحاصل أنه خلال كل أيام الإسلام الأولى كان عدد من المسلمين يشعرون أن الاستخلاف من صفوف عترة النبي وآله وليس من خلال التزكية الشعبية أو الانتخاب هو أساس تحديد قيادة الجماعة. ومن ثم كان تصورهم أن القائد الشرعي الأول كان ينبغي أن يكون علياً بدلاً من أبي بكر بحكم قرابة الدم لمحمد كابن عمه. ومن هنا انقسم المسلمون انقساماً لا رجعة فيه: لأن أتباع علي ومؤيديه نأوا بأنفسهم ليشكلوا ما أصبح يعرف بحزب علي أو شيعة. وعليه قامت فرقتان رئيسيتان في الإسلام هما السنة (الذين اتبعوا سنة النبي وتقبلوا سلطة سلسلة الخلفاء) والشيعة الذين ظلوا يعتقدون على خلاف السنة بأن النبي محمد سمي علياً

ليكون قائد الأمة بعد وفاة النبي وأن الخلفاء الثلاثة الأول كانوا قادة مقتدرين ولكنهم لم يكونوا مرشدين روحيين بحق.

وبرغم هذه الانقسامات الداخلية فجميع المسلمين يؤمنون بأهمية علي في حياة الجماعة الإسلامية الأولى. ويُقال إنه بعد إيمان خديجة كان علي أو كان أبو بكر أول من آمن بنبوة محمد، كما كان علي مُعيناً لمحمد عند هجرته إلى المدينة إذ تطوع علي بتغطية خروج محمد ورحلته. وفي واقع الأمر فإن علي هو الذي اقترح اعتبار الهجرة بداية للتقويم الإسلامي ويقول السنة أن علياً كان من رواة كثير من أحاديث النبي فضلاً عن كونه مرجعية دينية يُعتمد بها. أما الشيعة فينظرون إلى علي بوصفه أعظم الشخصيات الإسلامية قداسة بعد النبي ومن ثم فهو الإمام الأول وأقدس عباد الله.

وفي سنة ٦٦١ لاقى علي مصيره بنفس أسلوب العنف الذي شهده سلفاه عمر وعثمان لحظة دخوله المسجد للصلاة حيث عاجله سيف مسموم. وهذا العنف الذي ذهب بحياة ثلاثة من الخلفاء الراشدين الأربعة ظل يتجلى في كثير من الأحيان على طول تاريخ الإسلام وكان بذلك شاهداً على التناقض الصارخ والتعيس مع مثل السلام والتكافل العليا التي شكلت جوهر الرسالة الإسلامية. وبرغم الاضطرابات السياسية وإراقة الدماء التي شكلت فترة حكم الخلفاء الراشدين فإن أهل السنة ينظرون إلى هؤلاء الخلفاء الأربعة الأوائل وإلى فترة الإسلام السني التي عاشوها بوصفها نموذجاً للسلف الصالح يرقى إلى مرتبة الكمال أو يكاد.

وبرغم ما عاناه الشيعة عبر تاريخهم الطويل من انشطارات وانقسامات فإنهم موحدون في قناعتهم بأن أفدح ما لحق من ظلم كان في الأيام الأولى للإسلام، عندما لقي الحسين، ابن علي وفاطمة وحفيد النبي مصرعه في مذبحة شائعة في ساحات كربلاء بالعراق. والحق أن المسلمين السنة فضلاً عن الشيعة تأثروا وجزنوا كثيراً لحادثة كربلاء وإن كان الشيعة هم الذين دأبوا على استعادة الذكرى وإحياء روح المشاركة في ما عاناه الحسين. وهذه الحادثة يتم الاحتفال بها في شهر المحرم الذي يضم عدداً من أهم الأيام المقدسة لدى الشيعة الأمريكيين.

ويؤمن أكبر عدد من الشيعة بأن محمداً جاء من بعده اثنا عشر إماماً وآخرهم اختفى في عام ٨٧٣ وكان عمره أربع سنوات لأسباب تتعلق بالاضطهاد

السياسى ولكنه ما زال حيا وإن كان رهين الغيبة وهو يوجّه شئون جماعته من خلال قادة يختارهم. وهذا الفرع من الشيعة يُعرف باسم «الاثني عشرية» وهم يعيشون على أمل عودة الإمام الغائب ليكون بمثابة المخلص الذى يتم فى ظله إشاعة العدل والسلام فى نهاية المطاف.

ثمّة جماعة شيعية انشطرت عن القوام الرئيسى للشيعة فى عام ٧٦٥ بسبب قضية ابن الإمام السادس جعفر الصادق الذى يجب اعتباره خليفة شرعيا لإمامة والده فالاثنا عشرية يعتقدون أن الإمامة من حق الابن الثانى موسى الكاظم، بينما يقتنع الآخرون بأن الزعيم الشرعى ينبغى أن يكون إسماعيل، الابن الأول. ومن ثم فالجماعة الأخيرة تُعرف باسم الإسماعيلية أو تُعرف بصورة دارجة باسم السبعية لتمييزها عن الاثني عشرية. وفى كل حال فإن فرقتى الشيعة الاثني عشرية والسبعية تشكلان معا نسبة الخمس من جماعة المسلمين فى أمريكا.

التطورات الأولى للجماعة المسلمة

ركّزت الجماعة المسلمة فى المدينة وجودها ثم توسّعت فى كيانها، أولاً من خلال سلسلة من الغزوات الخاطفة وبعدها من خلال سلسلة أخطر وأدق تخطيطاً من المواجهات وبالرغم من أن حكم أبى بكر كخليفة لم يدم سوى سنتين، إلا أنه تمكن بفضل حنكة قائد موهوب لقواته المسلحة أن يرى دار الإسلام وقد بدأت فى التوسّع، فأولاً تم إخماد التمرّد الذى نشب فى قلب الجزيرة العربية^(٥) ومن ثم بدأ الإسلام يتوسّع إلى فلسطين وفارس وبيزنطة. أما آخر تقدّم أحرزه الشرق الإسلامى إلى قلب الغرب المسيحى فجاء عندما عبرت جيوش المسلمين جبال البرانس من إسبانيا إلى فرنسا. ولكن انتشار الإسلام جهة الشمال ما لبث أن توقف أخيراً فى عام ٦٣٢ عندما استطاع شارل مارتل الأسطورى أن يصد القوات الإسلامية خارج بواتيه ولكن مع بداية القرن التاسع (الميلادى) كان الغرب قد فقد تماماً السيطرة على البحر الأبيض المتوسط نتيجة لتوسّع الإسلام.

وبعد قرن أو يزيد قليلاً من وفاة النبى، طرأت تغيّرات مثيرة حتى على قلب الإسلام، فالخلافة الأموية التى حكمت منذ وفاة على أسلمت القيادة إلى بداية حكم

(٥) تقصد حركة المرتنين والقائد الموهوب هو خالد بن الوليد (المترجم).

العباسيين فى عام ٧٥٠ للميلاد. وهذا التغيير السياسى دفع بأمير أموى شاب إلى الهرب غرباً ليؤسس خلافة مستقلة فى إسبانيا كان من حظها أن حكمت شبه الجزيرة الإيبيرية على مدى القرنين التالين. أما العباسيون فقد تحولوا بالعاصمة من دمشق الأموية إلى بغداد الحديثة التأسيس والتى تسمى فى اللغة العربية «مدينة السلام». وفى ظل هذه الظروف فإن أمة الإسلام تعين عليها أن تتحول إلى إمبراطورية تتمتع بقوة سياسية هائلة وتتعلم بثراء عريض ورخاء اقتصادى إضافة إلى منجزات ثقافية لم يكد يسبق لها نظير. ومازال المسلمون فى الغرب يعربون حتى اليوم عن اعتزازهم عندما يستعيدون مجد أيام العباسيين وخاصة منجزاتهم فى ميادين الفنون والعلوم والفلسفة والرياضيات والطب وهم يرون هذه الإنجازات جزء لا يتجزأ من معنى الإسلام وهيكله. وقد أولى العباسيون اهتماماً واسع النطاق لدعم الدين وكانوا ناشطين فى تشييد المساجد الجديدة ودور العلم الدينية، كما آزرت الدولة علماء الدين بوصفهم أهل الصفوة المهنية التى تتمتع بالمكانة والنفوذ، ومن ثم فالذين تبجروا فى علوم القرآن وفى الشريعة وفى غير ذلك من التخصصات الدينية كانوا يسيطون نفوذهم على كثير من جوانب الحياة فى المجتمع العباسى كما أصبحت العربية لغة دولية بحق وتم تنفيذ مشاريع باذخة فى مجال الترجمة وخاصة بواسطة المسيحيين المستخدمين أيامها فى بلاط الخليفة.

وكانت الجماعة عقب وفاة النبى قد بدأت فى تجميع الروايات المتعلقة بأقوال النبى وأفعاله خلال أطوار حياته على النحو الذى جمعه أقرب أصحابه وأصفياه. وهذه المهمة انطوت على ممارسة عملية الجرح والتعديل للتحقق من مدى صحة كل رواية منفردة للأحاديث ومن ثم ترتيبها ضمن عدد هائل من الروايات فى طبقات صنفت على أساس الحديث الصحيح والحديث المحتمل والحديث الضعيف بغير سند. وبعد ذلك تم تصنيف الأحاديث فى مجموعات رئيسية ما زالت تتسم بأهمية كبرى بالنسبة للمسلمين إذ إن هذه الأحاديث تشكل سنة النبى أو نهجه. وكثير من المسلمين الأمريكين ما زالوا يروونها باعتبار أنها أهم مصدر لتوجيه السلوك. ويمكن أن يشير مصطلح الحديث سواء إلى رواية بسند واحد أو إلى مجموعة بأكملها من الروايات.

كما أن مصطلح الحديث يمكن أن يشير سواء إلى رواية واحدة أو إلى طائفة

متكاملة من الروايات المُسنَّدة. وإلى جانب سور القرآن التى تصف السلوك القويم وسبُل التفاعل الاجتماعى الإيجابية فإن هذه الأحاديث المروية قُدر لها أن تصبح أساسًا لتطوير القانون الإسلامى أو الشريعة. وفى الأيام الأولى كانت القوانين تختلف اختلافًا بيّنًا من مكان إلى مكان مع اتساع الإمبراطورية الإسلامية لتشمل مناطق جغرافية وثقافية مختلفة. وبحلول القرن الثامن أفضى الاستياء إزاء هذه الاختلافات القانونية إلى محاولة لتوحيد القانون المعمول به. وكان ثمة أربعة من الفقهاء ممن عاشوا وعملوا فى القرنين الثامن والتاسع وأصبحوا يعرفون بوصفهم مؤسسى المذاهب السنية الرئيسية وهم أبو حنيفة (ت. ٧٦٧) وهو مؤسس مذهب الأحناف، ومالك ابن أنس (ت. ٧٩٦) مؤسس المالكية، وأحمد ابن حنبل (ت. ٨٥٥) الذى جاء بالتفسير الحنبلى. وكان محمد الشافعى هو رابع هؤلاء الفقهاء العمالقة الذين ما زال أثرهم قويًا حتى اليوم ويشار إليه على أنه منسّق أو مهندس الشريعة الإسلامية. وثمة مدرسة أو مذهب خامس هى مدرسة الشيعة الجعفرية. وبصفة عامة فإن العالم الإسلامى منقسم إلى أتباع هذه المذاهب أو المدارس الشرعية التى لا تختلف كثيرًا من حيث التفاصيل وإن كانت توحى بقدر من التباينات الإقليمية. ومن الطبيعى أن أمريكا التى استقبلت مهاجرين من أنحاء العالم تمثل خليطًا من هذه المذاهب جميعًا.

وربما لأن الشافعى سافر وتعرّض لتأثير مناطق مختلفة عديدة من عالم الإسلام فقد اشتهر ذلك الفقيه بأنه يتبع نهجًا جامعا ومتنوعًا إلى حد ما، فبينما أكد على صرامة الالتزام بالقرآن والسنة بوصفهما جوهر الشريعة إلا أنه ما زال يُعد داعية إلى اتخاذ موقف وسط ما بين صرامة الاتباع وما بين التوسع فى التفسير العقلاني المتحرر للشريعة. أما بالنسبة للقرآن والسنة (والقرآن موحى به فى حين أن السنة فى رأيه لا تنطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) فإن الشافعى يضيف عند اللزوم مصدرين فرعيين للرأى الشرعى وهما الإجماع من جانب الأفراد المؤهلين لإصدار الأحكام واستخدام القياس المنطقى فى ظروف محدّدة للغاية. ولذى تأكّده على الإجماع عمد إلى تحويل بؤرة الاهتمام بعيدًا عن التفسير الفردى إلى حيث أهمية الجماعة ككل مؤكدًا أن الله لن يدع الأمة تجمع على ضلالة. ويقف مؤلفه الشهير بعنوان «الرسالة» بوصفه صرخًا من صروح البناء القانونى مما

أضفى على الشافعى لقب مؤسس أصول الفقه. واليوم تهيمن المدرسة الشافعية فى الفقه على مناطق جنوب شرقى آسيا وشرق آسيا وجنوب الجزيرة العربية. والمسلمون فى أمريكا، شأنهم شأن أقرانهم فى مناطق كثيرة من العالم، يفهمون أهمية القرآن والسنة على النحو الذى أكدده الشافعى، كما أن الكثير يحاولون أن يعيشوا فى جو أقرب ما يكون من أسلوب معيشة النبى ذاته ولكن آخرين، وهم قلة من الأصوات، يعتقدون أن أحاديث النبى برغم جلالها كمعايير للسلوك لا يحتاج الأمر بالضرورة إلى اعتبارها أمراً ملزماً.

فى الوقت نفسه، وفيما كانت قوات الإسلام تتقدم إلى الأمام وتكسب المزيد من الأنصار والأموال التى تدخل فى خزائن الخلفاء، وفى الوقت الذى كان الفقهاء والمشرعون يناضلون كي يلتمسوا الوسائل التى تتقى حياة المسلمين، كان هناك من أحسوا بالقلق إزاء الاتجاه الذى بدت الأمة الإسلامية تسير على هداها، هؤلاء الأتقياء من الرجال والنساء الذين انتموا إلى جماعة الإسلام الأولى ساورتهم الشواغل إزاء امتلاك الأرض واقتناء المال مما كان يبعد المسلمين عن المثل العليا المبسطة التى دعا إليها النبى محمد ومارسها فى أيام الإسلام الأولى: كان هؤلاء يصغون إلى تحذير القرآن ونذيره بشأن عذاب السعير الذى ينتظر الذين لا يعيشون حياتهم فى ظل المسؤولية ثم زادت مخاوفهم بأن يكون هذا مصيرهم ومصير من يمسكون بمقاليد الأمور على السواء.

فى ظل هذا الوعى العميق لما ينتظرهم يوم القيامة، بدأ بعض الأتقياء فى اتباع نهج الزهد تعففاً حتى عن النعم المشروعة على الأرض وهو نوع من الرفض الذى لا ينعكس فيما أوصى به القرآن بأن لا ينسى المرء نصيبه من الدنيا. هذا الرفض عبّر عن نفسه فى إنكار عميق للذات وفى الأخذ بالزهد المتقشف: اختار بعضهم لبس الثياب الخشنة وكأنها تعيد إلى الأذهان أقمصة الشعر التى كان يرتديها المسيحيون وكانوا بذلك يعبرون عما يعتل فى نفوسهم من استياء وجاءت كلمة الصوف فى اللغة العربية لتضفى على هؤلاء القوم اسم الصوفية ومذهب الصوفية انتشر وذاع ليصبح الاسم العلم الذى عرفت به حركة الزهد والتقشف التى ما لبثت أن لعبت دوراً مهماً فى تاريخ الإسلام. بل كانت الصوفية هى القاطرة التى دخل على متنها كثير من الأمريكيين إلى عقيدة الإسلام وينمو حالياً عدد من المذاهب الصوفية المختلفة وتكتسب مزيداً من الأتباع فى الولايات المتحدة ذاتها.

كانت رابعة العدوية التي ذاعت شهرتها كزاهدة ومحبة لله من الشخصيات التي لقيت إجلالاً وتوقيراً على تقواها وإخلاصها وتجردها لله وتبنّت ممارسات صوفية غاية في النّسْف. كانت واحدة من قلة من الزاهدات ممن سجّلن أسماءهن في التاريخ وكن عددًا من النساء اللاتي وجدن أن الزهد والتقوى والتصوف طريق إلى الله وسبيل أفضل من التقيّد الصارم بأوامر القوانين الناشئة ونواهيها. وكثير من النساء الأمريكيات تجذبن الأبعاد الروحية والرفاقية للتصوف. وقد ولدت رابعة العدوية نحو عام ٧١٧ ويُقال إنها عاشت وحدها في أشد الظروف تواضعًا ومن ذلك أنها التزمت العزلة في خلوة صغيرة وهناك قصص كثيرة انتشرت بشأن قضائها أيامًا لا تتناول سوى كسرة خبز وبضع رشقات من الماء مكرّسة نفسها للتأمل في حب الله ومقتنعة تمامًا أن الله كفيل بأن يلبي كل احتياجاتها الأساسية. وفيما عاش بعض المتصوفة الأوائل في خوف من عذاب النار فإن رابعة اعترفت بأن معرفة الله قد تغشّتها لدرجة أن لم يعد لديها وقت للتفكير لا في الدنيا ولا في الآخرة. وعندما سئلت إذا ما كانت تحب النبي أجابت نعم بالطبع أحبه، ولكن محبتها كلها كانت مكرّسة في حقيقة الأمر لوجه الذات الإلهية ولدرجة أنه لم يعد لديها وقت لكي تفكر في الرسول.

ومن القضايا التي فسرتها رابعة، فضلاً عن آخرين ممن كانوا يعتقدون أن لديهم خطوة للوصول إلى جناب الذات الإلهية، قضية احتمال رفع التكليف بمعنى النزوع إلى الالتفاف من حول ما يقضى به القانون الشرعي. وكما رأينا، فقد عاشت رابعة في وقت كان يتركز فيه الاهتمام على أهمية التزام الجماعة بمقتضى القانون. وفيما لا يتوافر سوى قرائن قليلة على أنها تجاهلت المسؤوليات الرسمية التي يربتها الإسلام على المرء، حيث كان من الواضح أن هذه المسؤوليات أقل أهمية بالنسبة لها إزاء المحبة المباشرة لله، فإن رابعة العدوية كانت من أوائل من اعتنقوا مذهب المحبة الصوفي الذي كثيراً ما يفضى إلى نوع من التوحّد بين المحب والحبيب أي بين البشرى والإلهى بطرق تهدّد قدسية التوحيد ذاته. وفيما بعد نجم عن مذهب الصوفية مدرستان بالنسبة للسالكين إلى طريق الله تسمى إحداهما باسم «الصوفية الواعية» فيما تحمل الأخرى عنوان «الصوفية السكرى» بمعنى تطرفهم في إعلان توحدهم مع الرب مما كان يجلب عليهم سخط عامة المؤمنين.

وفى القرون التى تلت حياة رابعة العدوية، وبرغم الشكوك التى كان ينظر بها عامة المؤمنين إلى المتصوفة، فإن التصوف ظل يتطور ليصبح حركة رفيعة القدر ضمن عقيدة الإسلام إذ أضحت يمثل نوعاً من الخطوط الموازية لقانون الشريعة وكثيراً ما يعرفه الناس على أنه الطريق إلى الله وخاصة فيما يتعلق بتأكيده على الرياضات التعبدية المتعلقة بالسرائر التى تحمل اسم الطريقة، هذا المصطلح الذى ينطبق على المجاهدة التى يسلكها المتعبد الفرد فى غمار بحثه أو بحثها عن سبيل يقربه إلى الله سبحانه فضلاً عن انطباقه على المدارس المختلفة التى ما لبثت أن تطورت فى نهاية المطاف وخاصة عندما استطاع كبار الصوفية أن يكون لهم تلاميذ وأن يقننوا ما كانوا يبشرون به من تعاليم. هذه الحركات نمت ونضجت فى جميع الأقطار الإسلامية ووجدت من ينتسب إليها بين كل طبقة اجتماعية واقتصادية. وبعد نحو أربعة قرون تم إنشاء عدد من الطرق الصوفية التى ما زال أتباعها ينتسبون إليها مخلصين لنهجها حتى يومنا هذا.

تُفهم «الطريقة» على أنها سبيل عملى يتعلم الفرد الطامح من خلاله كيف يفوز برضا الله فى مدارجه العليا فيما يتربع على قمة كل طريقة من المتصوفة شيخ أو مرشد يدعى الانتساب إلى عترة النبی محمد ولكل طريقة منها مجموعة من التعاليم الخاصة التى تشمل سلسلة من الحالات والمراحل على طريق البحث الروحى الذى يستهدى فيه المرید بتعاليم وتوجيهات شيخه. وفى القرون الأخيرة أصبح التصوف وسيلة مهمة لتعليم عقيدة الإسلام. ولم تعد مدارس التصوف وطرقه تضم فقط المنتسبين الذين كرسوا أنفسهم إلى السير فى طريق السالكين الروحى بل ضمت أيضاً أتباعاً كانوا ينشدون تعلم الإسلام ويبغون الانتساب إلى جماعة المسلمين.

تطور الفلسفة وعلم الكلام والزهد

مع انقضاء القرون العديدة الأولى من الإسلام تحولت الجماعة إلى مرحلة جديدة من وجودها فقد تم إنجاز التوسع الذى كان فوراً وتم جمع القرآن وتحقيق نصّه كما تم جمع الأحاديث النبوية وجرت صياغة قوانين الشريعة. وكانت الحضارة الإسلامية تتحرك صُعُداً نحو ذروة مجدها فى ظل تطورات جديدة فى مجالات الفنون والعلوم مما يصور طائفة واسعة من الأنشطة الفكرية والفنية.

أما القرنان الهجريان الثالث والرابع فقد شهدا تطورات مذهلة، لا في مجال العلوم الدينية وحدها، ولكن أيضًا في مجال الرياضيات والفنون والمعمار والطب والأدب والفلسفة بعد أن استطاع الإسلام أن يستوعب ويتمثل ومن ثم يطور المفاهيم الكثيرة التي صادفها من خلال انتشاره السريع على رقعة جغرافية واسعة.

ومن المنجزات المرموقة في تلك الفترة ما كان يمثل ازدهار العلوم الفلسفية الإسلامية. لقد كانت معظم أعمال أفلاطون وأرسطو معروفة للعرب المسلمين وساد الاعتراف طويلًا بأن الإسلام في العصور الوسطى استطاع أن يقدم مساهمة دائمة لعالم المسيحية من خلال تهيئة السبيل أمام علماء الغرب لكي يفتحوا على الأعمال الكلاسيكية العظيمة التي أبدعها اليونان والرومان من خلال ترجمات عربية ما لبثت أن استندت إليها اللغات الأوروبية. وبالإضافة إلى ذلك استخدم فلاسفة المسلمين أدوات الفكر الفلسفي اليوناني لطرح أفكارهم، وأحيانًا كانوا يؤيدون نظريات الفكر الأرثوذكسي وفي أحيان أخرى كانوا يطرحون مقولات خطيرة تتحدى هذا الفكر ويدخلون في حوارات مهمة بل ويخوضون في اختلافات واسعة النطاق. ووسط هذا المشهد جاء ابن سينا الذي يعرفه الغرب بوصفه واحدًا من عمالقة الفكر الكبار في مجال الفلسفة والعلوم الإسلامية.

يُقال إن مواهب ابن سينا تَبَدَّت مبكرًا في الشغف العقلي بالمعرفة وبالمنجزات الفكرية مما كان له الفضل في أن شقَّ الرجل طريقه إلى حيث التميُّز المرموق. وعندما بلغ العاشرة من عمره كان قد حفظ القرآن بجميع أجزائه واتخذ طريقه من ثم إلى دراسة النحو والمنطق والرياضيات. وفي السادسة عشرة كان قد علَّم نفسه دروسا في الفيزياء والميتافيزيقا والطب وأصبح معروفًا بوصفه فيلسوفًا ومنجمًا وطبيبًا فضلًا عن طول باعه في مجال القانون. وعلى مدى سنوات عدة تجوَّل ابن سينا في أنحاء بلاد فارس يجتمع إلى المتصوفة والفلاسفة ورجال الأدب ويشارك معهم في أنشطتهم إلى أن استقر في نهاية المطاف في مدينة أصفهان الرائعة حيث أمضى فترة طويلة من السلام النسبي ليكتب عددًا من أهم أعماله وتوفي عام ١٠٣٧ في همدان ويمكن هناك للسواح أن يزوروا قبره.

تغطي كتابات ابن سينا طائفة واسعة من الموضوعات. لقد كان مسلمًا ورعًا ورأى أن فلسفته تؤيد ولا تعارض المذاهب الرئيسية في عقيدة الإسلام. لكن من

الاستثناءات المهمة في هذا الصدد رفضه فكرة انبعاث الأجسام الفعلية في نهاية الزمن وخضوعها إلى حكم نهائي يوم القيامة. وبدلاً من ذلك قال ابن سينا بخلود الروح وذلك أحد المجالات الأساسية للاختلاف بين الفلاسفة ورجال الدين المسلمين. وفيما بعد لاحظ العلماء العلاقة بين فلسفة ابن سينا وأفكاره الدينية وبين اتجاهاته التصوفية. كما أن كتاباته تصر دائماً على أن الله سبحانه هو الحقيقة الأولى التي يتوقف عليها وجود جميع المخلوقات والموجودات. وفي كل حال فإن ابن سينا يمثل بصورة جوهرية عبقرية الحضارة الإسلامية في قمة ازدهارها التي تمثلت في ازدهار الفنون والعلوم وفي إبداعها معاً ضمن سياق متكامل للمعرفة وهو ما يجسده الرجل من حيث النطاق والتكامل. وما زال هناك من يُسلم لهذا هذا العملاق المفكر والفيلسوف بدوره في تطوير مسار الإسلام حيث يشغل مكانة سامقة من الاحترام والتوقير في الغرب بقدر ما يشغل أيضاً المكانة نفسها في تاريخ الجماعة الإسلامية. وفيما لا يزال المسلمون في أمريكا يتحركون قُدماً لشغل مواقع القيادة المهنية فإن عليهم أن ينظروا إلى ابن سينا نموذجاً للإبداع والإثراء العلمي والفني على السواء.

وبعد نحو نصف قرن من ابن سينا ظهرت شخصية أخرى تمتع صاحبها بنفوذ واسع النطاق بحيث تعيّن على هذه الشخصية أن تلعب دور «التكامل» وربما دور «التصالح» في تاريخ الفكر الإسلامي: إنه العالم الديني والفيلسوف والمتصوف الشهير أبو حامد الغزالي. وكما أن الشافعي هياً سبيلاً وسطاً بين طرفين قانونيين في عصره، كما أن ابن سينا كان يجمع في شخصيته بين طائفة متنوعة من التخصصات، فإن الغزالي كان بمثابة عنصر التذكير للأمة الإسلامية التي كانت تعاني التشتت أحياناً ليقول لها إن الإسلام الحق يجمع ويؤلف بين الأطراف والمسارات كافة، وأن مظلة الإيمان تتيح التوسّع في مختلف التفسيرات للعقيدة. وشأن كثير من أضرابه في تاريخ الإسلام، بمن في ذلك الزعيم الأفرو - أمريكي المسلم أنحالي وارث دين محمد، فقد ساد النظر إلى الغزالي بوصفه مجدداً للعقيدة بمعنى أنه حسب الحديث الشريف يظهر مرة واحدة على رأس كل مائة سنة ليعيد الإيمان إلى نفوس جماعة المسلمين.

وُلِدَ الغزالي في مدينة طوس الفارسية في عام ١٠٥٨ أي بعد ثلاث سنوات

من استيلاء السلاجقة الأتراك على بغداد. وبحلول هذه المرحلة كانت العقيدة قد حققت نمواً سريعاً كما اندمجت بين طياتها شعوب وثقافات متنوعة وعديدة لتشكل الأمة مما جعل من نموذج الوحدة أمراً صعب التحقيق. كانت الخلافة تواجه أصعب أيامها لدرجة أن الخليفة العباسي الحاكم في بغداد كان بلا حول ولا قوة تقريباً. وكان الشيعة الإسماعيليون يهددون بقوة الزعامة السنية للجماعة الإسلامية كما أن الخلافات الناشئة بين الفلاسفة وعلماء الكلام كانت بدورها تمثل إسفيناً واضحاً يَدَقُّ بين كبار علماء الدين وقادة الإبداع الثقافي. فالذين اتبعوا طريق التصوف والزهد وجدوا أنفسهم في زمن الغزالي على خلاف خطير مع الذين اختاروا تفسيراً للعقيدة يتسم بالمزيد من الاتباع والاعتدال. ووسط هذه الدوامة المعقدة من التوترات المذهبية جاء هذا المفكر والعالم الديني الشاب الذي أخذ على عاتقه أن يهيئ سبيل التوافق قدر الإمكان بين الجانبين من خلال نموذج يضربه بنفسه في مجالات الفكر والسلوك.

في زمن الغزالي كان علماء الكلام المسلمون قد حلُّوا بعضاً من القضايا الحساسة وإن كان ذلك لم يخل من بعض العنف الذي صاحب تلك الجهود. فمنذ عدة قرون سبقت حاولت مدرسة المعتزلة في مجالات الفلسفة وعلم الكلام، وبغير نجاح، الدفاع عن فكرة حرية الإرادة الإنسانية على أساس أن العدل الإلهي لا بد وأن يفرض حرية الاختيار والكسب أمام البشر. وكانت «النتيجة» المعتمدة دينياً هي أنه فيما يتحمل البشر المسؤولية، عما يفعلون فإن الله هو الخالق بمعنى أن الله يخلق أفعال البشر. والغزالي نفسه كان جزءاً مما يُعرف بالمدرسة الأشعرية في علم الكلام التي اكتسبت اسمها من فقيه حاول التوفيق بين المسؤولية البشرية وبين السلطة والمعرفة الربانية ومن المهم أن كثيراً من الأفكار الدينية الإسلامية في القرن الثاني عشر وجدت نفسها في حالٍ من التعاطف مع ما ذهب إليه المعتزلة.

وفيما كان الغزالي عالماً من علماء الدين فقد كان فيلسوفاً أيضاً، واتجهت عبقريته الخاصة إلى دمج العلوم الفلسفية ضمن دراسة العلوم الدينية بطريقة لم تكن مسبوقة من قبل. ثم حدث في عام ١٠٩٥ أن تعرّض الغزالي لأزمة روحية غيرت مسار حياته. ومن خلال تعاليمه ومؤلفاته حاز شهرة واسعة بوصفه أبرز علماء الدين في زمانه، ولكن عوامل تبرمه كانت عميقة وكما يحكى هو بنفسه في

سيرته الذاتية فقد حمّله الله في نهاية المطاف على أن يعيد النظر في مراحل حياته بطريقة مستجدة تمامًا وفي لحظة ختامية من أزمته ألجم الله لسانه فعلاً لدرجة أن أصبح عاجزاً عن أن يقوم بما كان يؤديه باقتدار ألا وهو إلقاء دروسه على الجمهور في مدرسته. وفجأة تجلّت له دروسه على أنها غير ذات معنى وأدرك أن دوافعه كانت تفقر إلى الصدق بل إن حياته كلها بدت وكأنها صائرة إلى كارثة وعليه فقد قال «رأيتني على حافة جرف هار من الرمال أواجه خطراً محدقاً يتهددني بعقاب النار اللهم إلا إذا بدأت على طريق الإصلاح» هكذا كتب في سيرته الذاتية وأضاف قائلاً: كم كانت النوازع الدنيوية تجهد في أن تكبّلني بأغلالها فيما كنت أسمع صوت الإيمان يناديني بأن أسلك الطريق، فما بقي من الحياة سوى القليل فإن لم تعد نفسك الآن للحياة الأخرى فمتى يكون الإعداد وإن لم تكسر ما يكبلك من أغلال فمتى تكسرها^(٢).

في ظل هذا التحدي الذي لا مهرب منه بدأ أبو حامد الغزالي انشغاله الخطير بممارسات الصوفية وأصبح بالتدريج مقتنعاً بأن المرء لا يستطيع الوصول إلى الحقيقة، لا من خلال العقل ولا من خلال الحواس ولكن بإدراك وجود الله في حياة الإنسان وفي قلبه حيث يتم ذلك من خلال مجاهدة للنفس وبفعل نشاط روحى منضبط. وخلال هذه الفترة من حياة الرجل كتب الغزالي عملاً يُنظر إليه على أنه أهم أعماله وأبقاها على مر الزمن بعنوان «إحياء علوم الدين» حيث جمع بين الشريعة والعقيدة والفلسفة بحيث أعطى لكل منها مكانه ضمن نسيج الإسلام وبحيث تم هذا كله من خلال إيمان صوفى عميق. وربما يكون الأكثر أهمية هو ما دّل عليه الغزالي من أن ممارسات الصوفية عندما يتم انتهازها في ظل الإحساس بالمسؤولية ليست أمراً خطيراً ولا مناقضاً للفهم الصحيح للعقيدة بل إنها تهيئ قاعدة لتجربة دينية يمكن من خلالها أن يعيش الإنسان على مقربة من ربه بما يجدد الإيمان في قلب المؤمنين. على أن الصراعات الناشئة بين الصوفيين «السكري» وبين علماء الدين العقلانيين لم تخف حدتها قط وإن كان الغزالي قد طرح تأكيداً بشأن الطريقة التي يمكن بها فهم جميع أطراف الإيمان على أنها متكاملة وتدخل ضمن النسيج الأكبر للعقيدة الإسلامية. ويتسم بالأهمية في هذا المجال تأملات الغزالي الصوفية المتمثلة في موهبته العظمى التي أدت إلى الانسجام بين العقل

والقلب فضلاً عن قدرته على أن يعرض هذا التكامل فى مجموعة من الرسائل التى تموج بالحياة وتحض على الاقتناع.

مع ذلك فهناك كثير من المتصوفة الذين كرّسوا أنفسهم تماماً إلى إبداعات شعرية رفيعة كانت تشى بما خاضوه من تجارب حميمة للغاية فى حضرة الله سبحانه. ويحفل أدب التصوف الإسلامى بالكثير من شعر الحب الصوفى ما بين مصر إلى فارس إلى الهند وما بعدها. وكثير من هؤلاء الشعراء خلبوا ألباب القراء والمتطلعين الأتقياء إلى أن يسلكوا طريق الصوفية وما زالوا مقروئين حتى الآن فى كثير من الطبقات والترجمات. وربما لم يكن هناك من أشعل قلوب نوى الحساسية الدينية الذين يحدوهم الشوق إلى التواصل مع الذات الإلهية بالطريقة نفسها على نحو ما فعل الصوفى الأشهر فى الأناضول، جلال الدين الرومى.

عاش الرومى بعد نحو قرن من الغزالي وجاء أصلاً من منطقة بلخ فى خراسان، وهى منطقة ينصهر على أرضها كثير من الثقافات ومن أشكال التعبير الدينى. ويحتمل أن أباه استشعر خطر الغزو المغولى من آسيا ومن ثم هرب بعائلته مروراً بمدن وحواضر إسلامية شهيرة مثل بغداد ومكة إلى أن استقر أخيراً فى آسيا الصغرى وبالتحديد فى مدينة قونية القديمة التى تقع اليوم فى قلب دولة تركيا الحديثة. وعلى غرار الغزالي أصبح الرومى معلماً محبوباً للغاية يجمع من حوله عددًا كبيراً من التلاميذ والمريدين. على أن أخطر حدث فى حياة الرومى كان لقاءه مع شمس الدين التبريزى بشخصيته الكاريزمية الغامضة: كان صوفياً يقود مذهباً روحياً كبيراً يرفض فى العادة أى علاقات اجتماعية. ويقال إن شمس الدين انحدر إلى قونية من مكان غير معروف فكان أن سيطر على الرومى بمجرد قوة حضوره وفى السنوات اللاحقة كان الرومى يكتب عن شمس على أنه أستاذه المحب وصديقه بالروح وجسدت علاقته مع شمس شكل العلاقة بين المحب والمحبوب بين المشوق إلى محبة الله وبين الرب الذى هو مناط هذا الحب ومن ثم فإن هذه العلاقة نتج عنها أجمل شعر مكتوب فى باب الحب الصوفى. وبرغم أن العلاقة بين التبريزى والرومى لم تدم سوى سنوات قليلة فإن أثرها على الرومى كان عميقاً لدرجة أنه استطاع أن يستقى منها الإلهام والقوة الروحية التى لازمته طيلة حياته ويقال إنه تلقى موته بفرح إذ يعلم أنه فى آخر المطاف سيكون فى

حضرة ربه المحبوب وتُعد مقبرته فى قونية مكاناً له أهميته الكبيرة كمقصد للزائرين فضلاً عن توقيرها بوصفها المركز الروحى فى تركيا.

يتسم شعر الرومى بطابع إيقاعى مما يتيح سهولة تلحينه موسيقياً وخاصة عندما تتساب أنغام الناي التى تأخذ بمجامع القلب فتصور أشواق الروح. وبرغم استخدام الموسيقى والرقص مما أثار ثائرة المتزمتين على مدى قرون على أساس أن تلك وسيلة ما أيسرها للوصول إلى سكرة الأذكار إلا أن الموسيقى ظلت تمثل وسيلة مهمة من وسائل التعبير الصوفى بالنسبة لكثير من فرق المتصوفة. وربما لا يوجد أشهر من طريقة المولوية التى اعتمدت هذا النهج وقد أسسها جلال الدين الرومى ويُطلق عليهم عادة اسم الدراويش الدوّارة. وفيما تبدو كلمة «الدوّارة» وكأنها تشير إلى نوع من الالتفاف العصبى فإن المشاركين الذين يرتدون فى واقع الأمر أقمصاً طويلة وطيلسانات فوق رءوسهم يستديرون ببطء ورشاقة وكأنما تقصد حركتهم إلى أن تعكس حركة الكواكب التى تدور حول محور الكون. وهذا الرقص الروحى ظل يجتذب الأتباع المخلصين وما زال بالتدريج يجتذب جماعات تحاول أداءه من الصوفية فى أمريكا برغم أن ما يؤدونه ما زال موضع جدل طويل بالنسبة لتمامه مع رقص المولوية أنفسهم. وفى كل حال يظل الرومى ذاته واحداً من أحب الشخصيات فى سلك الورع التصوفى الإسلامى حيث إن أشعاره وتعاليمه تعكس أعظم جوانب العلاقة بين الإنسانى من جهة والإلهى من جهة أخرى.

السنوات المتوسطة

على مدار قرون لاحقة استجذبت تطورات كثيرة على أرض الإسلام الشاسعة وبلغت من التعقيد بحيث يصعب تفصيلها فى السياق الحالى. فالمغول وصلوا فى حقيقة الأمر إلى بغداد عام ١٢٥٨ ومن ثم كان تدميرها وسقوط الخلافة العباسية. أما سنة ١٤٩٢ فلم تشهد فقط مغامرة كريستوفر كولومبس فى رحلته إلى أمريكا ولكنها شهدت أيضاً بداية محاكم التفتيش المسيحية فى إسبانيا وموت أو طرد مواطنيها المسلمين. أما الحروب الصليبية، فقد كانت مغامرة سيئة الحظ خاضها الغرب لإعادة الاستيلاء على بيت المقدس، أدت إلى المزيد من

المذابح وسفك الدماء فوصلت إلى نهاية وكأنها تترنح في خطاها عند منتصف الألفية الثانية. ولكن المسيحيين لم يحوزوا شيئاً له قيمة اللهم إلا ما خلفوه من ذرية غير شرعية فيما ظل المسلمون على مدار القرون اللاحقة يذكرون ولا ينسون ما أصبحوا يسمونه الآن أول حلقة في سلسلة طويلة من المشاريع الإمبريالية الغربية في أرض المسلمين.

وبعد احتلال بغداد تحرك الأتراك السلاجقة الذين تحولوا إلى دين الإسلام، وبالتدريج، لكي يبسطوا سيطرتهم على جميع أنحاء الأناضول. وفي عام ١٤٥٣ شهدت أوروبا الغربية تحقيق واحد من أسوأ عوامل خشيتهما عندما استولت قوات الأتراك المسلمين على مدينة القسطنطينية العتيقة واحتلتها وأنشأت بذلك الإمبراطورية العثمانية التي كتبت لها البقاء حتى نهاية الحرب العالمية الأولى. وفي ظل السلطان سليمان القانوني، أضحت القسطنطينية، وقد تحول اسمها إلى إسطنبول، واحدة من المدن الزاهرة في العالم حيث أصبح الجامع الأزرق وغيره من الصروح الإسلامية على أرضها مواقع خلبت ألباب الغربيين الذين ظلوا باستمرار مبهورين بالثقافة الإسلامية. وفي بدايات القرن السادس عشر، ومع صعود بابور بوصفه أول الأباطرة المغول في الهند، أصبح الإسلام ملمحاً ثابتاً من ملامح شبه القارة الهندية ومن ثم واصل خلفاؤه تشييد الصروح الإسلامية وكان في مقدمتها تاج محل، أعظم روائع المعمار الإسلامي.

وفي مرحلة مبكرة في القرن الثالث عشر، كان التجار يأتون من الساحل الجنوبي الشرقي للجزيرة العربية وقد شقوا طرق التجارة عبر المحيط الهندي وصولاً إلى أراضي إندونيسيا حيث حملوا معهم كلمة الإسلام وتزاوجوا مع نساء ذلك البلد كما أن انتشار المذاهب الصوفية لعب دوراً رئيسياً في تقديم الإسلام إلى تلك المناطق إلى أن أصبحت إندونيسيا اليوم أكبر بلد إسلامي في العالم. أما ماليزيا وغيرها من أنحاء جنوب شرقي آسيا فأصبحت بدورها مراكز زاهرة للحياة الإسلامية بعد إنشاء أول دولة إسلامية في جنوب شرقي آسيا في بدايات القرن السابع عشر. وفي ظل المملكة الصفوية في فارس في القرنين السادس عشر والسابع عشر، انتعشت أيضاً العلوم الإسلامية التي ما زالت تتجلى حتى اليوم في الفنون والعمارة المزدهرة بمدينة أصفهان.

كان الإسلام بطبيعة الحال قد وُطد أركانه عبر شمال أفريقيا فور وفاة النبي. ثم جاءت قرون من الاستكشاف والتجارة والجولات التي قام بها أقطاب التصوف ومبشروه إلى أراضى أفريقيا لتحمل بدورها الإسلام إلى عددٍ من المناطق التي وصلت إليها عقيدة الإسلام وثقافته وانتشرت في ربوعها وبانت ممثلة اليوم في كثير من أوجه الإسلام الأمريكي.

وعند بداية المغامرات الكولونiale الغربية، كان ثمة إمبراطوريات إسلامية شاسعة ثلاث تسيطر على مساحات ضخمة من العالم: الإمبراطورية التركية في كثير من أنحاء الشرق الأوسط، والدولة الصفوية في فارس ودولة المغول في الهند. وربما مع غزو نابليون في حملته إلى مصر عام ١٧٩٨ بدأ الغرب يدخل في طور تعيس من تاريخه الجمعي شهد اقتصاديات وشهوة التوسع في السيطرة الإقليمية مقترنا بشعور سافر من سطوة الانصياع للقدر المكتوب. لقد أقنع الغرب نفسه برسالة يحملها من أجل تمدين وتعليم كثير من أنحاء العالم وخاصة في تلك المناطق التي كانت واقعة تحت سيطرة المسلمين وكانت تلك مغامرة اتخذت شكل التدخل العسكري والسياسي أو أسلوب البعثات التبشيرية المسيحية. فعلى مدار سنوات القرن التاسع عشر استولى البريطانيون على الهند وماليزيا واحتل الهولنديون إندونيسيا وبسط الروس سيطرتهم على تركستان. وفي عام ١٨٣٠ استولت فرنسا على الجزائر ومن هناك توسعت في سيطرتها على مناطق الصحراء الكبرى وعلى كثير من غرب أفريقيا ومن أفريقيا الاستوائية الإسلامية، وفي عام ١٨٨١ استولت على تونس. ثم وقعت مصر تحت احتلال بريطانيا في عام ١٨٨٢ وما أن وافت نهاية القرن حتى بسط البريطانيون سيطرتهم على النيل وصولاً إلى السودان. شاركت أيضاً كل من إسبانيا وألمانيا وبلجيكا في هذه الوليمة ولو بنتائج أقل بوضوح. أما أكبر غزو شنته إيطاليا فكان في ليبيا عام ١٩١١. في الوقت نفسه كانت الإمبراطورية العثمانية تتمزق أوصالها حيث استطاع الغرب أن ينتزع أقطار أوروبا الشرقية من الدولة واحداً بعد الآخر كما أصبح الشرق الأوسط في معظمه تحت النفوذ الغربي بشكل كثيف. وعندما وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها أصبحت الإمبراطورية العثمانية حديثاً من أحاديث التاريخ: العرب من جانبهم جربوا حظهم فأيدوا الغرب ضد الأتراك وهم أقرانهم في الدين فصنقوا الوعود (الغربية) بإمكانية إعلان دولة عربية مستقلة، ولكن سرعان ما راعهم

اكتشاف أن بريطانيا وفرنسا لم يكن لديهما أى نية للوفاء بالوعد بل وفى واقع الأمر كانتا قد اتفقتا سرا على تقسيم الشرق الأوسط إلى مجالين منفصلين من مجالات النفوذ: بريطانيا التى كانت لا تزال تسيطر على مصر والهند أخذت العراق وفلسطين وشرق الأردن، أما فرنسا فبالإضافة إلى أراضيها فى شمال أفريقيا فقد تحركت للسيطرة على لبنان وسورية. هذه الترتيبات حملت اسم «الانتداب» وقد صادقت عليها عصبة الأمم التى كانت قد تأسست حديثاً فى تلك الفترة، أما تركيا ذاتها فقد انقسمت إلى عدد من المناطق تحت أشكال مختلفة من السيطرة الغربية ولم يترك فى أيدي المسلمين سوى جزء محدود من إمبراطوريتها السابقة. إيران كانت قد حاولت أن تظل على الحياد خلال سنوات الحرب ولكنها وجدت نفسها وقد انتهكت أرضها بواسطة عدد من القوات الغربية فافتقرت إلى الاستقرار حيث استأثرت بريطانيا بأكبر نفوذ ملحوظ هناك على نحو ما كانت تتمتع به أيضاً فى سائر أنحاء الشرق الأوسط. ومما أضاف إلى شعور المسلمين بالمهانة والإحباط أن تلقوا ضربة أخرى وجّهت إلى العالم الإسلامى متمثلة فى وعد بلفور الذى نص على إنشاء وطن قومى لليهود فى قلب فلسطين ذات الطابع الإسلامى أساساً.

نجم عن هذا كله آثار مدمرة يصعب تقييم مغبتها، وتمثلت فى هذه التدخلات الغربية فى أرض المسلمين وخاصة فيما يتعلق بشعور المسلمين بالاعتزاز العميق بديانتهم وثقافتهم. وفيما كانت المسئولية عن انطلاقة هذا الاستعمار الغربى تقع أساساً على عاتق أوروبا وفى مقدمتها بريطانيا وفرنسا خلال القرن التاسع عشر، فقد جاء القرن العشرون ليحوّل تبعه هذا الاستعمار فى عيون المسلمين إلى عاتق الولايات المتحدة. وعلى مدار القرن العشرين تخلت الدول الأوروبية عن سيطرتها السياسية على البلدان الإسلامية واحدة بعد الأخرى برغم أن الحدود المرسومة لكثير من تلك البلدان ما زالت هى الحدود التى سبق رسمها اعتباطاً مع نهاية الحرب العالمية الأولى. إلا أن الولايات المتحدة، من خلال دعمها لدولة إسرائيل، وتعاونها مع الحكام المسلمين الذين يُنظر إليهم على أنهم يعملون ضد مصالح الإسلام الحق، فضلاً عن استغلالها الاقتصادى ومحاولاتها فى مجال التبشير المسيحى مما بدا وكأنه موجّه للقضاء على الإسلام، ما لبثت أن أصبحت هدفاً لانتقاد عميق من جانب كثير من الزعماء المسلمين وخاصة فى النصف الثانى من

القرن العشرين. وهكذا فإن المسلمين المهاجرين إلى أمريكا يجدون أنفسهم أسرى بين الحاجة السياسية أو الاقتصادية التي تدفعهم إلى التماس وطن جديد في أمريكا وبين العبء السيكولوجي الذي يتمثل في أنهم قَدِموا إلى مكان يتصورونه منطلقاً لكثير من الاستغلال والمعاناة.

الذين صاغوا عالم الإسلام في القرن العشرين

ناضل الزعماء المسلمون على مدار القرن العشرين لاستعادة اعتزازهم بدينهم كعقيدة وكمؤسسة ثقافية. كما أن الحركات الكثيرة التي أسسوها، ومنها ما لا يزال له نفوذه بين صفوف المسلمين الأمريكيين والمسلمين الذين تعلموا في أمريكا وعادوا إلى أوطانهم أكثر من أن تحصى وأصعب في تعقيدها من الحديث عنها بالتفصيل في هذه السطور. ومع ذلك يمكن استنتاج ما تم من خلال حياة قلة من الأفراد الذين قدموا مساهمات ملموسة في صياغة إسلام يقصد أولاً إلى استعادة الأمجاد الضائعة فيما يقدّم بديلاً فعّالاً لما يراه المسلمون أشكالاً من الإمبريالية الغربية (الأمريكية) تتطوى على خطر مزمن وإن كان مستتراً.

مع نهاية الحرب العالمية الأولى اضطر المسلمون في تركيا إلى أن يتخلّوا عن جميع أفكار إمبراطوريتهم وأن يركزوا على إعادة بناء دولتهم. وقد فعلوا ذلك في ظل القيادة الاستثنائية لمصطفى كمال الذي عُرِف بعد ذلك باسم أتاتورك الذي يُعد مؤسس دولة تركيا الحديثة. ويشعر كثير من المسلمين وكثير من الأتراك بقوة بأن القيادة الملائمة للجماعة الإسلامية ما زالت هي الخلافة. أما مصطفى كمال فقد أدرك بسرعة أن مستقبل تركيا لا يكمن في مؤسسة عفى عليها الزمن ولكن في سرعة تعريف تركيا لنفسها بوصفها كيانا قوميا يتمتع بالقوة والنفوذ. وعندما تم إعلان الجمهورية التركية رسمياً في عام ١٩٢٣ أعلن مصطفى كمال أنه سيحكم بوصفه رئيساً منتخباً من الجمعية الوطنية. ولم يكن عجباً أن يتبوأ أتاتورك نفسه هذا المنصب كأول رئيس. وفي عام ١٩٢٤ وبرغم مناشدات قوية من جانب سائر الزعماء في العالم الإسلامي، صدّقت الجمعية الوطنية على مقترحات أتاتورك بإعلان دولة علمانية بشكل كامل وإلغاء الخلافة رسمياً. ورغم أن مركز الخليفة كان لوقت طويل قد فقد السلطة والنفوذ اللذين كان يتمتع بهما في الأصل بعد وفاة النبي، إلا أنه ظل رمزاً لشارات الحكم والسلطة الجامعة للمسلمين. ومن ثم جاء

إلغاء الخلافة بمثابة صدمة عميقة للكثيرين في أنحاء العالم الإسلامي، بل ونجم عنها أثر دائم بالنسبة للفكر السياسى الإسلامى.

مع نهاية الحرب العالمية الأولى اضطر المسلمون فى تركيا إلى أن يتخلوا عن جميع أفكار إمبراطوريتهم وأن يركزوا على إعادة بناء دولتهم. وقد فعلوا ذلك فى ظل القيادة الاستثنائية لمصطفى كمال الذى عُرِف بعد ذلك باسم أتاتورك الذى يُعد مؤسس دولة تركيا الحديثة. ويشعر كثير من المسلمين وكثير من الأتراك بقوة بأن القيادة الملائمة للجماعة الإسلامية ما زالت هى الخلافة. أما مصطفى كمال فقد أدرك بسرعة أن مستقبل تركيا لا يكمن فى مؤسسة عفى عليها الزمن ولكن فى سرعة تعريف تركيا لنفسها بوصفها كيانا قوميا يتمتع بالقوة والنفوذ. وعندما تم إعلان الجمهورية التركية رسميا فى عام ١٩٢٣ أعلن مصطفى كمال أنه سيحكم بوصفه رئيسا منتخبا من الجمعية الوطنية. ولم يكن عجباً أن يتبوا أتاتورك نفسه هذا المنصب كأول رئيس. وفى عام ١٩٢٤ وبرغم مناشدات قوية من جانب سائر الزعماء فى العالم الإسلامى، صدقت الجمعية الوطنية على مقترحات أتاتورك بإعلان دولة علمانية بشكل كامل وإلغاء الخلافة رسميا. ورغم أن مركز الخليفة كان لوقت طويل قد فقد السلطة والنفوذ اللذين كان يتمتع بهما فى الأصل بعد وفاة النبی، إلا أنه ظل رمزا لشارات الحكم والسلطة الجامعة للمسلمين. ومن ثم جاء إلغاء الخلافة بمثابة صدمة عميقة للكثيرين فى أنحاء العالم الإسلامى، بل ونجم عنها أثر دائم بالنسبة للفكر السياسى الإسلامى.

من ناحيته لم يكن أتاتورك يعتقد أنه كان يتخلى عن الإسلام، بل كان هدفه يتمثل فى دعم الدولة كما هى فيما يُنظر إلى الدين على أنه إحدى القوى الدافعة فى هذه العملية، ولكن يتعين أن تكون قوة معنوية وليست قوة سياسية. ولا يتميز مصطفى كمال بنجاحه فقط فى إرساء دور تركيا بوصفها لاعبا رئيسيا فى ساحة القرن العشرين، ولكن فى أنه كان كذلك داعية رئيسيا لاقتصار الدين على الحياة الخاصة. مع ذلك قد لقيت إجراءاته معارضة وانتقادات شديدين وبصفة عامة لم تتشأ العلمانية بوصفها خيارا شعبيا محببا لمعظم المسلمين الذين يشغلهم إعادة التفكير فى دور الإسلام فى العالم الحديث. ومن جانبهم يرقب المسلمون فى أمريكا باهتمام كبير تركيا وهى تتنازل لإقرار شرعية وجودها كعضو فى جامعة الدول الأوروبية

فى الوقت الذى ىرفض جزء من قادتها وكثير من سكانها التخلّى عما يميّز هويتها كدولة ما برح الإسلام يقوم فيها بدور ذى أهمية كبرى.

ومن بين الذين أعربوا عن الانشغال إزاء اتجاه أتاتورك العلمانى وإلغاء الخلافة كان عدد من كبار قادة المسلمين فى الهند. ومنذ نهاية القرن التاسع عشر وحتى القرن العشرين، ظل مسلمو الهند (ومن ثمّ باكستان) من بين أحرص من يحاولون رسم طريق سليم بالنسبة لإسلام حديث: بعضهم تأثر بقوة بالعقلانية الغربية والأوروبية بينما كان ثمة قادة دينيون تقليديون عارضوا بشدة هذه التعاليم الغربية. وبحلول منتصف القرن العشرين، نشأ عدد من التيارات القوية فى الفكر الإسلامى مما أسهم فى إنشاء دولة باكستان فى عام ١٩٤٧.

كان محمد إقبال هو الاسم الذى ارتبط بصورة عامة بفكرة تكوين دولة مستقلة يكون الإسلام فيها الديانة الرسمية. وكونه توفى قبل نحو عقد من الزمن من تحقيق هذه الرؤية فى عام ١٩٤٧ لا ينال من تأثيره فى هذا الصدد. ورغم أن محمد على جناح هو فى حقيقة الأمر مهندس الدولة الجديدة لكنه لم يعيش بدوره طويلاً ليرى إنشاءها وقد بلغت فناعة جناح بأفكار إقبال لدرجة أنه قاد المسيرة بوصفه زعيم حزب الرابطة الإسلامية نحو إنشاء دولة جديدة برغم المناشدات اليائسة من كثير من بنى وطنه الهنود بمن فيهم المهاتما غاندى من أجل عدم تقسيم الهند.

وبينما كانت الأحداث ذات الأهمية الفائقة لمستقبل الإسلام تقع فى تركيا، وفى شبه القارة الهندية على مدار النصف الأول من القرن العشرين، كانت مناطق أخرى تشهد توتراً، بل وتشهد الإثارة التى تصاحب طرح فكر جديد وغير مسبوق.

من ناحية أخرى كانت مصر تمثّل واحدة من أخصب البقاع لهذا النوع من الإقدام على مغامرة دينية تجديدية وكان رائد روّاد الإصلاح فى أوائل القرن العشرين هو محمد عبده الذى كان مُصلحاً عملياً اختار أن يبذل جهوده من خلال عملية تطورية كان يأمل منها أن تكفل استمرار التغيير. وعليه فقد تبنى محمد عبده سلسلة من الإصلاحات فى مجال التعليم الدينى بجامعة الأزهر العتيقة وتبوأ منصب المفتى فى مصر لى يحقق التجديدات التى كان يدعو إليها ثم تعاون مع رشيد رضا لإصدار تفسير للقرآن ما زال يُعد كتاباً أو مرجعاً تأسيسياً لفهم الإسلام فى القرن العشرين.

ومع توالى العقود الأولى من القرن واجه تراث محمد عبده (توفي عام ١٩٠٥) تحديًا من جانب بعض من رأوا فيه منحى تقدميًا أكثر من اللازم أو متآلفًا أكثر من اللازم مع الأفكار الغربية أو عازفًا أكثر من اللازم عن الدعوة إلى حل أكثر راديكالية لمشاكل إسلام كان قد ركن إلى نوع من السبات. ومن الذين اقترحوا نهجًا مختلفًا للغاية في هذا الصدد حسن البنا الذى أفضى به إصراره على التغييرات الفعالة إلى تشكيل جماعة الإخوان المسلمين بكل قوتها وهى منظمة ما برح لها نفوذها وتأثيرها فى قطاعات شتى من مسلمى أمريكا. لم ير حسن البنا فى المجتمع المصرى ذلك التغيير المتواصل الذى كان يرجوه محمد عبده ولكنه رأى ميلًا متزايدًا نحو العلمانية وتجاهلاً لتراث الشريعة الإسلامى والأعراف الإسلامية فضلًا عن نمو طبقة وسطى عليا مبهورة إلى حد كبير بالثقافة الغربية. وفى أواخر عشرينيات القرن العشرين بدأ البنا وعدد من أعوانه جماعة الإخوان المسلمين بوصفها دعوة للعودة إلى الحياة السياسية والاجتماعية التى تستهدى بهدى الله سبحانه. كانت حركة حضرية إلى حد كبير ولكنها اجتذبت جموع الجماهير فضلًا عن قطاعات واسعة من المهنيين المتعلمين. ورغم أنها لم تمثل حزبًا سياسيًا، على الأقل فى أيامها الأولى، إلا أنها ما لبثت بسرعة أن اكتسبت سخط الأحزاب والأطراف الحاكمة. وفى عام ١٩٤٩ دبّرت الحكومة المصرية اغتيال حسن البنا بعد أن أثارت حركة الإخوان مطالبة جماهيرية بإقامة دولة إسلامية. وفى عام ١٩٥٤، وبعد محاولة الاعتداء على حياة الرئيس جمال عبد الناصر، اعتبرت حركة الإخوان المسلمين خارجة على القانون ورغم أنها ظلت تواصل فعاليتها. ويبقى أن حظوظها ظلت بين صعود وهبوط على مدار عقود من السنين بينما ظلت فلسفتها السياسية جاذبة لكثير من المسلمين المعاصرين.

من ناحية أخرى كان ثمة حركة تنمو فى إطار مواز للإخوان المسلمين فى مصر وتحمل اسم الجماعة الإسلامية فى باكستان. وكانت تتوخى، شأنها شأن الإخوان المسلمين فى مصر، تفسيرًا محافظًا للإسلام من أجل رسم إطار للمجتمع يتم فى ظله توحيد الدين والدولة تحت راية الشريعة. ومثل الإخوان أيضًا نعمت الجماعة الإسلامية بنفوذ واسع النطاق بين صفوف الأمريكيين المسلمين، كما أن كتابات وأفكار مؤسسها، «أبو الأعلى المودودى»، أيسر منالًا من حيث سُبُل الاطلاع عليها بالنسبة إلى الجماهير الغربية لأنها متاحة باللغة الإنجليزية.

وُلد أبو الأعلى المودودي عام ١٩٠٣ بالهند وتربى فى إطار الطريقة الششتية الصوفية التى تدعى الانتساب إلى النبى عن طريق ابنته فاطمة. وإذا كان المودودي معروفًا بأنه من دعاة الوطنية الهندية فقد بدأ فى إمعان التفكير بشأن طبيعة دولة إسلامية حقيقية تقوم على غرار مجتمع النبى الذى اتخذه نموذجًا على نحو ما تقضى به عقيدة الإخوان المسلمين. ثم دعاه محمد إقبال للقدوم إلى لاهور حيث أسس منظمة الجماعة الإسلامية فى عام ١٩٤١. وعلى غرار الإخوان المسلمين أيضًا فإن الجماعة الإسلامية لم تنظر إلى نفسها على أنها حزب سياسى ولكن على أنها مجتمع من الأخوة العقائدية يتمتع بشبكة متنامية من الفروع والخلايا. كما كان أعضاؤه ملتزمين بتعلم أصول الدين وبإنشاء طائفة واسعة من المشروعات الاجتماعية التى تقصد إلى خدمة جيل جديد من الشباب الذين يحدوهم إخلاص عميق للأخلاقيات الإسلامية.

وما لبث المودودي أن تزايدت قناعاته بأن التأثيرات الغربية خطر على الإسلام وأن أفضل ما يمكن أن تطمح إليه باكستان هو إرساء قاعدة دينية سليمة. ولهذا فقد وجه انتقاداته إلى الحداثيين والمحافظين التقليديين الذين كانوا يولون مزيدًا من الاهتمام إلى ما يمكن أن يستقوه من قوانين من الإسلام أكثر من الرجوع إلى منابع الصافية الحقيقية للدين وهما القرآن وسنة الرسول. هكذا لقيت أفكاره شعبية كاسحة ومن ثم انتشرت الجماعة الإسلامية بسرعة فى طول باكستان وعرضها. وعلى خلاف حركة الإخوان المسلمين التى كانت تتسم بطابع شعبوى أكثر، كانت حركة المودودي نخبوية ترمى إلى تدريب قيادات جديدة لتولى أمور دولة ومجتمع يدينان بالإسلام: «كان هدف الجماعة الإسلامية هو وضع حد لسيطرة نظم الحكم غير الإسلامية على أن يحل محلها الحكم الإسلامى» هكذا كتب المودودي فى مقالة عن معنى الجهاد^(٣). ويُعد المودودي بأكثر من معنى أناسًا للصحة الإسلامية بوصفها مجموعة الحركات التى بلغ نفوذها فى العالم الإسلامى فى الجزء الأخير من القرن العشرين حداً كبيراً لدرجة أن الميديا الغربية أضفت عليها تسمية مغلوبة وهى «الأصولية الإسلامية» لقد تصوّر الإسلام على أنه قوة مفعمة بالحيوية والنقاء وليس من شأنها الوصول إلى حلول وسط مع قوى الغرب أو العلمنة أو مع الذين ركزوا على القومية الهندية بدلاً من الهوية الإسلامية. ومن الناحية السياسية فكثيراً ما عارضت الجماعة الإسلامية السياسات الرسمية

للحكومات مما عرضها للقمع كما حدث للإخوان المسلمين وأخيراً تم حظرها رسمياً، بل إن أنشطتها كان مصيرها السجن في بعض الأحيان.

وبرغم وفاة المودودي عام ١٩٧٩ فلم تفتر قوة نفوذه الدولي ولا شعبية الأفكار التي طرحها كما أن كثيراً من مؤلفاته رائجة على المستوى الدولي. وهي في السياق الأمريكي تطرح نموذجاً له مغزاه للحياة الإسلامية في ظل العالم المعاصر. هناك كثيرون يجدونه محافظاً أكثر من اللازم بينما هناك آخرون يرون في دعواته للعودة إلى القرآن والسنة أموراً غاية في الإقناع. وقد دأبت المساجد والمراكز الإسلامية في الولايات المتحدة على أن تعرض بانتظام كتبه وكراساته على نحو ما تفعله أيضاً المكتبات الإسلامية ومحلات البقالة والمطاعم الصغيرة وسائر المنشآت التي تبيع المواد الإسلامية وتقوم بتوزيعها. كما أن دعوة المودودي إلى ما يفسره الكثيرون على أنه العزل التام للمرأة جذبت اهتمام البعض فيما أغضبت البعض الآخر. وبالنسبة إلى الجماعات المسلمة المحافظة في أمريكا، سواء بين صفوف المهاجرين أو الأفرو - أمريكيين، يظل من الواضح أن تعاليم المودودي جذيرة بأن تظل مؤثرة لفترة ما في المستقبل.

ومن أهم الأحداث التي شهدتها العالم الإسلامي في النصف الأخير من القرن العشرين، وهو حدث أفضى إلى هجرة كثير من المسلمين إلى الولايات المتحدة، وقوع الثورة الإيرانية في عام ١٩٧٩ التي قادها آية الله روح الله الموسوي الخميني. وقد أصبحت الثورة الإيرانية على مستويات شتى رمزاً للصحة الإسلامية التي تجلت في كل من مصر وباكستان وفي مواقع كثيرة أخرى من العالم المعاصر. وفيما كان الأمل الذي راود بعض مؤيدي الخميني يتمثل أساساً في احتمال أن يكون الرجل هو الإمام العائد من الغيبة الذي ما زال ينتظره الشيعة الإثنا عشرية وذلك أمل لم يتحقق، إلا أن الخميني ما لبث أن أصبح رمزاً يعتز به إلى حد كبير الشيعة والسنة المسلمون في كل مكان لأنه أنشأ دولة إسلامية وربما لأنه أتم هذا الإنجاز بالذات في وجه معارضة أمريكية قوية.

وُلد الخميني في منطقة وسط إيران بعد سنتين من بداية القرن العشرين ودرس في عدة مراكز للعلوم الإسلامية إلى أن تم قبوله بوصفه مجتهداً أو عالماً مؤهلاً لاتباع منهجية خاصة به بالنسبة لتفسير الشريعة، وبعد ذلك حاز مرتبة آية

الله وهى أعلى سلطة علمية فى الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية للإسلام الشيعى. وبحلول عقد الستينيات برز الخمينى بوصفه واحداً من أهم الناطقين باسم معارضى سياسات الشاه محمد رضا بهلوى. وخلال شهر محرم من عام ١٩٦٣ وصل الخمينى إلى حد أن قارن الشاه بقتلة الحسين بن على فى كربلاء مما أطلق شرارة مظاهرات ضخمة ضد الشاه فى طهران. هذه الأنشطة أفضت بالخمينى إلى الاعتقال ثم النفى إلى تركيا ومنها إلى العراق ومن ثم إلى باريس فأصبح بطلاً لشباب الحركات اليسارية المعارضين للشاه عندما دعا إلى ولاية الفقيه بوصفها أسلوب الحكم الملائم للدولة.

من منفاه تواصلت رسائله التى كانت تُنقل إلى جماهير مؤيديه فى إيران من خلال كراسات مطبوعة وأشرطة كاسيت محظورة، ثم ظلت صورته بوصفه رمزاً للمعارضة تنمو وتزداد معها شعبيته. وفى عام ١٩٧٩ عاد ظافراً إلى إيران ليرسل الشاه نفسه إلى المنفى ويؤسس جمهورية إيران الإسلامية المحافظة التى ما زال رجال الدين يحكمونها حتى اليوم. ولم تكن أمريكا لتتصور قط أن «جزيرتها الآمنة فى الشرق الأوسط» سوف تنهارى أركانها ثم جاءت عملية احتجاز الرهائن الأمريكيين لمدة ٤٤٤ يوماً على يد «طلاب الحرس الثورى» لتضيف إلى سخط أمريكا الذى عززته دعوات الخمينى، التى ما برحت تتكرر حتى اليوم وبصورة أعنف، بأن أمريكا هى أرض الشيطان.

مع ذلك يبدى الإيرانيون الأمريكيون مشاعر متناقضة للغاية إزاء وطنهم الأم: بعضهم انقطعت جذوره من الأرض التى أحبها وبات ينعى اليوم الذى جاء فيه الخمينى إلى السلطة معتقداً بإخلاص أن الحكم الصارم الذى فرضه الخمينى والذى تخففت صرامته بعض الشيء لا يفيد لا الإسلام ولا تراث الحياة الإيرانية بكل ما يحفل به من مآثر عظيمة فى مجالات العلم والفن الإسلامى. أما الآخرون فيراودهم الاعتزاز إزاء قدرة زعيم إسلامى مخلص على تحدى القوة التى كانوا يرونها دكتاتورية مؤيدة من الأمريكيين وإن كانوا يبدون الأسف أيضاً على أن القمع ما زال يجعل حياة كثير من الإيرانيين صعبة. هناك أيضاً من لا يزالون ينظرون بقدر متزايد من الاعتزاز إلى الفكر الجديد وإلى ما يتابعونه من تفسيرات تتبدى فى أعمال المفكرين الإيرانيين من رجال ونساء وهم يناضلون لكى يوازنوا

بين تأييد دولة إسلامية وبين الحاجة إلى أن تستمر الحياة في العالم المعاصر سواء على الصعيد الأيديولوجي أو الصعيد الاقتصادي.

وبعد، فقد كان ذلك عرضاً تناول بعض الأفراد والحركات ممن أثروا على تشكيل إسلام القرن العشرين وما زالت مؤثراتهم فاعلة في حياة مسلمي أمريكا. وكما سوف نرى لاحقاً فإن النفوذ له طريقان في غالب الأحيان باعتبار أن الطلاب والدبلوماسيين ورجال الأعمال المسلمين يعودون إلى بلادهم وقد حملوا تأثيرات الإسلام الأمريكي، في حين أن الذين يرجعون إلى الغرب كثيراً ما يكونون في مواقع القيادة في بلادهم إضافة إلى علاقاتهم الدولية ومن ثم يضيفون بعداً آخر لتشكيل الإسلام في أمريكا.

ما هو هذا الإسلام أو وبصورة أدق ما هي الأشكال المختلفة للإسلام التي بات يتسم بها المشهد الأمريكي؟ فلنتطرق إذن إلى هذا التنوع والتعقيد.

الحواشي

- ١- سلمان رشدى، آيات شيطانية، (لندن: فاكنج، ١٩٨٨).
- ٢- ذكرها و. منتوجمري وات، عقيدة وممارسات الغزالي (لندن، ١٩٥٣).
- ٣- ذكرها سيد والى رضا نصر، المويدي والصحة الإسلامية (نيويورك: مطبعة جامعة أكسفورد، ١٩٩٦).

الفصل الثالث

الإسلام يأتى إلى أمريكا أوائل المسلمين

دأب الدارسون لنشأة الإسلام فى أمريكا الشمالية على النظر فى معظم الأحيان إلى منتصف وأواخر القرن التاسع عشر على أن هذه هى الفترة التى تدل على الوصول الحقيقى للمسلمين للمرة الأولى إلى الولايات المتحدة. والحاصل أن هذا بالضبط هو الوقت الذى شهد وصول أول المهاجرين المسلمين وكانوا أساساً من الشرق الأوسط وشرعوا يقدون إلى أمريكا الشمالية أملاً فى فرصة يغمثونها سواء كانت كبيرة أو محدودة ومن ثم يرجعون إلى أوطانهم الأصلية. وسوف نعود بعد فترة قصيرة إلى استعراض حكايتهم. ولكن إذا عُدنا إلى الوراء حيث مراحل أبعد من التاريخ فإن هناك من العلماء من يقول بأنه قبل زمن كرسنوفر كولومبس ومغامرته فى عام ١٤٩٢ بقرنين من الزمان ركب المسلمون البحر من إسبانيا ومن بعض أجزاء الساحل الشمالى الغربى للقارة الأفريقية وصولاً إلى كل من أمريكا الجنوبية والشمالية بل كان هناك مسلمون أعضاء فى طاقم البحارة الذى صحب كرسنوفر كولومبس فى رحلته. ويقال إن المكتشفين من الرواد الأفارقة المسلمين اخترقوا كثيراً من بقاع الأمريكتين حيث تواصلوا مع السكان الأصليين لأمريكا وتزاوجوا معهم أيضاً. ويفترض البعض أن المسلمين أقاموا مراكز للتجارة بل وأدخلوا بعض الحرف والصناعات إلى القارتين الأمريكيتين. على أن الأدلة التى تدعم هذه الادعاءات والتى تُستقى من واقع الحرف اليدوية وبعض الكتابات وتقارير شهود عيان ما زالت غامضة لدرجة أن هذه النظريات ما برحت افتراضية إلى حد ما^(١). وفى كل حال فإن عام ١٤٩٢ للميلاد يتسم بأهمية تاريخية، لا لأنه تاريخ إنجازات كولومبس فحسب، ولكن لأنه شاهد على النهاية الرسمية للوجود الإسلامى فى شبه الجزيرة الإيبيرية التى تُعرف الآن بأنها إسبانيا والبرتغال. فبعد أن نعم المسلمون بحكم مزدهر طوال القرنين التاسع والعاشر فى قرطبة وبسيادة مختلفة الأشكال فى ظل

حكم الشمال الأفريقي على مدى القرون التي تلت، فقد شهد المسلمون الدهر وقد قلب لهم ظهر المجن. بسرعة ففي عام ١٤٧٤ نجح الزوجان فرناندو ملك أراغون وإيزابيلا ملكة قشتالة في توحيد عرشيهما المنفصلين وعرفا وقتها باسم «الملوك الكاثوليك» بحكم إخلاصهما في إعادة توحيد إسبانيا بأسرها تحت راية المسيحية فكان أن استوليا على آخر معاقل الاحتلال الإسلامي في غرناطة في عام ١٤٩٢. ومع نهاية القرن التاسع عشر، كان المسلمون (ويشار إليهم بعامة على أنهم المغاربة - المور^(٥)) في جميع أنحاء شبه الجزيرة قد أُجبروا على الخيار ما بين بديلين في غاية القسوة: إما التحول إلى المسيحية أو الهجرة أو الموت. واختار الكثيرون البديل الأول وإن ظلوا يمارسون دينهم الإسلامي خفية حيث حافظوا على وجود جيب سرى للإسلام على مدى قرون. أما الآخرون فحاولوا أن يتمردوا علانية ومن ثم جرى طردهم من الأرض التي ظلت على مدى قرون خلت واحداً من النماذج التاريخية القليلة للتعايش والانسجام الثقافي بين المسيحية والإسلام (واليهودية).

وما زالت تُكتشف أدلة لكى توضح أن بعض هؤلاء المغاربة الذين أُجبروا على المغادرة جَهِدوا لكى يتخذوا طريقهم نحو جزر البحر الكاريبي، بل إن قلة منهم وصلت إلى الجزء الجنوبي مما يُعرف حالياً بأنه الولايات المتحدة. وفيما يواصل العلماء الذين ينتمون إلى مجموعة متنوعة من التخصصات تدارس هذه النظريات فإن من مسلمي أمريكا من يرون فيها دليلاً على أن الإسلام أدى دوراً في المراحل المبكرة من تاريخ هذا البلد فضلاً عن أن إمكانية وجود صلات من هذا القبيل مع الثقافات الإسلامية أمر له جاذبيته الخاصة لمواطني الولايات المتحدة من ذوى الأصل الهسباني الذين تجذبهم التعاليم الإسلامية.

المهاجرون المسلمون الأوائل في السياق الأمريكي

في ضوء هذه المجموعة المترابطة من الدلائل والتصورات علينا أن نتطرق

(٥) المور مصطلح اخترنا استخدامه ليصدق على المسلمين ذوى الأصول البربرية أو العربية في الأندلس وشمال أفريقيا والكلمة تحيل إلى معنى مغربي ومغاربة. على نحو ما يذهب إليه الدكتور مجدى وهبة فى قاموس «النفيس».

إلى التاريخ الموثَّق جيدًا للمهاجرين المسلمين. لقد حدثت الهجرات عبر سلسلة من الفترات الواضحة تمامًا وكان أولها بين عامي ١٨٧٥ و ١٩١٢ من المناطق الريفية مما كان يُعرف وقتها باسم سورية الكبرى التي كانت واقعة تحت حكم الإمبراطورية العثمانية وهي الآن تمثل سوريا والأردن وفلسطين ولبنان. وكانت الغالبية العظمى من مهاجري الشرق الأوسط في ذلك الوقت من المسيحيين الذين كان لديهم إمام بصورة أو بأخرى بأمريكا باعتبار أنهم تعلموا في مدارس التبشير. لكن نسبة صغيرة كانت تتألف من المسلمين السنة والشيعة ومن العلويين والدروز. وبحلول النصف الثاني من القرن العشرين انعكست هذه النسبة. لكن هذه الهجرات المبكرة ما زالت في معظمها غير مُصنَّفة ولا معروفة لدينا على وجه التحديد مع استثناءات هنا أو هناك ومنها مثلًا اسم الحاج علي (يسميه الأمريكيون «هاى جولى») الذى استقدمه سلاح الفرسان بالولايات المتحدة إلى صحراء أريزونا وكاليفورنيا فى عام ١٨٥٦ للمساعدة على تربية الإبل. ولما منيت هذه التجربة بالفشل يقال إن الحاج على ظل هناك حيث أقام فى كاليفورنيا بحثًا عن الذهب.

أما الموجة الثانية من الهجرات فتَمتَّ مع نهاية الحرب العالمية الأولى وبعد زوال الإمبراطورية العثمانية التى كانت تسيطر على معظم أرجاء الشرق الأوسط المسلم. وقد تزامنت أيضًا مع موجة الحكم الغربى الاستعماري فى ظل نظام الانتداب بالشرق الأوسط. وكان الكثيرون ممن وفدوا على أمريكا فى ذلك الوقت أقرباء للمسلمين الذين سبقت لهم الهجرة واستقروا بصورة أو بأخرى فى الولايات المتحدة. وقد فرضت قوانين الهجرة فى أمريكا التى صدرت عام ١٩٢١ ثم عام ١٩٢٤ نظم الحصص بالنسبة إلى دول وقوميات معينة مما أدى إلى تحجيم شديد لعدد المسلمين الذين سُمح لهم بدخول البلاد.

وخلال الفترة الثالثة التى استمرت على مدى معظم سنوات عقد الثلاثينيات كانت الهجرة مفتوحة بالذات أمام أقارب الذين كانوا يعيشون بالفعل فى أمريكا ومع ذلك فالأعداد الفعلية للمسلمين الذين أُتيح لهم الاستقرار كانت محدودة ولم يُقدَّر لها أن تزداد إلا بعد الحرب العالمية الثانية.

وفيما يتعلّق بالموجة الرابعة التى دامت بين عامي ١٩٤٧ و ١٩٦٠ فقد شهدت توسُّعًا كبيرًا فى مصادر الهجرة بعد أن صدر قانون الجنسية عام ١٩٥٣

ليعطى لكل بلد حصة سنوية من المهاجرين. ولأنه كان يستند إلى النسب السكانية المؤوية في الولايات المتحدة في نهاية القرن التاسع عشر فمعظم المهاجرين الذين سُمح لهم بدخول البلد كانوا من أوروبا. ومع ذلك استمرت تسربات المسلمين الذين أصبحوا يأتون ليس فقط من الشرق الأوسط ولكن من أجزاء كثيرة من العالم بما في ذلك الهند وباكستان (بعد تقسيم شبه القارة الهندية في عام ١٩٤٧) وكذلك من شرق أوروبا (من ألبانيا ويوغوسلافيا أساساً) ومن الاتحاد السوفييتي. ومعظم هذه الرحلات الوافدة استقر أصحابها في المدن الكبرى مثل شيكاغو ونيويورك. وعلى خلاف نظرائهم الذين سبقوا، فإن كثيراً من هؤلاء المهاجرين جاءوا من خلفيات حضرية وكانوا قد حصلوا مستويات رفيعة من التعليم بل كان بعضهم ينتمون إلى أسر النخب الحاكمة في السابق. وغالباً ما جاءوا وقد تشربوا الطابع الغربي في سلوكياتهم ومن ثم وفدوا على الولايات المتحدة أملاً في مواصلة تعليمهم لكي يتلقوا تدريباً تقنياً متقدماً.

أما الموجة الأخيرة والختامية من المهاجرين فتتصل بالقرارات الداخلية الصادرة في الولايات المتحدة وكذلك بالأحداث التي وقعت في عدة أجزاء من العالم الإسلامي. ففي عام ١٩٦٥ وقع الرئيس ليندون جونسون قانوناً للهجرة يلغي الحصص التي كانت قائمة على أساس التنوع القومي ضمن الولايات المتحدة. وللمرة الأولى منذ بدايات القرن، لم يعد حق المرء في دخول أمريكا يتوقف تحديداً على أصله القومي أو العرقي. ولهذا انخفض مسار الهجرة من أوروبا بينما ارتفع ارتفاعاً مثيراً المسار القادم من الشرق الأوسط وآسيا وكان أكثر من نصف الوافدين الجدد من المسلمين.

وعلى مدار العقود الأخيرة، أدّى الاضطراب السياسي في كثير من أقطار العالم الإسلامي إلى زيادة تيار الهجرة ففي عام ١٩٦٧ الذي كان عامًا كارثيًا بالنسبة للمسلمين لأنه شهد الهزيمة المهيئة للجيش العربية على يد إسرائيل بدأ تيار لخروج كثيف (أكسودس) من الفلسطينيين ميمًا شطر الغرب وما زال متواصلًا حتى الوقت الراهن. ثم وقعت ثورة ١٩٧٩ في إيران وصعد إلى السلطة آية الله الخميني مما أجبر كثيراً من الإيرانيين على الفرار من بلدهم حيث قرر عدد منهم القدوم إلى أمريكا. كذلك وقعت الحرب الأهلية في باكستان وما نجم عنها من

انفصال شرقى باكستان لتكوين دولة بنغلاديش فضلاً عن أحداث الاضطهاد المعادية للمسلمين فى الهند، ثم الانقلاب العسكرى فى أفغانستان والحرب الأهلية اللبنانية وكل هذا أسهم فى زيادة وجود المسلمين فى أمريكا. وأفضى الاحتلال العراقى للكويت إلى هروب عدد كبير من الأكراد إلى أمريكا بينما تضخمت أعداد المهاجرين الإسلاميين كذلك مع اشتعال الحروب الأهلية فى الصومال وأفغانستان واشتداد قبضة النظام العسكرى فى السودان فضلاً عن التطهير العرقى الذى شهدته البوسنة والهرسك.

أما الآن فيأتى معظمهم من شبه القارة فى جنوبى آسيا بمن فى ذلك الباكستانيون والهنود والبنجلاديشيون. وترجع أول أفواجهم فى مرحلة مبكرة إلى عام ١٨٩٥. وعلى مدى القرن العشرين كانت لهم أهميتهم فى نمو الجماعات السياسية المسلمة فى أمريكا وهذه الفئة ربما تشكل اليوم أكثر من مليون نسمة وينضم إليها باستمرار جماعات كبيرة العدد تأتى من إندونيسيا وماليزيا.

وهناك من يقدر عدد الإيرانيين فى الولايات المتحدة بما يقرب من مليون نسمة ويليهام فى ذلك ممثلو البلدان العربية بالشرق الأوسط إضافة إلى الأتراك ثم الوافدون من أوروبا الشرقية بعد ذلك. ويأتى المسلمون أيضاً من عدد كبير من الدول الأفريقية بما فى ذلك غانا وكينيا والسنغال وأوغندا والكاميرون وغينيا وسيراليون وليبيريا وتنزانيا ودول أخرى. وبطبيعة الحال فإن هؤلاء المهاجرين يمثلون طائفة واسعة من الحركات والأيدولوجيات الإسلامية، وهم أيضاً من السنة والشيعية ومن المتصوفة ومن أعضاء جماعات طائفية أخرى. ومنهم أيضاً أفراد متدينون وآخرون علمانيون فضلاً عن منتمين إلى الإسلام السياسى إضافة إلى الذين لا يعتقدون ديناً أو من لا يعتمدون أجندة سياسية. ويأتى الكثيرون من واقع ظروف يسود فيها الإسلام بوصفه ديانة الأغلبية ولهذا يصعب عليهم التواءم مع وضع الأقلية الجديد الذى لا بد وأن يشغلوه فى أمريكا. أما الآخرون الذين يعرفون أساساً ما يعنيه أن يكون المرء فرداً ضمن أقلية دينية فهم يأتون لكى يوائموا بين وضعيتهم الجديدة وبين المهارات التى اكتسبوها. وفى كل حال ومع كل وصول جديد لمسلم، فإن صورة الإسلام فى أمريكا تزداد تعقيداً.

فلنتطرق الآن إلى أمريكا فى أواخر القرن التاسع عشر: لقد شهدت ستينيات

وثمانينيات ذلك القرن أول حركة مهمة لمسلمين شباب لم يتمتعوا نسبياً بمهارات تذكر وجاءوا أساساً من سورية ولبنان في الشرق الأوسط: بعضهم كان هارباً من التجنيد في الجيش التركي لأنهم رأوا أن هذه العملية لا تتصل بأي سبب معقول مع هويتهم القومية، والبعض الآخر رأى أن مواطنيهم المسيحيين عادوا من الولايات المتحدة وفي جعبتهم ثروات كبيرة وبرغم عدم حماسهم للذهاب إلى أمريكا حيث سيكونون محاطين ببيئات غير مسلمة فقد كان لديهم الحافز على تجريب حظهم. وجاء اندلاع الحرب العالمية الأولى ليجلب دماراً إلى لبنان لدرجة أن كثيراً من أبنائه اضطروا إلى الفرار بقصد النجاة بحياتهم. وكانوا في معظمهم من العُزَّاب أو على الأقل كانوا بغير صحبة زوجاتهم ومن ثم فقد نظروا إلى الفترة التي يقضونها في أمريكا على أنها مرحلة مؤقتة أملاً في أن يعودوا بعد أن يكسبوا قدرًا من المال لكي يؤسسوا بيوتاً وأسرًا. ومع ذلك كانت أحلامهم صعبة التحقيق فلم تكن الوظائف ميسورة في أمريكا وكثيراً ما كانوا عاجزين عن التنافس مع من كانوا متاحين للانخراط في سوق العمل، إما لقلّة معرفتهم بالإنجليزية أو لقصور تحصيلهم التعليمي. وهكذا اضطر الكثيرون إلى امتحان أعمال في أدنى السلم مثل العمل في صفوف عمال التراحيل أو احتراف التجارة البسيطة أو التعدين في المناجم. ومن أكثر الحرف شيوعاً كانت حرفة التاجر المتجول التي لم تكن تتطلب سوى رأس مال صغير ومهارات لغوية محدودة وتقتضى تدريباً بسيطاً. عملوا في أول المطاف على طول ساحل المحيط الأطلسي وظلّوا يسافرون إلى الجنوب والغرب وكم كانوا يواجهون قسوة الطقس واللصوصية وعداء السكان المحليين. أما المهاجرون المسلمون الآخرون فكانوا ينخرطون في أعمال زهيدة الأجر ضمن مجاميع العمال ومنهم مثلاً من ساهموا في إنشاء خطوط السكك الحديدية في منطقة سياتل. وأحياناً كانت النساء يجدن أعمالاً في المصانع والطواحين حيث العمل لفترات طويلة وفي ظل ظروف بالغة القسوة. وأدّى الافتقار إلى المهارات اللغوية، فضلاً عن الفقر والوحدة وغياب أفراد من أبناء دينهم إلى الإسهام في إشاعة شعور من العزلة والتعاسة بل تفاقم هذا الوضع بفعل حقيقة أن الأمريكيين في تلك العقود من الزمن لم يكن لديهم أي حماس إزاء الأجانب وخاصة أولئك الذين جاءوا بعبادات بدت غريبة فما بالك ممن لم تكن المسيحية ديانتهم؟

هذه الفئات الأولى من المهاجرين المسلمين حاولت أن تنشئ جماعة من المؤمنين ضمن سياق غريب تمامًا وبغير دعم مؤسسي. ولذلك كان التعليم الديني المتاح للأطفال والأحفاد عند أقل مستوى. وكم كانوا يتذكرون ما شهدوه في أوطانهم الأصلية حيث نشأ الشباب وترعرعوا وهم يكادون يستشقون دينهم في الهواء المحيط بهم حيث كانت المواسم والأعياد والصلوات والشعائر تشكل جزءًا من البيئة المحيطة في حين أن أمريكا قد أتاحت لهم سياقًا مختلفًا تمامًا. وفي هذا السياق كان من الصعوبة بمكان حتى أن يحتفظ الإنسان بشعوره الديني، فضلاً عن أن يُترجم هذا الشعور إلى ممارسة منتظمة للشعائر فلم تكن لا المدارس ولا الأعمال التجارية تحوي أي مرافق ولا تعير أي اهتمام بإتاحة الفرصة لأداء الصلوات اليومية. أما الذين كانوا يريدون الصوم خلال شهر رمضان: لم يكن بوسعهم أن يتوقعوا أي تكيف خاص إزاء ظروفهم في موقع العمل ولا كان متاحًا وجود عائلات ممتدة كبيرة العدد لكي تهين سبل المذاكرة والتعليم ولا كانت الظروف الاقتصادية تسمح بعامة للأسر بالتزاور في البيوت من أجل التعاضد في ظل سياق أسري أوسع. وبما أن كثيرًا من ممارسات الإسلام تتم بشكل جماعي فضلاً عن شكلها الشخصي أو الفردي كان من الصعب إقامة الصلوات أو الاحتفال بالأعياد وغير ذلك من المواسم الإسلامية. وكم كان الأمر يقتضي أن تناضل عائلات الرواد هذه من أجل الحفاظ على دينها وهويتها في مجتمع تم بناؤه على كواهل المهاجرين ولكن، ويا للتناقض، لم يتفهم قط واقع الاختلافات في الثقافة التي جاء بها هؤلاء المهاجرون.

الجماعات المسلمة عبر القارة الأمريكية

بدأت أحلام المهاجرين في الثراء السريع تذوى وتتضاءل ومعها شحبت آمالهم في عودة سريعة إلى أوطانهم وإلى أقربائهم المقيمين وراء عبر البحار. وكان حتمًا عليهم من ثم أن يتكيفوا مع حياة جديدة في الأرض التي اختاروا الهجرة إليها. وهكذا فالشباب، الذين كانوا حريصين على الزواج وتكوين أسر وجدوا أن من الصعب، إن لم يكن من المستحيل، العثور على فتيات مسلمات في هذا البلد: بعضهم عاد في زيارات قصيرة إلى وطنه لاختيار عروس والبعض الآخر طلب من أقاربه أن يرتبوا له زواجًا مع فتيات من أوطانهم الأصلية. وفي كل حال فإن

الأنماط التقليدية من الخطوبة ما لبثت أن أفسحت الطريق لإجراءات سريعة عاجلة في الزواج. وهناك آخرون تزوجوا من خارج عقيدتهم الدينية كما فعل الذين تزوجوا مثلاً من عربيات مسيحيات برغم أن الضغوط كانت شديدة من جانب المسلمين الآخرين تحثهم على عدم الرضوخ للزواج من «غير المؤمنات».

كان المهاجرون يتطلعون إلى الانتظام في سلك أعمال أكثر دواماً واستقراراً وكثيراً ما نجحوا في تأسيس أعمالهم التجارية الصغيرة الخاصة بهم: عدد كبير منهم اختار أن يفتح عملاً يرتبط بمطبخهم الوطني كمصدر للدخل فأنشأوا المقاهي والمطاعم والمخابز ومحال البقالة الصغيرة. وفي بادئ الأمر كانت هذه التجارة موجّهة أساساً إلى بني جلدتهم بحيث يتسنى للمسلمين أن يستمتعوا على الأقل بمذاق أطعمتهم الخاصة وهم يعيشون بين ظهرائي ثقافة غريبة كل الغرابة عن أذواقهم وأعرافهم. ثم حدث أن الأمريكيين الآخرين تعلموا شيئاً فشيئاً تذوّق المطبخ العربي حتى إن المرء يستطيع اليوم أن يستمتع في معظم المدن بالطهي العربي في كل موقع، ما بين المطاعم الفاخرة إلى محلات الوجبات السريعة التي تقدّم أصنافاً مثل الشاورمة (اللحم المثلّ المشوى على سيخ متحرك ويُحشى بها الخبز السوري) والحمص والتبولة (السلطة المولفة من الطماطم والبصل والبقدونس).

وفي الجزء الأول من القرن العشرين وجدت عائلات مسلمة كثيرة نفسها وخاصة الشباب وقد ابتعد بها التيار عن عقيدتها الدينية بل حاولت أن تستتر بعيداً أو تغترب عن تلك الأشياء التي ميّزتها على أنها مختلفة عن نظرائها من العائلات الأمريكية. والذين كانت سحتهم أكثر سُمرّة من سحنة الأمريكي العادي، وخاصة في مناطق الجنوب، وجدوا أنفسهم يُعاملون على أنهم «ملوّنون» من جانب السكان المحليين ومن ثم حيل بينهم وبين دخول المرافق العامة التي كانت قاصرة وقتها على «البيض فقط» هكذا شاعت الصور النمطية والقوالب الجامدة التي تصوّر العرب المسلمين قوماً يتسمون بعيون واسعة سوداء وأنوف كبيرة وشوارب كثّة ويرتدون ملابس على غير مقاساتهم. وأصبح من الصعوبة بمكان مواصلة استخدام اللغة العربية، إذ ظل الشباب يقاومون استخدام لغة كانت تبدو شديدة الغرابة بالنسبة لأقرانهم. بل إن رفضهم حتى أن يتعلموا اللغة الأم كان بمثابة ألم مضاعف بالنسبة لعائلاتهم. فاللغة العربية لا تمثل فقط لغة الثقافة ولكنها أيضاً لغة الطقوس والشعائر

الدينية. هنالك بدأ المسلمون بالتدريج يختارون أسماء أمريكية لأبنائهم أو يسمحون باستخدام أسماء التذليل الأمريكية وبهذا أصبح محمد هو مايك وتغير يعقوب إلى جاك ونسرين أصبحت نانسي. وهكذا بدأت الهوية العربية، وإلى حد ما الهوية الإسلامية، وكأنها أقرب إلى تراث من الماضي بدلاً من أن تكون هي الحاضر والمستقبل لجيل جديد من الشباب الذي كان يجهد كثيراً لكي يصبح جزءاً من ثقافة الوطن الذي باتوا ينتمون إليه وليس جزءاً من التراث الذي ورثوه. وعندما شب عن الطوق هذا الجيل اليافع وبدأ يتطلع إلى الزواج تحولوا باطراد إلى شريكات وشركاء من غير المسلمين وعليه ارتفعت معدلات الزواج على هذا النحو مع كل جيل جديد.

ومع ذلك ففي الوقت نفسه، وفي إطار الاستجابة إلى حد ما لشواغل التفاعل الثقافي والأخذ بالعلمنة بعيداً عن الدين، بدأ المسلمون في عدد من المواقع في طول أمريكا وعرضها ينظمون صفوفهم في جماعات تعمل جاهدة على تأكيد الهوية التي ينتمون إليها.

منطقة الغرب الأوسط من أمريكا

من أولى هذه التجمعات كانت تلك التي تقيم في منطقة الغرب الأوسط: في نورث داكوتا التي كانت موطناً لعدد من أولى الجماعات المسلمة التي تم توثيقها في أمريكا وفي مدينة روس الصغيرة انتظم المسلمون مع بعضهم البعض لأداء الصلوات في المطالع الأولى من القرن العشرين ثم شرعوا في بناء مسجد في عام ١٩٢٠ ولكن كان عليهم أن يتخلوا عن هذا المشروع بعد أن اضطر كثير من أفراد تلك الجماعة إلى التحول إلى الديانة المسيحية.

وفي ميتشجن سيتي بولاية إنديانا، كان قد تم إنشاء مركز إسلامي بصورة ما في مرحلة مبكرة ترجع إلى عام ١٩١٤ حيث كان أعضاؤه أساساً من السوريين واللبنانيين الذين كانوا يعملون في تجارة الملابس والخردوات، وسرعان ما بدأ المركز في اجتذاب مسلمين آخرين حول تلك المنطقة وفي عام ١٩٢٤ أعيد تنظيمه باسم الجمعية العربية الإسلامية الحديثة.

أما سידار رابيدز بولاية أيوا فلها تاريخ طويل حيث ضمت جمعية مسلمة

كان أعضاؤها من الباعة الجائلين الذين تحولوا إلى أصحاب محلات يعرضون السلع التي تحتاجها الحياة اليومية بين صفوف مزارعي المنطقة. وأول مسجد استمر يؤدي مهامه في أمريكا بدأ في تلك المنطقة في عام ١٩٢٠ واتخذ مكانه في صالة مستأجرة ومن ثم جرى بناء مسجد متكامل في عام ١٩٣٤ وكان يتم إصلاحه وترميمه وإعادة تجهيزه وتوسيعه دورياً حيث أضيفت إليه منذنة في عام ١٩٨٠. ولأنه يُعد أقدم مسجد ما زال مُستخدماً حتى اليوم فكثيراً ما يطلق عليه وصف «المسجد الأم في أمريكا».

نيويورك

للإسلام وجود في منطقة مدينة نيويورك منذ أواخر القرن التاسع عشر وما بعدها بقدر ما كان تاريخ هذا الوجود حافلاً ومعقداً. فالمدينة التي تُعد باستمرار محوراً لنشاط المهاجرين كانت موطن تشكيلة متنوعة من الجماعات العرقية-الاثنية المختلفة وضم سكانها المسلمون بحارة تجاريين وتجاراً جائلين إضافة إلى الذين اختاروا أن يستقروا بها ويؤسسوا أعمالاً تجارية. وتم إنشاء الجمعية المحمدية الأمريكية في ضاحية بروكلين في عام ١٩٠٧ على يد مهاجرين من بولندا وروسيا وليتوانيا ممن قاموا في نهاية المطاف بشراء مبنى من أجل استخدامه مسجداً في أوائل عقد الثلاثينيات. وبحلول عقد الخمسينيات كان بوسع الجمعية أن تدعى عضوية بلغت نحو ٤٠٠ فرد ومازالت تناضل لكي تبقى على قيد الحياة اليوم بوصفها المسجد الإسلامي وهو اسم اعتمدته في عقد الستينيات.

وفي الثلاثينيات بدأ مهاجر من المغرب إنشاء ثاني مسجد بمعنى الكلمة في نيويورك تحت اسم البعثة الإسلامية في أمريكا لنشر الإسلام والدفاع عن العقيدة والمؤمنين، وكان يقع قرب حي تستوطنه كثرة من مسلمي منطقة الشرق الأوسط وما زالت البعثة مؤسسة مهمة في المدينة حتى اليوم.

وعلى مدى العقود العديدة الأخيرة، وفيما زاد عدد سكان مدينة نيويورك الكبرى، زاد أيضاً إنشاء المساجد والمراكز الإسلامية، بعضها كان عبارة عن منازل أعيد بناؤها وبعضها الآخر كان عبارة عن مباني إدارية ومكتبية وإنتاجية أعيد تجهيزها وما زال بعضها أيضاً عبارة عن هياكل حديثة البناء. «وانطلاقاً من

وازع داخلي لطاعة الشريعة الإسلامية والتقيّد بها، فضلاً عن دافع خارجي إزاء ما يتصوره الكثيرون على أنه بيئة معادية، حاول مسلمو مدينة نيويورك جاهدين أن يؤكدوا أن الإسلام سوف يتطور إلى حيث يصبح قوة اجتماعية يحسب حسابها على مستوى ضواحي المدينة الخمس»^(٢).

على أن مدينة نيويورك، بحكم حجمها وتنوّع سكانها، يمكن أن تهيئ موقعاً فريداً لتجمّع المسلمين من جميع أنحاء العالم قاطبة. وفيما تتسم كثير من الجمعيات الإسلامية بالمدينة بهويات إثنية خاصة، فإن رابطات أخرى تسعى عن وعي إلى استخدام هذا التنوّع ذاته لتأكيد إمكانية وحدة الأمة الإسلامية، بل إنها تبذل جهوداً خاصة ومتميزة للجمع بين المهاجرين والمسلمين المستوطنين أساساً فضلاً عن الجمع على صعيد واحد بين السنة والشيعة. ومن هذه الجماعات المركز الثقافي الإسلامي في نيويورك وهو أول جامع يُبنى في مناهتن بطرازه الإسلامي المميّز الذي تعلوه منذنة تقليدية وقبة. وقد بذل المركز الإسلامي جهوداً ملموسة لاجتذاب المسلمين من المهاجرين والأفرو - أمريكيين على السواء. وفي كل حال فإن المنظمات الإسلامية الوطنية تجد في مدينة نيويورك بيئة خصبة بالذات لكي تباشر أنشطتها كما أن عدداً من المدارس الإسلامية للمرحلة الابتدائية وما بعدها فضلاً عن المتاجر والأعمال التجارية المسلمة تنشأ هنا وهناك في كل أنحاء المدينة.

شيكاغو

شيكاغو مدينة كبرى بدورها من مدن أمريكا التي أصبحت موطناً اتخذته بسرعة المهاجرون المسلمون. لقد وصلت أولى موجات المسلمين قبل بداية القرن العشرين وبالذات من سورية وفلسطين. ويقول البعض إن شيكاغو ضمت عدداً من المسلمين أكبر مما كانت تضمه أي مدينة أمريكية أخرى منذ أوائل القرن العشرين. وأسوة بالموجات المبكرة التي جاءت من المهاجرين فلم يكن همهم البقاء ولكن كسب بعض المال قدر الإمكان قبل العودة من جديد إلى أوطانهم الأم. وعندما اختاروا البقاء فقد فعلوا ذلك بصورة عامة فاستقروا عند الحافة الجنوبية من شيكاغو قرب حي الأفرو - أمريكيين. وبدورهم اكتشفوا أن علاقاتهم مع سائر المسلمين كانت تقصد أكثر إلى توطيد الهوية الثقافية والموازرة أكثر من التفاعل

الدينى. ومع ذلك، وفى ضوء ما ساورهم من قلق بشأن إمكانية أن يتحول أبناؤهم إلى المسيحية، بدأوا تدريجياً فى اتخاذ خطوات لتهيئة نوع من أنواع التعليم الإسلامى لأبنائهم. وبعد أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها، ومع مجيء أنماط من الموجات المهاجرة هذا المسلمون حذو تلك الأنماط فزاد عدد الذين استقروا فى شيكاغو ولا سيما العرب من حاملى جوازات السفر التركية. وعندما اندلعت الثورة الشيوعية فى روسيا فقد دفعت ببعض المسلمين إلى الهجرة من وسط آسيا إلى منطقة شيكاغو وحدث الشيء نفسه بعد ذلك فى أعقاب تقسيم شبه القارة الهندية.

وعلى غرار ما تشهده سائر المدن الأمريكية الكبرى، فإن مسلمى شيكاغو يتألفون من قوم ينتمون إلى خلفيات واسعة النطاق من النواحي الثقافية والعرقية - الاثنية والاجتماعية - الاقتصادية. وتعتز شيكاغو بأنها تضم أكبر مجموعة مسلمين من الهند بما فى ذلك مناطق حيدر أباد وغوجارات وماهارشترا كما أنها موطن منظمة الزعيم المدنى والدينى الأفرو - أمريكى وارث دين محمد.

يتميز مسلمو شيكاغو بالنشاط فى الدعوة لديانتهم وفى تقديم عدد كبير من الخدمات إلى الجماعة المسلمة وفى التفاعل مع بعضهم البعض وكذلك مع غير المسلمين من أجل توطيد علاقات طيبة بين الأديان. وقد تم إنشاء أكثر من ٤٠ مركزاً إسلامياً للعمل مع مختلف الجماعات المسلمة فى منطقة شيكاغو الكبرى، وأقدمها وأكبرها هو المركز المجتمعى الإسلامى الذى تأسس عام ١٩٦٩. أما المساجد والمراكز والمدارس الأخرى فتقع فى مناطق الضواحي المحيطة بالمدينة ويقول أحد المعلقين المحدثين «من الإنصاف أن نقول إن الجماعة المسلمة فى شيكاغو جماعة تتسم بالحيوية الدينية وبالسلامة المالية فضلاً عن أنها جماعة متعلمة ومفعمة بالنشاط ومن ثم فهى تضطلع بدور مهم فى تنمية مدينة شيكاغو ورخائها».^(٢)

كاليفورنيا

إذا ما تحولنا صوب الغرب نجد أن عام ١٨٩٥ شهد مسلمين من شبه القارة الهندية وقد بدأوا فى الوصول إلى المنطقة الساحلية: كانوا فى معظمهم عمالاً

زراعيين وعمالاً غير مهرة من البنجاب فاستقروا في مناطق كاليفورنيا وأوريغون وواشنطن وغربي كندا. ولأن مهاجري البنجاب الأوائل ضموا أفراداً من المسلمين والسيخ، فقد نزلت أمريكا إلى النظر إليهم على أنهم فئة واحدة تصورت أنها فئة ملائمة للهند ومن ثم أطلقت عليهم ببساطة لقب الهندوس^(٤). وسرعان ما أصبحت كاليفورنيا مقصداً لمهاجرين مسلمين آخرين فكان أن زادت الأعداد الوافدة من شبه القارة الهندية ممن وصلوا بعد التقسيم في عام ١٩٤٧. وتعد كاليفورنيا اليوم مركزاً لمسلمين جاءوا من معظم أرجاء العالم ولا سيما من الشرق الأوسط وإيران وجنوبي آسيا. وفي الآونة الأخيرة وصلت أعداد كبيرة من الأفغان إضافة إلى لاجئين من الصومال ومن مناطق أخرى في أفريقيا.

ولقد شهدت كاليفورنيا ككل ارتفاعاً ملحوظاً في سكانها من المسلمين في عقد التسعينيات، حيث أصبحت مناطق مثل لوس أنجيلوس وسان فرانسيسكو مراكز دينامية نابضة للحياة الإسلامية بعد أن تهيأت فيها أسباب كثيرة لقيادة المنظمات الإسلامية الوطنية؛ فالمركز الإسلامي في جنوبي كاليفورنيا في لوس أنجيلوس يمثل واحدة من أكبر الهيئات الإسلامية في الولايات المتحدة ويعتز بوجود عدد من العاملين المدربين تدريباً عالياً على يد شقيقين جاءا من مصر واشتهرا على نطاق واسع بما يصدر عنهما من مؤلفات وما يضطلعان به من قيادة الجماعة، فضلاً عما يمثله المركز بالفعل إذ يضم مسجداً ومركزاً إعلامياً ومدرسة ومكتباً للمطبوعات المنشورة وعدداً من غرف الاجتماعات. ويحضر صلوات الجمعة عادةً أكثر من ١٠٠٠ فرد يمثلون نطاقاً واسعاً من الخلفيات العرقية - الاثنية كما يقدم المركز طائفة متنوعة من الخدمات بما في ذلك إسداء المشورة بشأن أي مشكلة ما بين الطلاق إلى المخدرات ولصالح المراهقين والشباب البالغين والعائلات.

دير بورن، ميتشغن

دير بورن، ميتشغن كانت في الأصل موئلاً لعدد صغير من الأتراك العثمانيين من طائفة الدقة في السنوات الأولى من القرن العشرين وما زالت تجتذب مياجرين من المسلمين العرب والمسيحيين على السواء. وهي اليوم واحد

من أكبر مراكز التجمع للجاليات الإسلامية في أمريكا حيث تضم جماعات كبيرة العدد من اللبنانيين واليمنيين والفلسطينيين المسلمين.

وفي عام ١٩١٩ أنشئ مسجد للسنة في منطقة هايلاند بارك القريبة ولكنه لم يستمر طويلاً. ومع ذلك فعندما قامت شركة موتور فورد للسيارات بنقل مصانعها إلى دير بورن في أواخر العشرينيات تهيأت بذلك مصادر مستدامة وأحياناً مجزية من الدخل لصالح العمال المهاجرين فضلاً عن صالح السود من الجنوب، ثم بدأت في التشكل جالية عربية كبيرة العدد. لم يكن الأجر اليومي يزيد عن خمسة دولارات بل كانت ظروف العمل سيئة ولكن اللغة الإنجليزية لم تكن مطلوبة، وهكذا رحّب كثير من المهاجرين المسلمين بالتحاقهم بعمل دائم. ثم جاء المسلمون الفلسطينيون ليزيدوا من عدد جماعة المهاجرين اللبنانيين الذين سبقوهم وكان ذلك في أواخر عقد الأربعينيات. وكان عدد قليل من اليمنيين قد انحدروا من منطقة سان لورانس سيواي إلى حيث منطقة ديترويت منذ عام ١٩١٠ بعد إن كان معظم اليمنيين قد وصلوا منذ منتصف القرن ومن صنعاء بصفة أساسية. أما معظم الموجات الوافدة الأحدث عهداً فكانت عرباً هاربين من الحروب في جنوب لبنان ومن بيروت فضلاً عن أفراد من سائر المدن والقرى في لبنان وفلسطين. وفي عام ١٩٣٨ بنى السنة مسجداً وأعقب ذلك تشييد الدار الهاشمية الشيعية في عام ١٩٤٠.

واليوم تمثل جماعة العرب المسلمين، سواء من السنة أو الشيعة، مجموعة مترابطة للغاية حيث جرى إنشاء مقاه ومجلات وأعمال تجارية ما زالت تجتذب المهاجرين. وبوسع المرء أن يسير على قدميه ويقطع عدة شوارع في بعض المناطق فلا يجد سوى لافتات باللغة العربية مرفوعة على البقالات والحوانيت الأخرى فضلاً عن وجود خمسة مساجد أو مراكز إسلامية نشطة في منطقة دير بورن منها اثنان للسنة وثلاثة للشيعة وجميعها تدعو المتعبدین للصلاة خمس مرات في اليوم.

كوينسي، ماساشوستس

الجماعة المسلمة في كوينسي، ماساشوستس تهيئ نظرة مفيدة أخرى إلى نشأة وتطور وجود إسلامي متواصل في أمريكا. بيد أن الذي يحدد موقعها بدرجة

كبيرة هو توافر فرص العمل وهي في هذه الحالة متاحة على صعيد صناعة بناء السفن الراسخة الجذور في منطقة نيو إنجلاند.

هذا الوجود بدأ يتجمع في مرحلة ما بعد عام ١٨٧٥ من خلال استقرار أول جيل من المسلمين الذين جاءوا أساساً من لبنان. وقد كان المركز الإسلامي الحالي في نيو إنجلاند حلماً طالما راود أفئدة سبع عائلات تقريباً (من السنة والشيعة على السواء) ممن استقروا في المنطقة مع بدايات القرن العشرين. وفي عام ١٩٣٤ تآزرت جماعات المسلمين من منطقة بوسطن الكبرى مع مسلمي كوينسي ليشكلوا جمعية الوسام العربي الأمريكي. وتم إعادة تنظيم الجمعية في عام ١٩٥٢ لتعمل بفعالية بوصفها منظمة إسلامية تتبعها مؤسسات خيرية بما يتيح للأعضاء أن يؤديوا ما عليهم من زكاة. وهكذا فالرجال والنساء في جماعة كوينسي وجدوا أنفسهم مشاركين في أنشطة الجماعة، بل وفي تولى مقاليد القيادة على صعيدها وكان من بينهم رجال أعمال ومعلمون ومهنيون فضلاً عن تجار وعمال من ذوى الياقات الزرقاء. وليس من عجب أنه في ظل هذه الدرجة من الاستقرار الوطيد فقد بدأوا في التفكير في إقامة مسجد لهم ثم دعموا هذه الفكرة بخطط واسعة النطاق لجمع التبرعات إلى أن أنجز المبنى عام ١٩٦٣ ليُعرف رسمياً باسم المركز الإسلامي في نيو إنجلاند^(٥). وفي الآونة الأخيرة، وبتوجيه من الإمام طلال عيد (انظر السير الشخصية) انتقلت الجماعة من كوينسي إلى أبنية أكبر في منطقة شارون، ماساشوستس.

الإسلام الشيعي في أمريكا

من منتصف القرن التاسع عشر حتى آخر ذلك القرن وما بعده ضُمَّت موجات المهاجرين المسلمين إلى الولايات المتحدة وكندا أفراداً من السنة ومن الشيعة على السواء، فضلاً عن أعضاء الجماعات الطائفية الأخرى. ومن المعروف أن الشيعة يمثلون نحو نسبة العُشر من عدد مسلمي العالم اليوم الذي يزيد على مليار مسلم. وهم يشكلون ما يكاد يكون جميع سكان إيران وأكثر من نصف سكان العراق فضلاً عن تواجدهم في تجمعات شتى بكل من أفريقيا والهند وباكستان.

ومن الصعب العثور على معلومات دقيقة بشأن أولى تحركات الشيعة إلى

هذا البلد (أمريكا) ومع ذلك فنحن نعرف بيقين أنه في أعقاب وصول الشيعة اللبنانيين في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، جاء آخرون من الهند للاستقرار في أمريكا وبعد ذلك انضم إليهم شيعة من العراق وإيران. ومع حلول الخمسينيات، بدأت تجمعات صغيرة من الأسر الشيعية تتواجد في عدد من المدن الكبرى في أمريكا. وفيما شهدت السنوات الأخيرة هذه الجماعات ممثلة بواسطة كفاءات مهنية وأعضاء من الطبقة المتوسطة والطبقة المتوسطة العليا، فقد كان الأمر في معظمه على خلاف ذلك النسق بالنسبة للمهاجرين الأوائل. فالشيعة دائما كانوا الأقل حظا سواء من الناحية الاقتصادية أو التعليمية فضلا عن أن أوائل المهاجرين من شيعة لبنان إلى أمريكا كانوا يجسّدون هذا الحظ المحدود.

ويقترّ اليوم بأن ما يقرب من خمس المسلمين الأمريكيين ينتمون إلى المذاهب الشيعية حيث جاء كثير منهم من إيران وبالذات من صفوف الطلاب خلال حكم الشاه ثم عادوا بعد الثورة في عام ١٩٧٩ ويلي ذلك أكبر جماعة من الشيعة جاءت من العراق ثم وفدت أعداد أخرى من مناطق مختلفة من العالم مثل لبنان والهند وباكستان. وهم يجنحون في المراكز الحضرية الكبرى إلى أن يتخذوا مراكز وأماكن للعبادة مختلفة برغم أنهم كثيرا ما يشاركون في المساجد السنية المنشأة بالفعل في المدن والبلدات الأصغر حجما.

وفي معظم الأحوال، وحينما تنهيا الظروف، يختار الشيعة الاثنا عشرية من لبنان ومعهم الشيعة القادمون من شبه القارة الهندية أن تظل تجمعاتهم منفصلة في أمريكا على أساس اختلافات اللغة والثقافة^(٦)، وهم ليسوا حريصين على الارتباط مع الإيرانيين، أولا لكي يتجنبوا التعرض بدورهم إلى المشاركة في التحيزات الأمريكية التي تتعلق بجماعات «الأصوليين» من الشيعة الإيرانيين، ثم إن قسوة الحوادث التي شهدتها أماكن مثل إيران ولبنان نجم عنها في واقع الأمر تأثير مضاعف على الشيعة في أمريكا: فمن ناحية زادت من مشاعر عدم الثقة في نفوس الأمريكيين الآخرين، فيما عملت من ناحية أخرى على تشجيع المزيد من الجهود التي بذلها الشيعة لتعزيز فهمهم لعقيدتهم بوصفها كيانا مميزا ضمن سياق الإسلام الأمريكي. وعليه فالشيعة في أمريكا، شأنهم شأن سائر المهاجرين المسلمين، يخوضون عملية تحديد الأسلوب الذي يوائمون به بين البيئة الجديدة التي يعيشون

فيها وبين ممارستهم لديانتهم الإسلامية وهي ممارسة ترتبط إلى حد كبير بتعبيرات ثقافية لها خصوصيتها. وفي غمار هذه العملية يظلون بحاجة إلى تحديد أعلى الأولويات التي يهتمون بها: هل يكون ارتباطهم بالإسلام ككل أو يكون الارتباط بالمذهب الشيعي بالذات أو بوشائجهم الطائفية الخاصة.

الشيعية الاثنا عشرية

في غيبة إمام حي ضمن صفوف الجماعة الشيعية، تنامت قيادة الشيعية الإيرانية الاثني عشرية إلى رجال يُعرفون باسم المجتهدين وهم يعدّون علماء ونوابًا عن الإمام الغائب. وهم منظمون في إطار سلطة مركزية مستقلة عن سيطرة الحكومة وتدعمهم عمليات دفع الخمس وهي نوع من الضريبة الدينية وتمثل نسبة ٢٠ في المائة مطلوبة من جميع أفراد الشيعية الاثني عشرية وغالبًا ما تُدفع بالإضافة إلى أدائهم للزكاة. وقد امتد هذا النظام إلى الولايات المتحدة حيث أُنشئت أموال الخمس بناء مراكز إسلامية ودفع مرتبات المدرسين والقادة الدينيين. ويفيد علماء الشيعية بأن ثمة منافسة واسعة النطاق على أموال الخمس بين صفوف الجماعات الشيعية المختلفة في أمريكا. وبرغم وفاة الإمام الإيراني الخوئي، فإن مؤسسة الخوئي في نيويورك ما زالت تجمع الأموال من عدد من الشيعية بالولايات المتحدة وعليه فإن الاثني عشرية الأمريكيين، الذين ما زالوا يتطلعون إلى إيران من أجل القيادة والتوجيه قادرون على الحفاظ على موقع مستقل أساسًا لأنهم يناضلون للحفاظ على هويتهم وإعادة تعريفها في أمريكا^(٧). وإذا ما عدنا إلى دير بورن، ميتشجن نجد نموذجًا مهمًا دالا على أوضاع الشيعية في أمريكا.

ففي منتصف القرن العشرين تعرضت الجماعة إلى خطر داهم يتمثل في إمكانية استيعابها ضمن التيار السنّي الذي كان مسيطرًا بالمنطقة. وكان الشيعية يفتقرون إلى قيادة مدربة فيما كان كثير من المسلمين عازفين عن الاعتراف بوجود اختلافات ملموسة بين فرعي العقيدة الإسلامية. ومع ما حدث في السنوات اللاحقة من وصول المشايخ الذين كانوا على استعداد لتعليم الجالية الشيعية بشأن تاريخها وممارساتها أصبحت الفروق المميّزة أكثر وضوحًا لدرجة أن الممارسات التي كانت أكثر تساهلًا فيما يتعلق باستخدام المسجد ومنها مثلًا إقامة الحفلات

والمراقص حل محلها عادات وأعراف أكثر صرامة واتسامًا بالطابع الكلاسيكي إذ اقتصر استخدام المسجد فقط على العبادة والوعظ الديني.

وجاءت الحرب الأهلية في لبنان بعدد كبير من اللاجئين الشيعة إلى دير بورن. كما أن اندلاع الثورة الإيرانية كان له تأثيره الملموس على حياة هؤلاء الشيعة الذين أصبح من واجبهم حماية أنفسهم إزاء تحيز الجمهور الأمريكي مما أفضى بدوره إلى المزيد من شعورهم بالتضامن وبالتميز من حيث الهوية بعيدا عن السنة من أهل المنطقة.

أما المساجد الشيعية في دير بورن، التي تعبر ولو بصورة عمومية عن السمات الاثنية المميزة فتختلف أساسًا في درجة التزامها بالشريعة الإسلامية. فالذين يأخذون بمزيد من الصرامة يطلبون من النساء الحشمة في لباسهن واتباع التعاليم الإسلامية بشأن الطعام بقدر من الدقة والعناية ولا يتحمسون بصفة عامة لأي أنصاف حلول مع المجتمع الأمريكي. وهناك الآخرون الذين يقولون بلسان قادتهم إن المبالغة في الصرامة تتطوى على خطورة إبعاد الأعضاء، ولا سيما الشباب، عن بيئتهم فضلاً عن أن الأحوال والأماكن الجديدة من شأنها أن تشجع بالفعل على التجديد في الفهم والتفسير. وتحكى ليندا ولبريدج قصة سيدة سألت أحد القادة المسلمين إذا ما كان مسموحاً للمرأة استخدام مساحيق التجميل ثم تقول «كان يعرف تمامًا أن من غير المجدي أن يطلب إلى المرأة الاستغناء عما لديها من مساحيق وقلم للحواجب وبدلاً من ذلك اختار أن يشجعها على أن تصلى وأن تتبع التعاليم التي تمنع التجميل بالمساحيق وقت الصلاة وبهذه الطريقة لم يشعرها بأنها مخالفة للدين وإن كان قد أسدى إليها نصيحة دينية صائبة»^(٨)، وشأنهم شأن كثير من الأمريكيين المسلمين، فقد تعيّن على الشيعة في دير بورن أن يتواءموا مع بيئتهم الجديدة. وفيما ظلوا يقيمون صلوات الجمع بالمساجد فإنها مقصورة في حضورها على الرجال وحدهم ولكن في أيام الأحاد يأتي عدد أكبر إلى المركز الإسلامي في أمريكا ومنهم النساء والأطفال حيث يستمعون إلى الخطب والمواظ التي ما كانت تلقى كما جرى العرف سوى في أيام الجمع فقط.

الشِيعَةُ الإِسْمَاعِيلِيَّةُ (السَّبْعِيَّةُ)

تُعرف الجماعتان الرئيسيتان من الشيعة السبعية بشكل عام على أنهما النزارية والمستعلية أو البهرة. والبهرة في الولايات المتحدة هم الفئة الأصغر في هاتين المجموعتين وتتركز في المناطق الحضرية الكبرى مثل شيكاغو ونيويورك وسان فرانسيسكو وديترويت. وفيما ينشغل البهرة في أمريكا بوحدة الإسلام فإنهم يولون أسبقية عليا لأهمية الحفاظ على جماعتهم ولا يرتبطون سواء من الناحية الدينية أو الاجتماعية إلا مع أعضاء تلك الجماعة فقط، فضلاً عن ندرة التزاوج فيما بين هاتين الجماعتين وغيرهما في نطاق الجالية الإسلامية أما الشيعة النزارية الإسماعيلية فهي الشريحة الأكبر والأسرع نمواً بين صفوف الإسلام الأمريكي. وفيما يتسمون بالصلابة إزاء الحفاظ على هويتهم المميّزة فهم أكثر إمكانية لكي يُستوعبوا مقارنة بالبهرة. والنزارية موحدون من حيث ولائهم لزعيمهم الديني الإمام الأمير كريم أغا خان الذي يعد من نسل النبي محمد وعلى (بن أبي طالب) مباشرة، ومن ثم فالإمام يقدم التوجيه الروحي ويسدى النصيحة فيما يتعلق بخير جماعته بشكل عام. وعندما جاء النزارية إلى أمريكا للمرة الأولى كانوا عدداً صغيراً وكان يتعين عليهم التجمع بصورة غير رسمية لأداء الصلوات، ومن ثم كانوا يمارسون حياتهم الدينية في بيوتهم أساساً. ومنذ زيادة أعداد هجرة النزارية بعد عام ١٩٧٢ اتسمت الحياة التعبدية بينهم بصورة أكثر تنظيمًا، ونشأت من ثم دور للعبادة ومراكز للصلاة في كثير من المدن حيث يتم حالياً الاحتفال بمواسم ومناسبات معينة ومنها مثلاً مولد النبي ويوم الإمامة الذي يكرم التاريخ الذي تولى فيه الإمام الحالي موقعه.

يختار أعضاء هذه الجماعة قائدهم الديني في المسجد المحلي فيما يصادق الإمام على هذا الاختيار ولا يتقاضى هذا القائد الديني أموالاً لقاء خدماته ولا يعمل بوصفه مرشداً روحياً للآخرين ولكنه يؤدي مهامه الشعائرية في دار الصلاة وفي المناسبات العامة. وكما هو الحال دائماً يظل من الصعب تحديد النسب المئوية الدقيقة ولكن هناك من يفيد بأن الإسماعيلية النزارية يضمون نحو ١٠ في المائة من الجماعة الشيعية في أمريكا. ومنذ منتصف القرن كان الأغا خان قد بذل جهوداً حثيثة للتوفيق بين أتباعه وبين جماعة المسلمين ككل ومن ثم دمجهم بين صفوفها.

والأغا خان الحالى شخصية عامة مشهورة وكثيراً ما يلقي خطباً فى جماهير الأكاديميين فى أمريكا على نحو ما فعل عندما ألقى الكلمة الافتتاحية فى حفل خريجي جامعة براون عام ١٩٩٦.

طائفة الدروز فى أمريكا

طائفة الدروز كما نعرفها اليوم هى فصيل آخر انبثق عن الشيعة الفاطمية فى القرن الحادى عشر ليكون هذه الطائفة. وقد نَزَج الدروز على أن يعيشوا أساساً فى المناطق الجبلية من لبنان وفى بعض أجزاء من سورية كما ظلوا يسترون عقائدهم عن الأطراف الخارجة عن الطائفة ودون أن يتم تمرير العقيدة والممارسة الدرزية إلا لأذريتهم كما أن حالات الزواج خارج هذا المذهب لا تلقى أى تشجيع من قريب أو بعيد. أما التساؤل حول ما إذا كان الدروز يعدون مسلمين أو حتى يعدون أنفسهم مسلمين فقد بقى موضعاً لكثير من الأخذ والرد. وفى كل حال فإن وجودهم، رغم صِغر حجمه، ظل يشكل جزءاً كبيراً من تيار الهجرة اللبنانية على مدار القرن التاسع عشر إلى أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية فضلاً عن أجزاء من أستراليا وغربى أفريقيا. وفى العقود العديدة الأولى من القرن العشرين فإن كثيراً من المهاجرين إلى أمريكا ممن تم تعريفهم على أنهم مسلمون كانوا من الدروز الذين استوطنوا فى مناطق مثل فرجينيا وكنتاكي وتينيسى فى الجنوب بل وصلوا إلى واشنطن فى الغرب.

وعلى غرار الآخرين القادمين من الشرق الأوسط أتى حين من الدهر على الدروز فى أمريكا اختاروا فيه عدم التأكيد على هويتهم بل حاولوا أن يصبحوا أمريكيين بصورة أعمق بل إن كثيراً منهم تحولوا رسمياً إلى الديانة المسيحية ليصبحوا أعضاء فى الطائفة المشيخية أو غيرها من المذاهب البروتستانتية. ومع ذلك فقد شهدت العقود الأحدث عهداً حركات بارزة على مستوى الجالية الدرزية بالولايات المتحدة حيث لم تقتصر فقط على تأكيد هويتهم بوصفهم دروزاً بل شملت أيضاً إعلان الانتساب من حيث الهوية إلى الإسلام. وفى معرض تأكيد أهمية ما يُعرف فى بعض الأحيان بأنه «عقيدة الموحدين» فهم لا يعترفون فقط بجنودهم الإسلامية ولكنهم يؤكدون كذلك ولاءهم المتواصل للإسلام السلفى.

وبعد قرن في أمريكا فإن طائفة الدروز، التي ما زالت صغيرة العدد، تنمو وتتاضل لكي تؤكد أصالة ثقافتهم وتراثهم بوصفهم دروزاً فضلاً عن دورهم بوصفهم أمريكيين من أصل عربي إضافة إلى التزامهم بالإسلام. وكما يقول عبد الله نجار الناطق باسم الطائفة الدرزية في أمريكا في اجتماع وطني للدروز: «إننا لا نتنكر لتاريخنا ولا لثقافتنا الوطنية بينما نعمل على المزج بين الجديد والقديم ليشكلا حقيقة متكاملة تتمتع بقوة دفع تضم العنصرين»^(٩). والحق أن هدفاً من هذا القبيل يمكن أن يكون مطمحاً لكثير من التجمعات الإسلامية المهاجرة في أمريكا.

المتحولون إلى الإسلام متحولون من أصل إنجليزي

رغم أن الأغلبية الكبيرة من المسلمين في أمريكا ينحدرون إما من أصل أفرو - أمريكي أو يشكلون جزءاً من السكان المهاجرين من السكان، فثمة عدد يزداد بصورة ملموسة من الأمريكيين الآخرين ممن يختارون الإسلام ديناً لهم وطريقة للحياة. وتتراوح تقديرات عدد المسلمين من المنحدرين من الأصل الإنجليزي أو الأنجلو - مسلمين في الولايات المتحدة بين ٢٠ ألفاً إلى ٥٠ ألفاً^(١٠) ولكن يظل من الصعب تحديد أي رقم يقترب من الأرقام الدقيقة في هذا المجال. وبعض هؤلاء هم من النساء المنتميات إلى الأصل الإنجليزي ممن تزوجن رجالاً مسلمين. وكما رأينا فإن الشريعة الإسلامية تسمح للمسلمين الذكور بالزواج من نساء من أهل الكتاب أي من المسيحيين أو اليهود. ورغم أنه ليس هناك ما يجبر هؤلاء النساء على التحول إلى الإسلام، لكن لأن الأبناء سوف ينشأون على ديانة والدهم، يختار عدد من هؤلاء النساء اعتناق الإسلام وقد يحدث ذلك إما لأن زوج المرأة يكون حريصاً على أن تقبل الديانة الإسلامية، أو لأنها اقتنعت بأن الإسلام هو الدين الحق بالنسبة لها، أو لأنها تريد تربية أبنائها في بيت يعتنق ديانة واحدة. وقد ينتهي أكثر من نصف حالات الزواج بين الذكور المهاجرين المسلمين والإناث الأمريكيات من غير المسلمات إلى اعتناق الزوجة الإسلام برغم أن من المهم ملاحظة أن الدراسات المسحية عن النساء المتحولات إلى الإسلام تشير إلى أن

(٩) عام ١٩٩٨ «المترجم».

اعتناقهم الديانة في كثير من الحالات جاء قبل زواجهن من رجل مسلم. كذلك يشب الأبناء على ديانة أبيهم إذا ما تزوجت مسلمة من مسيحي أو يهودي وبرغم أن مثل هذا الزواج لا تسمح به الشريعة إلا أنه يحدث بين حين وآخر مما يربط ضعوطاً شديدة على كاهل الزوج لكي يتحول إلى الإسلام.

كذلك فإن من الأنجلو - أمريكيين من يختار التحول إلى الإسلام لعدد متنوع من الأسباب فبعضهم يجد أن الجاذبية الفكرية لحضارة عظيمة سواء على مستوى إنجازاتها الفكرية أو العلمية أو الثقافية بمثابة علاج متجدد إزاء المناخ الذي يعيشه الغرب المعاصر، الذي يعادى الثقافة ويتسم بالابتعاد عن الدين. ومن أسباب انتشار الإسلام في أنحاء شتى من العالم على مدار القرون ما كان يتمثل في بساطته المباشرة من حيث إعلان اعتناق الديانة وقيامها على دعائهما الخمس التي يلتزم المسلم المؤمن باتباعها وبالنسبة لبعض الأمريكيين فإن هذا الجانب المباشر الصريح يشكل بديلاً جذاباً لما قد يجدونه من ارتباك إزاء المذاهب الدينية المسيحية، والتعاليم التي تؤكد التثليث على نحو ما تبشر به الكنيسة المسيحية. وبقدر ما أن الإسلام بشكل أو آخر اجتذب كثيراً من السود بوصفه ملاذاً من عنصرية البيض التي ما برحت تسود المجتمع الأمريكي فإن عدداً آخر من الأمريكيين وجدوا في دعوة الإسلام إلى المساواة بديلاً عملياً للمسيحية التي يُنظر إليها أحياناً على أنها ترتبط برباط وثيق بممارسات تصادر على المطلوب.

ومن نوى الأصل الإنجليزى من كانوا يفتقرون إلى علاقات شخصية حميمة أو وثيقة من حيث الصلات العائلية مما دفعهم إلى أن يضعوا آمالهم في ديانة من الواضح تماماً أنها موجهة نحو الترابط الاجتماعي وهو بهذا قد يهيئ لهم عزاء من الوحدة التي يعانونها. ومن أسف فإن النتيجة لم تكن على هذا النحو دائماً، باعتبار أن المسلمين يوجهون جماعتهم لا إلى عمومية الإسلام بل كثيراً ما يوجهون هذا المجتمع بالذات إلى الهويات الوطنية والعرقية التي ينتمون إليها.

وفي كل حال فإن الحماس الجارف الذي ينطلق منه المتحول مجدداً إلى أى ديانة أو أيديولوجية عادة ما يكون عميقاً. وهذا أمر لا تقل اندفاعته في حالة الأمريكيين الذين يقررون اعتناق الإسلام. وبصفة عامة فإن هؤلاء المتحولين إلى الإسلام يتسمون بالاتجاه المحافظ دينياً بشكل عام سواء في المعتقد أو في اللباس

ويرجع ذلك إلى أسباب تتصل بالاعتقاد الشخصى وربما بالرغبة فى إقناع أنفسهم وعائلاتهم بصواب القرار الذى اتخذوه مما يجعلهم دعاة يأخذون أنفسهم بالصرامة والحماس ويحضون على تفسير واضح مباشر بل وأحياناً يفتقر إلى المرونة لدينهم الجديد. ومن الكتابات المطروحة حالياً ما يناقش الوحدة التى يعانىها المتحولون إلى الإسلام من ذوى الأصل الإنجليزى بعد اعتناقهم الدين وخاصة ممن لم يتخذوا أزواجاً من المسلمين فهم لا يشاركون لا فى الثقافات المحددة التى يمثلها المهاجرون ولا فى الهوية الاثنية التى ينتمى إليها الأفرو - أمريكيين. وبعضهم يساوره القبرم إزاء ما يحسه بأن ثمة رسداً لا لزوم له يتابع تقدم خطاه على طريق العقيدة الإسلامية من جانب المهاجرين المحافظين. وفى هذا المجال يكتب واحد من هؤلاء المتحولين إلى الإسلام قائلاً «أحياناً يمكن أن تصبح المسألة باعثة إلى حد ما على الخوف. فعلى سبيل المثال إذا ما طرقت أبواب جماعة سلفية (محافظه) فخذ حذرك لأنهم سوف يختبرون معرفتك بالإسلام... فلا تكن عصبياً ولا يستبدن بك الخوف بل الزم الهدوء»^(١٠). وهكذا قام عدد من الأنجلو - المتحولين بتشكيل جماعات موازية لمساعدة بعضهم البعض فى مرحلة التحول إلى ديانة وهوية جديدة.

المتحولون من الأمريكيين ذوى الأصل الإسباني أو من الأمريكيين الأصليين

يولى قدر كبير من الاهتمام حالياً إلى أهمية أن يتحول عدد أكبر إلى الإسلام من بين صفوف جماعات أمريكا اللاتينية فى الولايات المتحدة. وما أسرع ما يشير المتحمسون لهذا الأمر إلى العلاقة الطبيعية للإسلام مع كثير من جوانب الثقافة الهسبانية^(*) وقد بدأت العلاقة مع وصول الإسلام إلى شبه جزيرة إيبيريا فى عام ٧١١ للميلاد. وعلى مدى سنوات الوجود الإسلامى فى إسبانيا حتى طرد المسلمين بعد عام ١٤٩٢ ظل الإسلام والثقافة الإسبانية فى حال من التواصل العميق سواء جاءت هذه الوشيجة التاريخية حقيقة لتؤثر على قرار بعض الأمريكيين من ذوى الأصل الإسباني فى اعتناق الإسلام، أو أنها أمر ما زال موضع جدل، وخاصة فى

(*) فى شبه جزيرة إيبيريا وقارة أمريكا اللاتينية ومنطقة البحر الكاريبى - أمريكا الوسطى «المترجم».

ضوء حقيقة أن كثيراً من الذين يتحولون يفضلون تجاهل تراثهم الهسباني بل يحجمون عن التكلم باللغة الإسبانية في محاولة من جانبهم لأن يصبحوا جزءاً من الـ «المشهد» الإسلامي الأمريكي.

بدأ الإسلام في الظهور لأول مرة في أحياء شمال شرقي أمريكا في بداية سبعينيات القرن العشرين. وبصورة رئيسية كان أفراد من الجيل الأول من أهل بورتوريكو من نيويورك قد تحول كثير منهم إلى الإسلام من خلال انتسابهم إلى مساجد الأفرو - أمريكيين. ومنذ ذلك الحين حاول المهاجرون المسلمون تنظيم حركات تبشيرية بين صفوف السكان اللاتينو حيث أفضى ذلك إلى دمجهم ضمن جماعات مساجد السنة. ومن جانبهم فإن هؤلاء الهسبانين وجدوا في الثقافة الإسلامية الكثير مما يتماثل مع ميراثهم الثقافي الأصلي وخاصة فيما يتعلق بأهمية هيكل الأسرة وبالذات الأدوار المحددة لكل من الرجال والنساء. ويلاحظ أن الطلاق الذي كان متزايداً بين صفوف مجتمعات الهسبان الأمريكيين أصبح منخفضاً بشكل ملحوظ على مستوى الأزواج من اللاتينو المسلمين.

هذا ويفتح المسلمون ببطء أعينهم على حقيقة أن الجالية الهسبانية في أمريكا هي مصدر مهيأ لتقديم المزيد من المتحولين الجدد. فكلما «أوليه» (الإسبانية) بكل ما تعنيه من معاني الترحيب والحمد والفرح تكتب موجّهة إلى الله سبحانه فتزِين صفحة الغلاف من نشرة «الرسالة» التي تخصص مقالات عن مسلمي اللاتينو. كما يولي اهتمام متزايد في الجرائد الإسلامية لحقيقة أن الأمريكيان الهسبانيك كانوا موضع تجاهل تام كجالية بحاجة إلى نشر الدعوة. وكثير من هذه الدوريات يطالب ببذل المزيد من الجهود من أجل إرساء قواعد للتعليم الإسلامي باللغة الإسبانية. وتم في هذا الصدد التأكيد تحديداً إلى ضرورة إعداد ترجمات دقيقة بالإسبانية للقرآن. كما أن القلة من المسلمين الهسبان الذين ينشطون في تدريس الديانة الإسلامية لأعضاء جالياتهم ينعون قلة ما هو متاح عن مواد التاريخ والتراث والمذاهب والممارسات في مضمار الديانة الإسلامية بالنسبة للذين ما زالت اللغة الإسبانية هي لغتهم الأولى. لأن بعض المؤلفات المطروحة في هذا الصدد كتبت أساساً بلغة آسيوية ثم جرت ترجمتها إلى الإنجليزية وأخيراً تحولوا بها إلى اللغة الإسبانية.

ومن الأمثلة على نمو الإسلام «اللاتيني» ما يتمثل في الجهد التبشيري الذي

تشهده مدينة نيويورك ويحمل عنوان «بييداد» (الدعوة الإسلامية للتعليم والإخلاص لله سبحانه) وقد بدأ هذا الجهد فرد متحول إلى الإسلام من بورتوريكو في عام ١٩٨٧ وكان يركز بالذات على ذوى الأصل اللاتينى المتزوجين من مسلمين (أو مسلمات) وكذلك على اللاتينيين من نزلاء السجون. وثمة منظمة لاتينية إسلامية أخرى متواجدة في منطقة الباريو وهي حي الإسبان في مدينة نيويورك وتسمى باسم المحالفة الإسلامية (اليانزا إسلاميكا) وقد بدأت منذ أوائل الثمانينيات كفرع من فروع حركة دار الإسلام وهي تمثل الرابطة الوثيقة بين المتحولين من أصل إسباني وبين الأفرو - أمريكيين المسلمين. وهذه المنظمة تعمل انطلاقاً من المحلات الصغيرة فتقدم خدمات اجتماعية للجالية المحيطة كجزء من برنامج الدعوة التي تقوم بها كما يقدم أعضاؤها دروساً خصوصية بعد اليوم الدراسي ويخططون لعطلات ترفيهية صيفية ويسدون مشورتهم في مجالات المخدرات والكحوليات والزواج كما يهيئون تعليمًا للحصول على شهادة معتمدة للأولاد الذين يتسربون من المدرسة. وقد نجحت هذه المنظمة في أن تعيد من ضلوا الطريق إلى صفوف جماعة المؤمنين فضلاً عن اجتذاب أعضاء جدد من بين صفوف الجالية الهسبانية.

وفي كاليفورنيا تسعى الرابطة اللاتينية لمسلمي الأمريكيين المنشأة حديثاً (ألما) إلى نشر الإسلام بين صفوف الناطقين بالإسبانية مع تثقيفهم بشأن مساهمة الإسلام في مجتمعهم وثقافتهم أملاً في إعادتهم إلى طريقة الحياة التي كان قد درج عليها أسلافهم. وقد بدأت منظمة (ألما) في التخطيط لنشر مجلة إسلامية باللغة الإسبانية لتكون الأولى من نوعها من أجل توزيعها في الولايات المتحدة وكندا وأمريكا اللاتينية.

وبرغم أن عدد الأمريكيين الأصليين (الهنود الحمر) ما زال محدوداً للغاية إلا أن قلة منهم ما لبثت أن ارتفع صوتها تعلن اقترانها بالديانة الإسلامية، وتذكر المسلمين الآخرين بالعلاقة الطويلة التي ربطت بين الهنود الأمريكيين والمسلمين على أرض قارة أمريكا الشمالية. ويدعى شعب السيمينول في فلوريدا أن بعض أفراد منهم ينحدرون من أصلاب العبيد الأفريقيين الذين حاولوا قبل حقبة التحرير الهرب والاندماج ضمن صفوف الهنود بل وتحويل بعض من أفراد هذا الشعب إلى

الإسلام. ويقال إن لغتي الجنتوان والبيما تحتويان على كلمات ذات جذور عربية. أما شعب الشيروكي فيدعون أن عددًا من المسلمين انضموا إلى صفوفهم ويقولون إن رئيس قبائل الشيروكي في عام ١٨٦٦ كان مسلمًا باسم رمضان بن واتي.

ويتصور بعض المسلمين حاليًا أن ثمة روابط لها مغزاها تربط بين الأمريكيين الأصليين وبين الآراء القرآنية عن العالم. ومن ذلك مثلاً التوقير العميق للطبيعة والانصياع لنواميس الكون كما خلقه الله والتسليم بأن الناس سواسية كأسنان المشط وينبغي معاملتهم على هذا النحو على اختلاف أعراقهم وألوانهم. كذلك فإن فهم الأمريكيين الأصليين لنوع من التعليم الإلهي الأصيل للبشر يتوازي مع فكرة القرآن بشأن دين الفطرة، ذلك الدين الذي يتفق مع الطبيعة ومع استجابة الدين في صميمه إلى البشر كافة. وهناك من يقارن بين وعي الأمريكيين الأصليين بوجود إلهي يشمل أركان العالم الأربعة وبين تأكيد القرآن على حقيقة: «فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ». كذلك فإن أعراف هؤلاء الأمريكيين الأصليين تولى اهتماما واسع النطاق إلى أهمية المواقع المقدسة والحج إليها، وهو ما يوازي الواجب الإسلامي بشأن الحج إلى مكة أو زيارة أضرحة الأولياء. كذلك فإن الانشغال الذي يساور الأمريكيين المسلمين حاليًا إزاء ما يرونه من توغل الحداثة واستشراء العلمانية في حياة الغرب تتردد أصدائه في كثير من أعراف الأمريكيين الأصليين. وفيما يناضل المسلمون وكذلك الأمريكيون الأصليون لتوضيح هويّاتهم والحفاظ عليها ضمن السياق الأمريكي فإن ذلك قد ينطوي على إمكانية تعزيز الصلات التي تربط بين الطرفين سواء من الناحية التاريخية أو الناحية الفلسفية.

الأمريكيون المتحولون إلى الصوفية

هناك سبب آخر يدفع عددًا من الأمريكيين إلى اعتبار أنفسهم مسلمين من حيث انتسابهم إلى الجماعات الصوفية في الولايات المتحدة. وكما تم إيضاحه في الفصل السابق فالصوفية هي جزء معقد من تاريخ الإسلام يعامل بقدر كبير أحيانًا من التوقير وأحيانًا من الرفض بوصفه انحرافًا عن طريق العقيدة القويم. وبقدر ما أن الجماعات المتصوفة في أمريكا تنتسب إلى إحدى الطرق الصوفية الراسخة والمُعترف بها، ينبغي اعتبارها جزءًا مما أصبح يمثل إسلامًا أمريكيًا صحيحًا.

ومرة أخرى فكثيراً ما تضطرب الرؤى وتختلط التعريفات بين من هو الصوفي الحقيقي ومن ليس كذلك. وبعض الجماعات في الولايات المتحدة التي تختار اعتماد اسم صوفي كجزء من حركة تحمل اسم «العصر الجديد» لا تكاد تفعل شيئاً سوى الربط بين حركات الجسد وبين ممارسات تأملية متميزة الأسلوب دون أن تمتلك فهماً إسلامياً عقائدياً للتصوف.

وتعد أشكال الرقص الصوفي أمراً جذاباً بالذات لبعض الأمريكيين، فهذه الرقصات حين تؤدي يقف مرشدها في الوسط يرافقه عازف موسيقى بينما يتجمع المشاركون في دائرة أو دوائر ويتحركون على الإيقاع وبعض الحركات تصاحبها أناشيد جماعية وكثيراً ما كانت هذه الأناشيد والرقصات محل تشكك من جانب المسلمين السلفيين. ولكن في بعض الحالات ومن ذلك مثلاً «الدرأويش الدوارة» أصبح الأمر معترفاً به بل وموضع تكريم بوصفه جزءاً من الأعراف المتبعة.

أما المسلمون المرتبطون بالطرق الصوفية الراسخة والمعترف بها دولياً فليس لديهم الصبر الطويل على «حماسة» الأمريكيين المشوقين إلى اتباع بدع جديدة تحمل صفة الروحانية، وما أسرع ما يوضحون أن الجماعات الصوفية شبه الإسلامية ليس أمامها دور مشروع تؤديه في الإسلام الأمريكي. كذلك فإن كثيراً من المهاجرين المسلمين ذوي التوجهات التقليدية المتعارف عليها يجدون من الصعب الاعتراف بشرعية أي جماعات صوفية أمريكية وهم بهذا يعكسون التوترات التي ظلت تفصل بين الصوفية وبين المسار الرئيسي للإسلام على مدار قرون. كما أن المنظمات الإسلامية التي تدعمها العربية السعودية بالأموال ترفض السماح بأن تشارك فيها الجماعات الصوفية. وفيما لا يزال عدد الذين «تحوّلوا» بالفعل إلى الإسلام عن طريق التصوف عدداً قليلاً نسبياً، إلا أنه يبدو أن ثمة اهتماماً متنامياً بالتصوف بوصفه سبيلاً روحياً / سيكولوجياً فضلاً عن أنه بالنسبة للجماعات الأمريكية محور لشعور الرقّة والتواصل الاجتماعي. وبصفة عامة يجد الأمريكيون في الحركات الصوفية مؤثلاً مفتوحاً وميسوراً ويتمتع بالتسامح ومساندة الفرد في تلبية احتياجاته والاستجابة إلى شواغله.

ويجدر القول بأن اثنين من أكثر الشخصيات الصوفية شهرة في الغرب في القرن العشرين وهما حضرة عنايت خان وإدريس شاه ينظر كلاهما إلى التصوف

كظاهرة متميزة عن الهيكل الرسمي الدينى للإسلام. فكتابات هذين الأستانيين من خلال تأكيدها على الحياة الداخلية بدلاً من الأشكال الخارجية للدين كانت كتابات غزيرة ومؤثرة وخاصة على «المريدين» الأمريكيين الشباب.

حضرة عنايت خان الذى كان قد بدأ عضواً فى فرع نظامى من الطريقة الشستية فى الهند درس على يد أساتذة من المسلمين والهندوس على السواء ومن ثم فإن فلسفته جمعت بين فلسفة أدفيتا فيدانتا الهندوسية وفلسفة «وحدة الوجود» التى قالت بها مدرسة ابن عربى الصوفى الأندلسى. وإذ كلفه أساتذته بأن يشيع الونام فى الشرق والغرب فقد كرس حياته للتبشير بالصوفية فى أمريكا وكان واحداً من أوائل الذين علموا المذاهب الصوفية فى الغرب حيث ألقى المحاضرات وقام برحلات عبر أمريكا من عام ١٩١٠ إلى عام ١٩٢٧ وجمع من حوله عدداً من التلاميذ ثم أسس الطريقة الصوفية فى الغرب ويرد كثير من تعاليمه فى سلسلة من عدة مجلدات تحت عنوان «الرسالة الصوفية لحضرة عنايت خان»^(١٢)، وعند وفاة عنايت خان فى عام ١٩٢٧ ورث ابنه ولايت خان الذى كان بعد صبيبا قيادة الطريقة ولكن اندلعت توترات شديدة بين صفوف الجماعة وكان أن تحول بعض أفرادها إلى الزعيم الصوفى الشهير مهر بابا طلباً للإرشاد. وكان بابا من هؤلاء الذين لا تتفق ادعاءاتهم الشخصية مع المسلمين السلفيين فقد ولد فى الهند عام ١٨٩٤ وكان يؤمن أنه قد وصل إلى مرتبة الربوبية وبعد عام ١٩٢٥ انقطع عن الكلام تماماً وظل يتواصل مع أتباعه عن طريق إشارات اليد أو بالكتابة ومن ثم فإن عدداً من كتبه الكثيرة تم «إملاؤها» بهذه الطريقة.

وفى عقد الستينيات، وهو عقد ازدادت فيه جانبيه الصوفية فى أمريكا، ظهر بير ولايت خان ذو التعليم الأوروبى ليكون زعيماً مؤثراً للطريقة الصوفية فى الغرب ومن ثم فقد نمت حركته بسرعة، ولكن بما أن بير كان تعليمه كلاسيكياً فقد شعر بقدر من التباعد إزاء بعض من أتباعه الجدد من صفوف الهيبيز وكم كان استيائوه بالذات عندما أراد تلاميذه تعاطى المخدرات من أجل الوصول إلى حالة روحانية.

وفى كل حال فإن المذهب الصوفى فى الغرب مازال تحت توجيه ولايت خان برغم أنه توسع ليشمل مجموعة متنوعة من التعاليم والأحوال التجريبية. وما

برح المذهب يؤكد على اليقظة الروحية وإن كان يمارس نشاطاً كذلك فى مجال الخدمات الاجتماعية والتعليم والصحة. وهو ينشط فى عدد من المدن الكبرى ويتبنى تنظيم خلوات وندوات وحلقات للعلاج النفسى والروحانى إضافة إلى معسكرات عمل وحفلات موسيقية وتنتظر معظم جماعات المسلمين فى أمريكا إلى أنشطة المذهب الصوفى فى الغرب بقدر من الريبة والرفض بل تخلع عنه صفة الحركة الإسلامية الحقيقية.

أما إدريس شاه فهو كاتب شعبى ومعلم يؤكد على الجوانب السيكولوجية من الصوفية وقد تمتع بنفوذ واسع النطاق فى أمريكا منذ عقد الستينيات الماضى وهو ينحدر من أصل هندى أفغانى وقد أمضى معظم حياته فى الغرب بإنجلترا برغم أن مؤلفاته ظلت على أرفف المكتبات الأمريكية منذ البداية. وقد حاز إدريس شاه شعبية بالذات بفضل قصصه الفلكلورية التى تحكى عن حكمة الصوفية من خلال الحكاية والقصة. ويشكل أتباعه جمعية الدراسات الصوفية وكانوا ينتقدون بخاصة أولئك الذين يريدون إدامة الأشكال والممارسات القديمة للصوفية التى لم تعد ذات صلة بالعالم الغربى الحديث. على أن مؤلفات إدريس شاه، ومنها مثلاً كتابه المبكر الذى لا يزال رائجاً بعنوان «الصوفيون» تقتقر إلى حد كبير إلى استخدام المصطلحات التى كان ينبغى لها أن تحدد بدقة تفسيره للتصوف فى إطار الإسلام المتعارف عليه ولكن كتاباته لها جاذبية خاصة للغربيين الذين يميلون أكثر إلى التوجه الثقافى.

ومنذ عقد السبعينيات، كانت الجماعات الصوفية التى سبق تشكيلها وتكييفها لى تتواءم مع الثقافة الأمريكية ومع مقتضيات الحياة فى أمريكا قد التحق بها أفراد آخرون ليصبحوا أعضاء بها وكانوا مهاجرين على دراية كبيرة بالتطور الصوفى وبممارسات الطرق الصوفية المعينة التى كانوا من مريديها فى أوطانهم الأصلية. وهؤلاء الأفراد يجنحون إلى الالتزام بالتقاليد المرعية على نحو يفوق ممارسى الصوفية الأوائل فى أمريكا فضلاً عن اهتمامهم بمزيد من الالتزام بتأكيد استمرارية العلاقة بين الصوفية والإسلام. ولذلك فإن الأمريكين أصبحوا يتجهون أكثر وأكثر إلى هؤلاء المعلمين يجذبهم فى ذلك ما يتبدى أمامهم من أشكال الزهد والورع الإسلامى الذى تمثله تلك الطرق الصوفية.

وهناك جماعة تمثل مزيجًا بين تأثيرات جماعة «العصر الجديد» وبين الطرق الإسلامية الأكثر رسوخًا والتزامًا بالتقاليد وهي جماعة رفاق باوا محيي الدين التي تتخذ مقرها في فيلادلفيا. وأعضاؤها إما مهاجرون أو أمريكيون متحولون جاءوا من تشكيلة واسعة من الخلفيات الاثنية والدينية. وتشكل تجربة أتباع باوا نموذجًا جيدًا على المزج بين الشرق والغرب أو بين تجارب المهاجرين والسكان الأصليين وكذلك بين الصوفية التقليدية والأشكال المستجدة والمتطورة منها. جاء باوا الذي كان قد ولد في سري لانكا وانضم إلى عضوية طائفة القادرية إلى أمريكا بناءً على دعوة فتاة شابة من فيلادلفيا كانت ترأسه على مدار أعوام وسرعان ما اجتذب عددًا من المريدين المخلصين فقرر أن يبقى لكي يؤدي رسالته في أمريكا. وكثير من الذين وجدوا في رسالته تلك قطبًا جاذبًا كانوا من شباب الأمريكيين الذين كانت حياتهم مضطربة وظلوا يفتقرون إلى قاعدة روحية يستندون إليها. ولم يكن إلا بالتدريج عندما أدركوا أن تعاليمه تنطلق من الإسلام وأنه كان ينحدر من أرومة صوفية أصيلة وجيلية. ويقال إنه كان تجسيدًا لمبادئ المحبة والبر سواء في سلوكه الشخصي أو في حياته العامة لدرجة أن مجرد التواجد في حضرته كان تجربة روحية سامية وكان يعد نفسه، بقدر ما كان أتباعه يعدونه شيخهم أو قائدهم الروحي.

على أن باوا كان حريصًا على أن يتابع أحدث التطورات التكنولوجية ومن ثم جاء استخدامه للتلفزيون ولمعدات الفيديو في إطار نشر رسالته ليضيف عمقًا إلى المعنى الذي يفيد بأن طريقة الباوا محيي الدين كانت، برغم المنابذ التي انحدرت منها، طريقة أمريكية أصيلة تعمل باستمرار على التكيف مع التطورات المستجدة. ولهذا فإن وفاة باوا في عام ١٩٨٦ لم تكن لتعني حل الجماعة بل أصبح لها في واقع الأمر فروع في مدن عديدة أخرى ومنها بوسطون على سبيل المثال. ومع ذلك فقد أثير بين صفوفها بحق السؤال عما يعنيه كونها جماعة صوفية أمريكية وبأى وسيلة يتسنى ظهور شيخ آخر لكي يدير دفة الجماعة، وهل يأتي مثل هذا الشخص من وراء البحار أو يكون أمريكي المولد متحولاً إلى الإسلام؟ وبحكم متطلبات المجاهدة التي يتدرب عليها أي قائد صوفي في إطار طريقة تقليدية مثل القادرية فإن السؤال الذي يتعلق بما يشكله الإسلام الأمريكي قد يكون أصعب

بالنسبة للصوفية عنه بالنسبة لسائر المسلمين هناك. وفي كل حال فإن طريقة باوا محيي الدين طريقة فريدة في حد ذاتها من حيث كونها جماعة صوفية تواجه أسئلة من هذا القبيل^(١٢).

هناك كذلك بعض الجماعات الصوفية التي تجمع بين الجوانب العقيدية الشاملة المتكاملة وبين الموسيقى والرقص والشعر وغير ذلك من أشكال الجماليات ثم تقرن هذا كله مع تأملات الأذكار الصوفية المتعارف عليها. وقد أصبحت كثير من تلك الجماعات عاملة في مجال الدعوة أو في النشاط التبشيري بالإسلام في أمريكا. ويعمل أعضاء الجيل الجديد من المسلمين المولودين في أمريكا لأباء مهاجرين على ضم متحولين من البيض إلى الحركات الصوفية وبالنسبة للكثير من الرجال والنساء يبدو التصوف وكأنه يثبت قدرات من الحياة والنشاط في أوصال الدين وبطريقة لم تكن معهودة من قبل. وفي الوقت نفسه فإن علاقة الفرد سواء بالشيخ أو بالله سبحانه تضيف معنى جديداً على كلمة الإسلام في حد ذاتها من حيث أنها تفيد معنى الرضوخ والتسليم. كما يبدو التصوف وكأنه يهيء سبيلاً للتكامل والتوافق بين مختلف التعريفات العرقية والاثنية والثقافية التي تتصف بها كثير من جماعات مسلمي أمريكا التي كثيراً ما تواصل عزل نفسها على أساس اختلاف الهويات وذلك برغم المساواة التي تمثل القطب الجاذب في عقيدة الإسلام. وفي السنوات الأخيرة عاد الأمريكيون الذين كانوا قد درسوا على شيوخ الصوفية في الخارج وكتبوا عدة مؤلفات لكي يستصفوا رسالة الصوفية فتصبح مصطلحاً غربياً له سماته المميزة.

من ناحية أخرى فالتصوف مازالت له جانبية بالذات لبعض النساء الأمريكيات اللاتي يجدن فيه بديلاً سائغاً عن المسيحية أو اليهودية أو عن بيئة اللاأدرية التي يكن قد نشأن في إطارها. وثمة جانبية خاصة تتمتع بها الجماعات التي تتسامح من حيث القيود المفروضة ومن ذلك مثلاً في اختلاط النساء بالرجال خلال وقت العبادة. وأحياناً قد يجلس المتعبدون في دائرة يشكل الرجال نصفها وتشكل النساء النصف الآخر. على أن الجماعات الصوفية التي لا يعنيتها أمر الفصل بين الجنسين عادة لا تكاد تهتم في العادة بأي رابطة بينها وبين تقاليد الإسلام. وكما يحدث على صعيد الجماعة المسلمة ككل تثور مناقشات واسعة بشأن

مدى ملائمة اضطلاع المرأة بأدوار قيادية فى المنظمات الصوفية فضلاً عن زيادة نماذج تلك القيادة. وها هى النقشبندية وهى طريقة «عقلانية» تأسست فى شبه القارة الهندية فى القرن الرابع عشر على يد بهاء الدين النقشبندى تتمتع بشعبية خاصة فى الولايات المتحدة وكندا وقد رسمت سياقاً تمتعت فيه أعداد كبيرة من النساء بشعور الارتياح إزاء المشاركة فى تلك الطريقة.

من جانب آخر توجد جماعات صوفية شيعية عديدة فى أمريكا أشهرها طريقة نعمة الله الصوفية التى أسسها وقادها الدكتور جواد نوربخش الرئيس السابق لقسم التحليل النفسى بجامعة طهران فى إيران. وقد تأسست الطريقة فى أمريكا لدى وصوله إليها فى عقد السبعينيات، واتخذت مقرها أولاً فى كاليفورنيا ولها مراكز فى عدد من المدن الأمريكية ومنها سان فرانسيسكو ونيويورك وواشنطن العاصمة وبوسطن. أما نوربخش الذى يعيش الآن فى إنجلترا فيؤكد على نهج للتصوف يعنى بالعمل والرؤية بدلاً من مجرد الفكر والكلام وهو سبيل يفضى إلى معرفة الحق من خلال الحب والإخلاص. وتشمل كتابات هذا القائد النشط مؤلفات عن الشعر الصوفى وعن علم النفس والروحانيات وعن عيسى المسيح عند الصوفية وعن النساء المتصوفات. وربما يكون أفضل مؤلفاته المعروف بها هو كتاب «فى جنة الصوفية»^(١٤). ومن المذاهب الصوفية الشيعية الإيرانية الأخرى ما نما عبر أنحاء أمريكا على مدار عدة عقود سابقة. وبشكل عام فإن هذه المذاهب تؤكد على الرابطة التى تصل بين الصوفية وبين حركات الزهد الإسلامية حيث تعلو هذه الرابطة على المعتقدات والممارسات التى كان يمكن أن تميز هذه الجماعات وت عزلها بوصفها جماعات شيعية لها سماتها الخاصة.

ومن الجماعات العديدة التى تتصل بالصوفية بصورة أو بأخرى، أو على الأقل تستلهم عقيدة الإسلام، حركة سوبود الإندونيسية الروحية التى بدأت نحو نصف القرن العشرين وأصبح لها الآن فروع فى عدد من الأقطار وما برحت تشكل جزءاً من المشهد الأمريكى منذ عقد السبعينيات أى الوقت الذى كانت فيه حركات جديدة كثيرة تنشئ لها جذوراً فى أمريكا. ويقال إنها ضمت فى وقت من الأوقات أكثر من ٧٠ مركزاً فى أمريكا الشمالية وما زالت سوبود تجتذب أعداداً محدودة من المنضمين إليها من الأمريكان الذين لا يرون أنفسهم بالتأكيد بوصفهم

متحولين إلى الإسلام ولكن تجذبهم المشاركة في مشاريع خيرية اجتماعية تتم على نطاق دولي.

وثمة تجربة أمريكية لافتة للنظر من تجارب التعايش الطائفي التي تشكلت في قالب صوفي أساساً وهي تجربة إنشاء جماعة «دار الإسلام» التي تتخذ مقرها في أبيكو بولاية نيو مكسيكو. و«دار الإسلام» هذه تتميز عن نظيرتها التي أنشأها الآفرو - أمريكيون وقد وصفناها فيما سبق. فالأولى هي أول قرية إسلامية في أمريكا وكانت قد بدأت عام ١٩٨٠ بدعم من المسلمين السعوديين كمحاولة لطرح نموذج التقوى والورع الذي تميزت به صفوة المسلمين الأوائل الذين عايشوا النبي محمداً. وتتخذ مقرها على مساحة أكثر من ٨ آلاف فدان من الأرض شمال غربي مدينة البوكيرك. كما أنشأت تلك الجماعة مسجداً ومدرسة من الطوب الأخضر من تصميم المعماري المصري الشهير الراحل حسن فتحي. وقد تمثل الهدف في هذا السياق في الجمع بين المسلمين الذين ينتمون إلى جميع الخلفيات من أنحاء أمريكا كافة بل وأيضاً من أوروبا والشرق الأوسط، وعليه فهذه الجماعة تؤكد طابع التكافل العرقي والاثني للإسلام على نحو ما ذكره الله سبحانه في القرآن حين قال: «وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا» (سورة الحجرات، الآية ١٣). وأعضاء هذه الجماعة الذين يرتدون ملابس من طرز مختلفة تتفق مع وجودهم في الغرب الجنوبي ويصدرون عن فهم متواضع للمقتضيات الإسلامية حيث يسعون قدر الإمكان إلى أن يعيشوا حياة من التقوى المطمئنة مجسدين بذلك فضائل الحياة الإسلامية. ولا بد من الاعتراف في الوقت الحاضر بأن تجربة أبيكيو ما زالت أبعد ما تكون عن تحقيق هدفها في أن تصبح جماعة تعيش حياة إسلامية منظمة، فلم يزد عدد أعضائها عن خمس وعشرين أسرة، ومن ثم فقد تناقص أعضاؤها سواء من العناصر المقيمة والمنخرطة في سلوكها تضاعلت مما أدّى إلى بيع مساحات واسعة من أرضها الأصلية. بيد أن «دار السلام» ما زالت تؤدي خدمة لها أهميتها بالنسبة للإسلام الأمريكي من خلال معهد الدراسات الإسلامية السلفية التابع لها.

الطريقة الأحمدية في أمريكا الشمالية

رغم أننا نصنف الأفراد المسلمين والروابط الإسلامية في أمريكا إلى مهاجرين وآفرو - أمريكيين ومتحولين، وهو تصنيف مفيد بشكل عام، إلا أن

بعض هذه الجماعات لا تتدرج بشكل وثيق ضمن تلك الفئات حيث الاستثناء هم المهاجرون الذين يتحولون إلى الصوفية الكلاسيكية في الولايات المتحدة. وهناك استثناء آخر يتمثل في الجماعة الأحمديّة وهي في الأصل حركة تبشيرية باكستانية كان لها وجودها في أمريكا الشمالية على مدار عقود كثيرة وقد عمل أعضاؤها منذ مطلع القرن العشرين على تحويل الأمريكيين إلى الدين الإسلامي حيث كان كثيرًا من هؤلاء المتحولين، ولكن ليس كلهم بالتأكيد، من الأفرو أمريكيين. وهذه الجماعة تُعد من أكثر الجماعات نشاطًا ضمن الفصيل الإسلامي (إذا ما اعتبرت كذلك لأن هويتها موضع جدل شديد من جانب كثير من المسلمين) ولا سيما في مجال الدعوة بمعنى التبشير أو تجنيد أعضاء جدد لكي ينضموا إلى فهمها لعقيدة الإسلام. حسب مفهومها. وقد عمل الأحمديون بالذات على ترجمة القرآن وتقديم نسخ من المصحف إلى الجاليات المسلمة حول العالم كما تدعى جماعتهم أن أتباعها قد زادوا على عشرة ملايين في أكثر من مائة بلد ومن ثم استطاعوا تجنيد آلاف عدة في أمريكا الشمالية.

وُلِدَ مؤسس الحركة الأحمديّة، حضرة ميرزا غلام أحمد في عام ١٨٣٥ في قاديان في بنجاب بالهند وهو كاتب غزير الإنتاج بصورة هائلة ويدّعى أنه تلقى الوحي الرباني أو الإشارات التي تضيء المشروع على دوره بوصفه زعيمًا إسلاميًا. وبعد ذلك أعلن في عام ١٨٨٩ أنه المهدي المنتظر الذي طالما توقعه المسلمون. وما كان من منتقديه إلا أن اتهموه بأنه ينتحل في واقع الأمر مكانة نبي وذلك اتهام ينكره أتباعه صراحة. وعند بداية القرن العشرين بدأت الحركة تنتقل إلى ما يجاوز الهند. ومن بين فرعيها، استطاع الفرع الذي حمل اسم الجماعة القاديانية أن يمارس نفوذه على الساحة الأمريكية. وقد أدان المسلمون السنة حركة الأحمديّة على أنها طريقة ضالة بعيدة عن تعاليم الإسلام الحقّة سواء بحكم ادعاءات مؤسسها بشأن مكانته أو لأن الأحمديّة يؤمنون بأن عيسى المسيح لم يرفع إلى السماء وقت الصلب ولكنه واصل العمل على الأرض وانتهى به الأمر في كشمير بالهند. وعندما تساق الإحصاءات بشأن عدد المسلمين في أمريكا يصر سائر المسلمين على عدم إدراج جماعة الأحمديّة وإن كان أعضاء الجماعة يتحمسون كثيرًا لكي يؤكدوا أن الحركة لم تفارق صفوف الإسلام على الإطلاق

وهم يرون الأحمديّة على أنّها هيئة تجمع بين الفعاليّة والكفاءة من أجل تجنيد مسلمين جدد في أمريكا بل وعلى مستوى العالم كله.

كان المبعوث الأحمدي الأول إلى الولايات المتحدة هو مفتي محمد صادق الذي بدأ إنشاء جمعية في عام ١٩٢٠ للحفاظ على الإسلام الأمريكي، ثم شرع في عام ١٩٢١ في نشر الدورية التي حملت عنوان «شروق المسلم» (تغير عنوانها في عام ١٩٥٩ ليصبح الشروق الإسلامي) وأصبحت شيكاغو هي المقر الرسمي لحركة الأحمديّة الأمريكيّة، كما كانت موقعًا لأول مسجد لهم وقد لعب مبشرو الأحمديّة دورًا مهمًا في العقود الأولى من القرن العشرين في إطار مهاجمة ما كانوا يرونه ظاهرة العنصرية الصارخة في المجتمع الأمريكي. وبحلول عام ١٩٤٠ قيل إنه كان ثمة عدد يتراوح بين خمسة وعشرة آلاف متحول إلى الإسلام في الولايات المتحدة. وفي عام ١٩٥٠ انتقل مقر الأحمديّة إلى مسجد فضل الأمريكي في شمال غربي واشنطن العاصمة، وما زال يستخدم بوصفه مركزًا لمهمة التعلم والدعاية للجماعة. وتوزّع نسخ من منشورات الجماعة على أعضاء الكونجرس وموظفي الحكومة ومسؤوليها وعلى الدبلوماسيين الأجانب والصحافة ومن إلى ذلك. ويمكن أن توجد مراكز الأحمديّة حاليًا في أكثر من ٥٠ مدينة بالولايات المتحدة وكندا.

وفي أعمالهم التبشيرية بالغرب كان الأحمديّة يتفهمون بالذات ضرورة استمرار وجود ديانة إسلامية متماسكة في وجه العلمانية والمادية الغربية. ونساء الأحمديّة يرتدون بصورة عامة ثيابًا أكثر حشمة من النساء المسلمات الأخريات أو من نساء الحركات شبه الإسلامية وقد اضطلعت في الماضي والحاضر بأدوار لها أهميتها في إطار المهمة التي تضطلع بها الأحمديّة الأمريكيّة. وشأن المسلمين الآخرين يساور القلق جماعة الأحمديّة بشأن ملائمة التعليم لأبنائهم ولا سيما البنات وكثيرًا ما يختارون تأسيس مدارسهم الخاصة ويتحمل أعضاء الجماعة العبء الخاص الذي يتمثل في تأكيد هويتهم الإسلامية سواء في إطار ثقافة لا تستوعب هذه الهوية أو بوصفهم جزءًا من الإسلام السني الذي لا يقبلهم بين صفوفه بالتأكيد.

ومن الواضح أن صورة الإسلام الأمريكي تزداد تعقيدًا. كما أن الأوضاع المرتبطة بالإسلام المهاجر أو الإسلام الأفرو - أمريكي في هذا البلد ظلت لوقت

طويل متباعدة ومنفصلة فضلاً عن أن العلاقات بين السود والمهاجرين نادرة للغاية بشكل عام. ومع ذلك فإن هذه الأوضاع أصبحت الآن مطروحة ومشتركة بين سائر الأطراف. يضاف إلى هذا المزيج الخلّاب قصص التحوّل إلى الإسلام بين صفوف البيض وذوى الأصل الإسباني وشعوب الأمريكيين الأصليين. وهذه الفئات ما زالت صغيرة ولكن لها أهميتها سواء بحكم وجودها الفعلى أو بفضل قوة الدفع التى تكلفها للدعوة أو لحركة التبشير بين صفوف الجماعة الإسلامية. وهى تتسم كذلك بأهمية كبيرة بالنسبة للذين يريدون الحصول على رصيد سياسى من واقع حقيقة أن الإسلام الأمريكى متعدد الأعراق ومتعدد الأصول وأخذ فى التنامى. علينا إذن أن نتطرق إلى قصة الأفرو- أمريكيين وإلى السُّبُل الكثيرة التى استطاعوا أن يضطلعوا فى إطارها وما زالوا يضطلعون بدور محورى فى تطوير الإسلام الأمريكى.

الحواشي

- ١- انظر ألان د. أوستن، الأفارقة المسلمون في أمريكا ما قبل الحرب الأهلية: كتاب مرجعي (نيويورك: دار نشر جارلاند، ١٩٨٤).
- ٢- مارك فيريس، «ابتغاء مرضاة الله: المسلمون المهاجرون إلى مدينة نيويورك» في حداد وسميث، المجتمعات المسلمة في أمريكا الشمالية.
- ٣- أسد حسين وهارولد فوجلر «أنشطة مجتمعات المسلمين المهاجرين في شيكاغو» في حداد وسميث، المجتمعات الإسلامية في أمريكا الشمالية.
- ٤- م. ك. هيرمنسن «مسلمو سان دييجو»، في حداد وسميث، المجتمعات الإسلامية في أمريكا الشمالية.
- ٥- ماري الحاج «بناء مجتمع إسلامي في أمريكا» دراسة ماجستير مقدمة إلى مجمع هارتفورد، هارتفورد، كونكتيكت، مايو ١٩٩٢.
- ٦- ألان ريتشاردسون، الثقافات الإسلامية في أمريكا الشمالية: نمط معتقدات وعبادات المسلمين من الأقطار الآسيوية في الولايات المتحدة وكندا (نيويورك: مطبعة بلكريم، ١٩٨١).
- ٧- عبد العزيز ساشيدينا: أقلية ضمن أقلية: «حالة الشيعة في أمريكا الشمالية»، في حداد وسميث، المجتمعات المسلمة في أمريكا الشمالية.
- ٨- ليندا ولبردج، «المساجد الشيعية والمتعبدون فيها في دير بورن» في حداد وسميث، المجتمعات المسلمة في أمريكا الشمالية.
- ٩- حداد وسميث، مهمة في أمريكا.
- ١٠- الرسالة (ذي مسدج) فبراير ١٩٩٧.
- ١١- غلاف مجلة الرسالة (ذي مسدج)، أغسطس ١٩٩٧.
- ١٢- حضرة عنايت خان رسالة الصوفية لحضرة عنايت خان، المجلدات ١-١٣ (جنيف: المقر الدولي للحركة الصوفية، ١٩٦٦).

١٣- جيزيلا ويب «التقليد والتجديد في روحية الإسلام الأمريكي المعاصر: جماعة باوا محي الدين»، في حداد وسميث، المجتمعات المسلمة في أمريكا الشمالية.

١٤- جواد نور بخش، في جنة الصوفية (نيويورك: منشورات خانيقاهي نعمة الله، ١٩٧٩).

الفصل الرابع

الإسلام في المجتمع الأفرو-أمريكي

يزداد الوعي حاليًا بين صفوف دارسي الدين بين صفوف الملونين في أمريكا بأن الهجرة الطوعية كانت من السبل التي وصل بها المسلمون إلى سواحل «الأرض الموعودة» بيد أن آخرين جاءوا رغم إرادتهم ليجدوا أن أمريكا لم تكن أرض ميعاد بل كانت أرض استرقاق. وهؤلاء كانوا المسلمين الذين جلبوهم ضمن تجارة العبيد في أمريكا الكولونيالية وما بعد الكولونيالية. ومن الحقائق الراسخة الآن أن عددًا كبيرًا من الأفارقة السود الذين جيء بهم إلى أمريكا الشمالية خلال فترة ما قبل الحرب الأهلية التي سادت فيها تجارة العبيد كانوا مسلمين. ويستحيل تحديد العدد حاليًا ولكن يمكن أن يكونوا قد بلغوا عدة آلاف ويقول البعض إن النسبة بين العبيد الأفارقة المسلمين كانت تصل إلى ٢٠ في المائة وإن كان هذا التقدير يبدو مرتفعًا. وفي كل حال فهؤلاء الرجال والنساء الذين وقعوا في براثن العبودية جاءوا من مناطق شتى في أفريقيا جنوبى الصحراء ما بين السنغال إلى نيجيريا: بعضهم كانوا على إمام رفيع بالقراءة والكتابة كما نالوا قسطًا من التعليم في ديانتهم بينما كان الآخرون مجرد ممارسين متواضعين لشعائر الدين بل كان من بينهم قلة جاءوا من صفوف العناصر الحاكمة في مجتمعاتهم ومنهم قصة الأمير أيوب بن سليمان دبالو الذي اختطف عام ١٧٣١ وقد تم توثيق قصته جيدًا.

معظم هؤلاء الأفارقة المسلمين لم تقم بينهم صلة قط مع البيض قبل أن يرسفوا في أغلال العبودية. وقصة واحد منهم وهو كونتا كنتي من سنغامبيا تم توثيقها في رواية «جذور» التي ذاعت شهرتها بقلم ألكس هيلي فضلًا عن إعدادها في مسلسل درامي للبت خصيصًا في التلفزيون. ومنذ الصفحة الأولى ترسم الرواية حقيقة التراث الإسلامي الذي تنتمي إليه شخصية كنتي حيث يصف الروائي دعوة الإسلام إلى صلاة الفجر ويقول إنها ظلت تقام على مدى ما يستطيع أن يتذكره أي شخص على قيد الحياة. ثم يسجل هيلي مناسبات أخرى تشهد بديانة

كنتى ومن ذلك مثلاً مشهد إقامة الصلاة وضراعه وصلاته لله وهو يرسف فى الأصفاذ فى قاع سفينة عبيد «مسيحية»^(١).

ومن أسف بالنسبة للذين كانوا يرغبون فى ممارسة دينهم الإسلامى فى غمار الظروف الفظيعة التى مرت بها مرحلة الرق فى أمريكا، فإن سادتهم المسيحيين قلما كانوا يسمحون لهم بذلك. وبقدر ما أن المسلمين الذين بقوا فى إسبانيا بعد عام ١٤٩٢ كانوا قد أجبروا على التحول إلى المسيحية فهكذا طلب إلى العبيد الأمريكيين أن يصبحوا بدورهم مسيحيين. «عندما كنت من أتباع محمد كنت أصلى هكذا «الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم...» ولكنى أصلى الآن من أجل «أبيننا... بكلمات ربنا عيسى المسيح»^(٢) مع ذلك فالعبيد فى أمريكا لم يكن أمامهم الخيار الذى كان متاحاً للمور - المغاربة كى يغادروا البلد برغم أن قلة قليلة منهم عملت بالفعل على الهرب والعودة إلى أفريقيا. وفيما كان معظم هؤلاء الأفارقة السود قد أصبحوا مسيحيين بالفعل فإن هناك وثائق تشير إلى أن عدداً منهم على الأقل جاهد فى الحفاظ على دينه الإسلامى وظلوا يمارسون عبادتهم كمسلمين حتى الجزء الأول من القرن العشرين وبصفة عامة كان عليهم أن يحافظوا على أداء شعائهم فى طى الكتمان. وتشير بعض السجلات إلى أن قلة منهم بلغ بها أن أصبحت موضعاً للسخرية والعقاب القاسى عندما كانت تواصل صلواتها جهراً إذ كانوا يفهمون أن ذلك التزام رتبته عليهم القرآن. وطبقاً لإحدى الروايات فإن عبداً مسلماً كان يتظاهر بكتابة صلاة الرب باللغة العربية فيما كان فى واقع الأمر يكتب الفاتحة وهى أول سورة فى القرآن والذين كان يمكنهم الكتابة تركوا من خلفهم بعض الوثائق التى أضافت إلى حد كبير إلى فهمنا لهوية هؤلاء الناس وللتجارب التى خاضوها وفى ذلك سجل دام على مدى أكثر من قرن من الزمن من الاتجار فى حياة البشر.

وهناك عدد من العائلات التى تعيش الآن على ساحل جورجيا يقال إنها من نرية العبيد وبعضهم يقال إنهم مسلمون وربما يكون أشهرهم بلالى محمد الذى ربما يكون قد وقع فى أسر الرق نحو عام ١٧٢٥ والآن تعرض مذكراته - مذكرة بلالى المكتوبة بعربية غرب أفريقيا فى دار الكتب النادرة بجامعة جورجيا. وتحتوى سجلات غرانت من ساوث كارولينا تقارير عن عبيد رفضوا تناول لحم الخنزير

وكانوا يصلون لمعبود اسمه الله. وبالنسبة إلى كثير من المسلمين الأفرو-أمريكيين اليوم فإن وجود هؤلاء المسلمين في بدايات التاريخ الأمريكي، فضلاً عن إنجازاتهم سواء قبل أن يقدّوا إلى أسر العبودية، أو عندما كانوا يرسفون في أغلالها، أضافت الشيء الكثير إلى شعورهم بالاعتزاز بكونهم مسلمين ومشاركتهم في النضال الطويل من أجل الحرية الذي ميّز تجربة السود في أمريكا منذ أيامها الأولى. ويقول أحد المتحولين حديثاً إلى الإسلام «إن أفراد الشعب الأفرو-أمريكي يحتفظون بالإسلام في صميم قلوبهم ونحن نردد اسم الإسلام على ألسنتنا فيما نناضل لنطق اللغة العربية التي نسيناها رغم أننا ربما جننا بها كعبيد إذ كانت تلك هي الثقافة التي سلبوها منا وكذلك فعلوا مع اللغة والعقيدة. والأهم من هذا كله أنهم أخذوا منا دين الإسلام عندما فرضوا علينا العبودية»^(٢).

وكما رأينا فإن مسألة من هو المسلم ومن هو غير المسلم في السياق الأمريكي سؤال مباشر في بعض الأحيان، بل يمكن أن يكون السؤال صعباً إذا ما التمسنا إجابته المؤكدة في أحيان أخرى. وبينما يرى بعض الأفراد والجماعات أنفسهم منضوين تحت راية الإسلام أو على الأقل يعرفون هويتهم من خلال عناصر مستمدة من العقيدة والممارسة الإسلامية، فإن هؤلاء الأفراد والجماعات أنفسهم قد يُنكر عليهم انتسابهم إلى الإسلام من جانب الذين يتهمونهم بالهامشية أو بالعلمانية بل وأحياناً بالإلحاد. وتاريخ الجماعات الأفرو أمريكية ممن يتطلعون إلى الإسلام في غمار بحثهم عن هويتهم حافل بنماذج من هذا النوع من الهوية المتنازع عليها ومن أول النماذج في هذا الصدد نموذج المور (المغاربة) الأمريكيين عند بداية القرن العشرين.

بلاك نوبل درو على والمعبد العلمى المغربى فى أمريكا

معظم العبيد المعتنقين الذين كان سادتهم البيض قد سلبوهم هويتهم الأصلية أياً كانت تلك الهوية، وجدوا أنفسهم في حال من السعى اليائس الذى يلتمسون به مكاناً في المجتمع الأمريكى. كانت تلك أوقاتاً من العُسر الشديد التى كابدها السود وسط ثقافة بيضاء في غالب جوانبها وفي إطار مشاكل اقتصادية واجتماعية نجمت عن شعور بالقنوط إذ لم يكن لديهم أى حس بالانتماء إلى شيء. كذلك فإن

المهاجرين الوافدين من أوروبا كانوا ينظرون بعين التحفظ والتبرم إلى السود الذين نزحوا إلى الشمال (الأمريكي) وتتافسوا معهم على الوظائف نفسها، في حين أن السود الذين بقوا في مناطق الجنوب من الولايات المتحدة كانوا يجدون أنفسهم بين وقت وآخر ضحايا لأحكام الشنق بلا جريرة بل وإحراقهم أحياء.

لا عجب والحالة هذه أن قامت سلسلة من الحركات التي كان مقصدها مساعدة السود على أن يعثروا على هويتهم ومن بينها تلك الحركات التي التمسّت هوية خارج السياق الأمريكي مثل الرابطة العالمية لتحسين أحوال الزنوج التي تولى أمرها ماركوس جارفى، ودعت إلى العودة إلى ليبيريا في قلب أفريقيا الأم وقد أثرت حركة جارفى تأثيراً قوياً على عدد من زعماء السود الذين انتسبوا إلى الإسلام في العقود الأولى من القرن العشرين ومنهم نوبل درو على الذى كان فى طليعة من تبناوا بعض رموز الديانة الإسلامية. لكن عليا، على خلاف جارفى، كان يتطلع إلى قارة أخرى لا بوصفها وطناً ينبغي أن يعود إليه الأمريكان السود ولكن بوصفها أصلاً للجذور التي يمكن استنباتها في التربة الأمريكية ذاتها. لقد أراد توحيد شعب تعرض للاضطهاد، كما كان ينشد تهيئة وسيلة لأبناء هذا الشعب لكي يسهموا كأفراد في رفاههم الخاص إلى جانب مشاركتهم كجماعة في ازدهار المجتمع الأمريكي بشكل عام. ومن أجل ذلك قال إن الأمريكيين من ذوى الأصول الأفريقية هم بحكم تراثهم إما ينتمون إلى آسيا وإما إلى أصل المغاربة - المور. وعليه فالجماعة التي أسسها كانت تعرف في الأصل بأنها الحركة المغربية الوطنية والإلهية وما لبث أن تغير اسمها لتصبح المعهد العلمى المغربى فى أمريكا.

وُلد نوبل درو على باسم تيموثى درو فى عام ١٨٨٦ فى ولاية نورث كارولينا. وإذ يمّم شطر الشمال فقد استقر فى ولاية نيو جيرسى وبدأ يبشر برسالة كان من شأنها أن تتطور إلى المبادئ الخمسة التي استندت إليها جماعته وهى: الحب والصدق والسلام والحرية والعدالة. أما الكتاب الذى قدمه للأمريكان المغاربة - المور فحمل عنوان «القرآن الكريم للمعهد العلمى المغربى فى أمريكا» ولكنه لم يكن يرتبط بأى سبب من بعيد أو قريب بالقرآن الكريم وهو كتاب الإسلام. وذكر درو أنه فيما كان يقوم برحلة إلى مراكش أعطاه ملكها تكليفاً يقضى بإدخال الأفارقة الأمريكيين فى العقيدة الإسلامية. وكان «درو على» مقتنعاً بأنه نبي من

عند الله وأنه خاتم المرسلين وأن قدره أن يعمل كمنذر للآسيويين في أمريكا كما كان النبي محمد منذرًا لقومه العرب في زمانه. أما الرسالة الأساسية التي انطلقت منها تعاليمه فكانت تقول بأن الخلاص لا يمكن تحقيقه إلا إذا ما رفض السود الهويات المختلفة التي خلعها عليهم قسراً اليهود في أمريكا مثل هوية الزنجي أو الشخص الملون. وعليهم من ثم أن يفهموا أن أصلهم الحقيقي أصل آسيوي. وبالتالي لا بد من طرح أسماء العبيد جانباً واعتماد أسماء جديدة لتعكس عظمة وجلال هذا التراث الذي ينتمون إليه. هكذا كانت رسالة «علي» جذابة للسود من ذوى التعليم المحدود الذين كانوا يعانون آلام الحرمان الاقتصادي وتغصن حلوقهم بالمرارة إزاء نصيبهم المحدود في المجتمع الأمريكي ناهيك بسعيهم اليأس لكي يعثروا على هوية تفصل بينهم وبين مضطهديهم من البيض.

تم إنشاء المعبد المغربي الأول في مدينة نيو وارنك في عام ١٩١٣. وما إن حل عام ١٩١٦ حتى انقسمت الجماعة إلى مجموعتين: الأولى بقيت في نيو جيرسي فيما تغير اسمها لتصبح معبد المآبيين المقدس بينما تحولت الأولى ومعها نوبل درو على إلى شيكاغو. في سنة ١٩٢٨، وهي السنة التي عقد فيها أول مجمع ضم الحركة المغربية الوطنية تم إنشاء معابد أخرى في بتسبرغ وديترويت. كما ركزت الجماعات المختلفة على تحقيق الاستقلال الاقتصادي فأنشأت عدداً من محلات البقالة والمطاعم وغيرها من الأعمال التجارية الصغيرة حيث كان نوبل درو على يقول «لن نشعر بأى أمان إلا إذا ما امتلكننا مقاليد القوة الاقتصادية. إن شعباً من المتسولين لا يمكن أن ينمى أرفع ما لديه من مواهب ولا يستطيع أن يكفل لنفسه أن ينعم بحق بالجوانب الروحية من الحياة»^(٤). وكانوا يشجعون إقامة العلاقات المنسجمة بين الأعراق وإن لم يnehجوا هذا السبيل باستمرار. وفيما كان الاعتزاز ينمو بهويتهم السوداء فقد ظلت تزداد التوترات بينهم كأعضاء وبين مجتمع البيض. في عام ١٩٢٩ تعرض «علي» للقبض عليه وسجنه. وبعد الإفراج عنه بفترة قصيرة توفي في ظروف غامضة. وأعقب ذلك أن ظهر عدد كبير من الذين ادّعوا مراكز القيادة وتحذى بعضهم بعضاً. ولكن كما هو الحال في أغلب تلك الظروف لم يستطع واحد منهم قط أن يستأثر بإعجاب أو إخلاص الذين سبق وأن أولوا الإعجاب والإخلاص للقائد الأصلي لهذه الجماعة. ومع ذلك، وبرغم المشاكل التي صادفتها الحركة المغربية الأمريكية، فقد استمرت في عدد من المواقع الحضرية

في منطقة الشرق ومنطقة الغرب الأوسط بالولايات المتحدة ويقال إن كلا من و. د. فارض وإليجا (إيليا) محمد وهما من جماعة «أمة الإسلام» كانا أعضاء في حركة المعبد المغربي.

لقد أصبح المعبد المذكور الآن جمعية صغيرة مفتوحة لأي إنسان يعد نفسه آسيويا برغم أن عضويته تقتصر أساسا على الأفرو أمريكيين. ويقع المكتب الوطني للجماعة حاليا في شيكاغو وتُعقد الاجتماعات سنويا برغم أن بعض المعابد المحلية تعمل بصورة مستقلة. ويُعرف القادة بوصفهم الشيوخ أو الشيوخات الكبار بينما يُطلق على الأعضاء اسم الإخوة والأخوات ويضيف المنتسبون إلى الجماعة عادة إلى أسمائهم أداة التعريف «ال» أو لقب البكوية «بك». كما أن تعليم أبنائهم يحظى بأولوية عليا حيث تذكر كراسة أصدروها لتعلن عن عقد حلقة دراسية بشأن علاقة الوالد / الابن في نيوارك أن «حقل النجيل ينمو من تلقاء نفسه ولكن بستان الزهور يقتضي السهر على زراعته، وإذا ما كنا نحرص على أن يترعرع أطفالنا وينضجوا لا بد من أن يكفل لهم حوافز تعليمية تقصد لذاتها في مرحلة مبكرة وبحيث يتلقاها كل في بيته» كذلك فاللباس المحتشم أمر مهم حيث يرتدى الرجال في العادة طرابيش وترتدى النساء حجابا للرأس وأردية طويلة وخاصة داخل المعبد. ويشجّع الأعضاء تشجيعا قويا على الامتناع عن تعاطي الكحوليات أو المخدرات بل وعن المشروبات التي تحتوى الكافيين في بعض الأحيان، هذا وقد تلقت جماعة المعبد العلمي المذكورة شكرا وتقديرا مدنيا على إنجازاتها في تعزيز التقدم الاجتماعي والاقتصادي والأخلاقي للأمريكيين من نوى الأصول الأفريقية.

إليجا (إيليا) محمد «أمة الإسلام»

بالنسبة للأمريكيين السود، كانت العقود الأولى من القرن العشرين زمنا عانوا فيه من تدنى المكانة الاجتماعية ومن الحرمان الاقتصادي كما كانوا يتوقون خلاله إلى نوع من أنواع الهوية الوطنية. لقد أرسل ماركوس جارفى إلى المنفى في عام ١٩٢٧ وبعد ذلك أصبحت حركته في ذمة التاريخ. وفيما كتب البقاء للمعبد الأمريكي المغربي إلا أن هذه الجماعة فقدت كثيرا من جاذبيتها الأولى. وبينما كان لكل من الحركتين في أيام عزها عدد كبير من الأتباع، فلم يستطع لا جارفى ولا

درو أن يستأثر بخيال «الزنج» في أمريكا على نحو ما فعله رجل أمريكي أسود ضئيل الحجم من ديترويت استخدم طاقة مزيّنة بالنجوم والهلال وهذا الرجل كان إيجا بوول الذي عرفوه فيما بعد باسم إيجا (إيليا)^(*) محمد الذي يُعد «النبي» الأول بالنسبة إلى أول حركة أمريكية أصيلة تدعى انتساباً إلى الإسلام وتحوز اهتمام البلد وتحمل اسم «أمة الإسلام» (يجدر ملاحظة أن اسم «المسلمين السود»، الذي شاع بفضل الدراسة السوسولوجية التي أجراها - تحت هذا العنوان - إريك لنكولن لم تستخدمه جماعة أمة الإسلام قط تعريفاً لها)^(٥). وقد جاء كل من مالكولم إكس ولويس فرقان وكلاهما تمتع بشهرة متواصلة نتاجاً لحركة «أمة الإسلام» فضلاً عن أن وارث دين محمد، وهو نجل إيجا وصديق مالكولم صنع لنفسه اسماً بوصفه واحداً من أهم قادة الإسلام في أمريكا الشمالية.

وقد باتت قصة «أمة الإسلام» معروفة لمعظم الناس، ويرجع ذلك أولاً إلى الفيلم الشهير الذي أخرجه سبايك لي عن مالكولم إكس وعرض فيه قصة نشوء الحركة، ومع ذلك يجدر التأكيد مرة أخرى على أن الحركة لعبت دوراً فريداً في تلبية احتياجات أعداد لا يستهان بها من الأفارقة الأمريكيين بوصفها نموذجاً خلافاً يجسد حركة سوسيو دينية بل وسياسية أصيلة. إن مجرد إدراج كلمة «أمة» في عنوان الحركة يطرح على الفور نموذجاً لكيان سياسى فضلاً عن كونه كيانياً أخلاقياً ودينياً يستمد جذوره على الأقل من الناحية الاسمية، من تربة عقيدة قامت على أسس هي أبعد ما تكون عن مجتمع التمييز العنصرى في أمريكا. صحيح أن الحركة دعت إلى مذهب بالنسبة لأصل البشر هو أبعد ما يكون بدوره عن المثل العليا التي يبشر بها الإسلام من حيث المساواة بين الناس، إلا أن هذا الأمر لم يكن يعنى الشيء الكثير بل وقلما كان يمتدح إليه أولئك الذين وجدوا في دعوتها وسيلة لاستعادة هويتهم الشخصية من خلال قواعد السلوك التي اتسمت بالصرامة والنظافة والجدوى الاقتصادية.

ما زالت البدايات الدقيقة للحركة غائمة أمام الباحث برغم الدراسات التي حاولت أن تدقق في هذه المسألة وأن تزيح الستار عن طبقات من غموض

(*) إيجا (إيليا) كان اسم جده وقد أضاف إلى لقبه اسم النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) حين تحول حسب رؤيته وقتها إلى الإسلام «المترجم».

الميثولوجيا التي صاحبت ظهور شخص غريب في مجتمع الأفرو - أمريكيين في ديترويت كان اسمه والاس د. فارض وكان من أخلص أتباع فارض إلجا (إيليا) بوول وهونجل ابن واعظ فقير ينتمى إلى المسيحية المعمدانية. كان بوول قد بلغ مرحلة النضج التي أهلتته أن يتلقى رسالة التشجيع من جانب فارض وطبقا لما أفاد به بوول شخصيا، كان فارض، لدى ظهوره لأول مرة في ٤ يولييه ١٩٣٠، يصف نفسه بأنه جاء من مدينة مكة المكرمة المقدسة عند المسلمين فأعلن رسالة كانت موجهة على وجه التحديد إلى السود في أمريكا الذين حددتهم بوصفهم أبناء قبيلة شاباز القديمة التي تاهت في التاريخ إلى أن عثروا عليها. آمن بوول برسالة فارض بوصفها رسالة إنقاذ واستعادة هذه القبيلة الضائعة. ومن خلال المحاضرات الأولى التي كان فارض يلقيها، وصل بوول إلى حد أن فهم أن فارض هو تجسيد للمهدى المنتظر الذى من المتوقع أن تكفل عودته بداية الفترة النهائية التي تسبق يوم البعث والقيامة. وفهم بوول أيضا أن هذه الهوية إنما تضى على فارض شكلاً من أشكال الربوبية وكانت تلك بطبيعة الحال فكرة تتناقض مع صحيح الإسلام. وفيما بعد، وفي محاولة بدت وكأنها تهدف إلى المزج بين الإسلام والمسيحية، قال إن فارض كان هو من ينتظره العالم على مدى ألفى سنة أما فارض نفسه فقد شجع التفسير الذى كان مفاده أنه شخص أشبه بالمسيح وكان القصد هو إزاحة صورة المسيح الأبيض الذى كان المسيحيون يحاولون طرحها باستمرار على أنظار السود.

ومع ذلك فما برحت شخصية و. د. فارض الحقيقية موضعاً لجدل ما زال مستمرا إلى حد كبير. وهناك من رأى على نحو أو آخر أنه ينحدر من أصل قوقازى برغم ما قيل بعد ذلك من أنه يجسد بالفعل البيض والسود بحيث يمكنه التحول بسهولة بين كلتا الفئتين. على أن الأتباع وجدوا في هذه الهوية الملتبسة مصدراً من مصادر الغموض والجاذبية أكثر من كونه مدعاة للريبة والتشكك.

بدأ فارض أولاً التبشير برسائلته بينما كان يسافر متجولاً لبيع أقمشة الحرير ومنتجات الحرف اليدوية كما كانت اجتماعاته تتم في بادئ الأمر في البيوت الخاصة وإن كان أتباعه قد سارعوا بعد ذلك إلى تنظيم أنفسهم فاستأجروا صالة اجتماعات خلعوا عليها اسم «المعبد» وعند هذه النقطة برزت رسمياً إلى حيز

الوجود فكرة «أمة الإسلام التي تاهت ثم عادت وسط برية أمريكا الشمالية» وإن عمدوا ببساطة إلى اختصار الاسم إلى «أمة الإسلام». لكن مكانة فارض الدينية لم تدم سوى ثلاث سنوات وأكثر قليلا كان بوسعه خلالها أن يؤسس منظمة تتمتع بموارد تعليمية للرجال والنساء والأطفال إضافة إلى قوة الأمن الخاصة التي ما زالت موجودة وتعرف باسم «ثمره الإسلام».

ومع ذلك تخللت فترة رئاسته الدينية بعض الحوادث الخطيرة والمؤسفة التي لم تكن لتخفى عن العيون. فقد اتهم فارض بالتحريض على العنف من خلال تعاليمه المتعصبة عرقيا وتم القبض عليه عدة مرات إلى أن جرى طرده في نهاية المطاف من ديترويت في ٤ مايو ١٩٣٣ وبعدها بقليل اختفى فارض بنفس الغموض الذي كان قد ظهر به في أول الأمر دون أن تقع عليه عين أى إنسان بعد عام ١٩٣٤^(٦).

من ناحيته فإن إيجا بوول وجد رسالة فارض جذابة أسرة وشرع هو نفسه فى إبلاغ الرسالة فكان أن أضفوا عليه مكانة المرشد إضافة إلى اسم إسلامى هو إيجا (إيليا) محمد. وسرعان ما تولى موقع القيادة فى الجماعة وفى نهاية الأمر خلعوا عليه اسم المرشد الإسلامى الأكبر. وفى عام ١٩٣٢ انتقل إلى شيكاغو حيث أنشأ ما عرف باسم المعبد رقم اثنين ويمثل المقر الرئيسى لأمة الإسلام وذلك بعد اختفاء و. د. فارض. واستطاع إيجا محمد، بفضل قدراته الإدارية الحكيمة أن يدير دفعة الأمة باقتدار فأنشأ نظاماً هرمياً وضع نفسه على قمته ومن تحته كان المرشدون وكبار النقباء ثم النقباء والملازمون. أما الذين يرغبون فى الانضمام إلى «أمة الإسلام» فكان يتعين عليهم أن يرفعوا رسالة تحوى طلبا إلى المرشد الأكبر الذى سرعان ما تبنى دور رسول الله. وعند قبول العضوية، يتعين على المتحول الجديد أن يتخلى عن اسم «العبودية» الذى كان يحمله أو تحمله أو يتنازل عن لقبه ويتخذ ببساطة حرفاً رمزياً هو «سين» أو إكس فى الأبجدية الإنجليزية آية على أنه من ذرية أفريقية مجهولة. وكما كان الحال لدى المغاربة الأمريكان (المور) كان أعضاء أمة الإسلام يشيرون إلى أنفسهم، لا بوصفهم سودا ولا زنجياً بل آسيويون وعلى وجه التحديد كانوا يعرفون أنفسهم بالاقتران مع قبيلة شاباز وهى شعب من أصل أفريقى يقال إنهم اكتشفوا وادى النيل فى مصر ومدينة مكة المكرمة.

والحق أن كثيراً من تعاليم «أمة الإسلام» على نحو ما طوره إيلجا (إيليا) محمد لا تتفق وتعاليم الإسلام، بل إن المسلمين المعتدلين اليوم يعملون جاهدين على التبعاد عن الجماعة الحالية تحت قيادة لويس فرقان وذلك لعدد من الأسباب ليس أقلها الدرجة التي يواصل بها التبشير بما لا يمثل بالنسبة لهم سوى التجديف أو الإلحاد، وعلى نحو ما رأينا فإن الشهادتين تؤكدان بأن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والقرآن يؤكد أن محمداً هو النبي الخاتم وهو آخر الأنبياء المرسلين. وقد جاء اعتقاد إيلجا محمد بأن فارض قد ادّعى لنفسه نوعاً من المكانة الربانية ليتناقض مع الجزء الأول من الشهادة المتعلقة بوحدانية الله ومن ثم جاء ليشكل فعلاً من أفعال الشرك بالله وتلك أكبر الكبائر التي يرتكبها أي امرئ حسب تعاليم الإسلام الحنيف. كما أن إصرار «أمة الإسلام» على أن إيلجا (إيليا) هو آخر المرسلين مبعوثاً من لدن و. د. فارض فيه ما يتناقض مع الشهادة الثانية وذلك أمر يبغضه معظم المسلمين^(٤). وعندما طرح ستيفن بربوزا في كتاب «الجهاد الأمريكي» السؤال عن لويس فرقان وهو الزعيم الحالي لأمة الإسلام متعلقاً بما إذا كان إيلجا (إيليا) محمد نبياً حقاً أنكر فرقان أن إيلجا قد ادّعى ذلك في يوم من الأيام وقال «نحن لا نؤمن بنبي بعد النبي محمد ولكننا نرى أن القرآن يعلمنا أن لكل أمة رسولا» أما وارث الدين وهو نجل إيلجا محمد وزعيم الذين انفصلوا عن أمة الإسلام بعد عام ١٩٧٥ فقال إن والده كان يعرف أن بعضاً من التعاليم التي قال بها لا تتفق مع صحيح الإسلام ولكنها كانت لازمة وقت أن روجها حتى يستطيع السود أن يخلصوا أنفسهم من ربة ظروف الانحطاط الحقيقي التي وجدت جمهورتهم نفسها وهي ترسّف في أغلالها ومن ثم ترقى إلى مستوى من الاعتزاز بالنفس واحترامها فضلاً عن أهداف القصد المادي والانضباط السلوكي والاستقرار الاقتصادي.

إن الإسلام يعتز كذلك بالإعلان الذي تأكد منذ أيام النبي محمد بأن الناس والأجناس كافة سواسية أمام الله سبحانه. أما تعاليم «أمة الإسلام» بأن البيض ينحدرون من صلب الشيطان فتتناقض من ثم يوضح مع هذه المساواة الإسلامية الصميمة. وثمة ميثولوجيا عمدت إلى نشرها جماعة «أمة الإسلام» وتدعم تحديد

(٤) المفروض جميع السامعين «مترجم»

هوية البيض على أنهم أشرار بينما تقول بأن السود هم شعب الله المختار. وهى باختصار تقول بأن عالمًا اسمه يعقوب ينحدر من أصلاب قبيلة شاباز اصطنع بعد نفيه من مكة مؤامرة ترمى إلى استرقاق سائر أعضاء القبيلة وعمد من ثم بمهارة إلى استخدام عوامل الوراثة وتوليد الأجناس إلى أن استطاع بالتدريج أن يطور العرق الأبيض من خلال المقابلة بين الجينات المتراجعة والنطف المتحبة وكانت النتيجة أن أخف الأجناس لونا هي أدناها مرتبة ومن ثم أعتاها شرا. وقد حدد إيجا (إيليا) محمد عملية التوصل إلى معرفة تلك الحقائق ومن ثم عظمة الحضارة الأصلية السوداء فكان تعيين الموقع الذى يمكن أن يلقى فيه بشعوب البيض على أنه نوع من الانبعاث للأفرو - أمريكيين. وهذا التأكيد على قوة وأخلاقية السواد فى مقابل ضعف البياض وترديه الأخلاقى كان بمثابة رسالة فعالة بالنسبة للسود الذين تم فطامهم ونشأتهم وسط ثقافة من تفوق البيض. وتحكى سيدة عضوة فى مسجد محمد فى مدينة هارتفورد عن أبيها الذى نشأ مسيحيا معمدانيا فى الجنوب فكان أن ذاق صنوف التحيز والاضطهاد بما فى ذلك أن شاهد أمام عينيه البيض وهم يضرمون النار فى بيته وعندما نزع إلى الشمال وسمع عن رسالة إيجا محمد كان يصغى بالذات إلى الجزء الذى يتعلق بكون الرجل الأبيض شيطانا ثم تضيف بابتسامة قائلة «هناك صلة بين الشيطان والنار».

تقضى تعاليم إيجا (إيليا) محمد بأن السود ليسوا مواطنين أمريكيين لأنهم ليسوا بأمريكيين عرقيا وقد دخل السجن خلال الحرب العالمية الثانية عندما أبلغ أتباعه بأنهم لا ينبغي أن يشاركوا فى حرب لا ناقة لهم فيها ولا جمل. وعليه فقد طرحت «أمة الإسلام» نفسها على أنها هيئة للسود فى إطار الولايات المتحدة وأن أعضاءها مواطنون فى مكة يتخذون رأيهم كى تجسد صورة مكة نفسها. كما أنها ترى أن أمريكا كمجتمع أبيض وشبكة السقوط. لم يكن مفتاح تعاليم إيجا محمد هو الاندماج ضمن المجتمع الأمريكى بل كان الانفصال وإنشاء وحدة سياسية واجتماعية لا دور فيها للبيض على الإطلاق. وإذا لم يُتَح إقامة دولة منفصلة - وفى هذا الصدد لم يساور إيجا محمد أية أوهام بشأن صعوبة مثل هذه الغاية - يظل الهدف هو تحقيق العدل وتكافؤ الفرصة لصالح السود. وعلى ذلك ظل يدعو إلى إنشاء أعمال تجارية يمتلكها السود وغير ذلك من سُبُل إعالة الذات. وفى سبيل

تحقيق الاستقلال الاقتصادي والأمن الذاتى وهما من ألزم الأمور لإحراز هدف الاستقلال السياسى، ظل يشجع أعضاء جماعته على أن يفكروا بوصفهم سودا وأن يستثمروا مع السود وأن يشتروا من السود. وهكذا تم الجمع بين الاقتصاد والأخلاق ضمن هيكل كان يُطلب فيه من أعضاء «أمة الإسلام» أن يسلكوا سلوك العفة من الناحية الشخصية وسلوك النشاط والدأب من الناحية المهنية.

وبالإضافة إلى أداء الصلوات خمس مرات يوميا وهى شعيرة كانت مستعارة بوضوح من صحيح الإسلام، ظل يحث الأعضاء على ألا يتناولوا أكثر من وجبة يومية واحدة وأن يتحاشوا تناول الخنزير أو الكحول أو لعب القمار وألا يبالغوا فى الاهتمام بالألعاب الرياضية أو ينغمسوا فى حمأة الكسل والإفراط فى النوم. كما حرّموا بصورة صارمة الزواج بين السود والبيض حفاظاً على نقاء الجنس الأسود. وجريا على أداء الزكاة بوصفها واجبا إسلاميا طلب من الأعضاء أن يقدموا جزءاً منتظماً من إيراداتهم لصالح «أمة الإسلام» ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً. وكان التعليم من الأهمية بمكان بالنسبة لإليجا (إيليا) محمد الذى لم يتجاوز تعليمه شخصيا الصف الرابع الابتدائى ولكنه كان يؤيد بكل جهوده إنشاء المدارس الإسلامية. ومن ثم ففى عقد الثلاثينيات كانت «جامعة الإسلام» التى تمثل فى جوهرها مجموعة من المدارس الدينية قد بدأت عملها مقترنا بالمعابد الإسلامية التى ترمى إلى تعليم النشأ حتى مرحلة المدرسة الثانوية. وظلت المؤسسة تؤدى وابتجها وقد حملت اسم مدرسة كلارا محمد على وهى زوجة إليجا مزودة بمنهج دراسى راقى من حيث التنظيم فضلاً عن انضباط صارم يلتزم به التلاميذ^(٧).

مالكولم إكس

كان «مالكولم لينل» فى مقدمة الذين اقتنعوا بعمق شديد بأن قيادة أمريكا البيضاء بسبيلها إلى السقوط الوشيك. من الواضح أنه كان مدمناً على أسلوب الحياة المتسارع والقلق فى الأحياء الفقيرة بمدن بوسطون وهارتفورد ونيويورك ومن ثم يحكى مالكولم فى سيرته الذاتية قصة من حياة أسرته تتسم بالتعقيد والأسى (أحرقت جماعة كوكلوكس كلان العنصرية البيضاء منزل الأسرة عندما كان مالكولم فى السادسة من عمره) وهو يحكى أيضاً عن أصدقائه وعن المغريات التى

ابتلى بها خلال أيام يفاعته ولا سيما الغضب الممرور الذى اجتأحه إزاء المجتمع الأبيض مما أدى إلى انحطاط معنويات السود وتهميشهم^(٨). من هنا وبعد سنوات مضت وفى خطاب ألقاه بجامعة بوسطون ظل مالكولم يتساءل قائلاً: «هل نقولون لى إنه فى بلد قوى كهذا نسميه بلد المسيحية تستطيع حفنة من الرجال القادمين من ولايات الجنوب أن تحول بين ولايات الشمال والغرب والوسط والشرق وبين إعطاء الزنوج الحقوق التى يقول الدستور أنهم يمتلكونها بالفعل؟ لا أنا لا أعتقد ذلك ولا أنتم تعتقدونه، فما من رجل أبيض يريد حقيقة أن يتمتع الرجل الأسود بحقوقه وإلا لمتع بها فعلاً»^(٩).

أمضى ردحاً طويلاً من يفاعته منغمساً فى أشكال شتى من الرذيلة والجريمة بما فى ذلك التهريب والقوادة وبيع المخدرات، بل كان مالكولم يمضى حكماً بالسجن المشدد ٧ سنوات فى سجن نورفولك بولاية ماساشوستس عندما عَلم للمرة الأولى بوجود «أمة الإسلام» وتعاليمها عن طريق أخيه رجنالد. وقتها كان قد اكتمل نضجه تماماً ليتلقى رسالة تحرير السود التى بشر بها إيجا (إيليا) محمد، ومن ثم ففى عام ١٩٤٧، وإذ كان يومها فى الثانية والعشرين، أصبح من أشد أعضاء أمة الإسلام صلابة ومراسا.

لقد أضحى دور مالكولم إكس فى نشر عقيدة «أمة الإسلام» فى السنوات التى أعقبت الإفراج عنه من السجن عام ١٩٥٢ جزءاً معروفاً ومطروحاً لمناقشة واسعة فى التاريخ الأمريكى القريب. كان رجلاً لامع الذكاء ومن ثم كرس نفسه بكل إخلاص ليصبح حوارياً فى الحركة وداعياً من دعائها. وكان أن ارتقى ليصبح الممثل القومى للسيد المكرم إيجا محمد على مدار السنوات الاثنتى عشرة التالية حيث كان يلقي الخطب على الصعيدين الوطنى والدولى حول الظروف التى يعيشها السود فى المجتمع الأمريكى وحول الفرصة التى تتيحها «أمة الإسلام» من أجل تغيير تلك الظروف. لقد أصبح شخصية عامة، وفى سنة ١٩٥٩ أجرى معه المذيع مايك والاس مقابلة لبرنامج تليفزيونى تسجيلى ظل موضعاً للجدل بشأن «أمة الإسلام» وكان عنوانه «البغض الذى يولده البغض». بعدها تنافست كبرى المجلات والجراند على تغطية تحركات مالكولم إكس ورسائله الملتهبة حماساً بشأن تعصب البيض. كما أن سيرته الذاتية وغيرها من السجلات تشهد بصداقته مع

والاس نجل إيلجا محمد الذي عُرف بعد ذلك باسم الإمام وارث الدين وهو مسلم يجمع بين الإيمان الروحي العميق والتعليم الراقى. لدرجة أنه فى الأيام الأولى جادل بشأن بعض طروحات وتفسيرات والده شخصياً. وقد تصور الكثيرون أن هذه العلاقة كان لها أهميتها فيما طرأ من تحول فى نهاية المطاف على مالكولم إكس بعيداً عن عقلية بعض البيض التى كان يتسم بها فى سنواته الأولى حيث كان ذلك متنسفاً مع أيديولوجية «أمة الإسلام» إلى حالة من تقدير التسامح بين الأعراق ودعوة التواؤم التى يجسدها الإسلام المتعارف عليه بل والعمل على نشر هذه المبادئ والترويج لها.

فى الوقت نفسه كان مكتب المباحث الفيدرالى الأمريكى يضاعف جهوده المنتظمة فى مجال الملاحقة والتجسس التى كانت قد بدأت فى عقدى الخمسينيات والستينيات حيث تغيرت أساليبه من التجسس البسيط إلى التجسس الفعال، وقد ذكر لويس فرقان فى عام ١٩٧٤ «أن القرآن الكريم يحذر المسلمين بأن الشياطين تراهم. فحكومة الولايات المتحدة لها أعداء وجواسيس يتقاضون أجراً فى كل معبد وهم منبثون فى كل جمعية تضم المسلمين. وأينما نجتمع فإن الشيطان ينضم إلينا وكلما التقطنا سماعة الهاتف لنتكلم فإن الشيطان يتنصت علينا»^(١٠) ولقد وُجّه الاتهام إلى مكتب المباحث الفيدرالى بأنه يحاول تدمير «أمة الإسلام» لا من خلال جمع المعلومات التى يقوم على «تسريبها» عملاؤه ومرشدوه فحسب، ولكن من خلال اختلاق منازعات حقيقية بين أعضاء «أمة الإسلام» وغيرها من حركات تحرير السود ومنها مثلاً الفهود السود. لكن هذه التكتيكات لم تنجح وهناك من يُعزو ذلك جزئياً إلى العقيدة العميقة التى تولدت بأن البيض هم فى حقيقة الأمر شياطين.

لقد كان وجود مالكولم كناطق معبر عن أمة الإسلام مؤثراً على عدد كبير من الأفرو - أمريكيين بما فى ذلك بعض الشخصيات العامة، وفى شهر فبراير ١٩٦٤، وفور المباراة التى خاضها الملاكم كاسيوس كلاى من وزن الثقيل ضد سونى ليستون انضم إلى الجماعة كاسيوس الذى كان صديقاً لمالكولم ليصبح فى صدارة كثير من الشخصيات الرياضية البارزة ممن أصبحوا مسلمين وعُرف بعدها باسمه محمد على (انظر السير الشخصية).

ولكن فى الوقت نفسه وقعت أحداث أفضت إلى خيبة أمل عميقة ساورت مالكولم مما أدى فى نهاية المطاف إلى مفارقتها إيلجا (إيليا) محمد الذى اعترف بأنه أحبه واحترمه بعمق لأكثر من اثنى عشر عامًا فقال «لقد جلست عند قدمى رسولنا لستمع إلى القول الحق من فمه وأقسمت راکعاً لله أن أواجه الرجل الأبيض بجرائمه التى ارتكبها وأحكى للرجل الأسود عن التعاليم الحقّة لرجلنا صاحب الفضيلة إيلجا محمد». هذا ما قاله سابقاً ثم أضاف وقتها قائلاً «ولست أبالى إن كلفنى ذلك حياتى...»^(١١)، وفى مطالع الستينيات بدا أن إيلجا يعانى من تدهور فى صحته ومن ثم كان أمر زعامة أمة الإسلام من شأنه أن يتجه مباشرة إلى مالكولم. لكن الغيرة من جانب الأعضاء الآخرين أفضت إلى ذبوع شائعات تتال من شخصيته حيث بدأ مالكولم يتلقى اهتماماً أقل بتغطية أنشطته فى أجهزة الجماعة ومنها مثلاً صحيفة «محمد يتكلم» (محمد سبيكس) التى كان مالكولم نفسه قد أنشأها فى عام ١٩٦١. كما وجد من يثنى عزمه عن أن يلقى محاضرات عامة. وتزامن هذا مع شائعات تتعلق بصلات غير مشروعة من جانب إيلجا محمد مع اثنتين من السكرتيرات السابقات وتلك شائعات شعر مالكولم أن بوسعه تأكيدها. وربما وقع مالكولم تحت تأثير والاس (وارث) عندما بدأ يجادل بشكل أعمق فى شأن بعض المبادئ والمعتقدات التى تتبناها الجماعة. وعليه جاءت خيبة أمله فى إيلجا فضلاً عن شعور بالغيرة من جانب زملائه من أعضاء الجماعة، ثم جاء تساؤله بشأن المبادئ الأساسية لأمة الإسلام ومعارضته العلنية المتزايدة للسياسة الأمريكية فى حرب فيتنام، كل هذا جاء فى مجموعه ليشكل أمراً يورد مالكولم موارد الهلاك. وفى معرض رده على الاتهامات التى تقول إنه متطرف خطير أكد مالكولم أن الموقف الراديكالى المتطرف هو وحده الذى يمكنه الرد على الظروف المتطرفة فى سونها التى يعيشها السود أنفسهم فى أمريكا العنصرية. بل إن تعليق مالكولم الذى تردد على نطاق واسع بأن اغتيال الرئيس جون كيندى كان بمثابة عودة الدجاجات إلى الحظيرة أى المحصلة الطبيعية للعنف الضارب أطنابه فى أمريكا، هذا التعليق فسروه على أنه يصادق بصورة ما على قتل الرئيس. هكذا أمر إيلجا (إيليا) محمد بإسكات صوت مالكولم ثلاثة أشهر وبعدها ازدادت الشقة توسعاً. وفى يناير ١٩٦٤ أزيح مالكولم من موقعه كمرشد للمعبد رقم ٧ فى نيويورك وفى

الوقت نفسه جرى استبعاد (شلح) والاس (وارث) بسبب ارتباطه بالكلوم وهكذا أصبح المسرح ممهدًا لتغيير درامي.

وانقضت ثلاثة أشهر توجه بعدها مالكلوم إكس إلى مكة لأداء فريضة الحج المفروضة على المسلمين كافة مرة واحدة على الأقل في العمر. وثبت بعد ذلك أن تلك كانت تجربة العمر لمالكلوم فإن سيرته الذاتية تصف شعوره العميق بالخلج عندما أدرك أنه كان يُطلق على نفسه اسم كاهن الإسلام فيما لم يكن يعرف شعائر الصلاة بل وبعض المتطلبات الأساسية التي تقتضيها حياة المسلم. كان إدراكه بقصور تعليمه الإسلامي فضلاً عن أنه تحقق بصورة ملأت كيانه كله بأن بوسع الناس من جميع الأعراق والأنساب أن يشاركوا معاً دون حقد أو ضغينة أو تحيز في أداء شعيرة الحج، كل هذا أصاب مالكلوم بصدمة جعلته يحنى رأسه تواضعاً بعد ذلك جاءت جولته التي ألقى فيها عدداً من الخطب في أفريقيا بعد رحلة الحج حيث طرح معالم أفكاره المتعلقة بحركة تحرير دولية للسود وشملت جولته زيارات إلى عدد من رؤساء الدول الإسلامية الأفارقة، وكان من شأن أحاديثه مع هؤلاء القادة أن فتحت عينيه واسعاً ليتحقق من فساد التوجهات الانفصالية لجماعة «أمة الإسلام» فأين هذا من الإسلام الذي يتوجه إلى الناس كافة في جميع أنحاء المعمورة.

هكذا قضى الأمر وانفصل مالكلوم عن جماعة «أمة الإسلام». وفي ٨ مارس ١٩٦٤ فارق الرابطة التي طالما أحبها ليؤسس مجموعة جديدة تحت اسم «المسجد الإسلامي» الذي كان جناحه السياسي هو منظمة الوحدة الأفرو-أمريكية. ومن منطلق الاعتراف بتجربة الحج وبهويته الجديدة بوصفه مسلماً سلفياً غير اسمه ليصبح الحاج مالك الشاباز وكان أن وُجّهت إليه سهام الهجوم الحاد من بين صفوف الجماعة بل لدرجة أن أقنعوا شقيقه فلبرت إكس بأن يشجب مالكلوم علانية فيصفه بأنه النبي الكذاب.

وفي ٢١ فبراير ١٩٦٥ أطلقت النار على مالكلوم لئل كما كان يُدعى في السابق فلقى مصرعه بينما كان يلقي خطاباً في جماعته الجديدة، منظمة الوحدة الأفرو-أمريكية في مدينة نيويورك تاركاً أرملته بعد زواج دام سبع سنوات وهي بيتي شاباز (انظر السير الشخصية) وكان لحكومة الولايات المتحدة بدورها أسبابها

لكى توجه انتقادًا لاذعًا لعبارات وتصرفات مالك الشاباز، بل إن هناك من اتهم مكتب المباحث الفدرالية بتدبير مصرع مالكولم. ولم يتحدد قط القاتل الحقيقي برغم أن الكثيرين ربما كانوا يرغبون فى موته وإن كان العالم قد خسر بوفاته واحدًا من أبرز القادة السياسيين والدينيين فى القرن العشرين.

عندما حل عقد الستينيات وكانت أياما مضطربة للأمريكان السود، عمد الكثيرون ممن كانوا يرون أنفسهم بمثابة حركيين سياسيين إلى الانتساب لنوع ما من الإسلام ويصدق هذا الذات على الذين كانوا يعملون فى مجالات الفنون كالكتاب والشعراء والموسيقيين وآخرين ممن كانوا يرمزون فيما قدموه للجمهور إلى مفارقتهم مجتمع البيض وتشجيعهم سائر الأفرو - أمريكيين على النظر إلى الإسلام كوسيلة لتحقيق الذات فضلاً عن تقدّم المجتمع. وثمة مثقفون من السود ومنهم مثلاً ليروى جونز (أميرى بركه)^(*) كانوا يحلون القضايا الاجتماعية والسياسية السائدة وقتها فى مجتمع السود ويدعون إلى الإسلام علاجًا شافيًا للأمراض التى تصيب الجماعة. وبالنسبة للكثيرين من الأفرو - أمريكيين فإن اعتناق الإسلام كان يفيد فى مفارقتهم عن مجتمع البيض سواء كان مجتمعًا مسلمًا أو غير مسلم. ومنذ ذلك الحين، وبالذات بعد وفاة إيجا محمد تحرك كثيرون عن وعى مستهدفين وحدة جميع الأمريكيين المسلمين بصرف النظر عن لون البشرة أو الخلفية الثقافية. ومن هؤلاء الذين تصدروا الجهود الرامية إلى الجمع الوثيق بين صفوف الأفرو - أمريكيين المسلمين وبين المهاجرين المسلمين كان والاس نجل إيجا محمد.

والاس محمد (وارث دين محمد)

كما رأينا، ظل والاس يثير خلاقات على طول الخط مع مبادئ والده الانفصالية التى كانت تصدر عن منطلقات عنصرية. ولفهم أهمية جهوده، يجدر معاودة النظر إلى جماعة أمة الإسلام: لقد سارع إيجا (إيليا) محمد إلى إرجاع وفاة

(*) أمير الشعراء فى ولاية نيو جيرسى. وقد ذاعت قصائده التى عارض فيها حرب العراق خلال الولاية الأولى للرئيس بوش وكان أن أقصوه بقرار بيروقراطى (!) عن إمارة الشعر فى صيف عام ٢٠٠٤ «المترجم».

مالكولم إكس إلى شجبه لمبادئ الجماعة برغم أن إيجا أنكر أن أعضاء منظمته قد أطلقوا بالفعل رصاصات الاغتيال. وفي الوقت نفسه كان والاس يعاني من متاعب متواصلة إزاء «أمة الإسلام» بعد أن جادل في صحة بعض منطلقاتها الأساسية. وفي نهاية المطاف استعاد مكانته بوصفه المرشد الإسلامي في مسجد شيكاغو في عام ١٩٧٤. وكانت المنظمة في حال من التنامي إلى أن جاء منتصف السبعينيات لتدعى أن عضويتها بلغت المليون، كما كانت ناشطة في مجالات الزراعة وتربية الأغنام والماشية إضافة إلى أنواع شتى من الصناعات وعدد كبير من الأعمال التجارية الصغيرة في طول أمريكا وعرضها. وكان ثمة خمسة وسبعون من المعابد تعمل في الولايات المتحدة فضلاً عن عددٍ منها كان ينشط خارج أمريكا.

في ذلك الحين، وفي أوائل عام ١٩٧٥، روّعت أمة الإسلام بخبر وفاة الرجل الذي قادها لوقت طويل وهو صاحب الفضيلة إيجا (إيليا) محمد نتيجة إصابته بنوبة قلبية. وبالنسبة لبعض الأتباع المخلصين كان ذلك حدثاً رهيباً إذ أدّى إلى اختبار عميق لإيمانهم لأنهم كانوا يعتقدون أن زعيمهم لن يرضخ يوماً لطائف الموت. وبعد يوم من وفاته وفي ظل الاحتفال بيوم الإنقاذ السنوي أذيع الإعلان بأن والاس سوف يخلف أباه ليكون المرشد الأعلى لأمة الإسلام. وبينما أصيب الكثيرون بالصدمة في ضوء التاريخ المذبذب لعلاقة والاس مع أبيه أو بحكم افتقاره إلى الشهرة العامة، فالذين كانوا على إمام بما يدور بالكواليس كانوا يعرفون أن إيجا محمد أراد القيادة أن تظل في عائلته. كذلك فمعظم القادة الأكثر شهرة في الجماعة بمن فيهم لويس فرقان أعلنوا ولاءهم لوالاس ولو مؤقتاً. وفي كل حال فبعد توليه الأمور كان لا بد أن تطرأ تغييرات جذرية بين صفوف الجماعة ذاتها في السنوات اللاحقة حيث أفصح التفاؤل السياسي الذي اتسمت به الجماعة في أيامها الأولى الطريق وبخطوة مشهودة نحو التماس الإسلام في منابعه الصافية الأولى.

في عام ١٩٣٣ وُلد والاس وكان الطفل السابع لأبيه إيجا وأمه كلارا محمد اللذين رزقا ثمانية أطفال. ومنذ نعومة أظفاره أبدى اهتماماً بالتخصصات الأكاديمية والجوانب الروحية الإسلامية مكرساً وقته لدراسة اللغة العربية والقرآن. وكما رأينا، فقد اتخذ بسرعة موقفاً انتقادياً من تقييم تعاليم أبيه ولم يبد موافقته على تلك

التعاليم فى ضوء ما كان يدرسه من صحيح الإسلام. وقد قام والاس بأول رحلة حج إلى مكة عام ١٩٦٧ أى بعد ثلاث سنوات من الرحلة المشهودة التى قام بها مالكولم. وفور توليه مقاليد القيادة فى جماعة «أمة الإسلام» بعد وفاة إيلجا (إيليا) محمد، بدأ والاس يعيد التفكير علانية فى العقيدة التى كانت قد اعتمدتها الجماعة فى أيامها الأولى. وفيما كان حريصا باستمرار على أن ينسب لأبيه فضل قيادته الحكيمة والحصيفة إلا أنه أوضح بجلاء أن فرض لم يكن يتسم بأى صفة ربوبية كما أن إيلجا نفسه لم يكن رسول الله النقى الطاهر على نحو ما كان الكثيرون من أتباعه يعتقدون إذ لم يكن رغم موهبته إلا بشرا سويا. كانت رسائل والاس بشأن فرض حذرة ومرهفة الحساسية وفى مرحلة مبكرة سعى لى يقنع أتباعه بأن فرض ما زال على قيد الحياة وأنه كان يتواصل معه ولكن فى أوائل عقد التسعينيات أعلن وفاة فارد فى واقع الأمر.

وكان المهم بالنسبة إلى والاس محمد فى مواعظه الأولى أن يرفض مبدأ تفوق السود الذى كان مبدأ محوريا فى تعاليم كل من فرض وإيلجا محمد. وبعد أشهر قليلة ليس إلا من وفاة أبيه أعلن والاس أن البيض لا بد من النظر إليهم على أنهم بشر مكتملو البشرية بل وشجعهم على أن يصبحوا أعضاء فى «أمة الإسلام». كذلك فقد أعاد مالكولم إكس بعد وفاته إلى حظيرة الجماعة مبدى اهتماما جليا بالإسلام بوصفه قوة روحية قبل أن يكون أداة سياسية وكان ذلك فى إطار تخفيف الحديث عن النعرة القومية التى كانت تميز بطرق شتى تعاليم والده ومالكولم على السواء. من هنا اجتذبت رسالته اهتمام قاعدة أوسع من الناس برغم أنها ما برحت تتجه أساسا إلى الأفرو - أمريكيين. ومع إنهاء المطالبة بدولة منفصلة جاءت الدعوة إلى الاعتراف بالمواطنة ضمن إطار الولايات المتحدة الأمريكية باحترام دستور الولايات المتحدة نفسها.

ومن التغييرات التنظيمية العديدة التى نفذها والاس إلغاء قوة الأمن الإسلامية التى كانت مؤلفة من الذكور وتتسم بالشراسة وتعرف باسم «ثمرة الإسلام». وهذا الإلغاء جاء فى أرجح الأحوال بمثابة إجراء إستراتيجى باعتبار أن «ثمرة الإسلام» كانت الجهة الوحيدة بين صفوف الجماعة التى كان يمكن أن يبدى منها معارضة منظمة للتوجهات التى كانت الحركة تسلك سبيلها. كذلك تحرك

والاس لى يفصل بين الأعمال التجارية وبين ممارسة الديانة فبدأ أساساً يقسم كيان الإمبراطورية التجارية الضخمة ولكن المشوشة والمختلة التي حاول والده جاهدا أن يشيدها بأن يؤجر بعض الأعمال الصغيرة إلى غير المسلمين، بل ويصفي الديون الفادحة الطويلة الأجل ببيع الأعمال التجارية التي لم تكن تدر أرباحاً.

كثير من عوامل تطور جماعة «أمة الإسلام» في ظل قيادة والاس محمد يتبدى من واقع سلسلة تغييرات عمد إلى إضفائها على الأسماء. لقد عمد إلى تحويل محور الهوية من الآسيوية إلى الإسلام في مفهومه العالمي الأوسع مؤكداً كذلك على الصلة مع أفريقيا السوداء. ومن منطلق الاعتراف بتكليف النبي محمد في بداية دعوته شخصاً حبشياً أسود اسمه بلال لى يرفع أول أذان في الإسلام، أشار والاس إلى أعضائه على أنهم بلاليون ثم غير اسم جريدة جماعة أمة الإسلام من «محمد يتكلم، إلى «الأخبار البلائية» (بلاليان نيوز). وأصبحت محتوياتها أقل اتساماً بالطابع السياسى لصالح التوجه إلى تجميع الصفوف. وما زالت هذه السمة «البلائية» تجسد هوية عامة لمسلمي أمريكا السود. وفي بادئ الأمر رأى والاس أن أعضاء الجماعة السابقة لا بد وأن يواصلوا تعريف هويتها التي أضفى عليها الاسم «الجماعة العالمية للإسلام في الغرب».

أضفيت تغييرات خارجية أخرى تشهد باعتماد الجماعة هوية جديدة فقد أصبحت الجوامع تعرف باسمها العربى - المسجد (حرفياً مكان السجود) كما شكّلت الرموز العربية الديكور بدلا من الشعارات السابقة التي كانت تشجب أمريكا والديانة المسيحية على السواء، فيما بدأت تذاع الصلوات الإسلامية وحل محل المقاعد أبسطه وسجاجيد تتيح للجمع أن يجلسوا على الأرض كما هو الحال في أى مسجد متعارف عليه. كذلك فإن يوم الخلاص وكان واحداً من أهم أعياد جماعة أمة الإسلام أصبح أسبوع الحياة الاثنية، وفيه يحتفلون بإنجازات الأمريكيين السود. وفيما واصلوا الاهتمام بالنظافة في الجسم والنزاهة في السلوك على نحو ما كان عليه الحال في أيام الجماعة الأولى، إلا أن والاس عمد أيضاً إلى تخفيف قيود اللباس لأعضائها وعليه فإن دور التبعية الذي كانوا قد أسندوه إلى المرأة في ظل إيلجا (إيليا) محمد حلت محله المساواة في المشاركة والأداء للرجال والنساء فضلاً عن إتاحة الفرصة المتكافئة في مجال التعليم للذكور والإناث على السواء.

وفي عام ١٩٧٨ بدأ والاس يعيد تشكيل قيادته المباشرة للجماعة ويضفي عليها طابع اللامركزية ويتخلى عن هذه القيادة المباشرة لصالح مجلس منتخب من ستة أفراد يحملون لقب الإمام. وبعد سنتين من ذلك التاريخ أعلن أنه قد غيّر رسمياً اسمه إلى وارث دين محمد الذي يعنى باللغة العربية الذي ورث دين (النبي) محمد وفي الوقت نفسه، ومن أجل التأكيد على أهمية إسلام أمريكي محدد غيّر اسم المنظمة من الجماعة العالمية للإسلام في الغرب ليصبح الرسالة الأمريكية المسلمة. وكان لا بد أن يُضفي اسم جديد على الجريدة حيث تغيّر من بلالين نيوز فأصبح جريدة «المسلم الأمريكي». وفي منتصف عقد الثمانينيات، ومن أجل الوصل بين هوية الجماعة وبين كيان الإسلام الحنيف على مستوى العالم، تغيّر اسم الجريدة من جديد لتصبح ببساطة جريدة «المسلم» وهو عنوان ما زالت تحتفظ به حتى اليوم، وما برحت تنشر في شيكاغو وتضم مقالات تتعلق معظمها وليس جميعها أساساً بالمسلمين الأقرب - أمريكيين حيث تسلط الضوء على منجزاتهم المجتمعية مع الإشادة بتلك المنجزات وفي ما يكاد يكون جميع المواد المنشورة يجد القارئ إشارات عديدة بارزة بشأن أنشطة وارث دين محمد. كما تنشر الجريدة دروساً أساسية في اللغة العربية فضلاً عن قوائم بالمصادر الأدبية والتكنولوجية المتاحة لدراسة الإسلام واللغة العربية.

وفي عام ١٩٨٥ شعر وارث الدين بأن اللامركزية التي كان قد بدأها منذ سنوات اكتمل هدفها فأعلن أن أتباعه لن يتميزوا بأي أسماء بعينها بل إنهم ببساطة مسلمون مؤكداً أنهم في ذلك يدينون بالإسلام الحنيف الذي يشمل العالم بأسره. على أنه في الآونة الأخيرة، وبناءً - كما يبدو - على طلب الذين يمثلهم في جماعته، قرر أن يشير إليهم على أنهم الجماعة الأمريكية المسلمة.

خرج وارث الدين من هذه العملية الطويلة ليصبح زعيماً مهماً معترفاً به وموضعاً للاحترام في إطار الإسلام الأمريكي بمعنى أنه قائد تؤثر رؤيته تأثيراً بالغاً على الأمريكيين السود من مسلمين وغير مسلمين على السواء. وهكذا أصبحوا يعرفونه بأنه المجدد المعاصر بمعنى مجدد الديانة الإسلامية بالنسبة لزمانه. وقد تقبله مجلس الأئمة العالمي بوصفه زعيم الجماعة الإسلامية في الولايات المتحدة وهو مسئول عن التصديق على طلب جميع المسلمين الأمريكيين

الذين يريدون القيام بالحج إلى مكة المكرمة. وفي عام ١٩٩٠ كان الإمام وارث الدين أول مسلم يطلبون إليه أن يفتتح جلسات مجلس الشيوخ بالولايات المتحدة بالصلاة وبعد ذلك شارك في حفل تتصيب الرئيس بيل كلينتون. وتحدث عن مكانته قائلاً: «أرجو أن أخلف من بعدى ما يكفي ليشهد بإخلاصى كمسلم حتى ليقول الناس: حسناً لقد سارت حياته بين صعود وهبوط وربما لم ينجز مما كنا نرجو الشيء الكثير، ولكن ثمة أمراً لا يراودنا الشك فيه قط وهو: أنه كان مؤمناً أخلص لدينه كل الإخلاص»^(١٢).

لويس فرقان

في الوقت نفسه لقيت جماعة «أمة الإسلام» السابقة من بيت الحياة في أوصالها تحت قيادة لويس فرقان التي تتميز تصرفاته بصورة عامة بأنها تتبع أيديولوجية إيجا(إيليا) محمد. وبرغم تأكيدات السابقة بشأن ولائه لوالاس، فسرعان ما شعر فرقان أن نجل إيجا يقود الجماعة في اتجاه من شأنه إهمال الواجب الفوري الذي يقضى بالتصدي للظروف التعيسة التي ما برح يعيشها الأمريكيون السود. وفي عام ١٩٧٨ أعلن أنه لم يعد يلقي الترحيب بين صفوف الجماعة العالمية للإسلام في الغرب ومن ثم فهو يقطع كل صلته مع والاس وقال «عندما لم أستطع أن أواصل الاتفاق معه فقد فصلت نفسي عنه لا لكي ألتقط أحجاراً وأرجمه بها ولكن لأنني بأمانة لم أتحمل انتقاداته لأبيه الذي كان قد وضع الأسس لتطورنا إسلامياً في أمريكا»^(١٣).

وأوضح فرقان خطته قائلاً إنها تتمثل في إعادة بناء جماعة «أمة الإسلام» القديمة. ومن ناحيته كان والاس حريصاً للغاية في رد فعله إزاء فرقان مؤكداً أنه لا يزال له بيت ومكان بين صفوف الجماعة العالمية للإسلام في الغرب ولكن فرقان عاد ليؤكد على أيديولوجية التفوق الأسود، فضلاً عن رؤيته بأن أمريكا البيضاء أصبحت على شفا الانهيار. والحاصل أن أتباع فرقان في معظمهم ليسوا من الأعضاء السابقين في «أمة الإسلام» الذين كانوا قد استمروا مع والاس ولكنهم متحولون مجدداً من صفوف المجتمع الأفرو-أمريكي.

من هنا تُعدُّ جماعة «أمة الإسلام» الراهنة حركة للقوة السوداء أساساً

مكرسة لخدمة فكرة الانفصال القديمة التي تقضى بإنشاء دولة مستقلة. وما زالت تعلن عن ضروب المظالم التي يتعرض لها مجتمع السود على يد المجتمع العنصرى الأمريكى الأبيض. ويصر فرقان على أن الاندماج فى المجتمع الأبيض لا يمكن ببساطة أن يحل مشكلة السود الذين لم يحققوا ولو مكانة الطبقة الوسطى على أقل تقدير. وقد تم استئناف نشر صحيفة «الدعوة الخاتمة» فى عام ١٩٧٩ التى تبرز خطب وأنشطة فرقان إضافة إلى مشاركة سائر أعضاء الجماعة الحالية التى تُعرف باسم «أمة الإسلام» فضلاً عن إعادة نشر منتظمة لكتابات وأحاديث إيلجا (إيليا) محمد. ويتولى فرقان قيادة الجهود التى يبذلها أعضاء الجماعة المذكورة من أجل العمل على تحسين الحياة فى مجتمع السود. ورغم أن الحركة ما زالت منظمة صغيرة إلا أنها ما برحت تستأثر باهتمام الجمهور الأمريكى بحكم ما تبذله من جهود جماعية لتطهير المناطق التى اجتاحتها المخدرات وبذل جهود شتى من أجل تحسين حياة السود من سكان أحياء الشقاء الفقيرة فى المدن. وجاءت دعوة فرقان فى عام ١٩٩٧ التى حملت عنوان «مسيرة المليون رجل» فى واشنطن العاصمة لتجمع صفوف الأفرو - أمريكيين من كل أنحاء البلاد.

ثم يبقى السؤال مطروحاً عن: هذا الشخص الذى لا يزال يجذب خيال عدد من الأفرو - أمريكيين برسائله التى تدعو إلى تفوق السود وانفصالهم ويستجيب له عدد لا يستهان به حتى رغم صغر حجمه رغم أن هذه الرسالة نفسها تجعل سائر المسلمين يصرون باستمرار على أن حركة «أمة الإسلام» لم تعد تشكل جزءاً من مجتمعهم بل إن هذه الرسالة ما زالت تستميل وأحياناً تخيف الآخرين ممن يستمعون إلى الشعارات البليغة التى يطرحها صاحب تلك الرسالة ويعايشون الكاريزما التى يتصف بها. فى عام ١٩٣٣ كان مولده باسم لويس إيوجين وولكوت وهو العام نفسه الذى وُلد فيه والاس محمد. وقد اتخذ لويس طريقه فى مجال الموسيقى عازفاً للكمان ومطرباً شعبياً. على أنه تَخلى عن هذه الحرفة عام ١٩٥٥ بعد أن استمع إلى مواعظ إيلجا محمد ثم أقسم يمين الولاء لأمة الإسلام. وهو يعترف بأنه تأثر تأثيراً قوياً بمالكولم إكس الذى استمع إليه وتعرف عليه فى بوسطون وإن كان يقول إن إيلجا محمد هو الذى هداه بالفعل إلى الطريق القويم وعندما قُتل مالكولم تحول لويس وولكوت سابقاً ليصبح اسمه الواعظ لويس فرقان فى معبد نيويورك وليقوم بدور المندوب القومى لسماحة إيلجا (إيليا) محمد.

وفى أواخر الثمانينيات بدأ لويس فرقان يعيد تعريف رسالة جماعة «أمة الإسلام» وفيما ظل يواصل التبشير بالمبادئ الأساسية التى طالما ميّزت الجماعة فقد بدأ كذلك يؤكد على عناصر الديانة الإسلامية ومنها مثلاً الصلاة والصيام فى محاولة بدت وكأنه يرغب من ورائها أن يوثق الوشائج التى تربط بين جماعة «أمة الإسلام» وبين الإسلام المتعارف عليه. كذلك أولى تشجيعاً عميقاً لصلوات الجمعة وخاصة فى مسجد مريم الذى يتخذ مقراً قومياً فى الناحية الجنوبية من شيكاغو. وما برح فرقان يسعى إلى تأكيد ولائه لإليجا (إيليا) محمد وتعاليمه وإن بدا فى الآونة الأخيرة وكأنه يعيد تفسير تلك التعاليم إلى حد ما فضلاً عن مواصلة تأكيد خلافته بعد إليجا وكأنه ينكر ولو بصورة مستترة خلافة وارث الدين.

فى إطار هذا الجهد الذى يبذله فرقان من أجل «أسلمة» حركته فهو يؤكد أهمية توثيق الروابط مع سائر المجتمعات الإسلامية فى الشرق الأوسط وأفريقيا. وعليه فقد أصبح ضيفاً متكرر الزيارات تحيطه هالة الشهرة على المستوى الدولى. ولعدد من السنوات أسهمت أقطار إسلامية عبر البحار بتقديم تمويل كبير لصالح حركة «أمة الإسلام» التى رأتها وكأنها تساعد على نشر الديانة الإسلامية فى أمريكا. على أن المسلمين السنة ما زالوا بانتظار أن يروا ما إذا كان فرقان جادا فى رغبته لتقريب حركة «أمة الإسلام» أكثر وأكثر بما يتفق مع وسطية الإسلام وإن كانوا يتشككون فى هذا الأمر. وفى عام ١٩٩٠، حرك فرقان مشاعر مستمعيه وهو ينطق فى بالمر هاوس فى شيكاغو باعتراف ملهم أقر فيه بنطق الشهادتين، شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمداً بن عبد الله هو رسول الله. بيد أن الأمين العام للجمعية الإسلامية فى أمريكا الشمالية سيد م. سيد أرسل خطاباً فى عام ١٩٩٧ إلى فرقان وهو منشور فى مجلة «إسلاميك هورايزونز» مُعرباً عن خيبة أمله شخصياً وخيبة أمل سائر المسلمين السنة لأن زعيم حركة أمة الإسلام ما زال يؤكد على كثير من المنطلقات الأصلية التى سبق وناذى بها إليجا (إيليا) محمد.

يتقيد أعضاء حركة «أمة الإسلام» بصورة عامة بنظام صارم من حيث ملابسهم (النساء يحرصن على عدم استخدام مساحيق التجميل ولا بد أن يغطين شعرهن)، كما أنهم حريصون فيما يتعلق بأداب الطعام وفى تجنب التدخين وتعاطى المخدرات فضلاً عن الإقلاع عن عادات من قبيل الإفراط فى الطعام أو فى النوم.

ومع ذلك فهم لا يؤدون الصلوات الخمس يوميا. وعلى خلاف الإسلام الصحيح فهم يؤمنون ببعث العقل حيث يتحرر البشر، بدلا من الإيمان بالمبدأ المتعارف عليه ببعث الأجداث من مرقدها يوم النشور، أما الدخل الرئيسى للجماعة فيتأتى من تبرعات أعضاء المنظمة إضافة إلى عائد بيع جريدة «الدعوة الخاتمة» (فاينال كول).

بيد أن الحركة فى ظل لويس فرقان، وبرغم الاختلاف الواضح بشأنها، استطاعت بلا جدال أن تقدم خدمات مهمة على مستوى المجتمع والبيئة المحلية، كما تدعم حكومة الولايات المتحدة برنامج الحركة فى مجالات مكافحة المخدرات ومرض الإيدز فضلا عن جهودها فى مجال الأمن وخاصة فى وحدات المساكن الشعبية الفيدرالية التى اجتاحتها الجريمة وتعاطى المخدرات. وأعضاء قوة «ثمرة الإسلام» المعاد تنظيمها يعملون فى دوريات كحراس فى عدد من المناطق الحضرية الكبيرة ويرتدون أزياءهم التى تميزهم وهى قمصان مكوية وربطات عنق وحل قاتمة. وقد حققت الحركة نجاحا ملحوظا فى التعامل مع أعضاء العصابات المنظمة ومهربى المخدرات وخاصة الشباب من السود والمنحدرين من أصل إسباني وذلك فى إطار جهد قل أن يوجد له نظير. وفيما لا يزال معظم المسلمين فى أمريكا، من السود أو المهاجرين، يقولون إنه لا يجدر اعتبار «أمة الإسلام» جزءا من جماعة المسلمين إلا أن بعضهم، مثل وارث الدين نفسه، أقل استعدادا لأن يستبعدوها، بل هم يلحون على أن التغييرات التى يتم إضفاؤها تدريجيا على جماعة «أمة الإسلام» ربما تشير إلى تحول مطرد وإن كان بطيئا نحو الطريق القويم.

الحركات السنية بين الأفرو - أمريكيين

من الطبيعى ألا يكون أتباع وارث دين محمد ولويس فرقان هم وحدهم الأفرو - أمريكيين الذين انتسبوا إلى الإسلام، ذلك لأن هناك عددا من الأفراد الآخرين يصلحون كأمتة على جاذبية الإسلام للسود ولا سيما على صعيد المناطق الحضرية فى أمريكا. وبعضهم يطرحون أنفسهم تحديدا بوصفهم من أهل السنة ويحاولون اتباع تعاليم الإسلام الواسطى بقدر من الحرص وهو ما يتعارض فى غالب الأحيان مع تعاليم حركة «أمة الإسلام».

وعلى سبيل المثال كانت حركة المذهب الحنفى قد بدأت بصورة أو بأخرى فى مطالع القرن العشرين على يد مهاجر باكستانى. وقد حاول أحد أتباعه وهو خليفة حماس عبد الخالص^(*) ولكن دون نجاح أن يخرق صفوف حركة «أمة الإسلام» ويغير اتجاهها. وعندما فشل فى تحقيق هدفه عمد إلى إنشاء مركز المذهب الحنفى فى واشنطن العاصمة وكان ذلك فى أواخر عقد الخمسينيات. ويعرب أعضاء المركز عن التزامهم بشكل عام إزاء أمريكا وذلك موقف كان يحرمهم فى بعض الأحيان من الشعبية فى نظر سائر جماعات السود وخاصة جماعة «أمة الإسلام». وفى حادثة شائنة وقعت عام ١٩٧٣ أقدم قتلة مجهولون على قتل سبعة من هؤلاء الأحناف وكان من بينهم أربعة أطفال. وبعد ذلك بسنوات ثلاث شن الأحناف أنفسهم، من منطلق اعتراضهم على عرض فيلم بعنوان محمد رسول الله وكانوا قد اعتبروه منافيا للدين، غارة على مباني المكاتب فى واشنطن العاصمة وأخذوا رهائن بعدها وقد قُتل رجل واحد واستدعى سفراء عدة أقطار إسلامية لحل المسألة. ومنذ ذلك الحين ظل الأحناف بعيدين عن الظهور العلنى وكان أبرز عضو من هؤلاء الأحناف كريم عبد الجبار نجم كرة السلة الشهير (انظر السير الذاتية).

هناك جماعة أخرى تعرف نفسها على أنها سنية وتسمى حركة دار الإسلام^(١٤) (تسمى أحيانا باسم دار السلام) وقد بدأت فى ضاحية بروكلين فى نيويورك فى أوائل الستينيات. وكان أول المتحولين رجالاً انتسبوا إلى حركة القوة السوداء وبرغم تعهدهم بأن يتبعوا النبى محمداً وشريعته وهى الشرع الإسلامى فى البداية فقد اعتمدوا أجندة عمل تقوم على أساس الانفصال العرقى. ومنذ أيامها الأولى عانت تلك الجماعة من صراعات داخلية مما عرضها للحل ومن ثم إعادة تجميع صفوفها عدة مرات. وقد تشكلت رابطة جديدة فى أواخر الستينيات، وكانت تجتمع فى شقة صغيرة فى بروكلين استخدموها كمقر للعبادة والتعليم بل والحياة المجتمعية للذين يختارون ذلك. على أن هذه الحركة ما لبثت أن اشتد ساعدها وشبّت عن الطوق فبدأت تنشئ فروعاً فى كثير من المدن الكبرى بالولايات

(*) يلاحظ قدر من التصحيف فى مثل هذه الأسماء. ورغم أننا أوردنا ترجمة حرفية للاسم، فقد نتصور أن الترجمة الأقرب - مفهوماً وإسلامياً هي «العبد الخالص»، والله أعلم «المترجم».

المتحدة. وتم في هذا الإطار تأسيس عدة أماكن للتوجيه والوعظ بما في ذلك مركز تدريب على الدفاع الذاتي الذي يطلبه جميع الشباب. ووقت وفاة إيلجا (إيليا) محمد في عام ١٩٧٥ كانت دار الإسلام تدعى أن لديها أكثر من ٣٠ من الجماعات الإسلامية السنية التي تتخذ مقرها في المساجد. وعند هذه النقطة، وقبل أن يبدأ وارث الدين بتحويل أعضاء جماعة «أمة الإسلام» السابقة نحو الإسلام الصحيح، كانت دار الإسلام هي أكبر منظمة للإسلام السني بين السود في البلاد حيث امتدت مساجدها إلى الغرب في كولورادو ثم في جزر الهند الغربية فضلا عن أونتاريو بكندا والاسكا. ورغم أن كل فرع من فروعها له إمامه الخاص فقد كان الزعيم هو الإمام يحيى عبد الكريم من مسجد بروكلين وتتصوى الفروع المختلفة تحت لواء اتحاد صاغوه على أساس معاهدة المدينة المنورة التي كان قد وضعها النبي محمد.

في ذروتها ظلت حركة دار الإسلام تأخذ الديانة الإسلامية على محمل الجد وكان يُطلب من أعضائها لدى التحاقهم بها أن يؤدوا قسماً يستمر به التزامهم مدى الحياة بل كان يُطلب منهم بالإحاح أن ينخرطوا في سلك دورات فعّالة من التعليم الديني بما في ذلك التدريب على العربية الفصحى وعلى القرآن وعلى السنة النبوية. وبالتدريج بدأوا يتلقون كذلك عناصر من الطرق الصوفية الإسلامية باعتبار أن الإمام يحيى فهم هذه الأمور من خلال دراسة على يد شيخ صوفى باكستاني من الطريقة القادرية.

ومع تطور جماعة دار الإسلام بدأت تتحول عن الأجندة السابقة التي كانت تقضى بالانفصال برغم أن قضية العنصرية والاعتقاد بأن الإسلام يمكن أن يكون هو القوة التحريرية أمور ظلت قائمة باستمرار. ولما كانت الجماعة عازفة عن نشر بعض من النظريات التي جعلت من حركة أمة الإسلام غير مرغوب بها بالنسبة للإسلام الوسطي، فقد عمدت دار الإسلام بالفعل إلى التمسك بصورة أكثر صرامة بتعاليم وممارسات الإسلام مما قد يعده مسلمون كثيرون أمراً لازماً. وهكذا شجعوا الأعضاء على ارتداء لباس على الطريقة الإسلامية وعلى تجنب التواصل مع غير المسلمين. وفي بعض الأحيان نجمت عداوات عميقة بين المتشددتين والمتزمتين من حركة دار الإسلام وبين غيرهم من المسلمين ولا سيما المهاجرين الذين بدوا في عين أعضاء دار الإسلام وكأنهم يبيعون أنفسهم لحساب النظام

الأمريكي. وفي عقد السبعينيات عاود بعض الأعضاء الانفصال لإنشاء جماعة منفصلة وشديدة التزمّت وعرفوا أنفسهم بأنهم الفقراء.

وبحلول عام ١٩٨٠، أعلن الإمام يحيى، متأثراً في ذلك بأستاذه الصوفى، نهاية جماعة دار الإسلام بوصفها حركة انفصالية وكان بذلك أقرب إلى ما فعله وارث الدين مع أتباعه ومن ثم كان الإعلان عن استيعاب الحركة ضمن صفوف الإسلام الصوفى. وعليه تنازل الإمام عن دوره القيادى وتوقف مسجد ياسين فى بروكلين عن أداء مهامه وتم بيعه.

ثمة عضو من جماعة دار الإسلام فى مدينة أطلنطا عارض هذا الاستيعاب ضمن صفوف الصوفية وقاد محاولات لإعادة تجميع أعضاء دار الإسلام إذ كان هو الرئيس السابق للجنة الطلابية لتنسيق اللاعنف وهو هـ. راب براون. وقد ساعد براون فى ظل هويته الجديدة بوصفه الإمام جميل عبد الله الأمين على تشكيل وقيادة اتحاد أصغر بكثير يسمى الآن الجماعة الوطنية. وهذه الجماعة، فضلاً عن الجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية، والدائرة الإسلامية فى أمريكا الشمالية والجمعية الإسلامية الأمريكية التى يقودها وارث دين محمد تشكل حالياً مجلس الشورى الوطنى فى أمريكا وتضم حركة الإمام جميل الأمين نحو ثلاثين فرعاً فى أنحاء شتى من أمريكا وكذلك من منطقة البحر الكاريبى.

ومن بين جماعات الإسلام السنى الأفرو- أمريكية التى أبدت معارضة ضد تعاليم حركة «أمة الإسلام» جماعتان تستحقان ذكراً مختصراً. فقد بدأ الشيخ خالد أحمد توفيق مسجد الإخوة الإسلامى فى عام ١٩٧٠ فى هارلم والشيخ توفيق وهو عضو سابق فى المعبد العلمى المغربى أصبح من أتباع مالكولم إكس دون أن يقبل قط المبادئ العنصرية لأمة الإسلام. وفى ظل إشراف مالكولم غادر إلى حيث الدراسة فى القاهرة بالجامع الأزهر وهو حصن الإسلام السنى. ولدى عودته إلى هارلم بدأ جماعة مسجد الأخوة الإسلامية فى محاولة لتكييف ما فهمه على أنه التعاليم الإسلامية الحنيفة حسب الاحتياجات المحددة للأفرو-أمريكيين. وفى هذا الصدد عمل على المزج بين تعاليم جماعة ماركوس جارفى وتعاليم حسن البنا وجماعة الإخوان المسلمين المصرية. وقد توفى توفيق فى عام ١٩٨٨ وظل مسجد الأخوة الإسلامية يعمل بوصفه حركة صغيرة نسبياً فى ضاحية هارلم.

وهناك أيضاً جماعة أخرى نشأت خلال الفترة نفسها وهي الحزب الإسلامى الذى بدأ على يد د. س. مظفر الدين وكان من عازفى موسيقى الجاز فى عام ١٩٧١. كان متأثراً بدوره بمالكولم إكس وشأنه شأن خالد توفيق سافر إلى الشرق الأوسط ليتعلم المزيد عن الإسلام. وبالإضافة إلى تأثره بالإخوان المسلمين فقد تأثر أيضاً بتعاليم مولانا المودودى الداعية الباكستانية وبدأ الحزب الإسلامى فى واشنطن العاصمة لكى ينشر فهماً أفضل عن الإسلام ويواجه ما كان مظفر الدين يراه بأنه تقاعس المسلمين المهاجرين الذين لم يعملوا بالصورة الملائمة عن النهوض بمهمة نشر العقيدة. أما الفروع فقد تم إنشاؤها بعد ذلك فى مدن أمريكية كبيرة أخرى مثل شيكاغو ونيويورك وهيوستون. وخلال عقد السبعينيات اكتسبت الحركة قوة يعتد بها وانضم عدد كبير من طلاب جامعة هاورد إلى جهود الدعوة ورأى الكثيرون فى الحزب بديلاً عن جهود حركة الحقوق المدنية التى كان قد دب فيها الوهن. وفى عام ١٩٧٥ تلقى الحزب الإسلامى هدية كبيرة من العقيد الليبى القذافى. وجاء قرار الجماعة فى أواخر السبعينيات بالانتقال إلى ولاية جورجيا للحياة ضمن سياق ريفى ليؤكد انفصام عراها فعانت من سلسلة من الانشقاقات واضطروا إلى إغلاق المكاتب فى عدد من المدن الكبرى الأخرى، وفيما بقى منها فصيل على قيد الحياة فقد انتقل إلى ترينيداد وأخيراً إلى جمهورية الدومينيكان. ثم عاد مظفر الدين إلى أمريكا حيث توفى فى عام ١٩٨٣ بينما آلت الحركة إلى نهاية حاسمة ولم يبق منها سوى قلة من أتباعها الذين اجتذبتهم الثورة الإيرانية فأصبحوا منتسبين إلى مذهب الشيعة.

الحركات الطائفية الأفرو - أمريكية

فى الوقت نفسه كان عدد من الحركات الأخرى الأفرو - أمريكية قد انفصل عن أيديولوجية «أمة الإسلام» حيث طرحوا أنفسهم على أنهم شبه إسلاميين بعد أن استعاروا بعض العناصر من الإسلام الوسطى فيما تجاهلوا العناصر الأخرى. والحق أنه يصعب قياس الدرجة التى يمكن بها قبول هذه الجماعات الطائفية من جانب المسلمين لتشكل جزءاً من نسيج الإسلام، إضافة إلى أنهم يتعرضون للاتهام من المسلمين السنة الأفرو - أمريكيين فضلاً عن اتهامات المسلمين من صفوف المجتمع المهاجر بأنهم بعيدون عن الحدود المقبولة إسلامياً.

وقد استمر النظر إلى آسيا و/أو أفريقيا كمصدر للهوية وهى نظرة شاركت فيها الحركات الطائفية للسود فى الجزء الأخير من القرن العشرين على نحو ما كان عليه الحال بالنسبة لأفراد مثل نوبل درو على وإلجا (إيليا) محمد. وهناك مثلان يمكن أن يصلحا لتصوير طابع بعض هذه الجماعات.

جماعة «أنصار الله» هى مذهب للسود تأسس منذ نحو ثلاثين عامًا على يد عيسى محمد الذى كان ملماً بتعاليم كل من «المعبد العلمى المغربى» و «أمة الإسلام». وعلى غرار هاتين الجماعتين، ظل «الأنصار» يؤكدون باستمرار على أهمية تحرير السود الأمريكيين وتخليصهم من وضعهم المتدنئ الذى ألزمهم إيّاه البيض فى محاولة لكى يثبتوا كرامتهم وجدارتهم على أساس تعريف يعتمد على السود وليس تعريفاً يفرضه البيض. إلا أن عيسى محمد رفض ادعاءات درو على (الذى كان يسخر من قرآنه) وكذلك إلجا محمد الذى كان يدعى النبوة. وفيما بذل بوضوح جهداً لكى يكفل لنفسه موقعا فى إطار الرسائل «الإسلامية» المتنافسة على نيل اهتمام الأفرو-أمريكيين، فقد أعلن أن رسالته تفوق رسالة هؤلاء الأفرو-أمريكيين بل وغيرهم. وتبدو أصول عيسى محمد غامضة بصورة متعمدة برغم ما قاله من أن مولده كان فى السودان عام ١٩٤٥ أى بعد قرن واحد بالضبط من مولد جده محمد أحمد بن عبد الله المهدي السودانى. كما أنه يدعى كتابة أكثر من ٣٦٥ كتاباً وكراسة بفضل قوة الله الذى كان يتكلم من خلاله. والواقع فإن كثيراً من تلك الأعمال مازالت متوافرة. ومنذ عام ١٩٩٠ ظهرت جميع أعماله المكتوبة تحت اسم السيد عيسى الهادى المهدي.

بيد أن هذه الجماعة التى كانت تدعى فى الأصل باسم أنصار الصوفية الخالصة فى آخر الستينيات وكانت تتخذ رمزاً لها نجمة داود وعلامة عنخ (علامة الحياة) عند قدماء المصريين، ما لبثت أن غيرت اسمها لتصبح جماعة النوبيين ومن ثم إلى جماعة العبرانيين النوبيين الإسلاميين. ثم أضيف إلى رموزها هلال المهدي الإسلامى وطلب إلى أعضائها أن يرتدوا ملابس أفريقية طويلة. وسرعان ما بدأوا فى نشر صحيفة وعدة دوريات فيما ذهب عيسى نفسه إلى ترينيداد فى جزر الهند الغربية لإنشاء المزيد من فروع الجماعة. وفى عام ١٩٧٣ سافر إلى مصر والسودان وهناك يقول إنه زاره الخضر (الرجل الأخضر) الذى يقال إنه

المرشد الروحي للزهاد المسلمين. ومن هذه النقطة بدأت تعاليمه تبدو أكثر تحديداً من الناحية الإسلامية بل صور نفسه مسئولاً عن نشر الرسالة القرآنية في الغرب. وعندما توفي إليجا محمد في عام ١٩٧٥ لم يُضَيَّع عيسى محمد وقتاً في تعريف نفسه على أنه الوارث الشرعي لإليجا محمد. ثم جاء تأكيداً على أهمية أن يكون المرء أسود مؤكداً الإدانة المواقبة لذلك ضد أبناء الجنس "الشاحب البشرة" وكان ذلك ضمن سلسلة من التهمج على البيض تجاوزت حتى الأيدلوجية التي كانت قد سبقت إلى طرحها جماعة «أمة الإسلام» في أيامها الأولى. هنالك تم حذف مصطلح «العبرانيون النوبيون الإسلاميون» وسميت الجماعة رسمياً باسم "أنصار الله" في ضوء ما ورد في الآية ١٤ من سورة الصف بالقرآن التي تشير إلى أنصار الله. وفي عام ١٩٨١ بدا أن عيسى محمد قد أعلن نفسه بوصفه المهدي المنتظر في الإسلام وفي عام ١٩٨٨ استطاع أن يتقصي نسبه وصولاً إلى الحسين حفيد النبي محمد ومن ثم الانتساب للنبي نفسه.

ومع حلول أوائل التسعينيات، بدأ عيسى محمد يبدو أكثر التزاماً بصحيح الإسلام في مواعظه وتعاليمه حيث شرع في تعديل هجماته الأولى على البيض. ومع ذلك ظل يشير إلى الأمريكان السود على أنهم سودانيون أو نوبيون فيما كان يشير إلى مهمته في رعاية الأفراد الوحيدين الباقين على قيد الحياة من قبيلة بني إسرائيل. ويوضح قدر كبير من الأدبيات التي طرحت في مرحلة تالية كيف أنه كان يعلن أن «أنصار الله» يتبعون ما جاء به القرآن بشكل أوثق مما يفعل أي مسلمين آخرين ولا سيما مسلمي العربية السعودية.

جماعات أنصار الله موجودة حالياً في كثير من مدن الولايات المتحدة فضلاً عن عدد من الأقطار في أفريقيا والبحر الكاريبي بل وأوروبا ويوجد مقرهم في بروكلين، نيويورك في مسجد يسمى مسجد المخلصين. ويضم المسجد مدرسة تشمل فصولاً تضم طائفة واسعة من العلوم الإسلامية إضافة إلى قاعات للمحاضرات ومرافق للألعاب الرياضية ومكتبة ومتحفاً للآثار الإسلامية القديمة.

على أن التلاسن الذي دار بين بعض المسلمين السعوديين وعيسى محمد اشتدت حدته على مدار السنين فقد اتهم عيسى العرب بأمور شتى من بينها التغريب والتحديث، بل وساوى بينهم وبين الذين خضعوا لنفوذ المسيحية. وبرغم

أنه تقاعد كإمام لجماعة الأنصار في عام ١٩٨٨ حيث أفسح المجال لقيادة جديدة، إلا أن الهجمات التي اشتدت ضده من جانب بعض المتقنين السعوديين جعلته يقطع سياق تقاعده من أجل غرض واضح يدافع فيه عن نفسه وعن جماعته فضلاً عن توجيهه وابل من الهجمات المضادة.

هذه الجماعة، رغم صغر حجمها، مازالت تعيد تعريف نفسها، ورغم تحولها صوب الإسلام السنّي إلا أنها تبدو الآن وكأنها تتكص على عقبيها حيث أوضح عيسى محمد أن المسلم بحق هو أيضاً مسيحي بحق، وأن «الأنصار» هم أتباع عيسى المسيح الذين ينتظرون قيامته الثانية. ومنذ عام ١٩٧٤ بدأ الأنصار يتغيرون بصورة ملموسة وباتوا يعرفون الآن بأنهم دعاة المعبد المقدس حيث ازداد اهتمامهم بأمور من قبيل البدايات الغيبية للشعوب النوبية ويحمل قائدهم الآن اسم الدكتور مالاشي ز. يورك وبهذا يجسد الأنصار نموذجاً شديداً الجانبية للمزج بين الإسلام وبين القومية والهوية السوداء إضافة إلى عدد من الملل التي تصنع فيما بينها نسيج الدين في أمريكا.

ثمة جماعة أخرى انشطرت عن «أمة الإسلام» وتدعى باسم أمة الله من بني الخمسة في المائة^(١٥) وتتم الدعوة لرسالة هذه الجماعة بطرق شتى ومن ذلك مثلاً ما يتم من خلال الأنغام المتقطعة لموسيقى الراب. وتم تأسيس الجماعة في هارلم في عام ١٩٦٤ على يد كليرانس «بودنج» ١٣ إكس العضو السابق في جماعة «أمة الإسلام» ومن ثم انتشرت على مستوى المناطق الحضرية في أمريكا وهي توجد حالياً في المدن الكبرى ما بين نيويورك إلى لوس أنجيلوس. على أن دعوتها المباشرة تؤكد، بل وتنفق مبادئ جماعة أمة الإسلام في التأكيد على قيمة السود وهي تجذب بالذات الشباب الأفرو-أمريكيين. وعلى مدى سنوات كان كليرانس داعية متحمساً لأمة الإسلام ولكنه بدأ علانية في معارضة تعاليم تلك الجماعة التي كانت تقضي بأن و.ر. فارض هو الله. ولأن تعاليم الجماعة ذاتها كانت تبشر بأن الرجل الأسود الأصلي هو الله ولم يكن فارض أسود من قريب أو بعيد فإن فارض لم يكن سوى بشر. ولذلك فإن كليرانس وصل إلى حد أن آمن وعلم بأن المسألة لا تقتصر على أن الله أسود بل وبمنطق القياس فإن جميع السود هم أنفسهم الله^(١٦).

(*) تأمل! «المترجم».

وبعد أن تلقى توبيخاً من جانب جماعة «أمة الإسلام» غادر كليرانس صفوفها مصحوباً ببعض أتباعه ليبدأ التبشير بين صفوف شباب الشوارع من السود.

كان كليرانس خطيباً لطيفاً ومفوهاً على طول الخط. وقد بدأ يطور ما أصبح رسالة الراب الشعبية السريعة لأهل الخمسة في المائة وكل شاب يتعلم هذه العقيدة كان يكلف بنقلها إلى فرد آخر ويستحسن أن يكون أصغر سناً وعلى مدى أكثر من عقدين كانت الحركة تتخذ مقرها في هارلم تحت اسم «مدرسة الله في مكة».

وفي يونيه من عام ١٩٦٩ لقي كليرانس نفس مصير مالكولم إكس ومن سواه حيث أطلق عليه الرصاص من جانب قنلة مجهولين. وقد ألقى البعض اللوم على عاتق «أمة الإسلام» باعتبارها انتقمت لمغادرته صفوفها، برغم أن لويس فرقان، الذي كان وقتها رئيساً لمعبد هارلم رقم ٧، أنكر ذلك بقوة وكما حدث بالنسبة إلى مالكولم فإن قاتل كليرانس لم يقبض عليه قط.

إن عقيدة الخمسة في المائة تمثل تركيبة معقدة تجمع بين الرمزية الإسلامية الغامضة وبين نظرية تفوق السود ممزوجة بالثقافة الشعبية. لقد أضاف كليرانس إلى تعاليم جماعة «أمة الإسلام» بشأن الرجل الأصلي الأسود تصنيفاً للبشر طبقاً للنسب المئوية. فأكبر فئات البشر هي نسبة الـ ٨٥ في المائة من سكان العالم الذين لا يعرفون الله بل يعملون في نهاية المطاف على تدمير أنفسهم ودمار الآخرين ومن ثم فهم أبعد ما يكونون عن الخلاص. أما نسبة العشرة في المائة التالية فلديهم المعرفة والقوة ولكنهم يمارسون الاضطهاد ويبشرون بأن الله هو «كائن أثري» ولا سبيل إلى رؤيته رأى العين. وهذه المجموعة تضم المسلمين السلفيين والمسيحيين البيض. أخيراً تأتي جماعة الخمسة في المائة وهم المؤمنون ببقين الذين يفهمون أن الإله الحي هو الرجل الأسود ومن ثم فهم يبشرون بالحرية والعدالة والمساواة وعليه فإن نسبة الخمسة في المائة لا بد وأن يكونوا أفضل من يُعلم الجميع.

بالنسبة لجماعة الخمسة في المائة يمثل الإسلام طريقة للحياة قبل أن يكون عقيدة دينية. وتستعير الجماعة من المذهب الصوفي علم تفسير معاني حروف الأبجدية العربية التي تطوره إلى نظام مفصل يحمل اسم الأبجدية العليا، وهذا العلم

يتوازن مع علم الرياضيات العُلوى وهو بدوره نظام غامض من العد يتصل كذلك بتفسيرات مماثلة واردة في أجزاء من التصوف الإسلامى. وتتطوى الأعداد كذلك على رسائل أخلاقية معينة تتصل بالطرق التى يفهم بها الأعضاء أنفسهم وتستقيم بها مقاصدهم. وهم يعترفون بمكانة الذكور بوصفهم آلهة عندما يبشرون بأن الاسم الصحيح للرجل الأسود هو الله ويفسرون ذلك على أن حروف لفظ الجلالة - الله تتأتى من الحروف الأولى (فى الإنجليزية) للأسماء التى تعرف بها أعضاء وجوارح الجسم على أساس أن الذراع (آرم - ألف) والساق (لج - لام) ثم الساق (لج - لام) والذراع (آرم - ألف) وأخيراً الرأس (هد - هاء) ومن ثم تتكون حروف كلمة الله. وكثيراً ما يتخذ الرجال السود أسماء تعكس مكانتهم الإلهية من قبيل «الله الأعلى» (الله سوبريم) أو عقل الرب الله «جود الله مايند».

هذه الجماعة تسمى أيضاً باسم «أمة الآلهة والأرضيين» وفى إطار هذا التصنيف فالرجال هم الآلهة والنساء هم الأرضيين أو أحياناً الرجال هم الشموس والنساء هن الأقمار التى تعكس نور الشموس.

والذى يجعل من المرأة عندهم سيدة مسلمة هو فى حقيقة الأمر شهادتها بأن رَجُلها هو الله «بالفعل». ويتم التأكيد على أهمية التكاثر على وجه الأرض وخاصة حمل طفل من صلب «إله» ويطلب إلى الأرضيين تغطية شعورهن وارتداء ملابس سابغة طويلة ومن ثم يمكن اعتبارهن فى بعض الأحيان من أهل السنة. على أن ذلك لا يشكل مدعاة لغبطتهن لأنهن يعترضن كثيراً على استخدام جماعة «الخمس» فى المائة» لآى مصطلحات تقضى إلى تعريفهن على أنهن مسلمات وبالنسبة إلى أمة الآلهة والأرضيين، فإن المسلمين السنة ممن يشكلون جزءاً من نسبة العشرة فى المائة يتحملون، شأنهم شأن المسيحيين، وزر إدامة الفكرة الزائفة بشأن إله «أثيرى» لا تتركه الأبصار.

وفيما يصعب تحديد الحجم الدقيق لعضوية حركة الخمسة فى المائة إلا أنه لا جدال فيما تتمتع به من شعبية بين صفوف شباب الأفرو - أمريكيين. ذلك لأن وسيلة موسيقى الراب هى أداة فعالة لنشر رسالة تقوم على أساس سرعة الخطاب وإعادة تفسير الأشياء على نحو يخيم عليه الغموض إضافة إلى أن عدداً كبيراً من

فنانى موسيقى الراب الشعبية أصبحوا بصورة ملموسة مرتبطين بأيدولوجية الخمسة فى المائة بل وعملوا على الترويج لها. إن موسيقى الراب لا يمكن أن تبور قط لأنها تظل فى حالة استيعاب لأحدث التعبيرات السوقية فى الشارع، كما أنها تطور تفسيرات جديدة وطازجة لكى تلائم ظروف كل شخص أو فئة من الأشخاص ممن يمكن أن ينضموا إليها.

هكذا فإن المهاجرين والأفرو-أمريكيين والمتحولين من جماعات أخرى يشكلون فى مجموعهم وبطرق شتى، أبعاد الصورة التى يمكن أن يقال عنها إنها صورة المسلم فى أمريكا وبقدر ما تميز بينهم كثير من الخصائص، تجمع بينهم كذلك كثير من العوامل المشتركة. وفى الفصول التالية نتطرق إلى بعض من القضايا التى يواجهها أعضاء كل هذه الجماعات فى غمار سعيهم لتعريف من هو المسلم ومن ليس المسلم، وأيضاً لتقييم ما هى الأدوار الملائمة والضرورية اللازم القيام بها فى سياق غربى، فضلاً عن تحديد ما يشاركون به بوصفهم أمريكيين فى غمار محاولتهم تشكيل أمة إسلامية فى الغرب.

الحواشي

- ١- ألكس هيلي، جنور (جاردن سيتي، نيويورك: دار دبلداي، ١٩٧٦).
- ٢- مقتبس من ألبرت رابوتو، ديانة العبيد (نيويورك: مطبعة جامعة أكسفورد، ١٩٧٨) في أديب رشاد، الإسلام، القومية السوداء والعبودية (بلتسفيل كتاب ولاية ميريلاند، ١٩٩٥).
- ٣- مقتبس بواسطة بختيار، المرأة الصوفية في أمريكا.
- ٤- نوبل درو علي ذكرى مئوية (١٨٨٦-١٩٨٦).
- ٥- ملاحظة المؤلفة. انظر لينكولن، المسلمون السود في أمريكا.
- ٦- بربوزا، الجهاد الأمريكي.
- ٧- ورد ذكرها خلال اجتماع مع هيئة التدريس في مجمع هارتفورد وأعضاء المسجد، يونيو ١٩٩٧.
- ٨- مالكولم إكس، في هالي، السيرة الذاتية لمالكولم إكس.
- ٩- مالكولم إكس، «الحقيقة عن المسلمين السود» خطاب في كلية أصول الدين بجامعة بوسطون، ٢٤ مايو ١٩٦٠ ومذكور في لينكولن، المسلمون السود في أمريكا.
- ١٠- جارديل، باسم إيجا محمد.
- ١١- هيلي، السيرة الذاتية لمالكولم إكس.
- ١٢- بربوزا، الجهاد الأمريكي.
- ١٣- المرجع السابق.
- ١٤- ر. مختار كورتيس، «مسلمو المدن: تكوين حركة دار السلام» في حداد وسميث، المجتمعات المسلمة في أمريكا الشمالية.
- ١٥- يوسف نور الدين «جماعة الخمسة بالمائة: أمة مراقي الآلهة والأرضين» في حداد وسميث، المجتمعات المسلمة في أمريكا الشمالية.

الفصل الخامس

المرأة والأسرة الأمريكية المسلمة

تنبأ بعض مراقبي الظاهرة الإسلامية على الساحة الدولية بأن القضايا التي تتعرض لأدوار وهوية المرأة المسلمة سوف تصعد إلى صدارة اهتمامات المجتمع، ومن ثم ينبغي للمسلمين المعاصرين أن يولوها اهتمامًا جادًا في العقود المقبلة. والحق أن الحركات الداعية إلى إقرار حقوق المرأة وإصلاح قوانين الأحوال الشخصية التقليدية تتم في كثير من أرجاء العالم. وفي هذا المجال كما في غيره من مجالات التغيرات في الشأن الإسلامي يمكن أن تثبت أمريكا أنها مكان للتجريب وأيضًا لتأكيد الكثير من القيم المتوارثة. فالرجال والنساء في الولايات المتحدة أصبحوا يوجهون اهتمامهم باطراد إلى السبل التي تستطيع بها المرأة أن تساهم في تشكيل الإسلام الأمريكي بقدر ما تشارك في المجالات العامة والخاصة من حياة المسلمين فضلًا عن نشاطها في الميدان الأكاديمي وفي مختلف جوانب الحياة المهنية وكذلك في مواقع العمل على صعيد أمريكا.

وثمة مجالات كثيرة كانت تقتصر في العادة على الرجل وحده ولكنها الآن أصبحت تعد مجالات مشروعة لمشاركة المرأة. وبالطريقة نفسها فإن ميادين العمل التي كانت تعد تقليديًا مجالاً للمرأة وحدها ومن ذلك مثلاً البيت والأسرة بدأ الناس ينظرون إليها في حالات كثيرة بأمريكا على أنها تتيح فرصًا لتقاسم المسؤولية والمشاركة في تحملها. ولسوف نتناول في هذا الفصل طائفة متنوعة من القضايا التي تتعامل تحديدًا مع حقوق المرأة وأدوارها، كما أنها تصور ما يبدو وكأنه حركة متنامية في أمريكا نحو التعاون والمشاركة باعتبار أن الرجال والنساء يتولون أمر عائلات تعكس قدر الإمكان القيم الإسلامية الموروثة وفي الوقت نفسه تظل متأثرة بالبيئة الأمريكية الجديدة.

وفي المجموعة المترابطة من القضايا التي تواجه المسلمين الأمريكيين يوميًا فإن ثمة قضايا أصبحت محورية بما يتجاوز مجرد التعامل مع الأسرة؛ فبالنسبة للمهاجرين والأفرو- أمريكيين أيضًا، بات الحفاظ على الروابط الأسرية العميقة

أمرًا له أهميته الجوهرية بما يتجاوز أى أمور أخرى مهما كانت ضرورتها. وعلى سبيل المثال فإن مسألة عمل المرأة سواء فى المواقع المهنية المتفرغة أو فى أعمال غير متفرغة لمساعدة الأسرة من النواحي المالية كثيرًا ما تطرح على أساس النظر فى إمكانية تحقيق التوازن بين هذا العمل وبين المسئوليات الأسرية التى تضطلع بها. فمسائل رعاية الطفل تهم كثيرًا النساء الأخريات اللاتى يتعين عليهن أن يعملن لمجرد إبقاء الأسرة طافية على السطح من الناحية المالية ولاسيما العائلات التى تتحدر من ثقافة تضمن فيها العائلة الممتدة إمكانية أن يظل الأطفال مكفولين برعاية أقرباء من البالغين الكبار.

وبالنسبة إلى بعض المسلمين سواء من الأفرو-أمريكيين أو الأنجلو-متحولين يمكن أن تتسم قضايا الأسرة بأبعاد مختلفة وعلى سبيل المثال فالذين أتوا فى الأصل من عائلات مسيحية كثيرًا ما يجدون أن قرارهم باعتناق الإسلام يصعب إلى حد بالغ على آبائهم وسائر أقربائهم أن يتقبلوه. بل قد يفضى بهم الأمر إلى أن تقطع وشائج المؤازرة التى كانوا يلقونها ممن يحبون. وفيما لا تحدث باستمرار هذه القطيعة إلا أن هناك ما يفيد بأن هذه القطيعة تتواتر لدرجة أن يتعين أخذها على محمل الجد باعتبارها مشكلة إضافية يتعين أن يواجهها من يتحولون مجددًا إلى الإسلام. وبقدر ما أن الأفرو-أمريكيين أو غيرهم قد يصعب عليهم الدخول إلى صفوف جماعة مسلمة تتألف فى أغلبها الأعم من عائلات مهاجرة، بقدر ما يصبح هذا الشعور بالعزلة أمرًا هو من الصعوبة بمكان. وفيما يمكن لمثل هذا الوضع أن يولد إحساسًا بالتضامن الاجتماعى فيما بين المسلمين من الأفرو-أمريكيين إلا أنه قد يعوق سهولة قيام جماعة أو أمة (مسلمة) تتمتع بعلاقات حميمة بين الأعراق والثقافات.

أدوار المرأة ومسئولياتها

يرتفع باستمرار صوت المرأة الأمريكية المسلمة المتعلمة فيما يتعلق بإصرارها على أن الإسلام يكفل حقوقًا متساوية وفرصًا متكافئة للمرأة والرجل على السواء برغم أن أدوارهما يمكن أن تعد مكملة لبعضها البعض وليست متطابقة مع بعضها البعض. وفى بعض الحالات فإن هذا التكامل يمكن أن ينطوى على

الفصل بين الجنسين في الحياة العامة. وعلى سبيل المثال، من الواضح في الممارسة الشائعة إلى حد كبير للرجل والمرأة أسلوب الفصل بينهما في أماكن العبادة وفي الاجتماعات وفي سائر التجمعات العامة. صحيح أن ليس هناك ما يلزم بالتأكيد بضرورة الحفاظ على حيز مختلف لكل منهما بل إن كثيراً من المسلمين لا يراعون هذا الأمر إلا أن هناك من يؤكدون أن المرأة لها الحق كل الحق في أن تحدد المكان الذي تتواجد فيه شأنها شأن الرجل بحيث تكون مرتاحة عندما تجلس أو تتفاعل مع سائر النساء. وبالنسبة لكثير من النساء فإن هذا الأمر لا يعوق بحال من الأحوال سبل مشاركتهن بالرأى في المنتديات والمناقشات العامة. وقد عقلت سيدة شاركت في مؤتمر إقليمي عن المرأة عقد في منطقة نيو إنجلاند^(٥) في عام ١٩٩٧ فقالت: «لم يكن ذلك فصلاً إجبارياً بين الجنسين وكل ما هنالك أننا كثيراً ما نشعر بمزيد من الارتياح عندما نتاح لنا أن نسترخي بصحبة صديقاتنا دون أن نهتم بما عساه أن يحدث لو تلامست سيقاننا بسيقان الرجال الذين يجاوروننا فضلاً عن أننا نتمتع بفترة من الإحساس الرفاقى بل وقد ينطوى الأمر على مساحة ولو محدودة من الثروة بين الصديقات. إضافة إلى ذلك فإذا ما اعترضن على ما يقال في الاجتماع يصبح بمقدورنا أن نمارس هذا الاعتراض ككتلة أو كجماعات صغيرة». على أن هناك الكثيرين من المسلمين من نساء ورجال ممن يؤيدون تكامل أدوار الجنسين ولكنهم لا يرون فائدة يعتد بها من الحيلولة دون حرية الاختلاط الحر بين الرجال والنساء في معظم المجالات العامة بخلاف أماكن العبادة.

وغالباً ما تحيل الأمريكيات المسلمات إلى نموذج «أمهات المؤمنين» وهن زوجات النبي بوصفهن القدوة في مجال السلوك بل وفي مجال المشاركة المهنية. فالسيدة خديجة أولى زوجات النبي كانت تملك عملاً تجارياً ناجحاً يقوم على تجارة القوافل ولذلك فإن اسمها يرد كنموذج على أوائل المسلمات من «صاحبات الأعمال التجارية» ويقال كذلك إن عائشة، وهي أحب زوجاته، كانت بدورها أول سيدة تعمل بالسياسة وذلك بحكم دورها في معارضة قيادة علي (ابن أبي طالب) فضلاً عن دورها كمرجعية دينية وروحية جليلة حتى إنها تعد من أهم مصادر رواية

(٥) شتان تمر في الولايات المتحدة «المترجم».

أحاديث النبي نفسه. وهكذا فإن المحاولات التي ترمى إلى دفع النساء بعيداً لكي يلتزم من نطاق الحياة الخاص أو إلى إبعادهن عن المشاركة الفعالة سواء في المجالات المهنية أو الجماهيرية وحرمانهن من شغل مواقع السلطة الدينية تقابل جميعاً بمعارضة نشطة بوصفها أموراً تتنافى أدبياً مع مقاصد النبي نفسه ومع الطريقة التي كانت تؤدي بها جماعة السلف الصالح دورها. وفي هذا الصدد يحال إلى القرآن الذي يرى معاملة الرجال والنساء معاملة على قدم المساواة حيث يؤكد أن كلا من الرجل والمرأة يتحمل المسؤوليات الدينية نفسها في حياته كما يؤكد على أن كليهما سوف يحاسب بنفس المعايير يوم القيامة. ويشير المسلمون بعامة إلى أن هذه المساواة تمثل خطوة متقدمة بكثير عن الظروف التي كانت تعيشها المرأة قبل الإسلام مؤكدين على أن القرآن وثيقة منصفة بشكل مرموق بالمقارنة مع الكتب المقدسة للأديان الأخرى.

كما يدافع المسلمون بشكل عام عن الآيات القليلة التي وردت في القرآن التي يعدها غير المسلمين (نصيرات المرأة في الغرب بالذات كما نتصور) على أنها تشير إلى مركز أدنى للمرأة مطالبين بتدبر هذه الآيات ضمن سياقها.

لا تراث المرأة سوى نصف ما يرث الرجل كما أن شهادة امرأتين مطلوبة من أجل معادلة شهادة رجل واحد أمام المحكمة. وهذه التعاليم يتم تفسيرها على أنها أمور عملية في ضوء مسئولية الرجل المسلم عن رعاية المرأة والقوامة عليها. وكثير من المسلمين من رجال ونساء يقولون بأن التكافؤ بين الجنسين ربما يكون مصطلحاً أفضل من المساواة عندما يقارنون ما يتوقع من جانب الرجل وما ينتظر من جانب المرأة فضلاً عن أن عوامل التمييز بين دور كل منهما، وما ينجم عن ذلك من اختلافات في بعض المسؤوليات، كل هذا لا يعني أن هناك من هو أفضل من الآخر أو من يتمتع بميزات أكثر من الآخر. على أن هناك بعض الأصوات الأكثر تقدمية يمكن سماعها حين يقول أصحابها إن بعض هذه المواضع من القرآن التي قد توحى بما يبدو على أنه وضع أدنى للمرأة لابد من إعادة تفسيرها في ضوء السياقات الجديدة والأدوار المتطورة التي باتت المرأة تؤديها. أما الميزة الوحيدة للذكور التي لا يجادل فيها أحد بشكل عام فهي تولى موقع الإمامة أو

القيادة الدينية لتجمع تعبدى من المسلمين. وفي هذا السياق يرد باستمرار السبب الذى لا يزال يجد من يؤيده متمثلاً فى أن المرأة يعوق أداءها فترات المحيض مما يحول دون تطهرها ومن ثم عدم ملائمتها لإمامة الصلاة ولا تشارك النساء عادة فى الأنشطة الدينية بما فى ذلك الصيام خلال شهر رمضان خلال فترات الدورة الشهرية^(*).

وفى كل حال يزداد إصرار النساء والرجال باستمرار على أن النساء يؤدين دوراً ديناميكياً فى صياغة الإسلام الأمريكى. وحتى فى حالة النساء ربات الأسر فهن يشجعن على التماس الوسائل التى تكفل مشاركتهن فى هذه الأمور دون استغلال مبرر المسئوليات التى يتحملنها فى البيت وإن كان ذلك أمراً لا سبيل إلى تجاهله لكنه لا يحول دون أن يضطلعن بأدوارهن على مستوى الجماعة بشكل عام. وفيما لا ينجم سوى القليل من الاختلاف على أن المرأة المسلمة يتاح لها أن تتخرط كلية فى سلك الحياة المهنية (معظم المسلمين الأمريكيين يعترفون بأن المرأة فى بعض الأقطار المسلمة مازالت محرومة من هذه الفرص) وهم يعربون عن أسفهم إزاء هذا الوضع. وتدور مناقشات واسعة النطاق بشأن نوعية المهن الملائمة للمرأة وبشأن مدى ما تتحمله أسرتهن من تضحيات إذا ما اقتضى الأمر أن يتاح للمرأة أن تزاوّل عملاً على سبيل التفرغ. وتلاحظ كثير من المهاجرات أن من الصعوبة بمكان مواصلة العمل على سبيل التفرغ فى الولايات المتحدة لأنهن يفتقرن إلى عائلة ممتدة تساعد فى رعاية الأطفال. وعليه فلسن متحمسات لترك أطفالهن فى مراكز الرعاية النهارية مما يدفع كثيراً منهن إلى خيار البقاء فى البيت مع الأطفال عندما يكونون صغاراً من أجل تهيئة بيئة أسرية ودعم أسرى يرونها أمراً جوهرياً فى السنوات التى يترعرع فيها الأبناء. فإذا سنلن عما إذا كنّ على استعداد للانتفاع من خدمات الرعاية النهارية فى حال إدارتهن من قبل مسلمين تجيب الكثيرات بنعم وتؤكدن على ضرورة «الإدارة بأسلوب إسلامي» بينما تعرب الأخريات عن شعورهن بأن وجودهن فى البيت مع أطفالهن الصغار أمر لازم.

(*) يلزم النظر إلى هذه السطور فى ضوء ما قامت به أستاذة أمريكية مسلمة من إمامة صلاة الجمعة فى نيويورك يوم ٢٠٠٥/٣/١٨ (يرجى أيضاً مراجعة السير الشخصية فى ختام الكتاب) «المترجم».

وهناك من النساء المهنيات من هن على استعداد للمخاطرة بأن يتم تجاوزهن في ميادين الخبرة التي تفوقن فيها بل حتى للتعرض لخطر إعادة انخراطهن في سلك المهنة من جديد بدلاً من أن يتركن أطفالهن في رعاية أفراد لا ينتمون إلى الأسرة.

ومع ذلك تجادل نساء أخريات بقوة على أساس أن هذا الاستعداد من جانب بعض النساء للتضحية بمستقبلهن المهني لصالح أطفالهن هو نوع من التنازل إلى حيث الاكتفاء بالأدوار التقليدية التي من شأنها إبقاء المسلمين الأمريكيين بعيداً عن المشاركة الكاملة في المجتمع. والإصرار هنا يتمثل في أن ما تدعو إليه الحاجة هو تنمية إمكانات التعاون بين صفوف المسلمين من أجل كفالة رعاية الطفل والاعتراف بأن البقاء والاستمرار في المجتمع الأمريكي أمر لا يعنى التراجع بل يعنى المشاركة الشجاعة. وثمة آراء مخالفة يطرحها أصحابها بقوة حيث تقول امرأة مصرية شابة: «يبدو بالنسبة لى أن بوسعنا أن نتعلم كثيراً من الأمريكيات الأخريات اللاتى حاولن أن يسرن فى طريق التقدم المهني فكان أن اكتشفن أن لا سبيل إلى الاستمرار فى هذا الطريق فى ظل الاضطلاع بالمسئوليات الأسرية. إن معدلات الطلاق فى ارتفاع مما يخلق مشاكل تصيب الأطفال وفى هذه الحالة فإن الطموح إلى نموذج هيكل أسرى بديل يكفله الإسلام الحق لا يلبث أن يتبدد ويذهب أدراج الرياح»^(١).

ولا يكاد يختلف المسلمون الأمريكيون على أهمية كفالة التعليم المناسب للفتيات والنساء وكثيراً ما يرددون أن أول كلمة أنزلها الله على نبيه محمد كانت «اقرأ» مما يوضح أن جميع المسلمين من ذكور أو إناث لابد وأن يتلقوا تعليمًا جيداً قدر الإمكان. وثمة رأى يذهب إلى أن من مسئوليات المرأة الدينية أن تقبل التحدى الذى يدفعها إلى توسيع معارفها وأن الله سوف يحاسبها يوم القيامة لأنها لم تقد من جميع الفرص التى أتاحت لها كي تتعلم. وثمة رأى آخر بأنه لو لم تصر المرأة على تعليم نفسها فإن فى ذلك ما يتيح استمرار الأعراف التمييزية بين الجنسين أو الأعراف القمعية التى تتنافى مع الإسلام. وينطوى هذا الرأى على الافتراض بأن الرجل لن يعمل على إصلاح أحوال المرأة بل إن الإصلاح لابد وأن ينبنى على مبادرة من جانب المرأة نفسها. ويصر النساء والرجال على السواء على ضرورة تمكين المرأة من تعليم أبنائها بأطوب ذكى وأن المرأة المتعلمة عنصر

ضرورى للدعوة إلى حض الآخرين على اتباع نهج الإسلام (يؤكد الكثيرون هذه القناعة ومفادها أن المرأة (المسلمة) هي أفضل من يبلغ رسالة الإسلام إلى المرأة غير المسلمة) مع ضرورة تمكين النساء من المشاركة الفعالة فى إجراءات الشورى التى تمثل نموذج الأسلوب الإسلامى فى تنظيم أحوال المجتمع. وما زالت الآراء محتدمة فى كثير من أرجاء العالم بشأن المواضيع التى يمكن أن تكون ملائمة لكى تدرسها المرأة، ولكن هذه الآراء لا تبدو وكأنها تحتل أولوية عليا بين صفوف المسلمين الأمريكيين.

ومن أكثر المواضيع مدعاة للجدل بين صفوف مجتمع المسلمين الأمريكيين مسألة الزى الملائم الذى ترتديه المرأة. ومن الواضح أن هذا موضوع تهتم به كثير من النساء اهتماما عميقا بطريقة أو بأخرى، كما يزداد هذا الاهتمام فيما يتعلق بالقرار الذى يتوصلن إليه بعيدا عن الخطاب السائد فى الحركة النسائية الغربية أو ما يتصل بالدوائر العلمانية. وثمة اتفاق بشأن نقطتين مهمتين فى هذا السياق: أولاً أن الحشمة فى اللباس أمر مناسب للرجال والنساء على نحو ما يوضحه القرآن ذاته. وتبقى القضية بالطبع هى ما الذى يمثل هذه الحشمة (القرآن، وعلى خلاف ما قد تظن بعض النساء المسلمات لا يحدد بالفعل وبدقة أجزاء الجسم التى ينبغى سترها)، ثانياً أن خيار الثياب أمر يخص المرأة. ولا يمكن، أو على الأقل لا ينبغى، فرضه عليها من جانب أبيها أو زوجها أو أى قريب آخر من الذكور. وبالنسبة للمسلمين فى كثير من أرجاء العالم، وبخاصة مسلمى أمريكا، فإن ما يشار إليه على أنه «اللباس الإسلامى» لا يمثل بالضرورة اللباس التقليدى نفسه الذى قد ترتديه نساء من ثقافات أخرى. والذى يسمى بصورة مناسبة باسم السرداء المحافظ بدأ فى واقع الأمر فى الظهور بعد عام ١٩٦٧ وهو عام الحرب العربية الإسرائيلية التى كان النظر إليها بوصفها حدثاً مدمراً لقضية المسلمين. لقد لاحظ المراقبون السياسيون أن الهزيمة حملت كثيراً من المسلمين على أن يتأملوا بعمق ما الذى يعنيه أن يعيش المرء حياة إسلامية لكى يضمن النصر والنجاح بهدى من الله. وهكذا بدأت كثير من النساء فى ارتداء الحجاب (غطاء الرأس) بعد ذلك الوقت آية على التزامهن بالإسلام وسرعان ما أصبح ذلك أحد مظاهر الصحوة الإسلامية التى شهدتيا كثير من أرجاء العالم.

وتبقى القضية الرئيسية بالنسبة للمسلمين الأمريكيين وهي تتعلق بما إذا كان ينبغي لجميع النساء أن يتبعن في لباسهن الأسلوب المحافظ أو الأسلوب الإسلامى حتى يدخلن في عداد المسلمين الأتقياء، وما الذى يشكل فى الواقع وبالضبط شكل هذا اللباس. وكثيراً ما يكون الأفرو - أمريكيين وبعض الأنجلو - متحولين هم الأكثر اتساقاً من حيث ارتداء الثياب التى تغطى كل شيء اللهم إلا اليدين والوجه فضلاً عن اتخاذ نوع من أنواع أغطية الرأس. وهناك قلة تختار إسبال النقاب الكامل على الوجه وما حقيقة ازدياد عدد من المحال ومتاجر الجملة التى تخصص فى الزى الإسلامى، بما فى ذلك الأردية الطويلة (التي تسمى أحياناً الجلباب) والأوشحة وأنواع أخرى من أغطية الرأس الأنيقة وحتى الأحذية التى تتسجم مع كل ذلك، إلا أن الأمر بات يمثل مصدراً لارتياح كثير من النساء وإن كان يمثل قلقاً للأخريات فعندما تبدأ تجارة الملابس وكأنها تتجه أكثر نحو اتباع أحدث موضة الأزياء يشعر البعض بأن ذلك سبب يستحق الانشغال..

وتدور بين كثير من الدوائر الإسلامية مناقشات تتسم بحيوية شديدة بشأن دور الملبس الإسلامى فى نجاح المرأة فى موقع العمل أو افتقارها إلى تحقيق هذا النجاح. وتصر نساء كثيرات على أن ارتداء الملابس المحتشمة يجعلهن يشعرن بإمكانية الانخراط الكامل فى الحياة العامة وهن متأكدات بأن الناس سوف يحترمونهن كنساء يتحلين بالتقى والورع. وهناك من يصل إلى حد القول بأن الرداء الإسلامى ييسر على المرأة أن تتحرك بسهولة فى ميدانها المهني. على أن كثيرين يطرحون التجربة المعاكسة تماماً حيث تقول امرأة فلسطينية فى منتصف العمر: عندما كانت الترقية من حقي استدعاني رئيسي وقال لي بصراحة إنه فى ضوء جوانب العلاقات العامة التى ينطوى عليها المركز الجديد فلسوف يكون من الأفضل بكثير إذا لم ألبس ما كان يسميه باستمرار «تلك القبعة» وأجبتّه بأن «القبعة» لها أهميتها بالنسبة لى أكثر من الترقية ولم أفاجا عندما لم أحصل على الترقية»^(٢)، وهناك من يورد أمثلة صارخة أكثر عن التحيز حيث تسمى المرأة التى ترتدى الحجاب فى العمل باسم «القلنسوة» بل و «الممسحة». وإذا ما كان لمثل هذه الحوادث أن تجعل بعض المهنيات من المسلمات يتوقفن عن التقدم، إلا أن تلك الحوادث ذاتها بدت وكأنها تدفعهن إلى مزيد من النشاط بل وإلى مزيد من

الإصرار على ما يرتدينه من ملابس. ومن الواضح أن القضية الرئيسية التي تتعلق باللباس لا تتصل من قريب أو بعيد بالأكمام الطويلة أو بتغطية السيقان بصورة أو بأخرى بل إنها تتركز على غطاء الرأس الذي يضمن عدم ظهور الشعر. وقد كان الشعر يعد تقليدياً أكبر عوامل جاذبية المرأة بحيث لا يجوز الكشف عنه سوى لزوجها أو لمحارمها الأقربين.

ومن الواضح أن كثيراً من هذه المناقشات تؤيد حق المرأة في حرية الخيار بالنسبة لأمر اللباس، برغم أن كثيرات يشعرن أن الاختيار يتعلق بـ «متى» قبل أن يتصل بـ «ما» إذا كانت سترتدي الحجاب. وتسوق سيدة مسلمة أفرو - أمريكية أمثلة عن معارفها من المسلمات ممن لم يرتدين الزى الإسلامى ثم صادفن أزواج المستقبل في النوادي الاجتماعية بل وفي حانات وهي أماكن لم تكن هي نفسها تتردد عليها على الإطلاق وهي تنعى ذلك قائلة «في الوقت نفسه فإن نساء مثلى ممن يعبرن عن إسلامنا في الثياب التي نرتديها ربما يشكلن تحدياً للرجال الذين لا يتصورون أنهم لن يرقوا إلى ذلك المستوى وعليه فمازلت بغير زواج»^(٣)، أما الأخريات فيصررن على أن الأزواج اختاروهن لأن ثيابهن بدت وكأنها تعكس التزاماً أصيلاً بالدين. وبطبيعة الحال فإن كثيراً من المسلمات في أمريكا يرفضن تماماً الفكرة التي تقول بضرورة أن يرتدين ثياباً بأكمام طويلة فضلاً عن استخدام وشاح أو حجاب. ومع التسليم بأن ارتداء ثياب كاشفة، على نحو ما تفعل بعض النساء الغربيات، أمر غير مناسب إلا أنهن يؤكدن أن الحشمة هي مسألة ترجع إلى تقدير الفرد. وأن آية المرأة المسلمة بحق ينبغي أن تتمثل في سلوكها وليس في مظهرها. وثمة امرأة مصرية عاشت في أمريكا على مدار عدة عقود وقد أعربت عن شعور عدد من المسلمات الأمريكيات إزاء ارتداء الحجاب فتقول: «في البيت لم يحدث أن ارتدت أى سيدة في عائلتي حجاباً أو غطاءً للرأس منذ الجزء الأول من القرن العشرين. وأنا أجد أن من الأمور المؤلمة إيلاماً شديداً أن أتى إلى هذا البلد فأخضع لضغوط شديدة لكي أتبع شكلاً معيناً من أشكال اللباس في حين أدرك أنه قد اقتضى الأمر قدراً كبيراً من شجاعة رائدات الحركة النسائية المسلمة لكي يتخلصن منه منذ سنوات طويلة خلت»^(٤)، ويمثل دور المرأة في المساجد قضية أخرى حازت اهتماماً واسع النطاق من جانب الأمريكيين المسلمين. وبغير شك ظلت المرأة تشارك بعمق في الأنشطة المتصلة بتنظيم وإنشاء المساجد على مدى

العشرات من الستين. وثمة قوائم تذكر أسماء النساء إلى جانب الرجال كمؤسسين لبعض المنشآت التي تم تشييدها في مراحل مبكرة. وكثيراً ما لعبت النساء أدواراً فعالة في مجالات التنظيم. ولا عجب أن شاركن في الجانب الاجتماعي من أنشطة المساجد، ومن ذلك مثلاً تنظيم مآدب العشاء ومبيعات المخازير وغير ذلك من المناسبات التي كانت تقصد إلى جمع الصفوف على صعيد واحد. ومع ذلك ففي وسط مجتمع المهاجرين نجد أن الأدوار التي اضطلعت بها النساء من الناحية المؤسسية ما برح يعوق نموها إلى حد كبير التوقعات الثقافية النابعة عن البلد الذي جاءت منه المرأة أو جاءت منه أسرتها في الأصل. والمسلمون الذين يتجهون بقوة نحو مراعاة تقاليد بلد منشئهم قد يجدون أن من الصعب اتباع نهج المرونة في فهمهم الأدوار القيادية للرجال والنساء داخل المسجد. وفضلاً عن ذلك فبعض المجتمعات المسجدية التي ظلت تعمل منذ مطلع القرن العشرين وشارك في أنشطتها كثير من النساء بفاعلية ملحوظة اكتشفت أن تلك الفرص تعرضت للتحجيم بدرجة ما مع وصول المهاجرين والقادة الجدد من تلك البلدان التي لا يتاح فيها سوى فرص أقل أمام النساء في الحياة العامة. كما شهدت حالات أخرى تلك الأدوار الفعالة والجلية الوضوح التي قامت بها المرأة ثم واكبتها حركة على صعيد بعض المساجد نحو المزيد من المجتمعات المتنوعة والمزيد من المشاركة في شتى أنشطة الاتصال ومن ثم يمكن أن تخدم المرأة كرئيس لمثل هذه التجمعات بين حين وآخر ولكن دون أن يكون ذلك هو النمط الغالب.

وهناك من المسلمين من لا يزالون يشغلون أنفسهم بقضية ما إذا كان للمرأة أن تشهد المسجد أصلاً. وكما رأينا، فبينما كان النبي محمد يشجع بالفعل على المشاركة الكاملة للنساء في الحياة العبادية لجماعته الفتية، فسرعان ما أتى حين من الدهر بعد ذلك حالوا فيه بين المرأة وبين الحياة العامة. وهكذا أصبح المسجد، إذ كان محور التعبير العام عن العقيدة، مكاناً مقصوراً على الرجال في معظم المواقع. أما النساء فعلى فرض أدائهن أصلاً للصلوات فقد حكم عليهن بأن يؤدنها أساساً في البيت. وفي كثير من بقاع العالم اليوم، يتعرض هذا النموذج حالياً لمعارضة شديدة. وبالتأكيد هذا هو الحال في الولايات المتحدة حيث يتزايد اتخاذ المسجد والمركز الإسلامي محوراً لنشاط العائلة بأسرها.

ويتعامل المسلمون مع قضية الزي الملائم والموقع الذي يؤدون فيه الصلوات باتباع أساليب شتى طبقاً لنوعية الجمهور ومقاصد المسجد وتوجهات قيادته. وبصورة عامة فإن نساء المهاجرين يرتدين ملابسهن بصورة محافظة عندما يشاركن في أنشطة المساجد حيث الاهتمام بالذات بتغطية الشعر وكذلك ستر الذراعين والساقين. ولكثير من المساجد المشيئة حديثاً مداخل منفصلة للنساء، أما مكان جلوسهن خلال الصلوات فأمر يتصل بالتقاليد وباتجاه الإمام أو غيره من القائمين على أمر المسجد وكذلك بمرفق العبادة ذاته، فقد لا توفر الأبنية التي تحولت إلى مساجد إمكانية تخصيص مساحة منفصلة للنساء خلال أداء الصلاة. وثمة عدد من النماذج المختلفة تستخدم حالياً في المساجد الأمريكية برغم أن القاعدة العامة هي ألا يجلس الرجال والنساء معاً في تجمعات مختلطة من أجل أداء شعائر العبادة. وأياً كان المبرر فإن السبب الأساسي هو الطابع الجسماني المحدد لعمليات السجود في الصلاة حيث تلمس الجبهة الأرض، بينما ترتفع بقية الجسم مما يفرض فصل الرجال عن النساء تجنباً لنشئ التركيز خلال الوقوف بين يدي الله.

وفي بعض المساجد «البرالية» قد يتواجد النساء في جانب من صحن الصلاة فيما تتواجد النساء في الجانب الآخر على مبعده من مقدمة المكان وربما يفصل بين الجانبين حاجز منخفض. ويمكن أيضاً، استناداً لما هو مفهوم من أن الرسول مارسه في مجتمع المدينة، أن يتعبد الرجال في مقدمة صحن الصلاة وأن تصلي النساء في الصفوف الخلفية. وفي عدد من المساجد، ولاسيما تلك التي تم تشييدها في الآونة الأخيرة مع اتباع الخصائص التقليدية، تتحرك النساء من خلال مدخلهن الخاص وينتقلن مباشرة إلى مرافق الوضوء ومن ثم إلى شرفات في الطابق الثاني حيث يتجمعن ومعهن أطفالهن. وبصفة عامة يوجد سياج من نوع ما يستطعن الإطلال من فوقه فيتمكن من رؤية الإمام والرجال المجتمعين في الطابق الأسفل. أما في المساجد الأكثر محافظة فيمكن أن تتواجد النساء في قاعة منفصلة تماماً دون أن تتاح أي إمكانية للنظر إلى القاعة الرئيسية للصلاة وفي تلك الأماكن غالباً ما يتم نقل شعائر الصلاة عن طريق دائرة تليفزيونية مغلقة أو عبر مكبر للصوت بحيث يتسنى للنساء متابعة الصلاة والإصغاء إليها والمشاركة فيها.

ما هي أنسب النماذج لأداء العبادات في أمريكا؟ هذا سؤال ما برح مطروحاً

قيد النقاش، ومن المؤكد أن هذا النقاش سيواكبه محاولات للتجديد والتحسين. وفيما يمكن لبعض النساء المسلمات أن يعترضن إذا ما تم فصلهن تمامًا عن الرجال، ومن ثم لا يتمكن من رؤية الإمام خلال أداء الشعائر، فإن القليلات هن اللاتي سيطرحن الدعوة لاتباع ذلك النوع من الاختلاط الكامل المتبع بعامة خلال أداء الشعائر المسيحية.

الزواج والطلاق

يتسم الزواج بأهمية كبيرة في الإسلام لدرجة أن المجتمعات التقليدية لم تكن تقسح مكانًا للرجل الأعزب أو المرأة غير المتزوجة. وتولى الأسر الإسلامية أهمية كبيرة لإعداد بناتها من أجل الزواج. ورغم أن الأهمية تتغير بطبيعة الظروف إلى حد ما في الغرب إلا أن الاهتمام بالزواج والعائلة يظل فائقًا في كل حال.

وبحكم نصوص الشريعة الإسلامية يجوز للرجال المسلمين أن يتزوجوا يهوديات أو مسيحيات على أساس أن رب الأسرة الذكر هو الذي يحدد الديانة التي سيتم على أساسها تنشئة الأبناء. لكن المرأة المسلمة من الناحية الأخرى لا يسمح لها بحكم الشريعة والعرف بأن تتزوج أي فرد إلا أن يكون مسلمًا برغم أن القرآن لا يحدد هذا الأمر بهذه الطريقة. وهذه الحرية في الاختيار التي تتاح للرجل دون أن تتاح للمرأة كانت سببًا في بعض المشاكل التي شهدتها الثقافة الأمريكية حيث المسلمون مازالوا أقلية إلى حد كبير. وعندما يختار الشباب أن يتزوجوا خارج نطاق ديانتهم فإن النساء يجدن أحيانًا أن اختيارهن لشريك في الزواج أمر تحده عوائق خطيرة. وفي بعض الأحيان كان يتعين على عائلات الفتيات المسلمات المؤهلات للزواج أن تلتزم الأزواج المناسبين في أوطانهم الأصلية.

وبرغم أنه ليس من الغريب في أمريكا أن يتزوج مسلم امرأة غير مسلمة فإن الضغوط مازالت قوية بالنسبة للرجال والنساء من أجل اختيار شريك من صفوف المجتمع المسلم. أما قناعة كثير من العائلات التي لا تريد لبناتها الدخول في علاقات عاطفية فلا تتبع فقط من الرغبة في حماية الفتاة ولكن من الخشية من أن هذه العلاقات العاطفية من شأنها أن تفضي بالحثم إلى المزيد من حالات الزواج من ديانات أخرى. وفي كثير من الأحيان فإن اشتداد الرغبة التي تدفع الشباب إلى

الزواج من صفوف الجماعة الاثنية أو الثقافية المعينة التي ينتمون إليها تؤدي إلى مزيد من تعقيد مسألة الزواج. وعلى سبيل المثال يشعر بعض الأنجلو - أمريكيين الذين تحولوا إلى الإسلام بالإحباط في محاولاتهم الزواج من مهاجرات مسلمات لأن عائلاتهم لن تسمح بذلك. وبصفة عامة ينزع الأفرو - أمريكيين والإسبانيو الأصل وغيرهم من جماعات الأقليات الاثنية المسلمة إلى أن يتزوجوا من بين صفوف الجماعات التي ينتمون إليها. وليس من الغريب على امرأة غير مسلمة تكون قد تزوجت فردًا من عائلة مسلمة أن تشعر بقدر من الضغوط التي تمارس من أجل تحويلها إلى الإسلام برغم أن هذا أمر ليس ضروريا من الناحية الشرعية. بعض النساء في هذه الحالة يتحولن إلى الإسلام أملاً في التواصل بصورة أيسر مع أسرة الزوج. أو قد يكون لديها من الأسباب الشخصية ما يحملها على أن تختار أن تصبح مسلمة. ومع ذلك فالمشاكل لا يستهان بها أيا كان السبيل الذي تختاره زوجة شابة وهي تسهم في إثارة المشاعر سواء من جانب المسلمين أو غير المسلمين ومفادها أن حالات الزواج المشتركة بين دين وآخر ربما يفيد تجنبها قدر الإمكان وأنه ينبغي الدخول في غمارها بأقصى قدر من الحذر وتدبر العواقب.

على أن الأسر المسلمة تظل مشغولة بأحوال شبابها، ولا سيما الفتيات، وذلك في حالة زواجهن خارج إطار الديانة. وبنفس المعيار فالآباء من غير المسلمين كثيراً ما يشعرون بالجزع عندما يعلن أبنائهم عن عزمهم الزواج من مسلم أو مسلمة. وقد كتبت كارول أنوى عن تجاربها الخاصة لمساعدة الآباء الآخرين في التعامل مع مواقف من هذا القبيل حيث تسجل المعاناة التي شعرت بها في البداية عندما أفضى زواج ابنتها من غير دينها إلى أن اعتنقت ابنتها الإسلام.

- «ماما، أنا احتاج إلى أن أتكلم معك»

استدريت وتوجهت صوب المطبخ. كانت الدموع تغرق عيوني. لا، لن أتكلم معها. لست قادرة على تحمل ما تصورت أنها ستقوله. «ليس الآن» هكذا أجبتها دون أن انظر نحوها.

- «لا أريد أن أسمع ما تقولين».

- «لابد أن تسمعيني يا أمي أرجوك»، أخيراً استسلمت وجلسنا معاً.

- «أمى لقد تحولت إلى الإسلام...»^(٥)

ومن الآباء من يشعرون بقلق لأن من شأن زوج مسلم للابنة أن يريد بعد الزواج العودة إلى بلده الأصلي حيث يمكن أن تكون الظروف أصعب بكثير بالنسبة لزوجته غير المسلمة. ولا سبيل إلى التهوين من مخاوفهم هذه لدى مشاهدة أعمال من قبيل فيلم «ليس دون ابنتي» وهو من بطولة سالى فيلدز، ويدور حول رجل مسلم من إيران يقوم حرفيا باختطاف ابنته منها ويعيدها إلى أسرته بعيدًا عن أمها الحقيقية. مثل هذه القصص، وقد تكون حقيقية للأسف في بعض الأحيان، كثيرًا ما يهول من وقعها تصادم القيم التي تتطوى عليها حيث تسبب ألمًا بالغًا للمسلمين الأمريكيين الذين يجدون في مثل هذه الأحداث أمورًا باعثة على قلق عميق وهي ليست إسلامية على وجه التأكيد.

ومن الطبيعي أن حالات الزواج بين رجال مسلمين ونساء مسيحيات كثيرًا ما تصادف في واقع الأمر مشاكل خطيرة برغم النوايا الحسنة التي ينطلق منها الطرفان وأحيانًا حتى برغم ما قد يلقونه من مؤازرة من جانب عائلاتهم. ومن أصعب الحقائق ما يتمثل في أن الزواج ضمن السياق الأمريكى عادة ما يعنى اتحادًا بين فردين حيث إن العائلات لا تتلاقى معًا إلا مصادفة وأحيانًا بصورة غير مضمونة في المناسبات الأسرية. ومع ذلك فبالنسبة للمسلمين لا يزال الزواج ينظر إليه على أنه اتحاد بين أسرتين حيث الوالدان أو سائر الأقارب يقومون باتخاذ جميع الترتيبات على نحو ما جرى عليه العرف. وبرغم أن حالات الزواج هذه التي تسمى بالزواج المرتب أصبحت أقل شيوعًا الآن في كثير من المناطق الحضرية من البلدان الإسلامية فإن كثيرًا من الأسر المهاجرة تأتي وفي جعبتها توقعات من شأنها إعاقة رابطة الزواج في المشهد الأمريكى بين المسلمين وغير المسلمين. ولا يزال التقاء الأسرتين، بدلاً من بساطة التقاء الفردين، هو الفهم السائد الذي يتم التكيف معه ولكن دون استبعاده تمامًا في أمريكا.

ويحرص المستشارون المسلمون العاملون في حرم الكليات وفي المراكز الإسلامية لإسداء مشورة بشأن الزواج بعامة، وكذلك بشأن حالات الزواج من دين آخر على تحذير شركاء المستقبل مما قد يصادفونه من مشاكل على الطريق. وثمة قناعة ماثلة في أذهان كثير من الشباب المسلم بأنهم يريدون زواجًا يقوم على أساس

مساواة الشريكين اللذين يتقاسمان المسئولية عن البيت والأسرة ويساهمان معا من الناحية المالية في ميزانية هذه الأسرة وهم في هذه الحالة يبدؤون في الشعور بالضغط من جانب المهاجرين المسلمين الآخرين سواء في المسجد أو في المجتمع المحيط بهم ممن لا يوافقون على هذه المعايير الأمريكية «البرالية» المعاصرة. أو قد يعود هؤلاء الرجال إلى الوطن في زيارة مطوّلة أيا كان موقع هذا الوطن، ودون إدراك ما يجرى، يجدون أنفسهم وقد ارتدوا إلى الأساليب التي كانت متبعة في الماضي. ورغم أن هذه الأمثلة ليست حتمية إلا أنها تحدث بتواتر يكفي للتحذير مما قد تتطوى عليه من عواقب خطيرة. وقد بذلت محاولات لإنشاء شبكة من رجال الدين المسلمين على المستوى القومي ممن يمكنهم إسداء المشورة لشركاء الزواج من دين آخر عندما تنشأ المشاكل كما ظل بعض القساوسة المسيحيين يعملون مع القادة المسلمين لاستجلاء إمكانية التعاون في هذه المشاورات.

على أن العلاقات التقليدية بين الرجال والنساء في إطار هيكل العائلة مازالت محل اهتمام عميق للغاية في أمريكا ومن الآيات القرآنية التي ما برحت موضع نقاش واسع النطاق ما ورد في سورة النساء، الآية ٣٤ التي تقول: «الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ [لإعالة النساء] فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ»

وكما توضح الآية فقد درج الأمر على أن يظل الرجال المسلمون مسئولين ماليًا عن النساء. وعليه فإما أن يكون الزوج أو فرد آخر من أقارب المرأة الذكور هو المسئول عن تلبية احتياجاتها، فهذه العادة، على الأقل من الناحية النظرية، تؤكد أن المرأة سوف تجد دائمًا من يرعاها. والمسلمون حريصون على تأكيد أن الحقيقة الأمريكية التي تفيد بأن كثيرًا من النساء العزباوات والأمهات غير المتزوجات يعشن تحت مستوى الفقر إذ لا يجدن رجالاً يقومون بإعالتهن أمر ليس بالمتصور في ظل نظام إسلامي حقيقي. وبيت القصيد هنا أن هذه المسئولية المالية تعنى أن يظل اتخاذ القرار النهائي في يد الرجل. وكثير من النساء المسلمات اللاتي يولين هذه المسألة فكريًا عميقًا حتى في السياق الأمريكي يرين أن هذا ثمن ضئيل يدفعنه لقاء الشعور بهذا الأمن. وقد سنلت مصرية شابة من جانب صديقة أمريكية: ألا

يضايقتك حقيقة أن تتصورى أن زوجك فى المستقبل سوف تكون له الكلمة الأخيرة؟» فأجابت الفتاة المسلمة قائلة: «أجل هذا أمر يدعو للإحباط ولكننى أظن بأمانة أنك لو لم تبالغى فى جعلها مشكلة، فإن هذا هو النظام الوحيد الذى يصلح فى نهاية المطاف». بيد أن كثيرًا من المسلمين المعاصرين، ولاسيما الذين تربوا أو تعلموا ضمن السياق الأمريكى بدأوا يجادلون فى مسألة السلطة النهائية «وعلى المسلمين أن يبادروا ببساطة إلى طرح أنماط جديدة من التفسير التى تحترم ما يقصد إليه النص القرآنى ولكنها تتيح هذا النوع من الأخذ والرد الذى تصر عليه المرأة الغربية بشكل عام. والواقع أنه فى معظم زيجات المسلمين اليوم، وأيا كانت الشعارات المرفوعة بشأن سلطة الرجل، فإن المرأة تعرف بالضبط كيف تمارس السلطة وهو أمر ظلت تدركه باستمرار»^(٦).

لكن ينبغى القول بأنه برغم ما يبدو من أن «الضرب» أمر مسموح به فى الجزء الأخير من هذه الآية القرآنية، فليس هناك من المفسرين المسلمين الثقات من يشير إلى أنه ينطوى على أى شيء أكثر من نقرات خفيفة للغاية، نقرات تقصد إلى تذكير الزوجة بمسئولياتها الزوجية. ولا سبيل على الإطلاق إلى الاحتجاج بذلك على أنه يرى فى ضرب الزوجة أمرًا مشروعًا برغم أن الرجال المسلمين، شأنهم فى ذلك شأن المسيحيين وغيرهم من الرجال، لجأوا إلى تلك الأفعال فى بعض الأحيان. بيد أن العنف المنزلى لم يلق سوى مناقشة محدودة للغاية ضمن صفوف المجتمع الإسلامى الأمريكى اللهم إلا فى الآونة الأخيرة. والآن يسود اعتراف أكثر علانية بأن العنف المنزلى فى نطاق العائلات المسلمة يزداد برغم أن المسلمين يعترفون بأنهم أقل اقترافًا له بالمقارنة مع جيرانهم من غير المسلمين. وتشجع المقالات المنشورة فى الصحف الإسلامية قراءها على مواجهة حقيقة تصاعد هذا العنف وعلى أن يتفهموا عوامل التوتر التى تسهم فى الإقدام عليه وأن يعملوا على تجنبه. وفى هذا السياق يكتب صحفى مناشدًا أن يهتم المسلمون بهذه المشكلة الناشئة فيقول «الشخصية الإسلامية القوية التى تدين الغضب وتؤكد على التسامح والتعاطف هى وحدها التى يمكنها أن تقلل هذا الاتجاه نحو العنف»^(٧).

أما الأمريكيون من غير المسلمين فكان يصعب عليهم دائمًا تبرير ما يرونه بمثابة إباحة إسلامية لتعدد الزيجات أو من الناحية الأكثر فنية تعدد الزوجة (أى

زواج أكثر من واحدة). أما المسلمون فيعملون جاهدين على التفسير بأن القرآن، وإن يقضى بالفعل بأن للرجل في ظل ظروف معينة أن يتزوج ما يصل إلى أربع زوجات إلا أنه ينص على ضرورة أن يعدل الزوج بين زوجاته جميعًا. وكثير من المفسرين المحدثين للقرآن فسر هذا الشرط على أن الله لا يريد في الحقيقة أن يتزوج الرجل أكثر من واحدة وإلا ما كان ليفرض هذا الشرط الصعب في حالة تعدد الزوجات. ويشير آخرون إلى أنه وقت نزول الوحي القرآني كانت النساء يفقدن أزواجهن في المعارك والغزوات الكثيرة التي كانت تشهدها الأمة المسلمة الناشئة حين ذاك. وعليه ففي رأيهم أن حكم اتخاذ الزوجات الأربع جاء من منطلق الإحسان إلى هؤلاء النساء اللاتي فقدن أزواجهن. وفي أي حال، فإن قلة من الرجال المسلمين في أي مكان في العالم هي التي تستطيع من الناحية المالية زواج أكثر من امرأة واحدة في وقت واحد برغم أن وجود زوجة إضافية في بعض البلدان الأشد فقرًا يفيد في واقع الأمر في تخفيف العبء المالي عندما يضيف إلى الدخل المكسوب خارج المنزل. وبعض المسلمات الأمريكيات، وهو أمر يصدق أيضًا على نظيراتهم المتعلقات في أقطار أخرى، يفهمن أن من حقهن النص في عقد الزواج على ألا يتزوج الزوج من امرأة أخرى. وعلى مدار القرون، فإن تعدد الزوجات خلق في غالب الأحيان ظروفًا صعبة للزوجة الأولى بل إن تهديد الزوج باتخاذ زوجة أخرى كان بمثابة أداة فعالة لفرض السيطرة الذكورية.

والحاصل أن حالات تعدد الزوجات لا تمثل بصورة عامة مشكلة في أمريكا لسبب بسيط هو أنها محظورة بحكم القانون برغم أنها ليست بالمجهولة أيضًا. ومع ذلك فإن المسألة ليست غير ذات صلة في هذا السياق الغربي. وبعض النساء مازلن يعربن عن الخشية بأن يجدن أنفسهن زوجة ضمن عدة زوجات. وفي هذا الصدد تكتب زوجة قلقة في عمود طلب المشورة قائلّة: «عزيزي [المستشار الإسلامي] لقد أسرّ زوجي إلى أنه يريد اتخاذ زوجة ثانية... وأنه يريدنا أن نساعد أرملة وأبنائها من خلال زواجه منها». وهكذا فإن الكاتبة تعترف بأنها تشعر بالذنب إذ يراودها الأسف على حال المرأة الأخرى ولكنها لا تريد أن تشاركها زوجها، ومن ثم فهي تسأل عما تفعله في هذا الصدد ويجيبها المستشار قائلًا: لأن تعدد الزوجات غير مشروع في الولايات المتحدة فلن يستطيع زوجها اتخاذ زوجة ثانية، أما اهتمام الزوج بمصلحة المطلقة أو الأرملة فلا بد من موازنته باهتمامه

بالسلامة النفسية لزوجته^(٨)، وأحياناً ما يرد المسلمون على سخرية الغرب من تعدد الزوجات فيوجهون الاتهام بأن عدداً أكبر من الأمريكيين لهم زوجات متعدّدات أكثر من المسلمين ويقولون إن الفرق هنا هو أن الأمريكيين يتخذون زوجاتهم في إطار من التسلسل حيث يبدأون بالطلاق ثم إعادة الزواج بدلاً من أن يفعلوا ذلك مرة واحدة.

هذا ويمكن تجنب المشاكل التي قد تثار ويواجهها الرجال والنساء في إطار الزواج على نحو ما يقول المستشارون والناصحون للشباب المسلم إذا ما أولوا الاهتمام الملائم لمسألة اختيار الشريك المناسب في رابطة الزواج. وتعمل المنظمات الإسلامية القائمة سواء على الصعيد المحلي أو القومي بصورة أو بأخرى على أداء وظيفة «الخاطبة» أو بوصفها نوعاً من الأسرة الممتدة التي تساعد الأفراد على إيجاد شريك الزواج الملائم. وكثير من الجرائد الإسلامية وغيرها من وسائل الميديا الإعلامية المسلمة بما في ذلك شبكة الإنترنت تضم أبواباً منشورة خاصة بالزواج. وفيها يورد الرجال والنساء وصفاً لأنفسهم وشمائلهم واهتماماتهم معربين عن أملهم في العثور على أليف مناسب. «ويحتفظ معظم المسلمين الذين يتاح لهم استخدام شبكة الإنترنت بصداقات مع طلاب ما كان بوسعهم أن يلتقوا بهم بغير هذه الطريقة على الإطلاق. ولقد سمعت عدة قصص عن اجتماعات تتم بين الشباب المسلم وعلاقات عاطفية وعن قرارات للزواج وكلها تمت من خلال اتصالات البريد الإلكتروني وربما يمثل ذلك نهاية المطاف في التفاعل المناسب من الناحية الإسلامية»^(٩)، وعادة ما يتصدر قائمة المؤهلات المرغوب بها العزم على أن يحيا المرء حياة إسلامية طيبة وجديرة بالاحترام.

وفي ظل سيناريو نمطي من هذا القبيل يمكن لرجل أو امرأة أن يرد على إعلان منشور في جريدة أو في أي مصدر آخر مماثل وقبل اللقاء يتبادلان المزيد من المعلومات المفصلة وبعدها ينخرطان في عملية تدقيق المصادر التي تعرف بكل منهما وعندما يتم لقاءهما بالفعل فقد يكون ذلك في ظل وجود الأصدقاء أو الأسرة بدلاً من أن يتم وهما منفردان. فإذا ما اتفق الطرفان، وغالباً إذا ما شعرت العائلتان المعنيتان بأن الأمر مبشر بالخير تبدأ على الفور علاقة الخطوبة.

ويرى بعض المسلمين أن المرأة التي ترغب في الزواج ينبغي أن تسمى أحد أفراد عائلتها ليكون وكيلها أو وليها في إتمام مفاوضات ما قبل الزواج. وينبغي لها ولوكيلها التدقيق بأعمق صورة ممكنة في المعلومات الأساسية عن المسلم الذي سوف ترتبط بخطبته في ضوء الفهم أن أهم عنصر من عناصر الزواج الناجح هو المشاركة في المعتقدات والالتزامات الدينية. ويمكن طرح الأسئلة المناسبة عن العريس المرتقب إما بصورة شخصية من جانب الوكيل أو كتابة. فإذا ما جرى التأكد من تقوى العريس يتحول الأمر إلى البحث في حياته الشخصية بما في ذلك موارده المالية التي تكفل له إعالة زوجة ومدى استعداده لإنجاب أطفال. في ضوء هذه التحولات يعتقد الكثيرون أن الغرض هنا هو التأكد من ألا ينتهي الزواج بالطلاق على نحو ما يبدو حادثاً في الغالب في أمريكا. وحتى في هذه الحالة يحذر بعض الاستشاريين من أن كل هذا قد لا يكون كافياً لضمان زواج ناجح. وفي هذا الصدد يقول أحد الصحفيين «ليس حراماً أن تدقق الأخوات بأنفسهن في الخلفية التي جاء منها الإخوة. وفي صدر قائمة الأمور التي تحتاج أخت أن تعرفها طرح السؤال: «هل يستطيع إعالتك؟»^(١٠)، وهو يؤكد لقارئيه أن ليس هناك زواج كامل ولكن يمكن للمرء أن يعيش أفضل زواج ممكن إذا ما توخى القدر المناسب من الدقة والحرص.

وتتزايد أعداد الأزواج المسلمين الذين ينصّون على شروط الزواج والطلاق في اتفاقات مفصلة تبرم في مرحلة ما قبل الزواج. والزواج هو ترتيب قانوني في الإسلام وليس أمراً مقدساً بالمعنى المسيحي ومن ثم يجري تأمينه من خلال عقد مكتوب. وبينما يعارض بعض المسلمين الأكثر محافظة النص على بنود اتفاقات ما قبل الزواج، يرد آخرون أنه من خلال مواجهة المشاكل المحتملة قبل أن تنشأ فإن ذلك يزود الزوجين بمزيد من القدرة على التصدي لمشاكل الزواج في الحياة اليومية. وهذه الاتفاقات المسبقة ينظر إليها البعض على أنها تتسم بأهمية خاصة عندما يأتي الزوجان من بلدين مختلفين ومن نشأتين مختلفتين من الناحية الاجتماعية ومن شأنها أن تفيد كثيراً في استباق المشاكل التي يمكن أن تنجم وتفضى بسهولة شديدة إلى الطلاق.

كذلك يولي المسلمون الأمريكيون مزيداً من الاهتمام لمسألة الطلاق. وما

أسرع ما يلاحظون أنه فيما يتهم المسلمون بفرية «الطلاق السهل» فإن الإحصاءات بين صفوف المسلمين في طول العالم وعرضه إنما توضح في حقيقة الأمر معدلاً أقل بكثير من نظيره بين صفوف المسيحيين الغربيين. ومع ذلك فحقيقة أن كثيراً من الرجال في تاريخ الإسلام قد تخلّصوا من زيجات غير مرغوب بها بمجرد التفوه بما يسمونه بأنه الطلاق ثلاثاً أو الطلاق البائن، كانت بغير جدال لعنة أصابت كثيراً من النساء. وفيما يظل الطلاق ممارسة هي من أبغض الحلال إلا أنه يظل بإمكان الزوج أن يرمى ببساطة يمين الطلاق ثلاثاً «أنت طالق، أنت طالق، أنت طالق». وطبقاً للشريعة الإسلامية فإن الممارسات لا تقتصر على كونها مطلوبة أو ممنوعة ولكنها تتدرج ضمن فئات المباح وغير المباح و المكروه. أما «الطلاق بالثلاثة» وإن كان شائعاً من الناحية التاريخية إلا أنه مكروه بمعنى أنه لا يكاد يكون مقبولاً. ويسارع المسلمون الأمريكيون إلى إيضاح أن النبي محمداً كان يعد الطلاق في أي حالة من حالاته أبغض الحلال وينبغي تجنبه بأي ثمن كان. فإذا ما تعيّن على المرء في نهاية المطاف أن يطلق ينبغي أن تتم العملية على مدار فترة ثلاثة أشهر طبقاً لأحكام الشرع الإسلامي الأكثر قبولاً وهذا يكفل ألا تكون المرأة حاملاً بينما يعطى الرجل فرصة لإعادة النظر في قراره ويكفل تجنب إمكانية فصم عرى الزواج في سورة من غضب.

أما السؤال الذي يطرح في كثير من الأحيان فيتعلق بما إذا كان الزوج هو الذي يبدأ الطلاق أو إذا كانت الزوجة التي لديها من الأسباب ما يجعلها لا تستطيع مواصلة الحياة مع زوجها فتبدأ هي إجراءات الطلاق. وفيما يبدو النظام وكأنه يحابي الرجل الذي يستطيع الطلاق عندما يريد برغم أن ذلك لا يخلو من قيود، إلا أن للمرأة بالفعل أن تلجأ إلى إنهاء رابطة الزواج إذا ما طرحت سبباً وجيهاً لذلك. على أن المشكلة التي تواجهها كثير من النساء، ولاسيما غير المتعلّمات، هي أنهن لا يعرفن ببساطة مالهن من حقوق. وفي كثير من الأقطار الإسلامية يعد الاهتمام بمساعدة المرأة على فهم حقوقها القانونية واجباً له أهميته. وهناك إشكالية مهمة أخرى تواجهها النساء المطلقات في كثير من الثقافات وهي مصير الأبناء من زوجين مطلقين. وفيما تختلف المذاهب الرئيسية الأربعة في الشريعة الإسلامية بشأن عمر الطفل إلا أنها تعطي الحضانة عن الأبناء والبنات للأب ولكن مثل أي

شيء آخر فإن هذه الأحكام خاضعة لتعديلات القانون المدني الأمريكي وكثيرا ما يتم تفسيرها على نحو مختلف في السياق الغربي.

الأطفال والشباب

كما هو الحال بالنسبة للثقافات الإسلامية عبر العالم فإن إنجاب الأطفال أمر يكتسى أهمية كبيرة للمسلمين الذين يعيشون في أمريكا. وبينما تؤثر حقائق معينة ومنها مثلاً عمل الزوجة فتفرض قيوداً على عدد الأطفال الذى يقرر الزوجان إنجابهم فإن عدم الإنجاب أو حتى إنجاب طفل واحد كثيراً ما يعد بمثابة خيبة أمل عميقة تمنى بها العائلة الأوسع. كما أن الأطفال يشكلون جانباً غاية في الأهمية من أنشطة الأسرة منذ مولدهم وهم يصحبون آباءهم خارج المنزل وداخله أغلب الأوقات قدر الإمكان. وفي معظم المناسبات الاجتماعية، داخل القسم المخصص للنساء في المسجد أو حتى في اجتماعات ومؤتمرات الجماعة الإسلامية يتواجد الأطفال وقد شغلوا أنفسهم باللعب حول أمهاتهم. ولا يستخدم المسلمون جليسات الأطفال إلا عندما تفرض ذلك الضرورات القصوى لأنهم يرون أنه كلما أمضى الأطفال معهم وقتاً أطول كان ذلك أفضل من حيث فهمهم ومن ثم تشكيلهم جزء من الفعاليات التي تتم على نطاق المجتمع المحيط. وعليه فإن ما قد يسببه الأطفال في بعض الأحيان من اضطراب ومن إزعاج وصراخ أو مطالبات لوالديهم، كل ذلك ينظر إليه بعامة على أنه أمر عادي ومقبول تماماً. وبصفة عامة فالأطفال المسلمون يتصرفون بصورة لائقة ويتعلمون منذ نعومة أظفارهم كيف يتسلون في إطار التجمعات الجماهيرية أو الاجتماعية التي قد تبقّهم يقضى بها يتجاوز مواعيد نومهم المعتادة.

على أن أسلوب تربية الأطفال في المجتمع الأمريكي وفي إطار الثقافة الأمريكية لا يزال شاغلاً مستمراً يساور جميع الآباء المسلمين. إن كثيراً من العائلات التي تشعر بقلق عميق إزاء تأثيرات التليفزيون الأمريكي على سبيل المثال تفرض قواعد صارمة على عدد ونوعيات البرامج التي يسمح لأطفالهم بمشاهدتها وتحاول التماس بدائل مقبولة لهذه البرامج. ويفيد كثير من الآباء من الكميات الهائلة من المواد التي باتت متاحة حالياً من خلال الوكالات الإسلامية

المختلفة لمساعدة الأطفال على التركيز على القضايا الإيجابية المطروحة في سياق هوية إسلامية، ومن ذلك مثلاًشرطة الفيديو المطروحة للبيع التى يبدو فيها شخصيات من العرائس مثل آدم مرتدياً زياً إسلامياً ويحدث الأطفال الصغار عن بهجة الرحلة التى يمكن القيام بها لزيارة الكعبة فى مكة و كيف ينبغي أن نشكر الله على نعم الحياة التى أسبغها علينا. وهناك فيديو باللغة العربية يعلم الأطفال قصص القرآن كما تعرض مغامرات الكشافة المسلمين لتحل محل الصور المتحركة التى يعرضها التلفزيون الأمريكى وقد احتشدت بمشاهد العنف فضلاً عن أن أبطال التاريخ الإسلامى ومنهم «فاتح» فى قصة السلطان محمد الثانى حكاية تستأثر بالخيال^(٥). وهناك أشرطة منها مثلاً شريط ألف (أول حروف الأبجدية العربية) هى أول حروف كلمة أسد وهى تقدم الدروس الأولى فى تعلم اللغة العربية. وتقدم مجلة المسلم الشاب المصممة خصيصاً لليافعين من القراء (وتنشر بالصوت والصورة) فتبث قصصاً وأغازاً ومواد كوميدية ومقابلات مع مسلمين مشاهير مثل محمد على وحكيم أولاجون.

ويحرص كثير من الآباء المسلمين على أن يناقشوا فيما بينهم سبل تعزيز الهوية الإسلامية وغرسها فى نفوس أبنائهم من المراهقين. وإذا كان التفاعل مع الأطفال والشباب من غير المسلمين أمراً محتوماً من ناحية بل وأمرًا مفيداً فى رأى معظم المسلمين من ناحية أخرى، إلا أنه قد يفضى إلى مشاكل إذا افتقر شباب الجماعة المسلمة إلى السبل التى تساعد على فهم الاختلافات بينهم وبين غيرهم فضلاً عن النظر إلى تلك الاختلافات كأمر يستدعى الاعتزاز والأهمية الشخصية.

ولكن عندما يصل الأبناء إلى سن البلوغ فكثيراً ما تزداد مسائل الهوية تعقيداً بالنسبة لشباب المسلمين فهم يشعرون أحياناً بقدر من الضغط لكى يعيشوا حياة مزدوجة: ففى البيت يرتاحون إزاء هويتهم الإسلامية أو على الأقل يظلون على استعداد معقول للوفاء بما يتوقعه منهم كبار السن عندما يكونون بصحبة الأقارب ومع ذلك فقد يجدون ما يغريهم بأن يتخلوا عن هويتهم بالنسبة إلى الجوانب المنفتحة أكثر من حياتهم ولاسيما عندما يتعاملون اجتماعياً مع أصدقاء

(٥) المقصود هو السلطان العثمانى محمد الثانى (فاتح القسطنطينية) عام ١٤٥٣ «المترجم».

من غير المسلمين، بل إن بعض الفتيات قد يصلن إلى حد مغادرة البيت مرتديات الحجاب الإسلامى ولكن عازمات على أن يتخلصن منه فيما بعد. وتحرص الصحف الإسلامية كل الحرص على نشر شهادات تدلى بها الشابات اللاتى يؤكدن أنهن يرين فى الحجاب مصدراً للاعتزاز والتميز عندما يحرصن على ارتدائه فى المدرسة.

وفى بعض الأحيان تتعارض بصورة مباشرة التوقعات المختلفة بين المجال الخاص والمجال العام على نحو ما يحدث على سبيل المثال عندما يريد شاب مسلم التواصل العاطفى مع طرف آخر أو حضور المناسبات الاجتماعية التى تقيمها مدارسهم أو التردد على حفلات خاصة يقيمها أصدقاؤهم من غير المسلمين. ويناضل الآباء المسلمون التماساً للأسلوب الذى يستجيبون به إلى هذه الحالات. ومرة أخرى تختلف ردود الفعل فى هذا المجال اختلافاً واسعاً، فبعضهم يرفض ببساطة السماح لأبنائهم أو بناتهم بالتفاعل الاجتماعى خارج البيت أو خارج جماعة المسجد وتكون النتائج متباينة. وقد تزداد مخاوفهم بفعل ما ينشر من مقالات فى الصحف الإسلامية التى تعرب عن القلق إزاء ما يوصف فى بعض الأحيان بأنهم «الدينويون» أو الذين تغرهم متع الحياة على أساس أن تلك آفة أصابت كثيرين من الشباب الأمريكى المسلم^(١١)، والعائلات التى تدعو إلى الفصل بين الجنسين تريد أن يتعلم أبنائهم فى مدارس إسلامية وألا يتفاعلوا اجتماعياً سوى مع أبناء عائلات إسلامية أخرى ومن ثم فى ظل إشراف كبار السن وكأنها تسعى بشكل عام إلى تحصينهم إزاء المشاكل الكامنة فى صميم الحياة بالمدارس العامة وفى ثقافة الشباب بأمريكا. وفيما يمتد القلق ليشمل البنين والبنات إلا أن هذا القلق ينصب على الفتيات بصورة أوضح وأدق. وكثير من المقالات المنشورة فى الدوريات الإسلامية تخصص لحدث المسلمين على أن يوحدوا صفوفهم فى مواجهة أدواء المجتمع الأمريكى «كمسلمين علينا أن نتضافر جهودنا وننسى اختلافاتنا العرقية أو اختلافاتنا اللغوية ونساعد أبناءنا على أن يظلوا بمنأى عن انحرافات هذا المجتمع بمعنى أن نعينهم على أن يرفعوا رءوسهم باعتزاز بوصفهم مسلمين أتقياء.»^(١٢)

أما الآخرون المستعدون للتكيف مع النظام الاجتماعى الأمريكى فيأملون فى أن تؤدى القيم الإسلامية التى بثوها فى نفوس أبنائهم إلى حماية الأبناء من

الإغراءات التي سوف تصادفهم بالحتم. وهم يصرون عن رأى أكثر اعتدالاً بالنسبة إلى التفاعل الاجتماعى للبنين والبنات ومن ثم يرسلونهم للتعليم فى المدارس الحكومية دون أن يسمحوا لهم بإنشاء علاقات عاطفية أو المشاركة بعامية فى الأنشطة التى تتم خارج المدرسة. إلا أن بعض الشابات يتمردن على هذه الأوضاع حيث يشعرن أنها تتحيز إلى الشبان الذكور. وفى هذا الصدد تشكو فتاة باكستانية مرافقة فتقول «معظم الفتيات المسلمات اللاتى أعرفهن حالهن مثل حالى ولا يسمح لهن بالتلاقى مع الشباب بل وحتى المشاركة فى الأنشطة الاجتماعية بالمدرسة مثل مناسبات الرقص أو الحفلات. أبأؤنا يبدون متعافلين عندما يخرج الأولاد ولكن الباب لا يلبث يحكم رتاجه حتى عندما تريد مجموعة من الفتيات الخروج للذهاب معاً إلى مركز التسوق أو فى ما حكمه من أماكن»^(١٣)، وفى كل حال فإن إسباغ الحماية العائلية على البنات فى المجتمع الإسلامى ظل باستمرار تراثاً له أبعاده الإيجابية والسلبية بالنسبة إلى شباب المسلمين فى أمريكا. ومن الطبيعى أن أبشع مخاوف الأسر الإسلامية ما يتمثل فى أن تحمل البنت سفايحاً خارج رابطة الزواج بكل ما ينطوى عليه ذلك من شعور بالرعب والعار ومن ثم فالعائلات تتخذ طائفة واسعة من التدابير للحيلولة دون أن يحدث ذلك يوماً ما.

ومع ذلك فهناك من الآباء من يتخذ موقفاً أكثر اتساماً بالطابع «الاندماجي» حيث يتساءلون عما جاء بهم إلى هذا البلد إذا ما تعيّن عليهم ببساطة أن يعزلوا عن مسار الحياة فيه ويقولون إن على المسلمين أن يتعلموا مباشرة كيف يعيشون فى أمريكا وكيف يتعاملون معها بدلاً من التماس الوسائل التى تعزلهم عنها. ومن ثم ينبغى أن يتاح للأبناء تدريباً كأصلب ما يكون على اتباع الأخلاقيات الإسلامية فى البيت وفى مدرسة المسجد قدر الإمكان وبعدها توضع الثقة فيهم من حيث صواب الحكم عندما يتفاعلون مع أصدقائهم فى المدرسة الحكومية بل إن من الآباء من يصر على أن يسمح للفتيات بالتلاقى مع الشباب بعد سن معينة برغم أن هذه المسألة ما برحت موضوعاً مثيراً لجدل عميق بين صفوف المسلمين الأمريكيين.

وهناك مؤسسات مثل «ميناء» (الشباب المسلم فى أمريكا الشمالية) التى تمولها الجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية (إسنا) وهى تقوم بدور مهم فى تنظيم مؤتمرات وأنشطة ذات محور إسلامى وتتفرع منظمة «ميناء» إلى أربع مناطق

تغطي كندا والأجزاء الشرقية والوسطى والغربية من الولايات المتحدة. وفي كل صيف يتجمع الشباب من جميع أنحاء الولايات المتحدة وكندا للالتقاء ببعضهم البعض وسماع خطباء لهم مكانتهم، فضلاً عن تبادل الأحاديث بشأن قضايا الاهتمام المشترك. وتكفل هذه الاجتماعات فرصة لشباب المسلمين في التفاعل الاجتماعي وسط «بيئة إسلامية». وتصمم كثير من الأنشطة المخططة لصالح الشباب المسلم بما يتيح الفرص أمامهم للالتقاء مع شركائهم الصالحين للزواج. وفي كثير من الأحيان يؤكد الشباب على الأمور المشتركة فيما بينهم وخصوصاً على أهمية أن يكون المرء مسلماً وسط الأمة الأمريكية مع رفض محاولات عائلاتهم التركيز على الهويات المهاجرة أو العرقية. كما تشدد منظمة «ميناء» على فوائد الترفيه حيث يتلقى الشباب توجيهات بشأن الأنشطة الملائمة للفتيات والبنين والشبان والشابات كما أنها تنظم حلقات دراسية وخطوات على مدار العام فضلاً عن المؤتمرات الشتوية التي تعقد في عطلات عيد الشكر والكريسماس.

وهناك فرص عديدة أخرى تملأ فراغ الشباب المسلم الأمريكي، فبعض المدارس الثانوية تسمح بوجود نواد إسلامية كجزء من أنشطة ما بعد اليوم الدراسي وفي هذا المجال تكتب شابة مسلمة «أنا طالبة في الصفوف النهائية بالثانوية ولدينا ناد إسلامي أقمناه منذ بضع سنوات وهذا النادي يمثل ميزة حقيقية لنا إذ يساعد في إطاره بعضنا البعض على أن نبقى أقوياء ونكون على أهبة الاستعداد لمساعدة المساعدة عندما يحتاجها فرد منا»^(١٤)، من ناحية أخرى تكفل الجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية للمتدربين خلال فصل الصيف تكاليف السفر وسبل الإقامة والمصاريف بما يتيح لهم فرصة العمل مع موظفي الجمعية المذكورة في ميتشيغن حيث يتلقون مهارات مهنية وتنظيمية. كذلك فإن فرق الكشفة المسلمين والزهرات المسلمات التي تنظم صفوفها عبر أمريكا تمثل قطباً جانبياً بالذات لشباب الأفرو-أمريكيين ولاسيما الذين نشأوا في الأحياء الفقيرة بالمدن. وثمة منظمة تابعة للدائرة الإسلامية لأمريكا الشمالية وهي «منظمة الشباب المسلم» وتتخذ مقرها في حي جامايكا بنيويورك وهي عبارة عن شبكة للشباب عبر أمريكا الشمالية من الناشطين في مجال الدعوة إلى الإسلام بين صفوف أقرانهم. وفي كتيب مصقول يضم صوراً لقارب ومجاديف، يحث مديرو المنظمة الشاب المسلم من المشاركين المحتملين

على أن «يستقل القارب ويلتقط المجاديف ثم يبدأ رحلته في خضم تيارات الحياة... وعلى المرء أن يستجمع في يده مجاديف القرآن والسنة لكي يتفادى الأخطار المحدقة به إلى أن يصل إلى مرافئ الفردوس» وثمة منظمات أخرى مثل منظمة الشباب العربي المسلم (مايا) التي تنسب إلى منظمة «الإسنا» وهي تنظم الاجتماعات الإقليمية وتعمل سنوياً على جمع صفوف الشباب المسلم للحديث عن الشريعة والآثار المترتبة عليها بالنسبة لحياتهم فضلاً عن قضايا الزواج والحياة الاجتماعية والثقافة الإسلامية ومواضيع كثيرة أخرى تتصل بالمشاركة في حياة الأمة الإسلامية.

خلف هذه الجهود جميعاً يكمن الأمل في أن يستطيع الشباب المسلم الإطالة على الإسلام من منظور إيجابي مستتير بدلاً من النظر إليه من زاوية تبعث على الخجل، أو تحول بين المرء وبين الاستمتاع بسنوات شبابه الأولى على نحو ما يرون من سلوك الشباب الآخرين الذين ينعمون بذلك على نحو لا يخفى.

ويكتب مستشار في هذا الصدد قائلاً «بدلاً من مواصلة الحديث إلى المراهقين عما هو حرام وعما لا يجوز لهم فعله بحكم الإسلام، يظل مهما أن نبين لهم مدى المتعة التي يمكن أن يجنوها بينما يظلون على التزامهم بالدين. وما علينا سوى أن نبقي المراهق مشغولاً بأنشطة مفيدة ولكنها ممتعة مما يزيل عنه الضجر ونواجه بذلك جاذبية الثقافة الأمريكية التي تشده نحو أنشطة تتنافى والإسلام. كما أن من شأن ذلك أن يبقى المراهقين بمنأى عن التبرم بالإسلام بدعوى أنه يكبت استمتاعهم بحياتهم»^(١٥).

رعاية المسنين

شأن سائر المسلمون يظل المسلمين على بينة عميقة إزاء المشاكل التي تواجه عائلاتهم فيما يتعلق برعاية المسنين. ولما كانوا يعيشون في ظل أحوال مختلفة عن حال العائلة الممتدة التي نشأوا بين صفوفها، فإن كثيراً من المهاجرين يفتقرون إلى دعم الأعداد الكبيرة من أفراد العائلة الذين يعيشون على مقربة منهم. وإذا ما كان الزوج والزوجة يعملان فقد يجد الوالد المسن نفسه أو نفسها وحيداً لفترات طويلة بل وقد يعيش رهين عزلة خانقة وهذه العزلة تتفاقم بطبيعة الحال

عندما لا يتكلم المهاجرون المسنون سوى النذر اليسير من الإنجليزية ومن ثم لا يستريحون حتى لدى مشاهدة التلفزيون. وقد جاء كثير من المهاجرين الأكبر سنا في أمريكا أساسًا من ظروف شهادتهم إذ كانوا ناشطين في أداء العمل ولكنهم في حياتهم الجديدة لا يعملون خارج البيت ومن ثم يشعرون بالعزلة بل وبأنهم أصبحوا بغير فائدة وإذا لم يستطيعوا قيادة السيارة فقد يشعرون أيضًا بأنهم محبوسون بين جدران المنزل.

من هنا تدرك المساجد والمراكز الإسلامية مدى الحاجة إلى تقديم خدمات خاصة للمسنين، فبعضها ينظم أنشطة للجمع بين أفراد الجيل المُسن كي يتفاعلوا اجتماعيًا ويشعرون بالترحيب في موقع إسلامي الهوية وهذا الجهد قد يشمل تهيئة وسائل خاصة للمواصلات. وكثيرًا ما يشعر المُسن، وخاصة من الذين وصلوا حديثًا إلى أمريكا، بأقصى أنواع الألم إزاء التحيز ضد المسلمين الذي يعاينونه من خلال متابعة الصحافة والميديا. ومن ثم فإن المشاركة في نشاط المسجد يتيح لهم ملجأ مرحليًا على الأقل بعيدًا عن الوحدة والعزلة الاجتماعية. كما أن الأئمة الذين يتعين عليهم باستمرار الاضطلاع بأدوار مماثلة لأدوار الكهنة المسيحيين يقومون أحيانًا بـ «زيارات منزلية» من أجل آباء الأفراد الناشطين في تجمعات مساجدهم، كما يركز الأفراد وتشدد البرامج على تقديم المشورة للمسنين في أمور من قبيل الرعاية الصحية والأمور المالية والتغذية.

هذا ويتوقع الآباء المسنون، وخاصة الذين لا يزالون يتبعون الأعراف التي كانت سائدة في ثقافتهم الوطنية، أن يعيشوا مع أبنائهم الكبار حيث يتم ذلك في العادة مع الابن وعائلته. وتحاول العائلات المسلمة قدر الإمكان أن تلبي هذا التوقع إلا أن هذا الأمر لا يلبث يسفر عن مشاكل لا تخفى فالأسر ذات الدخل المحدود كثيرًا ما لا تملك سوى حيز إضافي ضيق في بيوتها فضلًا عن أن الدور التقليدي للحماة بوصفها «الرئيس المهيمن» على ابنها ولاسيما على زوجة الابن لا يلقى سوى قدر محدود للغاية من الموافقة في معظم العائلات الأمريكية الاتجاه. ومع ذلك ففي كثير من الحالات يكون وجود الأجداد في البيت مصدرًا رائعًا للمؤازرة ولتشكيل هوية الأبناء. وكثير من البالغين المشغولين خارج البيت يعتمدون على الآباء المسنين لا من أجل خدمات مجالسة الأطفال فحسب ولكن أيضًا من أجل

تهيئة التعليم التأسيسي فيما يتعلق بمعنى أن يكون المرء مسلماً. ومن ناحية أخرى فأحياناً ما يحار كبار السن إزاء جوانب من الثقافة الأمريكية حيث يبدوون متبرمين بأمور الملابس والأنشطة والآراء التي يعتقها أفراد الأجيال الأصغر سناً عن أوضاع العالم. ومن ثم فممارسة الضغط بقصد عدم «الأمركة» وهو ما قد يستشعره المراهقون بالذات من جانب جدودهم يمكن أن يقضى إلى توترات تحدث بين الأجيال بل وإلى المزيد من مشاعر الوحدة التي قد تراود كبار السن بالذات.

بيد أن الاستجابة الأولية من جانب معظم المسلمين إزاء العادة الأمريكية المتنامية التي تنحو نحو نقل الأقارب المسنين لإيداعهم في دور التقاعد أو حتى دور الرعاية تجسد شعوراً بالضيق والتشكك بل والغضب أيضاً. وهم يصرون على أنه ليس من الإسلام عزل الكبار وحرمانهم من رفقة الأسرة. وفي هذا يقول مهاجر من الجيل الأول: «ولا في أحلامي يوماً أن أودع قريباً مسناً لي في أحد بيوت الرعاية. وسواء كنت أنت مسلماً أو لم تكن فلا أتصور أنه يجدر بك أن تضع والدك في أحد بيوت الرعاية اللهم إلا إذا كانا لا سمح الله، مصابين بمرض خطير ويحتاجان إلى رعاية شخص محترف»^(١٦)، ومع ذلك ومادامت الأسر تواجه حقائق وجود شخصين مشغولين بعملهما بعيداً عن البيت لفترة طويلة كل يوم، أو بحكم عجزهما عن تلبية احتياجات الرعاية الصحية لمن هم في سن الشيخوخة باعتبار أنهما عاجزان عن تلبية هذه الرعاية، فضلاً عن الحقيقة البسيطة التي تفيد بأن البشر طالت أعمارهم عن السابق، فإن المجتمعات الإسلامية تحاول جاهدة إيجاد حلول إسلامية في هذا المضمار وتعمل قلة من المراكز الكبرى على إقامة مساكن خاصة للمسلمين المسنين قرب المسجد بحيث يتسنى لسكانها أن ينعموا بمؤازرة أوسع نطاقاً من جانب الجماعة.

وتحرص الكتابات والمطبوعات الصادرة عن المنظمات الوطنية على تذكير الأفراد المسلمين والعائلات والمجتمعات المسلمة بأنه بقدر ما يحتاج الأطفال إلى رعاية دائمة، بقدر حاجة المسنين أيضاً إلى أقصى قدر ممكن من المحبة والاهتمام. ويقول أحد خبراء الرعاية الصحية «الرضيع الذي لا حول له ولا قوة يحتاج أبويه وبالقدر نفسه يحتاج المسن أبناءه لكي يوالوه برعاية محبة متواصلة. وإذا كان الرضيع لا يستطيع أن يشرح احتياجاته بالكلمات فما أكثر اللحظات التي

تمر على المسنين بدورهم وهم يجدون من الصعوبة بمكان التعبير عن احتياجاتهم. ويرجع الأمر إلى مقدم الرعاية في استكشاف الاحتياجات الحقيقية للذين يخدمهم. وفي كل حال فالمسنون بحاجة إلى الحب والعطف ومن المهم بالتالي أن يتبنى المجتمع المواطنين الأكبر سنا الذين يفتقرون إلى أبناء كبار على استعداد لتقديم هذه الخدمات»^(١٧)

تلك إذا هي بعض الشواغل التي تواجه بعض المسلمين في أمريكا وهم يتدبرون في أمر حقوق وأدوار المرأة، أو يعملون على إقامة وصيانة هياكل اجتماعية سليمة ويناضلون لتربية أبنائهم ورعايتهم ويلبون احتياجات المسنين ممن وصلوا إلى نهاية أيامهم المنتجة. علينا من ثم أن نتحول إلى النظر في بعض القضايا التي لا بد وأن يواجهها خارج نطاق العائلة المسلمون الذين يعيشون في الغرب. وبالنسبة للبعض فإن هذه القضايا ليست ضاغطة ولا هي تتسم بالأهمية القصوى. ولكن بالنسبة لأعداد متزايدة ما زالت هذه القضايا تمثل مجموعة معقدة من المشاكل التي ينبغي التصدي لها يوماً بعد يوم.

الحواشي

- ١- تعليق سمعته المؤلفة في حديث خاص في عام ١٩٩٧.
- ٢- جاء على لسان مشارك في مؤتمر إقليمي عُقد بشأن المرأة عام ١٩٩٧.
- ٣- تعليق استمعت إليه المؤلفة في حديث خاص في عام ١٩٩٨.
- ٤- هذه الملاحظة التي أبديت بصورة خاصة للمؤلفة تشير بالذات إلى الجهود الشجاعة لرائدات مثل هدى شعراوي وزميلاتها في المراحل الأولى من القرن العشرين وقد بادرن فور عودتهن إلى مصر من مؤتمر في روما إلى تحدى التقاليد فنزعن حجابهن وألقين به في مياه الميناء.
- ٥- أنوى، بنات الطريق المختلف.
- ٦- من محادثة دارت بين نساء مسيحيات ومسلمات في كلية (ديفنيي) بجامعة هارفارد في أواخر عقد الثمانينيات.
- ٧- م. رياض خان «العنف المنزلي: الأسر المسلمة الأمريكية ليست محصنة»، إسلاميك هورايزونز (يوليه / أغسطس ١٩٩٥).
- ٨- عمود المشورة بقلم الدكتور نصيحة السكينة في ذي ميناريت (أغسطس ١٩٩٦).
- ٩- شاهد أمان الله «المسلمون على الفضاء الإلكتروني والإنترنت»، ذي ميناريت (فبراير ١٩٩٦).
- ١٠- أم الخير تواب «اختيار رفيق: الخطوة الأولى إلى زواج ناجح»، ذي مسدج (مارس ١٩٩٦).
- ١١- انظر على سبيل المثال: سلطنة روزا أوكاسيو «نشأة المسلم في أمريكا الشمالية»، ذي مسدج (يونيه ١٩٩٦).
- ١٢- فرحاد آرا بويان «تربية الأطفال المسلمين في أمريكا الشمالية»، ذي مسدج (مارس ١٩٩٧).

- ١٣- حكتها للمؤلفة ابنة أصدقاء مسلمين في عام ١٩٩٨.
- ١٤- رسالة إلى المحرر، إسلاميك هورايزونز (نوفمبر - ديسمبر ١٩٩٦).
- ١٥- أمة ف. شبار، التماس الخيارات الحلال للحفاظ على ديننا، ذي مسجد (يوليه ١٩٩٧).
- ١٦- حداد وسميث، القيم الإسلامية في الولايات المتحدة.
- ١٧- الدكتور شاهد آثار، «رعاية المسنين والرُضّع»، ذي ميناريت (ديسمبر ١٩٩٧).

الفصل السادس

حياة المسلم في المجتمع الأمريكي

التعليم

تعليم أعضاء الجماعة المسلمة يعد من أهم القضايا التي تشغل الأمريكيين المسلمين ما بين الحوارات التي تدور حول التربية الدينية الإسلامية للأطفال إلى التعليم في المساجد إلى أشكال من التعليم المستمر للكبار. والحق أن تحصيل المعارف ظل دائماً يحتل مركز الاهتمام الأول في الإسلام. وغالباً ما يشير الأمريكيون المسلمون إلى تأكيد الرسول على أن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، وأن على المسلمين أن يطلبوا العلم ولو في الصين. وهذا التشجيع يدعم تصميم المسلمين من جميع الأعمار على تحصيل التعليم ما بين الشباب إلى شيوخ المهاجرين ممن قد يحتاجون ببساطة إلى تحسين لغتهم الإنجليزية. ويركز الحوار الراهن الذي يدور بين صفوف المسلمين في الولايات المتحدة على تحسين فرص التدريب لشباب المسلمين في مجالات التاريخ والتكنولوجيا والعلوم البحتة ومواضيع أخرى كثيرة من شأنها أن تتيح لهم تحقيق النجاح على الصعيدين الشخصي والمهني. على أن التعلم بشأن أركان الإسلام والشريعة أمور لها بدورها أهميتها في الحياة في إطار ذلك المجتمع ومن ثم فهي تعطى الأولوية العليا لجميع الفئات العمرية فضلاً عن أن دراسة اللغة العربية تلقى منهم كثيراً من التشجيع ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

وكم دأبت الكثير من العائلات المسلمة على الانشغال بشأن تجربة أبنائها في المدارس الحكومية. ويكتب أحد نقاد التعليم بالمدارس الحكومية قائلاً: «في الأيام الخوالي كان من السهل بالتأكيد أن نثق في نظام التعليم الحكومي وقدرته على أداء وظيفته. لكن الحياة تزداد تعقيداً باستمرار وأصبحت مسؤوليات [الوالدين] تشمل المشاركة في البيئة التعليمية وفي المناهج الدراسية المتاحة لأبنائنا»^(١). ويساور القلق الوالدين بشأن نوعية التعليم المقدم لأبنائهما ولاسيما في بعض المناطق الحضرية الكبرى. وكما رأينا فإن هذا القلق يتركز حول تأثيرات المجتمع التي

يتعرض لها أبنائهم ما بين العزل المجتمعية ومنها مثلاً المخدرات والجريمة إلى الضغوط التي تمارس على الشباب لكي يصبحوا «متأمركين» أكثر وأكثر. ويرى البعض مشاكل المدارس الأمريكية وكأنها تمثل تخلياً من جانب أمريكا المسيحية (واليهودية) عن قيمها الدينية الأساسية. ومن منطلق الاعتقاد بأن من شأن نظام إسلامي للتربية والتعليم أن يخدم بصورة أفضل فيما يتعلق بالمحتوى الأكاديمي والارتقاء بنوعية التدريب، يفكر الكثيرون في أمر العمل على إنشاء مؤسسات تربوية إسلامية خاصة. ومن ناحية أخرى تختار بعض العائلات المسلمة تعليم أبنائها وبناتها في المنزل. وينشر المسلمون الذين يدعون إلى هذا التعليم المنزلي مقالات بشأن ما يمكن أن نسميه حرف «الناء» بمعنى عملية التنشئة أو التفاعل أو التطبيع الاجتماعي وما ينجم عن ذلك من أخطار. وهم يردون بذلك على الآخرين الذين يقولون إن إبقاء الأطفال في البيت سوف يحول بينهم وبين معرفة أساليب التفاعل مع أطفال الديانات والخلفيات الأخرى ويقولون في ذلك إن «مستوى عملية التنشئة والتطبيع الاجتماعي يمكن أن يكون مفيداً للأطفال»^(٢)، وتمتد الحوارات أيضاً فتناقش ما إذا كانت مدارس التعليم المنفصل للبنين أو للبنات أمراً مرغوباً أو أنه أمر غير واقعي في سياق الثقافة الأمريكية. فبعضهم يحيل إلى دراسات لاختصاصيين في التربية تدعي أن الفتيات يتعلمن أكثر عندما يتم الفصل بينهن وبين الفتيان. وهناك قلة من الأسر التي مازالت مشغولة بما يكفي بشأن التعليم الأمريكي وبشأن الاتصالات الملائمة بين الأطراف والموارد المالية وهذه الأسر تختار إرسال أبنائها كي يتعلموا في الخارج. إلا أن أفراداً من عائلات أخرى، وبرغم ما قد يساورهم من شواغل عن المدارس الأمريكية يقولون بعدم إخراج أبنائهم من الساحة العامة. وإذا شعر هؤلاء الآباء بالقلق إزاء عزل عملية الدراسة سواء الخاصة أو المنزلية باعتبار أنها لن تهيئ الأبناء لخوض مرحلة التحول في نهاية المطاف إلى حيث التعامل مع الحياة الأمريكية العامة إلا أنهم يأملون في أن يكفل التعليم الإسلامي المناسب في البيت والمسجد أو في المركز الإسلامي عملية «تسليح» كافية لأبنائهم تكفل الترشيح لما يتخذونه من قرارات.

وأياً كان شكل التعليم الذي يقع عليه الاختيار فإن أهل التربية يحضون الآباء المسلمين على توفير الموارد وتهيئة البيئة في البيت مما لا يساعد الطفل فقط على

أن يتعلم بصورة أكثر فعالية بل أن يتعلم كذلك «بصورة أكثر إسلامية». وفي مقال بعنوان «وصفة الآباء المسلمين لنجاح الأبناء في المدرسة» يحث مدير مجلس المدارس الإسلامية في أمريكا الشمالية (سيسنا) الآباء على أن يراعوا إنجاز أبنائهم واجباتهم المنزلية لمدة ساعة كاملة قبل موعد الصلاة وبعد ذلك يكون الوضوء وأداء الصلوات مما قد يبدو وكأنه شكل من أشكال الاستراحة. وهو يقترح كذلك أن تتوازي الدراسات مع التعاليم الدينية قائلاً «على الآباء أن يحتفظوا بنسخة من القرآن ومن سيرة النبي والأحاديث النبوية بحيث يكون هذا كله متاحاً. وعندما يعكف الطفل على دراسة التاريخ أو الجغرافيا أو العلوم البحتة أو علم الاجتماع يتعين على الآباء أن يراجعوا فهرس القرآن والحديث لالتماس مواد مقارنة مع تبين الأفكار الموازية المطروحة من وجهة نظر إسلامية».

وفي الوقت نفسه، وفيما تتواصل مسألة التعليم المناسب وسبل التصدي لها، يتزايد عدد المدارس الإسلامية. وتحفل الصحف الإسلامية بإعلانات تطلب مدرسين ومديرين للمدارس. ويتوقع من أفراد الهيئات العاملة في تلك المؤسسات أن يكونوا على مستوى جيد من التدريب وأن يحوزوا المؤهلات الأكاديمية والتربوية المناسبة وأن يكونوا ملتزمين بالتعليم الذي يتم بروح إسلامية. ومعظم هذه المؤسسات موجهة من أجل إتاحة سبل التعليم من روضة الأطفال وحتى الصف السادس أو الثامن، وبعضها يضم أيضاً صفوف المدرسة الثانوية. وطبقاً لما يفيد به مدير سيسنا، وهي واحدة من أربع منظمات تعليمية إسلامية قائمة في الولايات المتحدة وكندا، يوجد أكثر من مائة مدرسة إسلامية تقدم حالياً التعليم في بيئة مستندة إلى القرآن والسنة. وبرغم أن معظم الولايات لا تتطلب حالياً اعتماداً للشهادات الصادرة عن المؤسسات التعليمية الخاصة فإن منظمة سيسنا تقول بأن هذه الحالة في تغير وأن التصديق على المدارس الإسلامية سوف يعنى ارتفاع الأداء بها. ويعمل بعض المسلمين حالياً بنشاط من أجل العمل بنظام للكفالة من شأنه تزويد المدارس الإسلامية الخاصة بالمساعدة المالية من جانب الحكومة كما يشجع المسلمون على جعل تمويل التعليم الإسلامي جزءاً أساسياً مما يقدمونه لأغراض البر والإحسان.

وينتج كم كبير متزايد من المواد التعليمية للذين يرغبون في بدء تدريب

الشباب في البيت أو في المؤسسات الخاصة. وثمة إعلان نشرته جريدة إسلامية كبرى يحث القارئ قائلاً «لا تضيع الوقت الثمين بل اتخذ الخطوة الأولى نحو الحصول على المساعدة التي تحتاجها». وهكذا تقدم منظمات إسلامية دورات شتى بالمراسلة إلى جانب مقترحات لوضع مؤلفات ومناهج جديدة وإصدار كتيبات تصلح أدلة للعاملين في المجال التربوي وغير ذلك من الأدوات المفيدة والمعلومات النافعة. وبين حين وحين تعقد المؤتمرات السنوية لتلك المنظمات حيث تنظم دورات خاصة بشأن التدريس في البيت بوصفه أسلوباً يزداد شيوعاً وخاصة لأن الخدمات الإلكترونية باتت تهيئ سبيل الحصول على المواد التربوية المهمة^(٣).

ويختار بعض الآباء تكميل التعليم الحكومي العام لأبنائهم بدورات تدريبية خاصة تتم بعد اليوم الدراسي وفي أيام العطلات في بيوتهم حيث يتاح باستمرار نسخ من القرآن والحديث وغير ذلك من وسائل الثقافة الإسلامية، التي تعبر عن روح الإسلام وتضيء الظروف المناسبة لهذا التعليم الإسلامي. وهناك جماعة أخرى تعمل على تحسين التعليم الأمريكي الحكومي العام فالمعهد الدولي للفكر الإسلامي في هيرنيدون، فرجينيا ينشر على سبيل المثال «وحدات تدريسية تكميلية للدراسات الاجتماعية» وقد تم إعدادها للصفوف الدراسية المختلفة في مجال المنهج الموحد للدراسات الاجتماعية. وفيما تقدم كثير من مقررات الدراسات الاجتماعية بالمدارس الأمريكية الحكومية سرداً أوروبى التركيز للتاريخ الغربى فإن هذه المواد تقدم منظوراً أوسع من ذلك وأشمل وهى مصممة لكى تثبت روح الهوية والقيم الإسلامية فى جميع أجزاء المنهج الدراسى. والكثير من هذه المواد التدريبية تعزز أسلمة المعرفة على أساس النموذج الذى سبق إلى طرحه أصلاً إسماعيل الفاروقى (انظر السير الشخصية). وإذا ما لم يستند تعليم الشباب المسلم إلى أساس وطيدي من المبادئ الإسلامية، فإن دعاة هذا النموذج، يقولون إنه لن يكون مرضياً بالكامل فى سياق مجتمع تعددى علمانى مثل مجتمع أمريكا الشمالية.

كما تبذل جهود مطردة لمساعدة معلمى المدارس الحكومية من غير المسلمين على عرض الدين الإسلامى من زاوية فهم أفضل وأسلوب أدق. ويمثل مجلس التعليم الإسلامى منظمة علمية وطنية تعمل مع ناشرى الكتب الدراسية للصف الأخير فى الثانويات من أجل إنتاج كتب ونصوص مقررة أكثر شمولاً

وتوازناً فيما يتعلق بالأديان في العالم فضلاً عن تنظيم حلقات عمل تدريبية أثناء الخدمة للمدرسين ضمن إطار مؤتمرات قومية للدراسات الاجتماعية إضافة إلى إنتاج وحدات تدريبية تلقى الضوء على مختلف جوانب الحضارة الإسلامية. ومن بين الموارد المتاحة من مجلس التعليم الإسلامي دليل لتوجيه المربين بعنوان «التدريس عن الإسلام والمسلمين في صفوف المدارس الحكومية». ويشمل الدليل معلومات عن المعتقدات والممارسات كما يضم فصلاً عن القضايا التي قد يشعر معها الطلاب المسلمون في الصف الدراسي بالمدرسة الحكومية بحساسية خاصة، إضافة إلى صحائف نشاط للطلاب الذين يتعلمون عن الإسلام ثم معلومات مستكملة عن الكتب وأشرطة الفيديو وغير ذلك من المواد التعليمية. ويحرص المجلس المذكور أعلاه على أن يضم ممثليه من واقع التجمعات الثقافية العديدة للمسلمين الأمريكيين (المهاجرون والأفرو - أمريكيين والهسبانيون والأمريكيون الأصليون) كي يتحاوروا بشأن السبل التي يتسنى بها أن تعبر كتب التاريخ الأمريكي المدرسي المقررة الثقافات المختلفة. كما يتعاون أعضاء المجلس مع عدد من الناشرين على تشجيع التغطية الأوسع والأكثر تمثيلاً، فضلاً عن تصحيح الأخطاء والتصورات المغلوطة عن الإسلام والشعوب المسلمة. ويشاركهم في هذا الجهد مسلمون وغيرهم من أعضاء الدوائر التربوية من أجل استبعاد الصور النمطية المقولبة الجامدة والعروض المتحيزة التي تشوب المواد المستخدمة في المدارس الحكومية.

وفي الوقت نفسه يتكاتف بعض المسلمين مع جماعات مسيحية محافظة وغيرها من الجماعات التي تبذل جهوداً للدعوة إلى إقامة الصلوات في المدارس الحكومية. وفي هذا السياق يقول أحد المعلقين على التعليم المقدم للأطفال المسلمين «ثمة تغير يطرأ على الائتلاف المؤيد لإقامة الصلوات بالمدارس. فهو اليوم يضم مسلمين وقادة ملونين من المناطق الحضرية وكهنة مسيحيين بل إن هناك ساسة ليبراليين يؤازرون المحافظين المتدينين، لأن الزيادة التي طرأت على الجرائم الفظيعة التي ترتكب بين صفوف الشباب فضلاً عن ظاهرة الانفلات الجنسي جاءت لتدق ناقوس الخطر فتفضي إلى توسيع قاعدة مؤيدي إقامة الصلوات حيث بات من المهم أن يتاح للشباب لحظات للتأمل»^(٤) كذلك فإن برنامج التعليم الإسلامي في أمريكا يوفر سبيل التدريب للشباب والبالغين في المساجد وفي مدارس عطلة نهاية

الأسبوع التابعة للمراكز الإسلامية. ومرة أخرى فإن الصحف والمنظمات تتيح قدرًا كبيرًا من المواد والمساعدات في هذا الصدد. ويتراوح التعليم ما بين القرآن والسنة والتاريخ الإسلامي إلى قضايا الزى الملائم والسلوك المناسب للمسلمين في مختلف الظروف. ومن خلال النظرة الواقعية بشأن الأسباب الممكنة التي قد تحمل شباب المسلمين، أو قد لا تحملهم، على حضور هذه الدورات التعليمية بعد المدرسة أو في أيام العطلات بالمسجد، يعمل الكبار على وضع إستراتيجيات لإضفاء مزيد من المتعة على تلك الأنشطة. فبعض المراكز الإسلامية الأكبر تتيح على سبيل المثال مرافق رياضية مثل ملاعب كرة السلة أو الكرة الطائرة لكي تتوازن مع ما يتم من تعليم داخل حجرات الدراسة. وتلقى دراسة اللغة العربية تشجيعًا خاصًا بالذات بالنسبة للذين لم يأتوا من عائلات ناطقة بالعربية وقد تعقد المساجد مسابقات للشباب والكبار لتلاوة ومعرفة القرآن. وثمة عدد من الجهود الجيدة التنظيم تدعم حاليًا التعليم الإسلامي للأمريكيين المسلمين، فهناك خطط موضوعية من أجل معهد إسلامي للعلوم الدينية والاجتماعية في ولاية جورجيا ليكون منظمة تشمل على سبيل المثال مسجداً ومرافق تعليمية وترفيهية وإمكانات للإقامة والسكن الداخلي. أما المعهد نفسه فيمثل هيئة غير سياسية وغير طائفية وغير ربحية ويتركز مقصده بالذات في أن يكون سبيلًا لتهيئة التكريب الديني والتربوي للشباب الأمريكي المسلم. كما يأمل المعهد أن يتمكن من خلال اجتذاب الشباب من جميع أنحاء البلاد، من أن يخدم بوصفه حلقة وصل روحية وثقافية بين الشباب وبين آبائهم.

ومع نهاية القرن العشرين كان من المواضيع التي تحظى باهتمام خاص بين صفوف الأمريكيين المسلمين ما يتعلق بأهمية تعليم المسلمين الأخلاقيات الإسلامية وتزويدهم بما يجعلهم يعيشون حياة تتسم بالمسئولية الأخلاقية. وهذا الاهتمام بالأخلاقيات التي يتم تعريفها على أساس إسلامي يعكس انشغالاً إزاء ما يتصورونه من انحلال أخلاقي للمجتمع الأمريكي ومن ثم فالتشديد على هذا الجانب يؤدي إلى طرح بديل جاد أمام المسلمين الأمريكيين، كما يدل لسانر الأمريكيين على الأهمية الكبرى التي يوليها المسلمون للنهج الأخلاقي والمناقبي في الحياة. وقد نشرت الجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية (إسنا) مؤخرًا موسوعة عن السمو الأخلاقي من اثني عشر مجلدًا وهي متاحة على قرص ليزري (سي دي روم) ومترجمة إلى

عدة لغات. واتخذ الاجتماع السنوى الذى عقد مؤخراً لرابطة الطلاب المسلمين موضوعه تحت عنوان «التماس السمو الأخلاقى فى إطار الطموح نحو التغيير» وتظهر حالياً مقالات وكتب لتؤكد على ضرورة التكامل بين المسئولية الأخلاقية وبين التعليم الأكاديمى. وفى هذا الصدد يكتب أحد الاختصاصيين فى التربية والتعليم قائلاً «من المنظور الإسلامى، يتمثل الغرض من التعليم بعامة فى تنشئة مسلمين أتقياء وهذه التقوى تبث فى نفس الطفل المسلم مجموعة من القيم الأساسية التى تؤدى بدورها إلى دفعه لى يفى بواجباته فضلاً عن اتباعه المعايير الصحيحة للسلوك فى المجتمع بصورة طبيعية»^(٥).

كما تولى الجماعة المسلمة اهتماماً متزايداً للتعليم الإسلامى على مستوى الكليات والجامعات برغم أنه لا يوجد حتى الآن سوى عدد قليل من المؤسسات التى تنضم بطابع إسلامى خالص، ومن بينها الكلية الإسلامية الأمريكية التى تأسست فى شيكاغو فى عام ١٩٨٣. وهذه الكلية هى أول مؤسسة من نوعها تمنح درجة الليسانس التى يعتمدها مجلس ولاية إلينوى للتعليم العالى وتقدم مجموعة من الدراسات فى العلوم الاجتماعية والفيزيائية وعلوم الحاسوب والاقتصاد والتاريخ ومجالات أخرى فضلاً عن عدد من المقررات فى اللغة العربية والدراسات الإسلامية.

إلا أن عام ١٩٩٦ شهد إنشاء أول كلية إسلامية للدراسات العليا فى أمريكا لتحمل اسم مدرسة العلوم الاجتماعية والإسلامية فى ليسبيرغ بولاية فرجينيا. وهذه المدرسة تتيح فرصة للدراسة على يد هيئة تدريس مسلمة وعلى أسس إسلامية فيما يتمثل هدفها فى تدريب القادة الذين يكرسون جهودهم من أجل إرساء دعائم ثقافة وحضارة إسلامية فى أمريكا الشمالية. وهذه المؤسسة تقدم مسارين للدراسة: الأول برنامج للماجستير فى الدراسات الإسلامية وبرنامج للماجستير لإعداد الأئمة من أجل تدريب المسلمين أو إمامة الصلوات. وقد تلقت المدرسة بالفعل تصريحاً من مجلس فرجينيا للتعليم العالى لى تقدم مناهجها الدراسية على مستوى الدراسات العليا برغم أنه ليس هناك منظمة معتمدة فى الولايات المتحدة مختصة لاعتماد برنامجها فى مجال إعداد الأئمة. هناك كذلك معهد الإمام على الدينى فى مدينة بنىويورك، وهو مدرسة شيعية مكرسة لإعداد المعلمين للمساعدة على النم-

الشخصى والمجتمعى للمسلمين المقيمين فى أمريكا. أما الطلاب المسلمون الملتحقون بالكليات والجامعات الأمريكية الأخرى فيزداد نشاطهم بشكل ملحوظ فيما يبذلون من جهود لاكتساب الاعتراف بأنفسهم وبالجماعة المسلمة التى ينتمون إليها. وهذه الجهود التى تدعمها الجماعات الوطنية مثل رابطة الطلاب المسلمين بدأت تثمر نتائجها. وقد اعترفت جامعة سيراكيوز بعيد الفطر فى نهاية شهر رمضان بوصفه عطلة مدرسية رسمية وتغلق الجامعة أبوابها جميعاً احتفالاً بذلك اليوم. وفى جامعته سيراكيوز وهارفارد تتاح اللحوم المذبوحة إسلامياً للدارسين عند الطلب. وفى كلية ماونت هوليوك يجوز للطلاب المسلمين واليهود أن يختاروا مرة فى الأسبوع تناول وجبة مشتركة يتم إعدادها فى مطبخ بحيث تكون وجبة من الحلال الإسلامى أو الكوشر اليهودى. وفى الوقت نفسه تركز الدوريات والصحف الإسلامية على منجزات الشباب المسلم فى الكليات والجامعات وكثير منها يضم أبواباً خاصة ومكرسة تحديداً لأغراض التعليم، كما تقدم معلومات تفيد طلاب المستقبل عن كل شيء ما بين تحرير استمارات طلب المعونة المالية إلى اختيار شريك مناسب فى السكن.

وقد شرع الطلاب المسلمون أنفسهم فى كتابة مقالاتهم فى الصحف المدرسية وفى المجلات الإسلامية الوطنية محذرين من صعوبات الحياة الإسلامية فى الكليات ومؤكدین على أهمية مصادقة شباب المسلمين آخرين. ويكتب طالب فى جامعة رودجرز قائلاً «أريد أن أقول أن سر الحفاظ على إيمانك وتعزيز دينك عندما تكون فى الكلية إنما يكمن فى الوشيجة التى تربط بين الإخوة والأخوات فالمسلمون فى حرم الجامعة ينقصهم الورع اللازم لكى يعيش كل منهم كفرد فى المجتمع الكافر (غير المؤمن). وعليه فإن القوة تكمن فى عددنا لأن الشيطان يشق عليه أن يوسوس لجماعات بأسرها فيما يسهل عليه أن يضل الفرد الواحد المعزول»^(١).

الاقتصاد

من المشاكل الكثيرة الصعبة التى تواجه المسلمين الذين يريدون أن يعيشوا طبقاً لتعاليم الشريعة الإسلامية مشكلة الخدمات المالية الحلال. ولهذه المشكلة عدد

من الأبعاد لعل أشدها تعقيداً هو ما ورد في القرآن من تحريم مراكمة الفائدة (الربا). ويثور الكثير من القضايا بالنسبة للمسلمين الأمريكيين الذين يحاولون أن يظلوا على إخلاصهم لهذه الأحكام. ويكتب قارئ متحمس إلى منبر الحوار في جريدة قومية طارحاً السؤال بشأن الفتاوى: هل المال الذي يكسبه المسلم من العمل في بنك يعد حراماً؟ ويأتيه الجواب ومفاده «أن العمل في أى بنك يتعامل بالربا حرام لأنه يتأتى من إغانة آخرين على ارتكاب الخطأ الجسيم والضلal»^(٧) ومن منطلق التفسير الصارم يمكن فهم المصطلح على أنه يشير إلى الفائدة الربوية أو الفائدة التى تتجاوز المعدل القانونى. إلا أن من المسلمين من يطالب بتفسير أكثر مرونة للقانون الذى يسمح بمراكمة فائدة معقولة على الأموال المستثمرة. على أن الآراء التفصيلية فى هذا الصدد تقتضى فهماً أعمق للشريعة الإسلامية وتفسيرها ولكن الآثار المترتبة على ذلك مهمة بالنسبة للمسلمين الذين يريدون الالتزام بالشرع التزاماً نابغاً من الضمير. ومن السبل الواضحة التى أدى إليها تحريم الفائدة بالنسبة للمسلمين ما يتصل بالحصول على قروض رهنية لتمويل شراء البيوت والمساجد وغير ذلك من المنشآت التى تدوم إلى أجل طويل. وفى بعض الحالات تقوم الجماعات فى أمريكا ببساطة بجمع كل الأموال المطلوبة لبناء مؤسسة إسلامية بما يكفل تجنب ضرورة الحصول على قرض عقارى ومن ثم التعامل فى أموال الربا، ويساعد على طرح بعض الحلول فى هذا الخصوص زيادة المصارف الإسلامية بطول العالم وعرضه ووجود بعضها أيضاً فى أمريكا ذاتها.

وهناك مسألة مالية أخرى تجتذب اهتماماً متزايداً فيما يتعلق بما إذا كانت أرباح رأس المال المتحصلة على الاستثمارات مقبولة إسلامياً فالبعض يقول إن أرباح رأس المال لا ينبغى السماح بالحصول عليها من قريب أو بعيد بينما يدعى آخرون أنها لا ينبغى حظرها إلا عندما تؤدى إلى زعزعة الأداء السلس للنظام الاقتصادى. ويوجد فى أمريكا مزيد من البنوك التى تعمل على أساس نظام «الودائع المصرفية» و «الودائع الإسلامية» وفى ظله يعهد إلى البنك بالأموال من أجل حفظها فى الخزينة ومن ثم إعادتها دون فائدة عند الطلب أو بعد تلبية شروط معينة ومثل هذه الودائع يمكن الحصول عليها عن طريق حسابات بالشيكات أو يمكن وضعها فى حسابات محددة بأجل زمنية ومن ذلك مثلاً شهادات الإيداع.

وفيما يمعن المسلمون الأمريكيون في تحليل مشاكلهم الاقتصادية، يلوح المزيد من الفرص المتاحة من خلال الإعلانات المنشورة عن خدمات المشورة والمساعدة في مجال الاستثمار الإسلامي. وعلى سبيل المثال فإن مؤسسة الترس الإسلامية بأمريكا الشمالية تقدم المشورة للمستثمرين بشأن السبل التي يمكن أن يحققوا من خلالها نمواً مالياً طويل الأجل وفي الوقت نفسه يتجنبون الحصول على الفوائد أو احتمال استثمار أموالهم في أنشطة تجارية تتعامل في الكحوليات أو الدخان أو المصنوعات الإباحية أو القمار.

مثل هذه المشاكل يلزم تسويتها من جانب الذين حصّلوا معارف واسعة النطاق بشأن الاقتصاد وكذلك بشأن الشريعة الإسلامية. وفي الوقت نفسه فالمسلمون بالولايات المتحدة يثيرون تساؤلات عملية عن التمويل ويولي اهتمام متزايد للأدبيات الشعبية المتاحة لمساعدتهم على التفكير من خلال استجابات مقبولة إسلامياً. وفي هذا الصدد يفتح مقال منشور في جريدة الجمعة بسؤال يقول «هل سقطت في براثن الديون مؤخراً؟» وذلك في معرض تحذير القراء وتبنيهم إلى أهمية تجنب الديون الواجبة الاستحقاق وحتمية سداد الفوائد المترتبة على تلك الديون. وهناك أمثلة محددة تصور الطرق العملية التي يمكن بها لأقوال النبي وأحكام الشريعة أن تفيد في اتخاذ قرارات مالية صائبة في الحياة اليومية؛ فبالنسبة للعائلات التي تعيش على حافة الهامش الاقتصادي غالباً ما تنشأ مشاكل صعبة وخاصة انطلاقاً من القناعات الدينية عندما يشعر الزوج بأن من غير المقبول إسلامياً أن تشارك زوجته في موقع العمل وتساهم في دخل الأسرة. وهكذا فالرسائل الموجهة إلى المستشارين الدينيين في الجرائد الإسلامية كثيراً ما تتعرض لكيفية أن يكون المرء مسؤولاً من ناحية الالتزامات الإسلامية ثم من ناحية واجبات توفير الاستقرار الاقتصادي للأسرة ضمن السياق الأمريكي.

وثمة استجابة يزداد الترويج لها باستمرار وتتمثل في أن يدير الفرد أموره المالية من خلال أندية الاستثمار. وفي هذا يقول اقتصادي مسلم «هناك اختيار متاح أمام المسلمين الذين ينشدون سبلاً تكفل الحلال والأمان والعائد المجزى لتنمية أموالهم ويتمثل في أحد «أندية الاستثمار»^(٨)، وتعمل هذه الأندية على أساس اتفاقات لشراكة منظمة قليلة المخاطر وفي إطارها يقوم الأعضاء بتجميع أموالهم

لاستثمارها كما يجتمعون بانتظام لاكتشاف فرص جديدة ويتم خفض تكاليف الإدارة والسمسة ويتاح للأعضاء فرصة المشاركة في عمليات تستند إلى خبرات واسعة وتقتصد إلى تعظيم عوائد الاستثمار.

ويلاحظ أن في مقدمة القضايا التي تفوق مسائل الفائدة والرهنيات قضية تأثير الأمور المالية على زيادة عدد المساجد وصيانتها. وقد درج أعضاء المجتمعات الإسلامية على ألا يتعهدوا بدعم مؤسسة دينية ما لأن مثل هذا الدعم يأتي من جانب الدولة (المسلمة). كما أن المسلمين في أنحاء العالم يشهدون المسجد في ضوء احتياجاتهم واهتماماتهم دون أن يعتبروا أنفسهم "أعضاء" في تلك المساجد^(*). بيد أن الأمر يختلف اختلافاً بيناً ضمن السياق الأمريكي، فعادة ما تعمل المساجد والمراكز الإسلامية بوصفها وحدات ذاتية التمويل، وغالباً ما تكون معتمدة على مساهمات الجماعة المسلمة المحلية وعلى أنشطة جمع التبرعات من أجل صيانتها واستمرار الخدمات التي تقدمها. ولكن أحياناً ما تبدر استجابة تنم عن الضيق من جانب الذين يشهدون المساجد إذا ما طلب إليهم «التبرع» دعماً للمسجد بدعوى أن تلك عادة مسيحية وليست إسلامية. والمسلمون الذين يحرصون كل الحرص على إخراج الزكاة وهي الضريبة المطلوبة إسلامياً لرعاية المحتاجين قد يشعرون بأنهم معرضون لضغوط مضاعفة عندما يطلب منهم كذلك المساهمة في المسجد أو في المركز الإسلامي، وفي الوقت نفسه فهم يدركون باستمرار أن مثل هذا الدعم المؤسسي لا غنى عنه في أمريكا مما يدعو إلى التفكير بشأنه من خلال أساليب جديدة. وكثير من المساجد تجد نفسها مضطرة إلى مواصلة اتباع العادات الأمريكية بالتماس الدعم المالي ومزاولة أنشطة جمع الأموال من قبيل تنظيم مآدب العشاء وبيع النثریات وتنظيم فعاليات خاصة فضلاً عن المناشدات المباشرة عن طريق البريد. وتصبح مسألة التمويل أكثر تعقيداً عندما تعرض حكومات أجنبية كإيران أو السعودية مثلاً تقديم الدعم إلى جماعات مقيمة في هذا البلد. وفيما يظل ضخ الأموال موضع ترحيب فإن الأمر الذي قد لا يكون مدعاة للترحيب هو التوقعات بأن يتخذ المستفيدون من تلك الأموال مواقف اجتماعية وسياسية معينة في مقابلها.

(*) على خلاف عضوية الابريثيه أو الكنيسة المحلية عند المسيحيين «المتزوج».

وفى كل حال فإن المنظمات الإسلامية القومية تبذل جهودًا متناسقة لمساعدة المسلمين فى أمريكا على التفكير بصورة ابتكارية بشأن الخيارات المالية المتاحة أمامهم. وهى تطرح إستراتيجيات للمساعدة على إحراز التقدم الاقتصادى ومنها مثلاً الدخول بصورة أفضل فى المسار العام للاقتصاد الأمريكى وممارسة النشاط الاقتصادى فى إطار جامع وشامل للمسلمين (بذل محاولات قدر الإمكان للبيع والشراء بين المسلمين فقط) بل وإيداء التضامن الاقتصادى الدولى الإسلامى. ويدعو البعض إلى ضرورة أن يكون لـ «الأمة» الأمريكية بيت مالها الخاص من أجل جمع الزكاة وغيرها من أنواع البر والأموال الخيرية على صعيد المنطقة المحلية أو الولاية أو المستوى القومى. ويتمثل الأمل فى هذا السياق فى أن وكالة مركزية من هذا القبيل لا تقتصر قدرتها فقط على توزيع الأموال أو جبايتها بصورة أفضل ولكن سيكون بوسعها تحقيق فائض فى مواردها للمساعدة على تمويل المشاريع الإسلامية.

ويقول المدير الإدارى لأول مصرف إسلامى يقدم خدمة كاملة فى مجال الاستثمار ويتخذ مقرًا له فى دوائر المال للأعمال فى وول ستريت إن من المهم إنشاء كرسي للمالية الإسلامية فى إحدى الجامعات الكبرى. وفى معرض تسليمه بأن كثيرًا من الكليات تقدم مقررات دراسية عن الإسلام إلا أنه يقول «الآن أصبح من الأهمية بمكان اتخاذ الخطوة المنطقية التالية التى تتمثل فى إنشاء كرسي للمالية الإسلامية، والأمر هنا لا يقتصر فقط على خلق وتلبية الطلب بين صفوف شبابنا (مستقبلنا) لكنه سيفسر كذلك السبب الذى دفع المؤسسات المالية التقليدية الشهيرة... إلى إنشاء «نوافذ» مالية إسلامية من أجل خدمة الأعمال التجارية»^(٩).

ولا يزال الحوار دائرًا على نطاق واسع فى المحافل الوطنية والمحلية حيث جرى تدارس قضايا من قبيل ما إذا كان يتعين على المسلمين محاولة الإفادة من برامج التوظيف التى تنبثق عن مبدأ العمل الإيجابى^(١٠) لتعويض الفئات المحرومة مادامت هذه البرامج قائمة. إلا أن بعض القادة يحثون المسلمين على أن يمعنوا

(٩) لمبدأ الذى يكفل قدرًا من التميز فى فرص العمل وغيرها لصالح الفئات الاجتماعية التى عانت من التمييز فى الماضى ومنها الملونون والمرأة والمعوقون. «المترجم».

النظر فى تاريخ اليهود فى أمريكا كنماذج على كيفية تحقيق النجاح المالى فى وجه التحيزات التى صادفتهم وهم فى موقع الأقلية. ومن الواضح أن العوامل الكثيرة التى ترتبط بالاقتصاد ستظل موضعاً للدراسة بمزيد من الجدية فى السنوات القادمة.

التغذية والصحة

لوقت طويل ظل المسلمون الأمريكيون مشغولين بالألا يتمكنوا من الانصياع إلى النواهى التى يفرضها الإسلام فى مجال الطعام. وهم يفهمون هذه التعاليم، ومنها تحريم منتجات لحم الخنزير وتناول الخمر على أنها تستند أولاً إلى أوامر الله كما وردت فى القرآن، كما أنها تعكس الاهتمام بالصحة والنظافة الشخصية، وهكذا فإن الأفرو- أمريكيين الذين تحولوا إلى جماعة «أمة الإسلام» منذ منتصف القرن العشرين وما بعده كانوا يحثون بأقوى العبارات على التخلّى تماماً عن جميع ما سبق اتباعه من عادات ومنها تناول أى جزء من أجزاء لحم الخنزير. وما زالت المكتبات الإسلامية تحوى كتباً وكراسات تحذر من الآثار الوخيمة الناجمة عن تجاهل هذه القواعد وهى مزودة بصور صارخة عن يخضع لمثل هذا الإغراء ومن ثم فإنه يبدأ فى الاتصاف بخصائص خنزيرية. وقد بذلت جهود واسعة النطاق على مدار العقود العديدة الأخيرة وكان من شأنها تحديد العناصر المستخدمة فى صناعة الخبز والحلوى وغير ذلك من المنتجات المطروحة فى البقالات وفى محال الوجبات السريعة وفى الأماكن الأخرى التى قد يُقدّم فيها المسلمون على شراء طعامهم. وهذه المحاولة أفضت إلى وقف استخدام عدد من المنتجات ومنها على سبيل المثال شحم الخنزير. وعليه تزداد اتساعاً الدعوة إلى تركيز الرأى العام على أهمية الغذاء السليم فى الإسلام وهى تشمل تحذيرات بشأن ضرورة توخى الاعتدال والحكمة فى استهلاك المنتجات الصيدلانية أيضاً.

وفى السنوات الأخيرة حظى بمزيد من الاهتمام أيضاً طقوس الذبح (الشرعى) للحيوانات المعدة للاستهلاك. وقد شهدت الفترات السابقة المسلمين الذين كانوا يريدون أن يتناولوا لحومهم وقد نبحت حلالاً وهم يضطرون إلى شرائها من محلات الكوشر اليهودية. أما الآن فهناك مزيد من المحلات التى تبيع لحوماً مذبوحة على الطريقة الإسلامية وتعرف باسم الحلال بمعنى المسموح به شرعاً.

ومن المعروف أن الذبح الإسلامى السليم للحيوان له أبعاد صحية ودينية فى آن واحد فلا بد من توخى النظافة عند ذبح الحيوان من رقبتة وبآلة حادة مرهفة بحيث يتم قطع القصبة الهوائية والمريء والأوردة الوداجية. وبعد هذا القطع لابد من تصفية الدماء قبل فصل الرأس تمامًا. وهذه الطريقة تتناقض مع الطريقة الأمريكية المتبعة عادة فى الذبح الذى يتم فى إطارها صعق الحيوان بصدمة كهربائية قبل قتله فيما لا يتم تصفية دمائه بالكامل، فى حين أن اللحوم التى يتم تصفية الدم منها تصبح أقل عرضة للتخثر أو لتراكم البكتيريا. وبالإضافة إلى ذلك فبينما يكون الحيوان قيد الذبح يذكر عليه اسم الله على نحو ما ورد فى الآية ١١٨ من سورة الأنعام التى تقول: «فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ» (١١٨) ومن المباح بصفة عامة إدارة شريط يتلو القرآن كبديل عن شخص يؤدى هذه المهمة. ولا تقتصر مسألة اللحم الحلال على ذبح الأبقار والأغنام بل تمتد لتشمل الدواجن أيضًا. وتقوم ولاية نورث كارولينا، وهى ولاية منتجة للدجاج على نطاق واسع، بتصدير الطيور المذبوحة على الطريقة الإسلامية إلى البلدان المسلمة ولاسيما فى الشرق الأوسط. وهناك جماعات مثل المجلس الإسلامى للأطعمة والتغذية فى أمريكا ويتخذ مقره فى بيدفورد بارك بولاية إلينوى ويقوم بإعداد ملفات للمعلومات التى تقصد إلى مساعدة المسلمين المستخدمين فى مختلف فروع صناعة الأغذية الأمريكية.

وثمة مسألة تتسم بأهمية خاصة لكثير من المسلمين الأمريكيين ويقدم لها العلماء المسلمون عددًا من الإجابات وهى تتعلق بما إذا كان يتاح للمسلمين أن يأكلوا طعامًا من إعداد غير المسلمين وتحديداً المسيحيين واليهود. ويقول بعض العلماء الأكثر محافظة إن الإجابة هى بالنفى لأن المرء لا يستطيع أن يتأكد من أن الطعام تم إعداده بالطريقة المناسبة فيما يوافق آخرون مع المصلح المصرى المرحوم رشيد رضا الذى قال فى مطالع القرن العشرين بأنه إذا كان القرآن يسمح للرجل أن يتزوج امرأة من أهل الكتاب فإن المؤكد أنه ليس عليه جناح فى أن يتناول طعام المسيحيين أو اليهود. ومن الواضح أن زيادة التفاعلات الاجتماعية بين المسلمين وغير المسلمين من خلال الأعمال التجارية وغيرها من الصلات يجعل من الصعب الالتزام بأكثر القيود الغذائية صرامة.

ويرفض بعض المسلمين شهود أى مناسبة تقدم فيها الكحوليات، بينما يكتفى الآخرون بالامتناع ببساطة عن احتسائها بأنفسهم تاركين جيرانهم لكى يتخذوا قراراتهم فى هذا الشأن. ويتساءل البعض عما إذا كان من اللازم تقديم الكحول إلى الضيوف، ويقول مسلم من أعالي ولاية نيويورك «فى عائلتنا...تعودنا أن نقدم المشروب لضيوفنا الأمريكيين وكل ما هناك أننا كنا نضعه على الطاولة ونتركه هناك لكى يخدموا أنفسهم بأنفسهم ولكننا توقفنا عن ذلك نتيجة تعليقات أبتتها ابنتى الكبرى قائلة: «إذا كنا لا نشرب فلماذا نقدم المشروبات؟» كذلك فمسألة عمل المسلم فى متجر أو مطعم يبيع المشروبات الروحية كانت بدورها موضع اهتمام واسع النطاق بين بعض المسلمين وخاصة عندما يكون العمل لازماً لإعالة عائلاتهم ومن ثم فقد تباينت القرارات المتخذة فى هذا الشأن، كما تساءل البعض عما إذا كان يسمح للمسلمين بتناول أى عقاقير قد تحتوى آثاراً من مواد محرمة مثل الكحول وهنا أيضاً تختلف الإجابات حيث يؤكد معظمها أن هذا الاستخدام إذا ما كان ضرورياً لحياة المريض ولم يتوافر بديل متاح فإنه مباح. أما القاعدة العامة فهى أن المواد التى تؤثر على عقل الفرد أو تؤدى إلى تغييب قدرته على الحكم على الأشياء ينبغى تجنبها بأى ثمن اللهم إلا إذا كانت الحياة ذاتها معرضة للخطر.

وثمة مسألة أخرى تحظى باهتمام كبير بين صفوف جماعة المسلمين الأمريكيين تتعلق بفرص الرعاية الصحية السليمة. وفى بعض الحالات تعكف المنظمات على التخطيط لتوفير الرعاية المجانية للمحتاجين على نحو ما تقدمه العيادة الصحية المجانية التابعة لرابطة الجامعة الطبية الإسلامية فى لوس أنجيلوس التى يديرها أطباء وطلاب كليات الطب المسلمون. وتقع هذه العيادة فى منطقة الجنوب من وسط لوس أنجيلوس الذى تسوده أنشطة العصابات الإجرامية ولكنها تركز على قضايا الرعاية الصحية والرفاه الاجتماعى. وهى تمول من العطايا الخيرية من الأموال والإمدادات اللازمة التى تقدمها المستشفيات ودوائر التجارة والأعمال وغير ذلك من الوكالات، إضافة إلى ما يتبرع به العاملون الطبيون ومساعدوهم من وقتهم الخاص. وفى حالات أخرى تبذل جهود لتكفل معالجة المسلمين الخاضعين للرعاية الطبية فى المستشفيات العامة والخاصة بأمريكا بطريقة تتفق مع معتقداتهم.

وقد تعاون مؤخراً مستشفى ريفر فيو في ديترويت، بولاية ميتشيغن مع المنظمة الإسلامية للخدمات الصحية والإنسانية على اتخاذ قرار لم يسبق له مثيل ويكفل ممارسة الأعراف الإسلامية لتشكل جزءاً منتظماً من خدمات المستشفى. وهكذا هتف صحفي مسلم في معرض وصفه لنتائج هذا القرار قائلاً: «الحمد لله: هذا ليس حلمًا لأنك لست في بلد مسلم بل أنت في ديترويت...»^(١٠). هكذا يرفع الأذان همسًا في أذن الطفل الوليد، ويعد الطعام الحلال في مطبخ المستشفى، ويتاح للمرضى والعاملين المسلمين أداء الصلوات في قاعة التأملات، ويقدم المصحف عند الطلب، ويُسمح للعاملات من موظفات المستشفى بأداء عملهن وقد ارتدين الحجاب كاملاً بناءً على اختيارهن. كذلك فإن قوائم المرضى تضم الإشارة التي تفيد بكلمة «مسلم» للدلالة على الأسماء عند الاقتضاء. ورغم أن مستشفى ريفر فيو هو الأول من نوعه الذي يقدم رعاية إسلامية كاملة إلى المرضى المسلمين لكنه بالتأكيد لن يكون الأخير.

العطلات

مع ازدياد وعي المسلمين بحقيقة وجودهم في أمريكا الشمالية بوصفهم كياناً دينياً محدد المعالم، يتسع إدراكهم لأهمية التمييز بين مواسمهم وأعيادهم وبين المواسم والأعياد المسيحية أو العلمانية في أمريكا. وكثيراً ما يصعب على بعض الأطفال المسلمين أن يفهموا لماذا لا يُسمح لهم بالمشاركة في الإجازات التي يستمتع بها رفاقهم في الفصل الدراسي. وبالنسبة إلى المسلمين الأكثر تمسكاً بعقيدتهم تزيد وطأة المشكلة عندما ينعم كثير من رفاقهم المسلمين بجميع المواسم والأعياد بمعنى أن يستمتعوا بما هو مبهج ويتجاهلوا تحديدًا الآثار الدينية المترتبة عليه. وهناك من الآباء المسلمين من يريدون تشجيع أبنائهم على أن "يمتلكوا" أعيادهم وإجازاتهم التي تخصهم متباعدين بذلك عن المواسم والأعياد الأمريكية التي يشعرون أنها تخص بالذات اليهود والمسيحيين أو أنها تتسم بطابع دنيوي يبعدها بذلك عن أن تصبح جزءاً من الإسلام.

من هنا تثار تساؤلات وخاصة وقت حلول أعياد الكريسماس ومنها مثلاً: لماذا لا نسمح لأبنائنا أن يكون لهم شجرة عيد الميلاد وأن يتبادلوا الهدايا؟ وهكذا

ما يطرحه البعض وخاصة أن المسلمين يشاركون المسيحيين في تكريم مولد السيد المسيح وهناك من يحاولون التوفيق بين الأمرين أو تحاشي الاحتفال بذلك اليوم من الأساس في حين أن هناك آخرين يقررون أن الاحتفال بيوم عيد الميلاد له بعض المزايا وفي هذا تقول إحدى السيدات: «نحن نحتفل بالكريسماس لسببين حيث من المهم أولاً مشاركة المجتمع الأمريكي. وإذا لم نحتفل بالكريسماس وإذا لم نحتفل بيوم عيد الشكر فإن هذا الأمر بالنسبة لي كمن يقول حقيقة إنك لا تشكل جزءاً من المجتمع الأمريكي... أما السبب الثاني فيتعلق بأننا نؤمن عن حق بالسيد المسيح: نحن لا نعتقد أنه إله معبود ولكننا نؤمن بأنه كان رسولاً نبياً»^(١١). وهكذا فالآباء المسلمون الذين لا يسعدهم أن يأتي إليهم أطفالهم في البيت وهم ينشدون أغاني عيد الميلاد قد يصيبهم مزيد من الروع إذا ما سمعواهم وهم يترنمون بأناشيد عن «عيد الهانوكا اليهودي السعيد».

ومن الأعياد والمواسم ما ينطوى على مشاكل مباشرة أقل وقعا. فمن الواضح أن عيد الفصح يمثل اعترافاً بيقين مسيحي ينكره الإسلام وهو قيامة المسيح، ومن ثم فالأمر بسيط اللهم باستثناء التساؤل عما إذا كان يسمح للأطفال بتلوين البيض أو إحضار سلال بالمخبوزات اللذيذة. وقد يرى المسلمون في يوم الرابع من يوليو (عيد الاستقلال) موعداً لتأكيد مشاركتهم في الحياة المدنية الأمريكية. أما احتفالات يوم المساخر (الهالاوين) فينظر إليه في معظمه على أنه لا ينطوى على ضرر يذكر برغم أن معظم الآباء لا يريدون لأطفالهم أن يتجولوا بين المساكن طلباً للحلوى كما تقضى بذلك تقاليد هذا العيد الأمريكي في حين أن عيد الشكر يمكن فهمه بسهولة على أنه حدث إسلامي بحق باعتبار أنه الوقت الذي يقف فيه البشر (المهاجرون) شاكرين نعمة الله وسط عائلاتهم وأصدقائهم.

مع هذا كله فهناك مناسبات في التقويم تشارك فيها الغالبية العظمى من الأمريكيين بصورة أو بأخرى ولكنها ما برحت تثير مشاكل. وقد تتفاقم حدة هذه المشاكل إذا ما نمت أواصر الصداقة بين المسلمين وغير المسلمين الذين يدعونهم إلى الاحتفال بأعيادهم. فالشباب بشكل خاص قد يصعب عليهم أن يفهموا لماذا لا يستطيعون المشاركة في الأعياد التي يحتفل بها أصدقائهم من غير المسلمين ومن ذلك مثلاً أعياد الميلاد أو ما في حكم ذلك من مناسبات. أما الرد المحافظ فيحتج

بتعاليم الفقهاء المسلمين على مدار القرون وهو رد سلبي قاطع، بل إن البعض يصر على أن لا يجدر بالمرء حتى أن يهنئ المسيحيين أو اليهود أو غيرهم وقت حلول أعيادهم ومواسمهم. لكن صرامة مثل هذا القرار لا تروق لجميع المسلمين ومنهم حتى الذين يحاولون جاهدين أن يعيشوا حياة مقبولة من الناحية الإسلامية. ويكتب رجل مهموم بالأمر إلى مستشار مسلم قائلاً: «طلب مني مؤخراً تنظيم حفل زفاف لأحد أصدقائي من الهندوس لأن معظم أقربائه كانوا خارج البلاد. وكنت أقرب شخص يعرفه الصديق ويمكنه أن يثق فيه. كذلك فقد كنت نشطاً في المشاركة في أعياد الميلاد ومناسبات الوفاة لأفراد آخرين من الهندوس والسيخ بل وكذلك في حفلاتهم الدينية مثل هولي وديوالي وبيساخي. فهل هناك ما يحول دون مشاركة المسلم عن كثب في مثل هذه المناسبات والطقوس؟»^(١٢)، وجاءت الإجابة على نحو أكثر محافظة من إجابات أخرى كثيرة لنقول إن التنظيم والمساعدة في مثل هذه المناسبات أمر لا غبار عليه لأنه يساعد على إنشاء علاقات مجتمعية طيبة ولكن للأسف فالمشاركة الفعلية فيها أمر محظور تماماً. على أن كثيراً من المسلمين يحاولون إدخال تعديلات على التعاليم الإسلامية الصارمة بحيث يمكنها أن تريح ضمائرهم من ناحية وأن تلبي رغبتهم في ألا يعزلوا أنفسهم أو يعزلوا أبناءهم بغير مبرر معقول عن تأثيرات ثقافة يشغلون فيها حقيقة موقع المواطنين والمشاركين.

وهناك عنصر مهم يتمثل في إعادة التفكير في أساليب الاحتفال بالأعياد الإسلامية التقليدية في السياق الغربي. وبرغم أن عيد الفطر الذي يختم به صيام رمضان على نحو ما سبق وصفه في الفصل الأول قد يكون أشهر تلك الأعياد ومن ثم أبرز الأعياد الإسلامية في نظر الأمريكيين من غير المسلمين إلا إنه يعتبر في الواقع بمثابة العيد الأصغر أو الاحتفال الأقل لأن العيد الأكبر هو عيد الأضحى الذي يحتفل فيه بمحاولة إبراهيم التضحية بابنه الذي يعتقد المسلمون أنه كان إسماعيل وليس إسحاق ويحل هذا العيد بنهاية الحج إلى مكة. وقد درج المسلمون على التضحية بذبيحة أو شراء لحم حلال لتوزيعه على فقراء الجماعة ويحتفل المسلمون في أمريكا بهذه المناسبة في الوقت نفسه الذي يكون الحجاج قد أكملوا فيه حجه في مكة. كما يختار كثير من المسلمين الاحتفال بمولد النبي حيث يتم

ذلك في الغالب الأعم طبقاً للعادات الخاصة المرعية في البلد أو المجتمع الذي جاءوا أساساً من صفوفه. ومن أهم المواسم السنوية التي يحتفل بها الشيعة الأمريكيون ما يعرف باسم محرم، وهم يستعيدون فيه بل ويعيدون تمثيل الأحداث التي وقعت وقت مقتل الحسين حفيد النبي محمد في كربلاء. والشهر نفسه من الأشهر المقدسة عند المسلمين كافة باعتباره الوقت الذي قام فيه محمد بتغيير قبلة المسلمين وقت أداء الصلوات من بيت المقدس إلى مكة. وتعمل «مجالس المحرم (مجالس العزاء) على أن تزود كل جيل لاحق بالتعاليم الدينية اللازمة لاستمرارية الهوية الشيعية. وعلى مدار العام تتواصل إعادة التأكيد على حقيقة التجربة المشحونة بالعواطف في كربلاء وهو أمر يبدأ مع أيام الطفولة»^(١٣) والحق أن الشيعة يتفننون سواء في إحياء هذه المناسبة أو في ترجمتها لكي يفهمها على نحو أفضل جيرانهم من غير المسلمين.

ولقد أصبحت المدارس الحكومية في أمريكا على وعي أفضل بالنسبة إلى جميع هذه المواسم والأعياد، وكثيراً ما تشجع طلابها المسلمين على أن يحكوا لسائر رفاقهم في الصف المدرسي عن مغزى تلك الاحتفالات. كما أن تقويمات المدارس في المؤسسات ذات الطابع التقدمي الأعمق تسجل الأعياد الإسلامية الرئيسية إضافة إلى أعياد المسيحيين واليهود.

«المنتجات» الإسلامية

المسلمون الذين يريدون أن يأكلوا ويلبسوا ويعتزوا بسلوكهم بطرق إسلامية معترف بها يمكنهم الحصول على طائفة واسعة من السلع المصنّمة للمساعدة على تعزيز ونشر هويتهم. وفي معظم المناطق الحضرية من أمريكا اليوم يمكن للمرء أن يجد منتجات عديدة مطروحة في الأسواق والمحلات وهي مصنّمة خصيصاً لاستهلاك المسلمين. وكثير من هذه المنتجات متوافرة أيضاً بالطلب البريدي على النحو الذي تشهد به زيادة الإعلانات في الدوريات والصحف الإسلامية إضافة إلى المنشورات الأخرى وأيضاً عن طريق ميديا الإعلام. وتتضاعف كل يوم المواقع الإلكترونية والصفحات المنشورة على شاشة الحاسوب لتقدم بيانات عن المواد الإسلامية بحيث يواجه المرء مزيداً من المعلومات والمنتجات بأكثر ما يمكن أن

يتخيله. وفي مقدمة تلك المواد الأعداد الكبيرة من الكتب وأشرطة الفيديو وأقراص الليزر وحزم البرمجيات الحاسوبية والمواد التعليمية عن الإسلام. وكثير من هذه المواد التعليمية مصممة بطريقة تبعث على البهجة وفي الوقت نفسه تقدم التعاليم المطلوبة على نحو ما هو حاصل بالنسبة لأشرطة الفيديو التي تعرض أفلام صور متحركة إسلامية للأطفال. وثمة عدد متزايد من الألعاب والألغاز التي تجتذب العائلات التي ترغب في ممارسة أنشطة جماعية بناءة. وهناك نموذج كبير ثلاثي الأبعاد ودقيق من حيث النسب والزوايا لمكة المكرمة يتاح مزودًا بأكثر من ألف قطعة محشوة بالمطاط عن طريق الطلب الهاتفي وفي محلات الألعاب. وعند تجميع أجزائه يصل عرضه إلى أكثر من قدمين فيما يرتفع مسافة قدم واحد. كذلك فقد ترغب العائلات في ممارسة لعبة الأسئلة والألغاز بشأن التاريخ الإسلامي أو الحقائق البارزة في العقيدة وفي الممارسة الإسلامية مستخدمين في ذلك أوراق لعب إسلامية وتتشتر بعض الجرائد ألغازًا (قوازير) مطلوب حلها عن الإسلام ثم تورد الإجابات على صفحة مستقلة.

ويقصد بهذه المنتجات مساعدة المسلمين على تأكيد هويتهم وتيسير وتطوير حياتهم وهم يعيشون في أوساط غريبة. كما تتشر إعلانات عن رحلات جماعية خاصة إلى المملكة العربية السعودية وقت الحج لتقول «نقدم أعلى خدمة وأقل أسعار لأداء الحج» ويوجه بعضها إلى المسافر الذي يرغب في اقتصاد النفقات في حين أن الرحلات الأخرى تضم الإقامة في فنادق فاخرة مع تأكيد حوافز الحج. وتقدم بعض وكالات السفر خدمات خاصة وأسعار زهيدة من أجل ترتيب رحلات العمرة (وهي أقل من فريضة الحج وتؤدي في غير أوقات الحج) وتتاح المعلومات بشأن فرص أداء الحج على شبكة الإنترنت وعلى الموقع الإلكتروني عن الحج والعمرة. والمسلمون الذين يريدون معرفة مواقيت الصلاة بدقة وموعد الإفطار خلال رمضان يمكنهم شراء تشكيلة من الساعات والمنبهات المصممة خصيصًا لهذا الغرض. وفي هذا السياق تعلن شركة كاسيو قائلة «لا تصل حسب ذاكرتك، بل صل عندما يحين وقت الصلاة» وهناك ساعة يطلق عليها وصف «ساعة العصر الإسلامية العجيبة» وهي تشير إلى مكة من أي موقع دون استخدام بوصلة كما تحدد وقت الصلوات لأكثر من مائتي مدينة حول العالم وتبين تقويمًا هجريًا على أساس ثلاثين يومًا لكل شهر.

وبوسع المسلم الذي يريد التأكد من أن غذاءه أو غذاءها موافق لتعاليم الشريعة أن يطلب الوجبات من عدد من شركات إنتاج الأغذية التي تقدم أطباقاً خاصة مثل الشاورمة (صنف شرق أوسطي من اللحم المشوى والتوابل) أو المقانق الرفيعة أو اللحم البقري المحفوظ والبسطرمة ولحم الرومي بل ومستلزمات فطيرة البيترزا وكلها معدة طبقاً لمعايير الحلال الصارمة. وقد أصدر مركز الكتاب الإسلامي في ريتشموند هيل، نيويورك كتيباً بعنوان «دليل منتجات الحلال والحرام» وهو يحوى أكثر من ستة آلاف قائمة ومادة توجه الفرد إلى كيفية التدقيق في اختيار الغذاء. وهناك مؤسسات مثل شركة ميدا مار في سידار رابيدز، ولاية أيوا، تؤكد لعملائها أنها قد عملت لسنوات عديدة مع عدد منتهى من الشركات المعتمدة لدى وزارة الزراعة بالولايات المتحدة لكفالة جودة ونقاء المنتجات التي تقدمها. بل تتوافر حلول المارشمالو الإسفنجية الحلال بأحجام كبيرة وصغيرة بعد أن تم إعدادها بالأسلوب المناسب من جيلي البقر. وبالإضافة إلى الأطعمة بوسع المرء أن يطلب منتجات خاصة لرعاية البشرة ومنها مثلاً كريم إزالة تجاعيد الوجه وكريم المسك الليلي وكلها مصممة لتلبية المقتضيات الإسلامية من خلال تجنب استخدام الشحوم الحيوانية أو الكحول فضلاً عن ضمان عدم تجربتها على الحيوانات. وتعلن برامج إنقاص الوزن عن منتجات تتفق مع المقتضيات التغذوية الإسلامية بل يستطيع الرجال إصلاح ما فقدوه من شعر الرأس باستخدام منتجات مناسبة إسلامياً بالنسبة للشعر وفروة الرأس.

وبما أن مسائل الرداء المناسب وخاصة للنساء، وإن تعدت أيضاً إلى الرجال، قد ازدادت أهمية على مدار العقود الماضية فقد انعكست أهميتها في إتاحة الكثير من أنواع اللباس الإسلامية. فالنساء الراغبات في ارتداء زى إسلامي بوسعهن التوصل إلى طائفة واسعة من المنتجات المتاحة ما بين مختلف أنواع حجاب الرأس (ومن ذلك مثلاً شركة سمول كاين دينس التي تعلن عن أوشحة من القطن والحرير إضافة إلى أردية الخمار التي تغطي مزيداً من أجزاء الجسم) إلى فساتين مزركشة تصل إلى الكاحلين والساعدين. وهناك أحياناً ملابس للعمل أو ملابس للمجال الاجتماعي النهاري وغالباً ما تطرح بألوان رمادية أو قاتمة. لكن هناك مبتكرات أخرى مصممة لارتدائها على مستوى أحدث الموضات. وعلى

سبيل المثال فشركة التكبير فى ريتشارد سون بولاية تكساس تعلن عن معاطف وتنانير شتوية رائعة لارتدائها فى الأمسيات المخملية. ومعظم شركات الملابس الإسلامية تستخدم مصطلح الجلاب كلباس عام والحجاب أو الخمار لتغطية الرأس والنقاب لستر الوجه كاملاً. وبعض الشركات تقدم ملابس المرأة بأسلوب أقرب إلى الهندى أو الماليزى وكثيراً ما تطلق عليها تسمية شالوار وخمير وهى مزودة بسر اويل فضفاضة ومعاطف. وبالنسبة للرجال هناك أروية بالغة الطول تسمى الثوب أو الجلابية أو القرطاس وبعض هذه الملابس عربية الطابع أو باكستانية الطراز بينما تم تعديل بعضها لتناسب أغراض الاستخدام فى الغرب ومن ذلك مثلاً أن الثوب يعلن عنه على أنه مزود بقميص كلاسيكى تعلوه ياقة مندارين مناسبة وأساور ذات أزرار.

وبوسع المرء أن يشتري خواتم وأقراطاً ودبابيس وقلائد وغير ذلك من أنواع الحلى ذهباً أو فضة وقد زينتها كتابات إسلامية مثل الله أكبر. وبالنسبة للذين يرغبون فى الملابس العفوية (الكاجوال) فيما يريدون الاحتفاظ بخصائص هويتهم تتاح أقمصه تى شيرت إسلامية وعربية وبدلات تفصيل لمواقع العمل والدرس وللمؤسسات الأخرى. وتطرح شركات مثل رحمان إمبورتس كتالوجات تعرض الأساليب الجديدة فى اللباس للنساء والرجال والأطفال.

المشاكل الشخصية والحلول الإسلامية

قليل الكثير بالفعل بشأن القضايا التى يثيرها المسلمون وهم يحاولون التوفيق بين مقتضيات عقيدتهم وبين ما تتوقعه منهم الثقافة الأمريكية. ولا يشكو أحد من قلة المساعدة المقدمة للأفراد على أن يلتمسوا إجابات على تساؤلاتهم عن طريق المساجد والمراكز الإسلامية وشبكة الإنترنت والجرائد والمجلات الإسلامية ومن خلال مصادر كثيرة أخرى. وتؤكد مجلة المنارة التى تنشر فى جنوبى كاليفورنيا لقارئها أن الحصول على فتوى (وهى من الناحية الفنية عبارة عن رأى دينى/شرعى وليست حكماً صادراً) لا يكلف سوى مكالمة هاتفية. وهى تحت من لديهم مشاكل على أن يطلبوا رقمًا مجانياً هو 1-800-95-FATWA طلباً للمساعدة لدى اتخاذ القرارات الحياتية المهمة. «مشيئة الله ليست بحاجة إلى أن نفتقدها أو

نبحث عنها ولا ضرورة لأن تعرض نفسك للمعاناة أو الألم ولا إلى القلق أو الانشغال. وما عليك بدلاً من ذلك سوى أن تجرى مكالمة هاتفية»^(١٤)، لكن المشكلة بالنسبة لكثير من المسلمين تتأتى من محاولاتهم التوصل في حسم بشأن أى من هذه الإجابات هي الأصدق بالنسبة لجوهر الشريعة الإسلامية، وما إذا كانت تنطبق أو حتى يمكن أن تنطبق على السياق الأمريكى. وفيما يلي عدد قليل من الأسئلة الكثيرة التى تثار بين صفوف الجماعة المسلمة اليوم وبعض الإجابات الإسلامية التى ردت عليها:

- هل يجوز قبول هدية من شخص كسب أمواله من فائدة فى بنك؟ إن الإجابة المحافظة هي لا رغم أن هناك من قد يجيب بأن الفكرة وراء الهدية هي التى تهم أكثر من كيفية اكتساب أموالها.
- هل يسمح للبنات ممن لم يصلن سن البلوغ أو حتى يشجعن على ارتداء وشاح (إيشارب) كحجاب فى المدرسة؟ إن الجماعة المسلمة مشغولة انشغالا عميقا بقضية رداء البنات. ومعظم قادتها يقولون إنها لا ينبغي تشجيعها على ارتداء الحجاب على الأقل حتى سن البلوغ وأيا كان قرار الفتاة فمن المهم أن توفر الأسرة بيئة داعمة وموافقة لها.
- هل من غير الإسلام الإصغاء إلى الموسيقى أو عزفها أو الاستمتاع بها؟ جميع المذاهب الإسلامية الكبرى تحظر استخدام أنواع معينة من الموسيقى، ولكن من الواضح أن هناك حلولاً وسطاً واسعة النطاق بشأن هذه المسألة. فيوسف إسلام وهو «كات ستيفنز» مغنى موسيقى البوب سابقاً يقترح الأخذ بالاعتدال أو الوسطية فى كل الأمور لتكون مفتاحاً للسلوك فى هذا الصدد، وهو يعتقد أن الأغاني وفنون الغناء مقبولة إسلامياً إذا ما كانت مناسبة وإذا ما كان حمد الله دائماً هو النية الأساسية للموسيقى التى يتعامل معها المرء «[إن التحريم بحكم الشريعة] لا يعنى أن يصبح المسلمون قردة لا تعرف معنى النغم بل يتعين على المسلمين أن يشاركوا فى كل مجال من مجالات الحياة ومن ثم ينبغي إيلاء هذا الموضوع فكرياً عميقاً لأن هناك أناشيد وغناء فى الإسلام وهناك إيقاع ودفوف ولكن كل شيء ينبغي أن يظل ضمن

الحدود»^(١٥)، بيد أن هناك آخرين أقل انفتاحًا مما سبق ويجنحون إلى إنكار الموسيقى إذا ما تم عزفها في تجمع إسلامي.

- هل للمسلم أن يشهد جنازة فرد غير مسلم من عائلته وهل يدعو من أجل روح المتوفى؟ هنا معظم الإجابات كانت بنعم.

- إذا لم يسمح رب العمل بوقت أو مكان يصلى فيه المسلم خلال يوم العمل هل يجوز أداء الصلوات بعد ميقاتها؟ إن الإسلام يعترف بأن الصلاة يمكن أن تكون مشقة بقدر ما أنها بهجة وإذا ما أتاحت كل الإمكانيات ينبغي للمرء أن يؤدي الصلاة في وقتها، لكن إذا استحال ذلك يصبح الموقف ضمن ما تسميه الشريعة بالضرورات ومن ثم يمكن أداء الصلاة في وقتها قضاءً.

- هل يجوز للمسلمين تلاوة أدعية في مستهل الوجبات أو أن ذلك مجرد تقليد نمطي لعادة مسيحية؟ وكانت الإجابة أنه برغم أن تلك لم تكن عادة إسلامية دارجة إلا أن الدعاء عند تناول الطعام مقبول بصفة عامة بل إنه يكتسب شعبية على مستوى بعض الأسر الأمريكية المسلمة.

يتضح من مطالعة أعمدة الأسئلة والإجابات المنشورة في الصحف الإسلامية أو لدى المشاركة في المحادثات التي تجرى على موقع الشبكة العالمية أن الإجابات لا تأتي قاطعة الوضوح باستمرار وأحياناً يجنح الناصحون إلى التوسع في القياس على أمثلة مستقاة من الماضي لدرجة تجعل صلتهم بالحياة في أمريكا المعاصرة غامضة وملتبسة إلى حد ما. ومن الواضح في بعض الحالات أن مثل هذا الاتجاه يحاول مساعدة المؤمن على التوصل إلى الإجابة بنفسه أو بنفسها. وكثير من المسلمين في المجتمع الأمريكي يتساءلون على سبيل المثال عما إذا كان مقبولاً أو محظوراً اتخاذ غير المسلمين أصدقاء أو أولياء. وفيما يقول البعض بأن من المستصوب تماماً أن يحدد المسلمون دائرة أصدقائهم ويقصرونها على أفراد عقيدتهم إلا أن هناك من يستعيد نموذج النبي الذي كان يهتم كثيراً حتى بمشركي مكة ويعرب عن انشغاله بأحوالهم على نحو ما اتضح من اهتمامه بمراعاة الجيران غير المسلمين. وفي كل حال تظل القضايا المشتركة بين الديانات معقدة بالنسبة

لكثير من المسلمين الأمريكيين وسوف تمثل جزءًا مهمًا من أجندة الاهتمام سواء في الحاضر المعاش أو في المستقبل.

ثم تطفو على السطح بانتظام قضايا المرأة وفي هذا الصدد تكتب سيدة لنقول «أنا مسلمة أستمتع في واقع الأمر بممارسة الرياضة البدنية وبرغم أنني أرئى ملابس فضفاضة وغطاء للرأس عندما أؤدى التمرينات أو أمارس الركض فقد قيل لى إن أى شكل من أشكال التمرينات الرياضية تمارسه الأخوات المسلمات علانية محظور، فهل يتعين على أن أبقي رهن المنزل لكى أمارس هذه التمرينات؟»^(١٦). إن هذا السؤال يضم شواغل مختلفة ما بين اللباس ومشاركة المرأة فى النشاط العام وسلوك المرأة بشكل عام فضلاً عن مسألة محددة تتعلق بممارسة التمرينات الرياضية. ومن الواضح أن ليس ثمة رد إسلامى، لكن الحقيقة هى أن الفتيات فى المدرسة يشجعن كثيراً على المشاركة فى الألعاب الرياضية، وخاصة إذا ما كانتن ملابسهن ملائمة. وأحياناً تتنافس اللاعبات المسلمات رسمياً فى ميادين الرياضة البدنية والألعاب الرياضية بل وأحياناً فى مضمار دورات الألعاب الأولمبية ويستطعن بشكل عام تطويع الزى الإسلامى لكى يلبي مقتضيات الحشمة من ناحية وأصول اللعبة الرياضية ذاتها من ناحية أخرى.

وعادة ما تثير المسلمات تساؤلات بشأن مسائل تتعلق بزواجهن، فأحياناً تكون هذه الأسئلة روتينية بحيث تتصل بإدارة شئون الأسرة المعيشية، ومن ذلك مثلاً ما إذا كان ينبغي للزوج أن يساعد فى عمليات التنظيف ورعاية الأطفال. ومما يثير الاهتمام أن الإجابة ضمن السياق الأمريكى تكون بنعم على طول الخط تقريباً. وكثير منها يورد أمثلة من سلوك النبى محمد إذ كان يساعد فى أعمال البيت. والبعض يسأل إذا ما كانت الديون التى تتكدها المرأة قبل الزواج تصبح بعد ذلك مسئولية زوجها الجديد لكن الإجابة بشكل عام تقضى بأن هذه الديون تظل ديونها هى برغم أن من شأن زوج مسئول ومحب أن يعرض المساعدة. والنساء المسلمات اللاتى لا يشعرن أزواجهن أن من الملائم بالنسبة لهن العمل خارج البيت كثيراً ما يلتمسن المشورة عن كيفية تغيير فكر الزوج أو كيف يشعرن بالمساهمة فى نشاط الجماعة فى حين أنهن باقيات فى المنزل.

هل يجوز للمرأة المسلمة أن تسلم باليد على الرجال ممن ليسوا من أسرتهن؟

هنا تتباين الإجابات. وثمة سؤال أكثر إلحاحًا يطرحه الكثيرون بشأن تحديد النسل وهل هو مقبول إسلامياً. ويبدو أن أغلبية من المسلمين الأمريكيين باتت تشعر بأنه ينبغي أن يتاح للمرأة استخدام شكل من أشكال التحكم في الإنجاب. برغم أن الأمر ينطوي في غالب الأحيان على اختلاف بشأن الأشكال التي يمكن إقرارها في هذا المجال. ويصعب أكثر أن تدور علناً المناقشة حول الإصابة بفيروس نقص المناعة البشرية بين ظهرائي الجماعة المسلمة برغم أن البعض بدأوا يتشجعون على خوض مثل هذا النقاش، فضلاً عن أهمية التثقيف المستتير والمبكر للتوعية بشأن هذا الخطر الاجتماعي. ونقول زوجة واحد من متعاطي المخدرات «عندما بدأنا نسمع عن فيروس الإيدز كان الأمر مقترناً بالشذوذ الجنسي ثم أصبح مرضاً جاء من هائتي ومن ثم شرعوا يكتشفون أنه يصيب كذلك مدمني المخدرات عن طريق الحقن. ومضت فترة كنت أردد فيها قائلة حسناً أنا لا أتعاطي المخدرات فأنا مسلمة وأصلي خمس مرات في اليوم ولكن هذا لم يفدني بشيء لأن حقيقة أنك تصلي لا تعني أنك بمنأى عن الخطر»^(١٧)، هذه المرأة الشجاعة التي اكتشفت بعد الفحص أنها وزوجها مصابان بوباء الإيدز تعمل على نشر المعلومات بين صفوف المسلمين بشأن حقيقة هذا المرض، وتحت سائر المسلمين ممن يعيشون وهم مصابون بالفيروس على إجراء الاختبار الطبي وتشكيل جماعات المؤازرة والتصدى لتلك الأخطار التي قد يجلبها الإيدز إلى صفوف الجماعة المسلمة.

والذين يشغلون مواقع القيادة ضمن الجماعة الأمريكية المسلمة يحثون أعضائها على أن يفتحوا عيونهم جيداً إزاء السُّبل المختلفة التي تضيف طابعاً إسلامياً على التحولات التي تطرأ على حياة الإنسان فهم يسدون النصيحة بشأن إقامة الاحتفال بمولد طفل جديد برغم أن مثل هذا الاحتفال أمر مندوب إليه وليس مسئولية ملزمة شرعياً بما في ذلك ما جرى عليه العرف من ذبح خروفين عن طفل ذكر وخروف واحد عن طفلة أنثى. والرجال المسلمون الذين يرغبون في الزواج من نساء مسيحيات تسدى إليهم المشورة بشأن الاستعدادات والاحتفالات الملائمة وأيضاً بشأن أهمية الوفاء بشروط الزواج الإسلامي ومن ذلك مثلاً تقديم العروس بواسطة ولي أمر العروس وموافقة العريس أمام شهود. أما قوانين الإرث التي يحرص القرآن على تحديدها بدقة فيتم تفسيرها للمسلمين الأمريكيين. ويحث

مزمل صديقي رئيس الجمعية الإسلامية بأمريكا الشمالية المسلمين الأمريكيين على إعداد وصيتهم في مرحلة مبكرة قدر الإمكان وهو بذلك يقدم التوجيهات طبقاً لنصوص القرآن والحديث ويقول «بما أن الإنسان لا يعرف متى يحين أجله فإن عليه أن يكون مستعداً في جميع الأوقات». وطبقاً لذلك أعدت المنظمة «ملف وصية» يقصد إلى المساعدة على توزيع تركة المرء بأفضل الطرق الممكنة»^(١٨).

أما الطقوس الختامية للوفاة فتلقى باستمرار مزيداً من الاهتمام وخاصة فيما يتعلق بالمدفن المناسب. ولأكثر من نصف قرن ظل المسلمون من شتى أنحاء البلاد قلقين بشأن ضرورة تكيف شعائر الدفن الإسلامية والعادات الإسلامية في هذا المجال مع مقتضيات القانون الأمريكي. وهم يحرصون باستمرار على اقتناء الأرض لاستخدامها كمدافن إسلامية. وجرى العرف على تكفين جثة المسلم ومن ثم يسجى على أديم الثرى دون صندوق موجهاً نحو القبلة طبقاً للتعاليم الإسلامية وبرغم أن القانون الأمريكي يتطلب صندوقاً يستخدم للدفن فإن المدافن المصممة لتكون إسلامية تسمح بحفر المقبرة بحيث يواجه المتوفى اتجاه مكة. وعلى مدار النصف الأول من القرن العشرين تم إنشاء المزيد من المدافن الإسلامية ومن بين القضايا العديدة التي تواجه المسلمين فيما يتعلق بالموت والاحتضار قضية ما إذا كان المسلم الذي لم يشهد مسجداً محلياً قط ولا عرف نفسه أو نفسها على أنه يمارس الشعائر يستحق تشييع جنازته كمسلم كي يدفن في مقبرة للمسلمين.

كثير من هذه الشواغل التي تساور أفراد الجماعة المسلمة في أمريكا يتم التصدي لها ويجرى التعامل معها في إطار مناسبات عامة تعقدتها المنظمات والمؤسسات على الصعيدين الإقليمي والقومي. بقي أن نتحول الآن للنظر في كيفية تجمع المسلمين معاً من أجل الممارسة العلنية لديانتهم إضافة إلى الأساليب التي تتم بها الدعوة إلى الإسلام وطرحه بصورة أفضل لكي يفهمه الجمهور الأمريكي فضلاً عن المعلومات التنظيمية وأوجه الدعم المتاحة لمساعدة المسلمين على أن يعيشوا دينهم وأن يمارسوه.

المحواشي

- ١- جميلة الهاشمي «نظام المدرسة الحكومية مقابل المدرسة الإسلامية»، إسلاميك هورايزونز (يونيه/يوليه ١٩٩٧).
- ٢- سنثيا ر. سليمان حرف «النساء» يعنى التفاعل: الأكاديميون والجامعة: أسئلة مطروحة على عائلات التدريس المنزلي المسلمة"، إسلاميك هورايزونز (يونيه/يوليه ١٩٩٧).
- ٣- صباح كرم، «وصفة الآباء المسلمين لنجاح الأطفال في المدرسة، إسلاميك هورايزونز، (يونيه/يوليه ١٩٩٧).
- ٤- مهدي دراي «صلوات المدارس: الحاجة إلى مشاركة إيجابية للمسلمين، إسلاميك هورايزونز (يناير/فبراير ١٩٩٥).
- ٥- عالية عامر وعبد الهادي هرمان شاه «المبادئ التوجيهية للسلوك الاجتماعي الإسلامي» الجمعة (٤ و ٥، ١٤١٨ هجرية).
- ٦- جهان زائب حسن جيلاني، «الشباب المسلم في الجامعة" ذي مسجدج (نوفمبر ١٩٩٧).
- ٧- عبد العزيز الفوزان، «فتاوى» الجمعة (٧، ١٤١٨ هجرية).
- ٨- «ضاعف أصولك عن طريق أندية الاستثمار»، إسلاميك هورايزونز (مارس/أبريل ١٩٩٧).
- ٩- رشدي صديقي «الغلبة للتمويل» ذي مسجدج (نوفمبر ١٩٩٧).
- ١٠- جودي محمد «الرعاية الإسلامية بالمستشفيات تأتي إلى ديترويت» إسلاميك هورايزونز (سبتمبر/أكتوبر ١٩٩٦).
- ١١- حداد ولوميس، القيم الإسلامية في الولايات المتحدة.
- ١٢- الإسلام بين يوم ويوم، ذي مسجدج (يوليه ١٩٩٦).
- ١٣- فرنون شوبيل «مجالس المحرم: دور الطقوس في الحفاظ على الهوية

الشيعة» يرد في ووهو، أبو لبن وقريشي، محررون، العائلات المسلمة في أمريكا الشمالية.

١٤- ذي ميناريت (أكتوبر ١٩٩٧).

١٥- يوسف إسلام «الموسيقى: الطيب والفاقد»، إسلاميك هورايزونز (سبتمبر/أكتوبر ١٩٩٧).

١٦- «الإسلام من يوم إلى يوم» ذي مسدج (مارس ١٩٩٦).

١٧- تراجي عبد الرحيم «الحياة مع الإصابة بفيروس نقص المناعة البشرية في المجتمع المسلم»، ذي مسدج (مايو ١٩٩٦).

الفصل السابع

الإسلام في الحياة العامة

المساجد

في عام ١٩٦٠ جاء من باكستان للدراسة في الولايات المتحدة مهندس معماري مسلم. وهو يصف محاولاته لإنشاء مسجد في منطقة بيتسبرج إذ كانت الأسرة المضيضة له حريصة على أن تجعله يحس بأنه لم يفارق وطنه، ولذلك أخذوه إلى أقرب جهاز استطاعوا العثور عليه لكي يتواصل مع ذويه. ويكتب جولزار حيدر قائلاً «ما إن تحولنا إلى شارع صغير في حرم جامعة بيتسبرج حتى أشار مضيضى إلى لافتة أفقية بالنيون تقول بعبارات شديدة الوضوح «مسجد سورية»... وبدأت أتطلع إلى أقواس البواكى وإلى القطبان الأفقية التى تتنظم أحجار البناء المختلفة الألوان وتزينها إطارات الزخرفة من الأرض إلى السقف وكلها كانت أساليب تستدعى إلى الذاكرة فن العمارة المغربية. وفى سورة من حماس الشباب الدافق اتخذت خطواتى إلى البهو وهنا استدار إلى مضيضى قائلاً: «ليس هذا نوع المسجد الذى تركعون فيه وتتخذون قبلكم إلى مكة. إن هذا مسرح للاجتماعات بناء زوار الأضرحة... هؤلاء الذين يرتدون عباءات من الساتان وسترات مزخرفة وطرابيش فوق الرؤوس»^(١).

وفى كل حال فقد أدى ذلك، إضافة إلى محاولات أخرى بذلت بلا جدوى، إلى إنشاء مسجد أمريكى يتخذ سمت الجامع الحقيقى ويؤدى وظيفته إلى أن كرس هذا المعمارى مستقبله المهنى لتصميم مساجد إسلامية تؤدى وظيفتها ضمن السياق الغربى. وفى عام ١٩٧٩ وجهت إليه الدعوة لوضع خطط لإنشاء المسجد القائم فى المقر الوطنى للجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية (إسنا) فى بلين فيلد، إنديانا. وتتسم الحركة التى تدعو إلى اتباع نهج المعمار الإسلامى فى البيئة الأوروبية بصفات تجمع بين الإبهار والتحدى لدرجة أنها تمثل فى واقع الأمر أحدث فصل فى تاريخ النضال الطويل بين صفوف المسلمين الأمريكىين لإيجاد أو ابتكار أماكن للعبادة تتلاءم والاحتياجات الخاصة لجماعاتهم وللديانة التى يعتنقونها.

وقبل أن يمضى وقت طويل بدأ عدد من المجتمعات الإسلامية المهاجرة في التفكير على المستوى القومى فى اتباع أساليب أكثر اتساقاً لأداء شعائر دينهم وضمان استمرارية هذه الشعائر، وساورهم القلق إزاء صعوبة إيجاد مكان ملائم يتعبدون فيه ويقيمون بالذات صلاة الجمعة. وفى بعض الأحيان كانوا يقيمون الشعائر فى منازل بعضهم البعض. ولكن مع نمو الجماعة أصبح هذا الترتيب أقل جدوى باستمرار ومن ثم عمدت بعض التجمعات إلى استئجار المباني المهجورة وغيرها من الأماكن، بينما كانت الجماعات الأخرى تتقاسم بين حين وحين مساحات فى الكنائس المحلية. وغالبًا ما كانت هذه المرافق سيئة وفى أفضل حالاتها كانت لا تناسب عملية الجلوس والصلاة على الأرض دون مقاعد أو كراسٍ وهو ما تقضى به الأعراف الإسلامية. وهكذا بدأت أعداد متزايدة من المسلمين يفكرون بنائاً ويحلمون بإنشاء مساجدهم الخاصة بهم. ومن الطبيعى أن امتلاك مبنى من هذا القبيل من شأنه تيسير تجمع الناس وأداء الشعائر حسب الأصول. وفوق ذلك كان المبنى يتيح للجماعة أن تعتر بهويتها الإسلامية وبقدرتها على توفير المرافق الخاصة بها وأخيراً كان سيخدم كوسيلة لإضفاء الشرعية على الإسلام كجزء من المشهد الدينى الأمريكى بمعنى أنه يتيح هياكل ومؤسسات مرموقة تستطيع «أن تقف وتحظى بالاحترام» كما قد نقول جنباً إلى جنب مع الكنائس والمعابد اليهودية المنبئة فى طول أمريكا وعرضها.

ولقد لاحظنا بالفعل الجهود الرائدة التى شهدتها نيويورك وماساشوسيتس ومنطقة وسط الغرب فى بناء المساجد الأولى فى عقدى العشرينيات والثلاثينيات من القرن الماضى وبعدها بدأت حركة المساجد تكتسب قدراً من قوة الدفع ومع منتصف القرن جاء افتتاح المركز الإسلامى فى واشنطن العاصمة الذى تم إنجازه فى عام ١٩٥٧ علامة مهمة بالنسبة للمسلمين وغير المسلمين على السواء بأن الإسلام صار محل اعتراف من جانب الأقطار الإسلامية فى الخارج بوصفه وجوداً له أهميته فى السياق الأمريكى. وقد تم تشييد المركز المذكور كمشروع تعاونى بين مسلمى الولايات المتحدة وحكومات إسلامية عبر البحار. وبوصفة المبنى الأول فى أمريكا الذى تم تصميمه فنيا ليصبح مسجداً فقد ظل منذ ذلك الحين يجتذب الزائرين وكبار الشخصيات من جميع أنحاء العالم الإسلامى. وما بين

مئذنته وأسقفه المعقودة وعواميده السامقة إلى صحن المسجد الفسيح المفروش بالسجاجيد فإن جامع المركز الإسلامى تم تشييده طبقاً لأرفع معايير العمارة الإسلامية. ولما كان مصمماً بالذات لخدمة السلك الدبلوماسى فى واشنطن فقد ظل منذ ذلك الحين محوراً للدعوة والأنشطة التربوية على السواء فيما ظلت الحكومات عبر البحار تدعم المركز برغم أن الانخفاض فى عوائد النفط أفضى إلى انخفاض فى المعونة المالية التى يتلقاها هذا المسجد شأنه فى ذلك شأن مساجد أخرى فى الولايات المتحدة.

ومنذ إنشاء مسجد العاصمة واشنطن، تم تصميم وبناء أكثر من مائة مبنى قُصد بها معمارياً أن تؤدي وظيفة المسجد أو المركز الإسلامى إضافة إلى عدة مئات من المباني الأخرى التى جرى تحويلها لتستخدم كمساجد. ولما كان يوجد حالياً نحو ثلاثة وثلاثين مسجداً فى منطقة واشنطن العاصمة وحدها، فذلك يصور النمو الهائل لحركة المساجد فى أمريكا على مدار نصف القرن الأخير، لدرجة يوجد معها حالياً أكثر من ١٣٠٠ مؤسسة تعرف نفسها بوصفها جوامع أو مراكز إسلامية فى الولايات المتحدة. كما جرى بناء ما يقارب ٨٠ فى المائة من هذه المؤسسات منذ عام ١٩٨٠. ويوجد فى نيويورك أكبر عدد من تلك المساجد حيث يزيد على ١٣٠ مسجداً وتليها ولاية كاليفورنيا التى تضم نحو ١٢٠ مسجداً ثم كل من إلينوى ونيوجيرسى وتكساس وميتشيغن وجميعها تحوى عدداً كبيراً من المساجد. ولذلك فقلة قليلة من الولايات هى التى لا تستطيع تحديد أى هيكل يعمل بهذه الصفة. ومن ناحية الهوية الاثنية، يمتلك الأفرو - أمريكيين والهندوباكستانيين معظم المساجد ويليهم فى ذلك العرب برغم أن هذه التمييزات أصبحت أقل أهمية ومغزى بعد أن بدأت الهويات العرقية - الاثنية تفسح الطريق للمزيد من التكامل بين التجمعات.

وفيما يتبع كثير من الهياكل المصممة كمساجد الأسلوب الكلاسيكى للعمارة الإسلامية فإن أسلوباً أمريكياً جديداً فى العمارة يبدو وكأنه ينشأ بالتدرج كى يتصل بالمواقع المعينة التى تقوم فيها تلك الصروح. وقد أعد مشروع معهد ماساشوستس للتكنولوجيا لتوثيق نمو المساجد فى الولايات المتحدة وكندا، معرضاً متنقلاً للصور الفوتوغرافية التى تصور هذه الظاهرة الأمريكية. والذى حدث أن المعمارين

المسلمين لم يصمموا في واقع الأمر سوى قلة من هذه المساجد في حين شهدت بعض الحالات بذل جهود حسنة النية ولكنها أفضت إلى قيام أبنية لا تتوخى كما ينبغي تلبية الاحتياجات المتنوعة لهذه التجمعات. وبوسع الذين يرغبون في تصميم وبناء مساجدهم الخاصة بهم، التماس المساعدة من خلال شركات مثل شركة كينو «وينطلق رؤساؤها بوصفهم مسلمين من اهتمام مباشر ومعارف محددة بالمعايير المعاصرة والتقليدية المهمة بالنسبة إلى برمجة وتخطيط وتصميم وتشيد المساجد والمراكز الإسلامية وذلك على نحو ما تؤكد كينو لعملائها المحتملين»^(٢) وعليه يزداد «استيعاب» المسلمين أنفسهم لمهمة تصميم المسجد أو المركز المجتمعي في إطار الجهود التي يبذلونها، عن وعي، من أجل «خلق حيّز إسلامي» ضمن إطار القارة الأمريكية.

وعلى ذلك تعددت الأساليب المختلفة التي تميز المساجد الأمريكية فبعضها عبارة عن واجهات محلات أو مكاتب أو منازل تم تحويلها لكي تبدو في أبسط الأحوال ذات مظهر إسلامي بشكل ما من خلال إزاحة المقاعد وسائر قطع الأثاث وإضافة آيات قرآنية معلقة على الجدار ثم علامة ما تشير إلى اتجاه القبلة للصلاة. لكن ثمة مواقع أخرى جيدة التمويل وهي بالتالي مساجد مكتملة الأغراض وقد تم تشييدها طبقاً للمعمار الملائم للشرق الأوسط أو لأجزاء أخرى من العالم الإسلامي: بعضها يؤكد على الهوية العرقية أو الاثنية وهي تعمل كمراكز يجتمع فيها أعضاؤها من أجل مواصلة حياتهم ضمن سياق أمريكي مناوئ في بعض الأحيان. أما البعض الآخر فهي متنوعة في طابعها ولا يقتصر الأمر على أنها تستخدم كمراكز للصلاة أو الأنشطة الاجتماعية بل إنها تهيئ باستمرار خدمة التواصل الفعال للجماعة المحيطة بها بحيث تقدم خدمات اجتماعية من أنواع شتى. وكثير منها يعمل في إطار المدارس وسائر السياقات العامة من أجل نشر التعليم حول المعتقدات والممارسات الإسلامية إضافة إلى العمل على تحسين التفاهم فيما بين الأديان. بعضها أيضاً أصبح شبيهاً بما يعرف باسم الكنائس المسيحية الجامعة أو العملاقة (ميجا - كنيسة) بمعنى المؤسسة الضخمة التي تجمع أصولاً عرقية واثنية متنوعة وتقدم تشكيلة مختلفة من الخدمات التربوية والاجتماعية وهذه المساجد والمراكز الإسلامية الكبرى غالباً ما تقدم التعليم عند مستويات شتى

للأطفال والبالغين لأنها مزودة جيدًا بحجرات الدراسة والمكتبات والمرافق الاجتماعية والرياضية المناسبة بل يصل الأمر إلى أن يوجد بها في بعض الأحيان مرافق إسلامية ما بين البقالات والمطاعم ودور تجهيز الجنازات والمكاتب التي يتم تأجيرها للأعمال التجارية ذات الاتجاه الإسلامي. ويشجع المسلمون بسبب شتى على المساهمة في تشييد هذه المراكز الإسلامية الكبيرة مع التأكيد على أن مساهماتهم هذه يتم خصمها من الضرائب فضلاً عن أنها حيوية من أجل تهيئة بيئة إسلامية للعبادة والتعلم.

ومن الأمثلة العديدة على هذا النوع من المساجد الجامعة (الميجا - مسجد) توجد قلة مثل المركز الإسلامي لمنطقة سنسناتي الكبرى وهو يمثل نموذجاً مرموقاً بالذات على الأرض الأمريكية فهذا الجامع مجاور لمركز أوهايو الكبير في توليدو وكلاهما يسترعى النظر ملياً بالنسبة للذين لا يتوقعون أن يشاهدوا هذا الدليل الناصع تجسيداً للوجود الإسلامي في تلك الولاية. والمسجد الجامع المذكور أعلاه نموذج مهم على الطريقة التي بدأت بها هذه النوعية من المساجد تدخل إلى الساحة الأمريكية. لقد جاءت نشأته في أوائل عقد الستينيات عندما بدأت مجموعة صغيرة من المسلمين يلتئم عقدها للصلاة في سنسناتي. ومع نمو هذه الجماعة بدأت تضغط بشكل مطرد لإيجاد مرفق لا يقتصر فقط على أن يتيح لهم مكاناً للعبادة بل مكاناً لتعليم الجماعة. وكان أن أثمرت تلك الجهود المتواصلة في مجال التخطيط وجمع التبرعات مع مساعدة جاءت من الشرق الأوسط إلى أن تجسدت في ذلك المركز الذي يضم طائفة متنوعة من المرافق: يقع في قلبه مسجد جميل يستطيع استيعاب أكثر من ألف من العابدين أما المرفق الأكبر فيضم مركزاً مجتمعياً وساحة رياضية ومدرسة ومركز ترفيه ومنزل الإمام المقيم. وتوضع حالياً الخطط من أجل إنشاء دار لكبار السن قرب المركز بما يتيح للمسنين فرصة المشاركة في أنشطة التي يقوم بها.

وبرغم الطابع المرموق لهذه المؤسسات الكبيرة، فإن الغالبية العظمى من المباني المستخدمة حالياً كمساجد لم يتم بناؤها لهذا الغرض ولا لكي تضم المرافق التي تكفي لتلبية مختلف احتياجات التجمعات التي تتردد عليها: كان معظمها عبارة عن منازل ومكاتب بل وكنائس قديمة تم تحويلها، أو كانت مباني شيدت في الأصل

لأغراض مختلفة. وفي كل حالة تبذل الجهود من أجل إضفاء الطابع الإسلامي عليها بمعنى «أسلمة» المبنى قدر الإمكان بما في ذلك تمهيد الأرضية وإضافة عدد من الأبسطة في أكبر القاعات لكي تصبح صحن الصلاة مع ضمان مرافق الاغتسال لأغراض الوضوء وتعيين اتجاه القبلة بطريقة مميزة وتزيين الجدران بلوحات بالخط العربي وتحويل الغرف إلى حجرات للدراسة ورفع لافتة في أعلى المبنى توضح استخدامه الراهن وربما يتم رفع هلال في مكان لا يخطئه الناظرون. وفي الغالب الأعم، وإن لم يشمل هذا جميع الحالات، فإن جهود صيانة هذه المرافق تتأتى من واقع خدمات المتطوعين من أعضاء الجماعة نفسها.

الأئمة

من الناحية الفنية، لا يوجد في الإسلام ما يضاهي الكهنة الذين تمت رسامتهم في المسيحية أو اليهودية ومع ذلك فقد تعددت أشكال العبادة الدينية على مر تاريخ الإسلام وتباينت لتبلغ درجات عالية من التخصص. ومع نمو الإسلام في الولايات المتحدة وتطوره تزايدت حاجة الناس إلى قدرات من يؤدي الخدمات الدينية من موقع القيادة. وفي العادة فالشخص الذي يؤدي وظيفة قيادة الصلاة في مسجد ما أو في تجمع إسلامي يعرف باسم الإمام (مع تمييز هذا المصطلح عن نظيره الذي يسبغه الشيعة على الإمام الغائب) ولم يعد من الغريب أن نجد اليوم من هم داخل الجماعة المسلمة الأمريكية وخارجها ممن يرون أن الأئمة يعملون بطرق تعكس مهام الكهنة في الأديان الأخرى إن لم تقارن بها. هناك بعض جماعات المساجد التي ظلت تنشط منذ بدايات القرن العشرين عندما لم يكن يساورهم قلق عميق إزاء دقة بعض الأنشطة التي كانوا يقومون بها. وبعدها تبينوا لدى وصول المتدينين الجدد الأكثر محافظة أن بعض أنشطة وممارسات مساجدهم وجدت من يفندوها. وفي بعض الحالات فالأئمة الذين تلقوا تعليمهم وتدريبهم في أماكن مثل القاهرة أو العربية السعودية أدخلوا تغييرات في هذا المضمار. ثم عملت الأقطار الإسلامية المنتجة للنفط من منطلق حرصها على دعم نمو الإسلام في المناطق التي لا يزال فيها الإسلام دين الأقلية على تقديم التمويل وإيفاد هؤلاء الأئمة إلى أمريكا. ولما كانوا قد تلقوا تعليمًا تراثيًا وكانوا في الغالب هم أول قادة متعلمين أوفدوا إلى تلك المساجد التي طال الأمد على إنشائها فربما أصرُّوا على تفسيرات

أشد صرامة لاستخدام المساجد وللممارسات التي تتم على صعيدها بأكثر مما كان قد جرى عليه العرف بين المسلمين الأمريكيين. وعلى نحو ما عبر إمام منهم "إذا كنت تتكلم عن إقامة عرس في المسجد فليس في الإسلام ما يعارض ذلك فالنبي اعتاد أن يفعل ذلك في المسجد ولكن إذا كنت تتكلم عن حفل زفاف على شكل موسيقى ورقص في المسجد فلن نسمح بذلك. وأي امرئ يريد أن يفعلها بوسعه أن يذهب ويستأجر صالة في الخارج ولكن هذا لن يكون مقبولا داخل المسجد"^(٢)، أما الأئمة الذين يأتون إلى الولايات المتحدة بغرض صريح هو خدمة وتعليم الجماعات المسجدية على صعيدها فقد يجدون تحديا من جانب الأعراف التي تواضعت عليها بالفعل الجماعات التي طال استقرارها، وغالبًا ما يؤدي افتقارهم إلى إتقان الإنجليزية إلى الحد من فعالية الأدوار القيادية التي يضطلعون بها.

وفيما استطاع بعض الأئمة أداء مسؤولياتهم مزودين بتعليم إسلامي كامل فإن هناك آخرين دفعوا دفعا لكي يؤدوا الخدمة قبل أن يستعدوا لها جيدًا وذلك تحت ضغوط احتياجات الجماعة لقيادة شعائرها. وفي المجتمعات الأقل ثراءً بالذات وهي غالبًا مجتمعات الأقرو - أمريكيين يخدم الأئمة تجمعاتهم دون أن يتوافر لديهم سوى معرفة جزئية باللغة العربية أو بالقرآن أو بالشريعة والسنة. وأحيانًا يعملون في وظيفة الإمام دون أن يتلقوا عن ذلك أجرًا من مريديهم من الفقراء فيجدون أنفسهم مضطرين لأداء تلك المسؤوليات مع الاشتغال بعمل متفرغ آخر. وفي واقع الأمر فهناك قلة قليلة نسبيًا من المساجد في أمريكا هي التي لديها بالفعل إمام متفرغ ومتعلم: فإذا ما كانت جماعة المسجد تقع قرب جامعة فقد يخدم الطلاب المبعوثون من الأقطار الإسلامية كأئمة مؤقتين أو يساعدون في تعليم اللغة العربية والقرآن. وثمة إدراك واسع النطاق للحاجة إلى تحسين مرافق تدريب الأئمة في الولايات المتحدة برغم أن الفرص المتاحة حاليًا لتلقى التدريب ما زالت محدودة للغاية وخاصة عندما تركز التجمعات تحت ضغوط مالية قاسية.

على أن المراكز الإسلامية الكبيرة والقليلة التي تستطيع أن تتحمل خدمات إمام متفرغ طول الوقت تصر على توافر مجموعة واسعة من المؤهلات. وثمة إعلان منشور على سبيل المثال في جريدة إسلامية وطنية يشير إلى ضرورة أن يكون المتقدم لشغل وظيفة إمام - مدير دارسًا للقرآن والحديث والشريعة الإسلامية

ومتقناً للعربية والإنجليزية وحائزاً لإقامة شرعية في الولايات المتحدة ومزوداً بخبرة في التعامل مع قضايا الأسرة والمجتمع ويتحلى بمهارات ممتازة في مجال التواصل مع جميع الأعمار فضلاً عن مهارات جيدة في المجالين الإداري والمالي. وفي الغالب فالذين ينشطون أكثر من غيرهم في المساجد الكبرى والمراكز الإسلامية، والذين يعدون من أقوى مسانديهم مالياً هم مهنيون مسلمون مدربون في مجالات العلوم البحتة (وخاصة الطب) ولا يتوافر لديهم تعليم ديني واسع النطاق. وفيما يشعر المسلمون في الولايات المتحدة بالعرفان إزاء الدعم الذي يأتي من المجتمع الإسلامي الدولي على شكل ابتعاث قادة دينيين مدربين إلى المساجد الأمريكية، فإنهم على وعي عميق أيضاً بالضرورات الملحة التي تؤكد أهمية تنمية قيادة أمريكية دينية أصيلة تتمتع بتعليم إسلامي على مستوى راق.

ومع ذلك فالأئمة الذين حصلوا بالفعل تدريباً إسلامياً كلاسيكياً غالباً ما يجدون أن توقعات مريديهم تختلف عما هو متوقع في المجتمعات الإسلامية التقليدية. وبما أن المساجد تتولى مهمات وأنشطة تجعلها في الغالب أقرب إلى الكنائس المسيحية والمعابد اليهودية الأمريكية أكثر من كونها مساجد إسلامية، فذلك يطلب إلى الأئمة أداء مجموعة من المسؤوليات التي تكاد تقارب في خصائصها مسؤوليات القسس والحاخامات أكثر من تماثلها مع مهام قادة الصلوات المسلمين: إن كلمة إمام في حد ذاتها تعني «الشخص الذي يتصدر صفوف المصلين ليقود الصلاة» وفي المجتمعات المسلمة التقليدية هناك مهنيون آخرون يقومون بوظيفة عقد الزواج وشهود الجنازات وإسداء المشورة الشرعية وتقديم التعليم في مسائل العقيدة والممارسة وما إلى ذلك، ولكن الأئمة في أمريكا مطلوب منهم أن يؤدوا كل هذه الأشياء وأكثر، بل يتعين عليهم في الغالب جمع التبرعات من أجل صيانة المسجد وبسط المتابعة الرعوية وإسداء المشورة لأفراد مجتمع المسجد من ذوي الاحتياجات المعينة وزيارة المرضى والمسنين وتنظيم صفوف الجماعة من أجل تطهير الأحياء من تعاطي المخدرات وغيره من الأمور غير المشروعة، ثم تدريب أعضاء الجماعة لكي يتولوا التعليم في الدورات الدراسية التي تعقد بالمسجد بعد اليوم الدراسي وفي أيام العطلات والفصل في أمر الإجراءات المتبعة عندما تثور خلافات بين هؤلاء الأعضاء ومكافحة التحيز

المناهض للإسلام وتعزيز الفهم الأفضل للإسلام والمشاركة في الأنشطة المشتركة اجتماعيا بين الديانات فضلاً عن أداء أمور كثيرة أخرى لا تشكل جزءاً من الدور التقليدي للإمام. وهذه التوقعات غالباً ما يكون من الصعب تلبيتها، ليس لأن الإمام قد ينقصه التدريب عليها فقط ولكن لأنه في حالات كثيرة يعمل في المسجد على أساس غير متفرغ في أفضل الأحوال. وفي بعض الحالات هناك نماذج جديدة مازالت قيد التدريب ومنها مثلاً أن يكون ثمة «فريق» من القادة يتناوبون تحمل المسئوليات ومن ثم إمامة المتعبدين خلال الصلوات.

الوعاظ

ثمة ظاهرة حديثة ومتنامية طرأت على المشهد الأمريكي وتتمثل في وجود أفراد مسلمين يخدمون بمثابة وعاظ في المؤسسات التعليمية وفي السلك العسكري ونظام السجون وفي بعض الأحيان يتمتع هؤلاء النفر بمكانة الإمام فيما لا يتمتعون بهذه المكانة في أحيان أخرى.

عدد قليل من الجامعات بات يدرك ولو ببطء أن الحاجة لا تدعو فقط إلى منظمات للطلاب المسلمين تقوم في إطار الحرم الجامعي ولكن أيضاً إلى وعاظ يعملون مع الطلاب ويتولون إمامة الصلوات. لكن عدداً من الكليات الأصغر حجماً، والعاجزة من ثم عن تمويل وظيفة واعظ مسلم متفرغ، باتت تتشد سُبُلًا أخرى لتربية طلابها من المسلمين. وعلى سبيل المثال قامت كلية ماونت هوليوك وهي مؤسسة نسوية، بتعيين سيدة مسلمة لتعمل على أساس غير متفرغ بوصفها واعظة ومستشارة دينية. ومن جانبها تقدم جامعة ألبرتا في كندا نموذجاً قد ترغب بعض الكليات الأمريكية في احتذائه، إذ أنشأت الجامعة هيئة للوعظ الإسلامي داخل حرمها يعمل فيها أستاذ جامعي متقاعد واعظاً. وهذا المهاجر المخضرم الذي يقدم خدماته متطوعاً يعمل مع الطلاب الدوليين وهم يواجهون القضايا العاطفية والشخصية فضلاً عن المشكلات الروحية التي قد تصادفهم في مجتمع الغرب. وتعتمد مؤسسات كثيرة إلى التماس خدمات الأساتذة أو الخريجين المسلمين للعمل كمستشارين للطلاب المسلمين. وتقوم مؤسسات أخرى مثل جامعة هارفارد في ماساشوسيتس أو جامعة توسكيجي في ألاباما بدعوة المسلمين لإمامة الصلوات في التجمعات الإسلامية على صعيدها ضمن البرامج الرسمية للجامعة.

وقد شهد عقد التسعينيات عددا كبيرا من أوائل الوعاظ المسلمين في القوات الأمريكية المسلحة حيث يقدر أن عدد المسلمين والمسلمات العاملين حاليا في جميع فروع القوات المسلحة الأمريكية بنحو عشرة آلاف فرد ونحو ثلث هذا العدد يقال إنهم اعتنقوا الإسلام خلال حرب الخليج الثانية. وبرغم أن عددا صغيرا نسبيا يتم تعريفه بالفعل تحت صفة مسلم في السجلات العسكرية إلا أن الفروع العديدة بالقوات المسلحة بدأت في الاعتراف بأهمية تقديم المساعدة للمسلمين والمسلمات المنتظمين في سلوكها. وبالإضافة إلى تلبية الاحتياجات الروحية، يساعد الوعاظ على إيجاد سياقات مناسبة يمكن في ظلها أن يؤدي المسلمون فرائض دينهم سواء على مستوى الشعائر أو الطعام أو اللباس كما يعملون لضمان حصولهم على ما يناسبهم من حقوق.

وفي عام ١٩٩٣ أصبح الكابتن عبد الرشيد محمد أول واعظ إسلامي برتبة ضابط في الجيش الأمريكي يحمل على سبيل المثال لقب الإمام. ولما كان منخرطاً في سلك الجيش بصفة رسمية كواعظ للمسلمين وغير المسلمين فإنه يتحمل مسؤولية إيجاد السبل التي تتيح للأفراد من جميع العقائد الدينية ممارسة الدين الذي يعتنقونه برغم أن عمله الأساسي يتم بين صفوف المسلمين. ولما كان يقدم خدماته للمسلمين والمسلمات على السواء، فقد دعا إلى حق الرجال في إرسال اللحية إضافة إلى الحق في الظهور بالزى الإسلامي المناسب ومن ذلك مثلاً الحجاب أو الكوفية وكذلك السماح للنساء بارتداء أزياء رسمية معدلة خلال التدريب البدني لأغراض الحشمة فضلاً عن تخصيص مساحات بعينها لأداء الصلوات والحق في إقامة حفلات الزفاف الإسلامية وخدمات الدفن الإسلامية. كما يعمل أيضاً على تطوير إعداد وجبات إسلامية «جاهزة للتناول» تتألف من اللحم الحلال وغير ذلك من الأصناف الملائمة للغذاء الإسلامي. ويقول عبد الرشيد محمد «أظن أن قيام الجيش باستخدام واعظ مسلم رمز يدل على ازدياد المراعاة للدين الإسلامي ومن ثم فقد اتخذت القوات المسلحة خطوات مهمة لاستيعاب التعاليم التي ينادي بها الإسلام»^(٤).

المسلم الثاني الذي تم تجنيده كعضو في فيلق الوعاظ العسكريين كان الملازم (الفخري) منجى ملك عبد المطاع^(٥) على نويل الابن من السلاح البحري للولايات

(٤) رأينا أن هذه أقرب ترجمة مقبولة للفظ «عبد الموت» (muta) الواردة حرفياً في الأصل «المترجم».

المتحدة وقد تم تعيينه بعد سلفه عبد الرشيد محمد بثلاث سنوات. ويحمل الواعظ نويل درجة الماجستير في الدراسات الدينية من كلية أصول الدين اللوثرية في شيكاغو التي شاركت في منحه الدرجة مع الكلية الإسلامية الأمريكية.

وبفضل أعمال أفراد مثل محمد ونويل، وبفضل الجهود المتواصلة التي يقدمها في مجال المساعدة مكتب القوات المسلحة وشؤون قدامى المحاربين في المجلس الإسلامي الأمريكي، يُسمح للمسلمين بالقوات المسلحة بأداء صلاة الجمعة والتوجه إلى مكة لأداء فريضة الحج وبصفة عامة بممارسة عقيدتهم على النحو المناسب. وخلال شهر رمضان من عام ١٩٩٨ استضاف البنتاجون أول مائدة إفطار لجميع المسلمين من العسكريين العاملين في القوات المسلحة أو المستخدمين في وزارة الدفاع. (لا يزال اللباس قضية مطروحة في السلك العسكري وفي عام ١٩٩٦ سُرحت جنديّة مسلمة بعد أن رفضت التوقف عن ارتداء حجاب الرأس وإن جاء تسريحها بدرجة مشرّفة).

وثمة حاجة واسعة النطاق لأئمة مدربين من أجل العمل مع أعداد كبيرة من نزلاء السجون الذين يريدون أن يعرفوا المزيد عن الإسلام وعن ممارساته الدينية. وفي كثير من الحالات فإن الوعاظ من الكاثوليك والبروتستانت يجدون أنفسهم وقد تم استدعاؤهم لإلقاء مواعظ إلى المسلمين وهم يحاولون جاهدين تثقيف أنفسهم عن الإسلام فضلاً عن التماس الوسائل التي يستطيعون من خلالها توفير مواد دينية للنزلاء المسلمين. وعلى سبيل المثال فإن قسيساً من الروم الكاثوليك يعمل في إصلاحيّة أمريكية في ولاية كولورادو كتب إلى الجرائد الإسلامية ملتمساً المساعدة على توفير مصاحف قرآنية وشرائط فيديو وكاسيت وكراسات وغير ذلك من المواد الدراسية.

وتذكر صحيفة قومية إسلامية «أن الرابطة القومية للوعاظ المسلمين عاكفة على عمليات تجنيد على المستوى الوطني للإخوة المسلمين والأخوات المسلمات الذين يعملون في خدمة النزلاء المسلمين في سجون المقاطعات والولايات أو المرافق العقابية الاتحادية سواء بأجر أو على سبيل التطوع^(٥)» وقد تشكلت هذه الرابطة في عام ١٩٧٩ وهي تؤكد أنه عندما يعمل المزيد من الأفراد بوصفهم دعاة من أجل حصول السجناء المسلمين على ما لهم من حقوق ومزايا،

تستطيع المنظمة أن تكسب مزيداً من قوة الضغط في مواجهة مديري المؤسسات العقابية. وفي إطار انتساب أعضاء إليها من كثير من الولايات فهي تكفل نظام مؤازرة إسلامي للسجناء المسلمين كما تتفاعل مع الهيئات الحكومية لإقرار حقوق السجناء وتهيء التعليم الإسلامي للمحبوسين داخل جدران السجون.

وينشط الكثير من المساجد المحلية والمراكز الإسلامية، بما في ذلك مساجد ومراكز الجماعات الصوفية، للعمل على تزويد السجناء في مناطقها بسبل الدعم والتوعية. وفي بعض الحالات يعمل أعضاؤها بصفة أئمة أو وعاظ في هذا الصدد. وفي حالات قليلة يسمح للنساء المسلمات بالعمل في المؤسسات العقابية النسوية فيقدمن سبل التنقيف والمشورة للنزيلات من المسلمات مع مساعدتهن على إيجاد حلول إسلامية للمشاكل المزمنة التي يعانينها ومنها مثلاً تعاطي المخدرات أو إدمانها أو مزاولة البغاء أو مواجهة الفقر مما أدى إلى إيداعهن غياهب السجون.

نشر الدعوة

يشعر المسلمون في أمريكا بمسئولية خاصة عن نشر عقيدتهم التي رأينا أنها حرفياً تحمل اسم الدعوة (إلى الله وإلى العقيدة أي إلى الإسلام) وقد وجدت هذه الجهود من يشبّها بالجهود التبشيرية بالمسيحية وبعض الأديان الأخرى برغم أنها تحمل معاني مميزة ضمن السياق الإسلامي. فالدعوة بالنسبة للبعض تعني النشاط في نشر الإسلام حيث الغاية هنا تحويل عدد من الأفراد إلى هذا الدين ويعمل عدد من الجماعات المهاجرة بصورة منتظمة في الولايات المتحدة على نشر العقيدة. وبالنسبة لآخرين تتطوى الدعوة على جهود لهداية المسلمين الذين ضلوا الطريق لكي يعاودوا مسيرتهم على النهج القويم. وقد يشمل هذا تشجيع المسلمين الذين لا يؤدون الفرائض أو الذين لا يشاركون سوى في المواسم الكبرى على أن يؤدوا الصلوات بانتظام وأن يشهدوا المساجد وأن يؤدوا ما يستحق عليهم من زكوات. ومع ذلك فهناك آخرون تمثل الدعوة بالنسبة لهم مسئولية تجعلهم يعيشون ببساطة حياة هادئة من الورع بما هو خليق بأى مسلم أملاً في أن يكونوا بذلك القدوة التي يمكن أن تشجع الضالين من بنى عقيدتهم، فضلاً عن الآخرين، لكي يفهموا أن الإسلام هو الرابطة الحقة والقوية مع الله. وكثيراً ما يتمثلون في هذا الصدد بالآية

٢٥٦ من سورة آل عمران التي تقول «لا إكراه في الدين» وذلك تأييدا لعزوفهم عن ممارسة الضغط من أجل تحويل الآخرين. والحق أن أيا من هذه التفسيرات لكلمة الدعوة يمكن أن يجد تأييدا له عبر ساحات شتى بما في ذلك المساجد والمراكز الإسلامية ذاتها والسجون ومناسبات الحوار بين الديانات والمدارس والجامعات.

وبقدر ما يصبح المسلمون أكثر وعيا بأهمية إقرار وتعزيز الإسلام في أمريكا، يُنشر عدد متزايد من الكتب والمقالات الصحفية بشأن موضوع الدعوة. أما المسلمون الذين ينشطون للعمل من أجل الدعوة للإسلام، والذين يتكلمون علانية عن إمكانية أن تصبح الولايات المتحدة بلدا إسلاميا في المستقبل المنظور فهم في الغالب أكثر من يعارض أي شيء ينحو نحو أي استيعاب من قريب أو بعيد للمسلمين ضمن المجتمع الأمريكي. ومن عجب أن كثيرا من المهاجرين الذين ما كانوا ينطلقون بمثل هذا الحماس بشأن الإسلام في أوطانهم الأصلية يجدون أنفسهم وقد شاركوا بجهد عميق في تعريف ونشر العقيدة الإسلامية في الغرب «نحن نتحمل المهمة الأساسية عن أسلمة أمريكا: لقد تعيّن علينا أن نختار بعناية أولوياتنا وأن نحدد أهدافنا المنشودة وأن نركّز عليها... نحن نتحمل رسالة الله وهدفنا هو مجموعة كبيرة من الأفراد قوامها ٢٥٠ مليون نسمة»^(١). وعليه تصبح الدعوة جزءا من الجهود الرامية إلى تحسين فهم الإسلام وممارسة الضغوط والإقناع لإقرار الحقوق السياسية للمسلمين وما في حكمها من الحقوق فضلا عن طرح أسلوب حياة إسلامي يشكل بديلا عمليا عن المخاطر المتصورة التي تحف بالحياة العلمانية في أمريكا.

وكثير من الذين يصنفون في خانة الناشطين في سبيل الدعوة المتواصلة جاءوا متأثرين بكتابات عدد من القادة المسلمين في القرن العشرين مثل أبي الأعلى المودودي في باكستان وسيد قطب في مصر. وهم يقولون بأنه مع زيادة المسلمين عددا في أمريكا تزيد الفرص التي يتاح أمامهم لرفع أصواتهم في الحياة العامة. كما يتاح أيضا فرص أفضل للمسلمين بعامة لكي يناهضوا التحيز الأمريكي ضد الإسلام. كذلك فمع انتشار الإسلام في بقاع أوسع من العالم فإن المسلمين المشاركين في الدعوة الفعالة في أمريكا يركزون على عقلانية الإسلام وبساطة

عقائده ومقتضياته وجوهره الأخلاقي وتشيده على تحمل المسؤولية عن الحياة في هذا العالم فضلا عن مثله العليا المجسدة في التواؤم العرقي والأخوة بين البشر.

والمهم أن الدعوة لنشر الإسلام في أمريكا ظلت تحتل مكانة الصدارة على أجندة عدد من مسلمي البلدان الأخرى. وتوفد جماعة التبليغ (تبليغي جماعات) بانتظام عددا من المبعوثين الذين يمارسون التبشير بالدعوة وممارستها في الولايات المتحدة وكندا من خلال ما يعتقدون من اجتماعات وما يلقونه من محاضرات مستخدمين في ذلك المساجد المحلية قاعدة للأنشطة التي يضطلعون بها. وهذه الجماعة هي حركة للتجديد الروحي بدأت في الهند في الجزء الأول من القرن العشرين في محاولة لتقليد ما كان الرسول محمد يمارسه في مجتمع المدينة. وقد بدأوا أعمالهم التبشيرية في الولايات المتحدة في عام ١٩٥٢، ومنذ ذلك الحين ظلوا يبشرون بالانبعاث الروحي والتفرد الاجتماعي مستهدفين المسلمين الضالين عن الطريق إضافة إلى الذين يأملون في التحول إلى اعتناق الإسلام. وهم يحثون مسلمي أمريكا على تجنب أي اتصال بغير لزوم مع الذين لا يشاركونهم عقائدهم فضلا عن تبشيرهم بمقاومة الثقافة الغربية أينما كان ذلك ممكنا ومعارضتهم القوية لمشاركة المسلمين في أي نشاط سياسي اللهم إلا ما يتصل بالدعوة إلى عقيدتهم. وهناك عدد صغير من المساجد ينتسب مباشرة إلى جماعة التبليغ برغم أن نفوذها يمتد إلى مناطق تتجاوز تلك المساجد بكثير كما يتمتع أعضاء هذه الجماعة بمستوى راق من حيث استخدام تقنيات الميديا الحديثة. وابتداءً من عام ١٩٨٠ دأبوا على عقد اجتماعات سنوية دورية التأم أولها في شيكاغو في عام ١٩٨٨ حيث يُعتقد أنه كان أكبر تجمع للمسلمين على الإطلاق في أمريكا حيث بلغ من حضرته نحو ٦٠٠٠ فرد.

ويمكن القول بأن جيود الدعوة أفادت إلى حد كبير من دعم هذه الجماعات المسلمة التي تتبنى فكر الصحوة إلى حد ما وتستهدف الأمريكيين المسلمين بوصفهم المستفيدين من المساعدات المالية. وهناك الحركة السلفية التي تتلقى دعما من "دار الإفطار" في المملكة العربية السعودية وهي تتشابه من الناحية الأيديولوجية مع جماعة التبليغ وإن اختلفت من حيث تشديدها على العودة قدر الإمكان إلى ما كان عليه المجتمع السلفي. والسلفيون بدورهم غير مسيسين برغم

أنهم، بوصفهم مسلمين محافظين، يتخذون موقفاً فعالاً من حيث العمل على شجب الحركات الشيعية في أمريكا وخارجها. وبعد قيام الثورة الإيرانية ظهرت توترات بين صفوف رابطة الطلاب الإسلاميين بشأن مسألة الهوية السنية مقابل الهوية الشيعية. وعندما نشأت مجموعة ناطقة بالفارسية في رابطة الطلاب المسلمين لتقديم الدعم للطلاب الشيعة، قدمت العربية السعودية تمويلاً للطلاب في محاولة تبغى إلى «تحسينهم» ضد نفوذ الإمام الخميني. ويرى كثيرون أن التوترات الناجمة عن ذلك شجعت على نشوب الانقسام بين السنة والشيعة في أمريكا ولم يتم بعد التئام جروحه. أما شيعة أمريكا أنفسهم، فينتقلون على نحو ما لوحظ، قدراً كبيراً من الاهتمام عن طريق مؤسسات مثل مؤسسة الخوئي التي كانت في السابق تحت قيادة الإمام الخوئي من النجف في العراق. وبطبيعة الحال فهذه الجهود لا تصور فقط مدى ما تحظى به أنشطة الدعوة من عون خارجي في أمريكا ولكنها تصور التوترات التي يتم استغلالها في الغرب فتعكس الانقسامات والخصومات التقليدية بين صفوف الإسلام التي كانت قد نشأت وتطورت على مستوى التاريخ والجغرافيا على السواء.

وفيما تتواصل جهود الدعوة في أمريكا فإن نتائجها أصبحت بادية للعيان. ويشهد بذلك الأعداد المتزايدة من الأفرو -أمريكيين ولا سيما الرجال الذين يعلنون أنفسهم كمسلمين. لكن ما زال الأمريكيون الآخرون المتحولون إلى الإسلام مجاميع صغيرة وإن كانت متزايدة العدد وهم يقدمون إسهاماً لا يستهان به ضمن صفوف المجتمع المسلم. حقيقة أن تجربة من نوع «لحظة التحول» ما زالت أقل تجلياً في حالة الذين يختارون الإسلام في أمريكا بمعنى أنها أقل في الغالب عن حالة الذين يجدون أنفسهم وقد «لبوا الدعوة» إلى المسيحية، فكثير من المتحولين إلى الإسلام، أيا كانت خلفيتهم العرقية - الاثنية، يختارون أن يشار إلى العملية على أنها «عودة» بدلاً من «تحول». والذين يختارون اعتناق الإسلام يجنحون إلى رؤية تغيير ديانتهم وعلى أنه إدراك تدريجي لدين الفطرة الحق والهوية الصحيحة. وهذا الفهم يعكس حركة قوية على صعيد تبرير الإسلام دولياً وهي تؤكد العنصر الرئيسي والطابع الأساسي لكل إنسان بوصفه مسلماً. فالقرآن يذكر في الآية ١٧٢ من سورة الأنعام «إن الله أخذ من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ثم سألهم: «ألسن بربكم؟» وبهذا أجبنا في زمن ما قبل الزمن قائلين «بلى»

وهنا يؤكد المسلمون أن هذا برهان على أن أبناء آدم جميعاً هم مسلمون (المسلم هو على الأقل الشخص الذى أسلم لله). وإذا ما اعتقدوا غير ذلك فلأنهم هكذا أنشأهم آباؤهم وأقوامهم. وإسلام البشر لوحداً لله وجلاله كما يقولون هو الذى يتسم به الأنقياء منذ آدم. وعليه فإن المرء عندما يقرر اعتناق الإسلام فهو لا يغير ببساطة عقيدته من دين إلى آخر ولكنه بالأحرى يراجع مسيرته حيث يعود إلى الأمر الأساس. وبالنسبة للأفرو-أمريكيين فإن كلمة العودة لها معنى مضاف يفيد الرجوع إلى دين أسلافهم فربما كانوا مسلمين جاءوا بهم مجلوين إلى هذا البلد فى غمار تجارة الرقيق.

وفى إطار جهود الدعوة التى يتم بذلها وسط الإسلام الأمريكى، بما فى ذلك إسداء المشورة وتقديم النصيحة للذين اعتنقوا الإسلام مُجدداً، ثمة جانب يمارسه هؤلاء الأعضاء الجدد أنفسهم حيث يفهمون أن الضغوط التى قد يتعرضون لها ربما تأتى من جانب العائلة أو موقع العمل أو الثقافة السائدة بشكل عام.

ورغم أنه ليس من السهل أن يعيش المرء مسلماً فى الغرب، تزداد الصعوبة أحياناً بالنسبة للشخص المتحول الذى يريد أن يشعر بالبهجة والحماس وقد دخل فى دين جديد واتخذ هوية جديدة حيث يسأل البعض: كم مضى عليك من الزمن بعد أن نطقت بالشهادتين وقبل أن تعد من جانب الآخرين مسلماً "بحق"؟ وهل من الضرورى أن تتخذ اسماً إسلامياً أو بوسع المرء ببساطة أن يختار أن يدعو الناس باسمه أو اسمها فى شهادة الميلاد ثم يظل مسلماً أصيلاً حقيقياً؟ (ينزع الأفرو-أمريكيين إلى التشدد لاتخاذ اسم إسلامى جديد بأكثر مما يفعل الأنجلو-متحولين. ويختار البعض الجمع بين اسمهم الإسلامى واسمهم السابق فى الثقافة الإنجليزية بحيث يصبح مثلاً (روبرت مصطفى فيلد أو نعيمة لويس مارشال). وهناك أسئلة أخرى من قبيل «لماذا يبدو المستجدون على الإسلام فى كثير من الأحيان أكثر اهتماماً بفهم الشريعة بنصها واتباعها حرفياً بأكثر من الذين ولدوا ونشأوا فى أقطار إسلامية؟ ولماذا يجد المتحولون من الأفرو-أمريكيين أنفسهم فى بعض الأحيان وقد عوملوا من جانب إخوتهم وأخواتهم المهاجرين وكأنهم أقل «أصالة» حتى برغم أن هؤلاء المتحولين قد يعرفون أكثر من سواهم عن القرآن والسنة.

لقد أفضت جهود الدعوة التى مارسها عدد من المنظمات الإسلامية إلى

توضيح الإسلام بجلاء في مواقع عامة وبأساليب مستحدثة. وفي يناير من عام ١٩٩٦ أصبح مطار دنفر الدولي الجديد أول مؤسسة من نوعها في أمريكا تضم مسجداً. وهذه المساحة التي خصصت لشعائر المسلمين موجودة في الطابق السادس من الدور الأرضي (الميزينين) المطل على المدرج الرئيسي والمتاخم لمبنى يضم زاوية للعبادتين المسيحية واليهودية. وقد جرت في أول الأمر مناقشة بشأن حيّز مشترك للعبادة يخصص للأديان الثلاثة جميعاً ولكن المسلمين اختاروا الاحتفاظ بمسجد منفصل وله مدخله الخاص وكانت أسبابهم في ذلك تجمع بين الأسس العملية (لا يضم صحن الصلاة للمسلمين كراسي أو مقاعد) والدينية (كثير من المسلمين لا يتحمسون لارتداد مكان للعبادة يضم رموزاً مسيحية أو يهودية). وأدت الهبات الخاصة إلى تمويل نصف مجمع العبادة بأكمله، أما النصف الآخر فجاء من شركات الطيران التي تعمل في المطار. كما يخطط المطار الدولي في كولومبوس بأوهايو لإنشاء قاعة تأملات مشتركة بين الأديان ومن شأنها أن تضم مساحة منفصلة لصلاة المسلمين. أما مباني مطار جون ف. كنيدي الدولي في نيويورك، فضلاً عن عدد من المباني العامة الأخرى في تلك المدينة فتضم الهلال والنجمة الإسلاميين على إحدى راياتها المرفوعة. ولا تقصد مثل هذه الجهود فقط إلى تقديم خدمات للمسلمين الأمريكيين ولا للذين يسافرون من الخارج ولكنها تقصد إلى زيادة وضوح الإسلام في أمريكا وتلك وسيلة إضافية لتعزيز الجهود الرامية لتبني الإسلام وفهمه على نحو أفضل^(٩).

ويعد نظام السجون واحداً من أغنى ميادين نشر الدعوة وبالذات بين صفوف الأفرو- أمريكيين وإن لم يقتصر عليهم بالطبع. وبمعنى من المعاني فإن تجربة مالكولم لتل التي أوصلته إلى الإسلام عندما كان محبوساً والطريقة التي تغيرت بها حياته بحق ما لبثت أن تكررت ولو بطرق أقل درامية في حياة كثير من مئات البشر على مدار نصف القرن الأخير. وبالتأكيد فإن قصة مالكولم أصبحت ذائعة ومؤثرة بين صفوف شباب السود الذين يحدوهم الأمل في أن يجدوا في الإسلام سبيلاً لإضفاء تغييرات جادة وعميقة على نهج حياتهم. إن كفاحهم من أجل ممارسة

(٩) في ضوء هذه الإيجابيات جميعاً، يمكن أن نتفهم فداحة الآثار التي نجمت عن تدبير وتنفيذ حادثة سبتمبر/أيلول عام ٢٠٠١ «المترجم».

الإسلام وهم مودعون بالسجون يتسم بعدد من الأبعاد المثيرة للاهتمام. فمن ناحية، ظلوا يكافحون من أجل تحقيق الحرية أو التعبير السليم عن ديانتهم وكان هذا الكفاح موازياً لكفاح أفراد القوات المسلحة (من المسلمين) فيما يتعلق بالزى والمساحة المخصصة والطعام الحلال والفرصة المتاحة. وقد بذلوا في ذلك جهوداً حثيثة وإن لم يحققوا بعد ما يرجونه كاملاً. ومن الناحية الأخرى، يدرك حرس السجون وسائر موظفيها بأن المسلمين الذين يلتزمون بتعاليم عقيدتهم ويصدرون عن قيم أخلاقية يكونون في الغالب الأعم أقل «مشاغبة» من سائر النزلاء. وعليه فكثيراً ما يحاولون مؤازرة وتشجيع ممارستهم لتعاليم الإسلام بدلاً من أن يقفوا في طريق هذه الممارسة.

وفيما يظل من الصعب تحديد الأرقام ذات الصلة فمن المقدر أن أكثر من ثلاثمائة ألف سجين تحولوا إلى الإسلام وأن معدل التحول قد يزيد على ٣٠٠٠٠ فرد سنوياً^(٩). وترد النسبة الأعلى بين صفوف الأقليات الاثنية في نظام السجون الأمريكية بأكثر من نسبة السكان ككل بمن في ذلك الهسبانيون والأمريكيون الأصليون فضلاً عن السود. ومن الدراسات ما يوضح أن معدل العود بمعنى الرجوع إلى حياة الجريمة والسجن ما زال أدنى بين صفوف المسلمين عنه في الفئات الأخرى برغم أن اعتناق الإسلام لا يشكل بالتأكيد ضماناً أكيداً يشهد بأن الحبس أصبح صفحة من صفحات الماضي. وفي كل حال فقد أثبت المسلمون نسبياً مزيداً من النجاح في عمليات التأهيل والعلاج من إدمان المخدرات والكحوليات. وفي ضوء الأعداد الكبيرة من المسلمين الذين يتحولون في السجن، فالذين يعاد دمجهم في صفوف المجتمع يشكلون شريحة متزايدة من السكان المسلمين الأمريكيين. وفيما يفتقر الأمر حتى الآن إلى البرامج التي تقصد إلى إعانة الأفراد المتحولين إلى الإسلام من بين صفوف المفرج عنهم حديثاً، فإن الجماعة الأمريكية المسلمة تدلل على مدى وعيها المتزايد باحتياجات هؤلاء السجناء السابقين وهي تتخذ من المبادرات ما يكفل مواصلة تنقيفهم عن الإسلام ومساعدتهم على الاندماج ضمن صفوف الجماعة.

وعندما يقبل سجين ما الإسلام، فهو - أو هي - ينطق الشهادتين بمعنى إعلان إسلامه أمام شهود في أي مرفق بالسجن يخصص للممارسة الإسلامية. وفي

بعض الحالات، فإن جاذبية الهوية الجديدة تكون من القوة لدرجة أن يرغب النزلاء المسجونون في «نطق الشهادة» قبل أن تتكون لديهم فكرة واضحة عما يعلنونه في واقع الأمر. ويتمثل جزء من الجهد التعليمي في السجون في أن يحظى النزلاء بتمهيد كاف لتعريفهم بالإسلام قبل أن يقرروا ما إذا كانوا يرغبون في التحول نحو اعتناقه. وما أن يتم النطق بالشهادتين حتى تتجمع عوامل مختلفة لكي تؤكد الهوية الجديدة للفرد. وبصفة عامة يتبنى الفرد اسماً إسلامياً ويبدأ في ارتداء أى شكل من اللباس يُسمح به في أى مرفق بالسجن. ويجرى على الفور قبوله ضمن صفوف جماعة المسجونين الذين أصبحوا بالفعل مسلمين فضلاً عن أن المشاركة في الصلوات الجامعة وغيرها من الأنشطة الإسلامية تساعد على تأكيد شعور المتحول الجديد بهويته وانتمائه. وفي بعض المرافق الأوسع، يمكن رؤية صفوف من المسلمين وهم يؤدون صلاة الجماعة في ساحات الرياضة البدنية أو في قاعات خاصة منفصلة عن بقية مجمع السجن. وفي كثير من الأحيان فإن زنازة السجن المسلم تعكس قبوله أو قبولها للدين الذي اعتنقه من خلال مظهرها النظيف وغياب الصور الإباحية وربما إضافة بعض الرموز الإسلامية. وبدلاً من ذلك يصبح نهج التواضع الفردي والنظافة الشخصية له أهميته الكبرى بقدر ما يتسم أيضاً المظهر العام من أهمية في ظل جميع الجهود التي تبذل للتدليل على أن الفرد قد انخرط في سلك الجماعة المسلمة. ويختار الكثيرون الإقلاع عن التدخين ويستخدمون مواد تجميلية خاصة مثل الزيوت المعطرة لتجميل صورة المسلمين بوصفهم مختلفين عن سائر النزلاء. وتصمم برامج فعالة للدراسة والصلاة لصرف الاهتمام عن المغريات الجنسية ومثل هذه البرامج تتسم بأهمية خاصة في مرافق السجون المشددة أمنياً للمساعدة على احتفاظ الأفراد بشعور من الاعتزاز والجدارة والانتماء.

ويضطلع بجهود الدعوة أفراد عديدون ممن يعملون كوعاظ أو مبشرين أو معلمين من جماعة المسلمين خارج السجون إضافة إلى المساجين الذين تقبلوا دين الإسلام وأصبحوا يشاركون رفاقهم من النزلاء الحماس نفسه لديانتهم ومذهبهم الجديد. ومع تنامي نفوذ الإمام وارث الدين وفي ضوء الزيادة الكبيرة التي تطرأ على عدد المسلمين الأفرو-أمريكيين الذين يقبلون باتباع مذهب السنة في الإسلام بدلاً من تعاليم جماعة «أمة الإسلام»، سيشهد الأمر حتماً مزيداً من التشديد على

تعليم وتعلم أسس العقيدة. فالأعداد المتزايدة من الأئمة والقادة المسلمين المدربين العاملين في السجون والذين يتفاعلون مع الكهنة المسيحيين واليهود بما يكفل الفرص المتكافئة لممارسة الديانة يشجعون مثل هذه الدراسة. كما أن الجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية (إسنا) تتبنى عقد مؤتمر قومي يعنى بموضوع الإسلام في السجون الأمريكية بحيث يجمع على صعيد واحد الأفراد المشاركين في جهود الدعوة مع تقديم المساعدة إلى من لا يزالون رهن محابس السجون. ومن شأن الفعاليات التي يشهدها مثل هذا المؤتمر أن تساعد العاملين في هذا المضمار على طرح رسالة الإسلام وعلى بذل جهود نشطة لتحسين الفرص التي تتاح لممارسة تعاليم وشعائر العقيدة وتطوير التقنيات اللازمة لعمليات إعادة تأهيل المفرج عنهم وتقديم الدعم وتوفير فرص العمل لهم بعد الإفراج.

مع ذلك يشعر بعض النزلاء بأن الجماعة المسلمة بصفة عامة لا تبذل ما يكفي من أجل المساعدة لمعالجة محنة المسلمين المودعين في السجون. وفي هذا الصدد يكتب سجين من ولاية ساوث كارولينا قائلاً: «أشعر، كما سبق وشعر مالكولم إكس... وكذلك جمع غفير من المساجين السياسيين/الدينيين السابقين، بإحباط شديد يزيد من وطأته... المواقف غير المبالية فيما يتعلق بموقف المسلمين إزاء المسلمين المحبوسين... وأرجو ألا تصبح الأمة كالأصم والمقعد والأعمى إزاء المعاني التي تردها شعارات من قبيل علينا: «أن نشدد النكير على الجريمة» أو «نحن بحاجة إلى المزيد من السجون ومزيد من تغليظ الأحكام» لأن هذه الشعارات هي في واقع الأمر دعوات مستترة لسجن أكبر عدد ممكن من غير الأوروبيين وبالتالي تحجيم شعوب الأقليات والحيلولة بينها وبين أن تنعم بالقوة التي تتاح للأغلبية في هذا البلد^(٧)».

بيد أنه تبذل جهود ملموسة، ولا سيما بين صفوف شباب نزلاء السجون من المسلمين. وعلى سبيل المثال تم إنشاء رابطة شباب المسلمين في سجن سنج سنج في عام ١٩٩٤ تحت قيادة الإمام وارث دين محمد. وأول برنامج من نوعه لتلك الرابطة مصمم لخلق إحساس بالمسئولية بين الشباب المسلم وتدريبهم على اتباع أركان الإسلام وتزويدهم بالأدوات التي تكفل إعادة انخراطهم في المجتمع من جديد. والنزلاء دون الخامسة والثلاثين هم المستهدفون من البرنامج وربما يضاف

إليهم آخرون ممن يبدوون اهتماما باعتناق الإسلام. أما الرسالة فهي أن الإسلام يرسم الهيكل الذى يمكن فى إطاره تحويل حياتهم ليصبحوا قادة فى المجتمع بعد الإفراج عنهم. وتأمل الرابطة المذكورة التى تشكل جسرا مهما بين حياة السجن وحياة المجتمع فى توسيع نطاق أنشطتها لتمتد إلى المؤسسات العقابية الأخرى.

هذه الفرص تزيد بالتأكيد مع مرور الزمن برغم أن الكفاح الدائر للاعتراف بالإسلام كديانة تستحق الحماية الدستورية ليس بالأمر السهل بحال من الأحوال. فعلى مدار عقود عدة، كان المسلمون المودعون فى السجون ينتمون بالذات إلى جماعة «أمة الإسلام» وتعددهم الدولة نحلة عرقية خطيرة. ولكن منذ الستينيات بدأت المحاولة التى استهدفت ببساطة احتواء المسلمين فى السجون والسيطرة عليهم تتغير تدريجيا لتصبح اعترافا بالحرية الدينية وبحق المسلم كمواطن أمريكى فى ممارسة عقيدته. وهكذا تم حل عدد من القضايا حيث يرجع ذلك بالذات إلى ما قام به نزلاء السجون المسلمون من رفع قضايا فى هذا الشأن إلى المحاكم. توصلت المحاكم وببطء إلى الاعتراف بأن الإسلام ديانة تستحق نفس الضمانات الدستورية كالمتىحية واليهودية سواء بسواء. ولقد حارب المسلمون وفازوا فى كثير من الحالات لإقرار الحق فى الحصول على الطعام الحلال وإرسال اللحى والتجمع لأداء صلاة الجمعة وصيام رمضان وتقديم وجبات الإفطار فى نهاية يوم الصيام.

وكثيرا ما تعين على المحاكم أن تنظر فى القضايا التى وجه فيها المساجين المسلمون الاتهام إلى السلطات بأنها ارتكبت انتهاكات خالفت فيها التعديل الأول للدستور بشأن التمييز بل والاضطهاد الدينى ثم جاءت الأحكام لتؤيد بصفة عامة تلك التهم. وفى قلة من المؤسسات العقابية جاء استحداث ما أصبح يوصف بأنه "حيز إسلامي" ليتيح للمساجين المسلمين الشعور بأن دينهم يسمح لهم بالفعل بالتواجد فى إطار معزول جيدا عن رفاقهم النزلاء وبمعنى من المعانى بعيدا عن المؤسسة ذاتها التى تقوم على حبسهم. وبالإضافة إلى إتاحة سبل الوصول إلى مرافق أداء الصلوات والسماح بمراعاة مقتضيات الإسلام الأساسية الأخرى مثل الطعام واللباس، أصبح البعض يدرسون الآن القرآن واللغة العربية فضلا عن عناصر المالية الإسلامية ارتقبا لتحقيق الاستقلال الذاتى المالى فى نهاية المطاف. بيد أن هناك من لا يزال يقول بأن المسلمين المتحولين فى نظام السجون لا يحظون

بعد بالحقوق الدينية التي يتساوون فيها مع ما يحظى به المسيحيون واليهود من حقوق. إلا أن الأمر ينطوي بالتأكيد على أن تقدمًا واسع النطاق قد حدث بالفعل على مدى العقود العديدة الأخيرة من الزمن.

المنظمات الإسلامية

وراء كثير من الجهود المبذولة لتيسير الحياة على المسلمين المقيمين في أمريكا تكمن المنظمات العديدة التي أقيمت من أجل توجيه الجماعة المسلمة وموازرتها. وقد بدأت أولى الحركات من أجل إنشاء مثل هذه المنظمات في منتصف القرن العشرين بمحاولة للجمع على صعيد مؤتمر قومي بين العدد الصغير ولكن المتنامي من المساجد التي كانت بدورها قد بدأت في أنحاء شتى من البلاد. وفي عام ١٩٥٢ شهدت بلدة سيدار رابيدز بولاية أيوا نحو ٤٠٠ مسلم يمثلون الولايات المتحدة وكندا وقد التأم جمعهم بهدف تشكيل منظمة قومية. وجاءت فكرة مثل هذا الاتحاد من مسلم اسمه عبد الله إكرام وكان يعمل في الجيش الأمريكي خلال الحرب العالمية الثانية ثم شعر بالإحباط لأن القوات المسلحة لم تعترف بهويته كمسلم ولا أتيح له إعلان ذلك على الشارة العسكرية التي يعلقها. وبعد العودة إلى الوطن بدأ يعمل من أجل الاعتراف بالمسلمين في أمريكا. وعقب اجتماع ثان وثالث تشكل اتحاد المنظمات الإسلامية برئاسة إكرام وعضوية اثنين وخمسين مسجداً كان معظمها لبنانياً وسورياً. وبعد ذلك، ومع توسع الاتحاد ليتخذ اسم اتحاد الرابطة الإسلامية في الولايات المتحدة وكندا وبفضل مساعدة تمويلية من العربية السعودية نقلت المنظمة مقرها إلى ديترويت حيث لا تزال تواصل أداء مهمتها. وقد لعب الاتحاد دوراً رئيسياً في توفير إطار موحد يجمع بين المساجد الأمريكية عند منتصف القرن العشرين وكان بمثابة المحاولة الأولى لتوفير سبيل الحوار والتعاون بين جماعات المسلمين في الولايات المتحدة. ولكن بعد سلسلة من الاجتماعات القومية تخطى عن دوره بوصفه أكبر منظمة إسلامية أمريكية لصالح جماعات أخرى كان أكثرها نفوذاً «رابطة الطلاب المسلمين».

وبينما كان الاتحاد يميل إلى التأكيد على الهويات الاثنية بين المهاجرين المسلمين تشكلت رابطة الطلاب المسلمين لتعزيز العلاقات الوطنية والأممية بين

جماعة المسلمين على اختلاف الأصول والهويات القومية. وانطلاقاً من عقيدة الإخوان المسلمين في مصر والجماعة الإسلامية في شبه القارة الهندية تم إنشاء رابطة الطلاب التي كانت بمثابة هيكل تستطيع من خلاله رابطات الطلاب المسلمين التي كانت قد بدأت في الظهور في عدد من الجامعات الأمريكية أن تتواصل مع بعضها البعض. وسرعان ما تطورت إلى حيث أصبحت هيئة تتمتع بنفوذ واسع النطاق في المساعدة على إعادة تعريف الهوية الإسلامية في أمريكا على أنها تجسد انتماءات تتجاوز الأصول القومية والعرقية واللغوية. ثم عقد مؤتمرها القومي الأول في جامعة إلينوى في عام ١٩٦٣ وحضره طلاب من جميع أقطار العالم الإسلامي. ولم يأت هؤلاء الطلاب وقد حملوا بين جوانحهم آمالاً لأمة أمريكية يتم فيها التنازل عن الهويات الوطنية تحت راية الإسلام، بل جاءوا بما تبقى من تجاربهم في بلدانهم التي تعرضت لاضطرابات سياسية ودينية على مدى رده طويل من القرن العشرين.

وقد خطط معظم الطلاب في أمريكا للعودة إلى أوطانهم ليشاركوا بوصفهم متعلمين وواعين ومؤثرين في عملية تعزيز الإسلام الأممي. وسرعان ما نما هيكل تنظيمي واسع النطاق ينبثق عنه فروع محلية من رابطة الطلاب المسلمين في طول أمريكا وعرضها مع إقامة صلات بينها على الصعيدين القومي والإقليمي. وفي كل عام يعقد مؤتمر سنوي بما يشهد بمضاعفة الأنشطة وتوسع نطاق النفوذ الذي تتمتع به الرابطة. وفي عام ١٩٧٥ تم إنشاء مقر قومي لها في بلين فيلد بولاية إنديانا مزوداً بأمانة عامة وعدد كبير من موظفي الدعم.

وفي ظل الهيكل العام لمنظمة الطلاب المسلمين، أنشئ عدد من المنظمات الفرعية ومنها مؤسسة الترس الإسلامية في أمريكا الشمالية التي تتولى المسائل المالية بما فيها الاستثمارات والقروض وصناديق الاستثمار وخدمات الحسابات وما إلى ذلك. كما أن المركز التعليمي الإسلامي يعالج المسائل المرتبطة بالتربية والتعليم للمسلمين الأمريكيين من خلال إعداد وتطوير المطبوعات ومؤلفات الدعوة والترويج وغير ذلك من وسائل نشر المعلومات بشأن عقيدة وشريعة الإسلام. وقد نشأت سلسلة من الجماعات تحت إشراف رابطة الطلاب المسلمين فركزت على الخبرات المهنية للذين تخرجوا من الجامعات واختاروا الإقامة للعمل في الولايات

المتحدة. ومن بين هذه المجموعات الرابطة الطبية الإسلامية التي تعقد مؤتمرات سنوية لمناقشة مختلف جوانب مهنة الطب والصحة ورابطة علماء الاجتماع المسلمين الأمريكيين وهي جماعة مخصصة للربط بين بحوث علم الاجتماع وبين التراث الإسلامي من خلال إصدار مطبوعها بعنوان المجلة الأمريكية للعلوم الاجتماعية الإسلامية وهناك كذلك رابطة رجال الأعمال والمهنيين المسلمين وتهدف إلى توفير الصلات للمسلمين العاملين في مجال الأعمال والتجارة إضافة إلى رابطة العلماء والمهندسين المسلمين الأمريكيين. ومع مرور الزمن ونمو رابطة الطلاب المسلمين أصبح من الواضح أنها لم تعد تصلح فقط كوسيلة لتوحيد الجماعات الطلابية والعمل في حرم الجامعات بل أصبحت كذلك أقوى هيكل إسلامي في أمريكا الشمالية.

وبحلول عام ١٩٨١، وبعد مشاورات مستفيضة، طُرحت خطة لإنشاء منظمة تعكس التنوع في أنشطة واهتمامات الأمريكيين المسلمين التي كانت رابطة الطلاب المسلمين تتفّذها بالفعل رغم أنها كانت في الأساس تستهدف تلبية احتياجات الطلاب. ومن ثم أصبحت المنظمة تعرف منذ ذلك الحين باسم الجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية (إسنا). وفي واقع الأمر أصبحت هذه الجمعية هي الهيئة المهيمنة على عدد كبير من المنظمات الإسلامية الناشئة التي تشمل منظمات محلية مكرسة لخدمة المجتمع المحلي في مواقع بعينها وكذلك لجماعات الطلاب في حرم الجامعات (ولا يزال يشار إليها على أنها رابطة الطلاب المسلمين بوصفها أكبر وأفضل التجمعات الإسلامية) فضلاً عن منظمات تقصد إلى تبني أنشطة المهنيين المسلمين وتلك المكرسة لخدمة جماعة المسلمين في أمريكا وفي الخارج (مثل رابطة الجماعة الإسلامية) وللشباب (الشباب المسلم في أمريكا الشمالية). على أن هذا التنظيم الشامل يتسم بالتعقيد والتوسع في حين أن الجماعات التي تؤلف هيكله تعمل في ظل مجالس إدارتها ولجانها الخاصة وإن كانت مسئولة بشكل عام أمام الإسنا ومجلسها التنفيذي الذي يحمل اسم مجلس الشورى. وتتولى الإسنا تنظيم مؤتمرات وطنية في عطلات نهاية الأسبوع كل عام فتجذب عدداً كبيراً من المسلمين من الولايات المتحدة من أجل الاستماع إلى المحاضرات ومناقشة القضايا التي تتسم بأهمية أخلاقية أو اجتماعية أو دينية. والذين يشهدون صلوات الجماعة والعبادات المشتركة في ظلها يجتمعون ويختلطون مع مسلمين من أوطانهم وكذلك

من أنحاء أخرى من العالم ويعيشون شعورا قويا ومطمئنا بالقوة والمنعة للجماعة المسلمة في أمريكا. ويشارك كثير من الشباب في هذه الاجتماعات القومية كما تتاح لهم فرصة الحوار إلى بعضهم البعض ومع قادة مسلمين حول ما يتعلق بظروف النشأة في أمريكا مع عدم المساس بالقيم الإسلامية. كما أن رابطة الطلاب ذاتها تعقد مؤتمرات سنوية للطلاب على صعيد أمريكا بأسرها. وتتباين أنشطة الإسنا تبائنا واسعا لأنها تتولى أمر ما يكاد يكون كل جانب من جوانب الإسلام في أمريكا منذ سنوات القرن العشرين. وتكفل سبل التعليم وأحيانا المساعدات المالية للجماعات المحلية التي ترغب في تنظيم صفوفها حول قضايا معينة لها أهميتها الإسلامية. كما تشمل خدماتها الوطنية مجموعة واسعة من المواد التعليمية وحلقات العمل التدريبية ومرافق المكتبات ومساعدات السكن ومكتبًا للزواج يتولى تشغيل قاعدة بيانات حاسوبية من أجل الجمع بين شركاء الزواج وإصدار شهادات الزوجية وتلقي الشهادات للدخول في الإسلام وإدارة صندوق للزكاة وإصدار أدبيات الدعوة ودائرة للكتب الإسلامية ومركز المواد السمعية البصرية وإدارة الصندوق الاستئماني التابع لمنظمة الشباب المسلم في أمريكا الشمالية ولجنة الإسنا للمرأة. ومن الدوريات التي تصدرها المنظمة: جريدة «الآفاق الإسلامية» و«المجلة الأمريكية للدراسات الإسلامية» و «الاتحاد».

وفيما قصدت الإسنا إلى أن تكون منظمة لجميع المسلمين الأمريكيين حيث تنقسم كما هو واضح بنطاق أوسع شمولاً من اتحاد الرابطة الإسلامية (فيا) فما زال بعض الأفرو- أمريكيين ينظرون إليها على أنها مخصصة أساساً لتلبية احتياجات أعضاء المجتمع المهاجر. وبرغم أن الإمام وارث دين محمد عضو في مجلس شورى الإسنا إلا أن أتباعه في الجماعة الأمريكية المسلمة لا يتحمسون لحضور مؤتمرات الإسنا بل يعقدون اجتماعاتهم الوطنية الخاصة بهم للتطرق إلى المواضيع التي تهم بالذات المسلمين الأفرو- أمريكيين. بل يشعر السود في بعض الحالات بأنهم ليسوا موضع ترحيب ولا تقدير من جانب المشاركين في أنشطة الإسنا. وبرغم ذلك فهناك من يعتقد أن التحرك الواضح من جانب معظم الأفرو- أمريكيين لاعتناق الإسلام السنّي يفيد في تخفيف حدة هذه المشكلة.

وتعد «الدائرة الإسلامية لأمريكا الشمالية» منظمة قومية أخرى للمسلمين

ما برحت مطروحة على المشهد الأمريكي لأكثر من عقدين ولكنها لا تضم سوى عدد أقل بكثير من المنتسبين بالمقارنة مع الإسنا. وتشتهر الدائرة الإسلامية بالتزامها الصارم بروح ونص الشريعة على نحو ما تشهد به اجتماعاتها القومية التى تحرص على تنظيم جلسات منفصلة للنساء. ومعظم أعضاء تلك المنظمة ينتمون إلى الساحل الشرقى لكندا. وفيما تتجم توترات بين حين وحين بين الدائرة الإسلامية وبين منظمة الإسنا، تبذل جهود متواصلة لبناء جسور بين المنظمين. ويشهد ممثلو كل جماعة بصورة عامة اجتماعات ومؤتمرات الجماعة الأخرى كما تبذل جهود تهدف إلى التخطيط الذى يتجنب التضارب فى مواعيد المؤتمرات والحلقات الدراسية والتدريبية التى تنظمها كل منهما. ويقل تركيز الدائرة الإسلامية على الشواغل الاجتماعية والسياسية الضاغطة بعكس ما تشدد عليه الإسنا. وفى مقابل ذلك تركز على الصحوة الروحية للمسلمين الأمريكيين وعلى توجيه الشباب إلى حياة التقوى كما تنشر مطبوعات تنصدرها مجلتها الشهرية بعنوان «الرسالة».

هناك منظمة أخرى تم تشكيلها فى عام ١٩٩٣ وتهدف بالتحديد إلى ممارسة أنشطة الدعوة فى الولايات المتحدة وهى «الجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية». ويتمثل هدفها المعلن فى تجميع كل الطاقات والموارد المتاحة سواء كانت بشرية أو مالية لإحياء عقيدة الإسلام وتلبية احتياجات المسلمين.

كما تنمو بسرعة فى أمريكا المنظمات الوطنية للنساء المسلمات، ومنها منظمة «كرامة» وهى لجنة المحاميات المسلمات لحقوق الإنسان التى تركز نفسها لمساعدة المرأة المسلمة على فهم حقوقها القانونية والعمل من أجل إقرارها. أما مجلس النساء المسلمات فى أمريكا الشمالية الذى يتخذ مقره فى شمالى ولاية فرجينيا وكذلك المجلس الكندى للنساء المسلمات ومقره تورنتو فيعملان على تعزيز رفاه المرأة المسلمة الأمريكية ويستضيفان مؤتمرات سنوية معنية بقضايا من قبيل العنف الممارس ضد المرأة والقوانين والسياسات المنطبقة على المرأة وقضايا الشباب وما إلى ذلك بسبيل. وثمة رابطات أخرى متنوعة تتولى تهيئة سبل الثقافة الإسلامية لنساء المجتمع.

وبالإضافة إلى ذلك فقد تهيأت روابط التواصل بين النساء على نطاق دولى من خلال جماعات منها مثلاً «إيمان» وهى الشبكة الدولية للفنانات المسلمات التى

أنشأتها الفنانات المسلمات لتحقيق مصالحهن، إضافة إلى المجلس العالمي لمؤسسة المرأة المسلمة وهو منظمة غير ربحية تتمثل أهدافها في توعية النساء بحقوقهن وبالعامل من أجل السلام العالمي والتتقيف المشترك بين الأديان من منظور يسع العالم كله. كما أن النساء الأمريكيات المسلمات ينشطن في الجماعات النسائية التي لا تتوجه بالضرورة نحو الإسلام ومنها مثلاً معهد الأخوات العالمي في بيتسدا بولاية ميريلاند.

ويعمل عدد كبير من المنظمات على المستوى القومي للجمع على صعيد واحد بين جماعات خاصة ولتعزيز قضايا معينة تتصل بالحياة الإسلامية في أمريكا. وأحدث ما تم تشكيله مؤخراً في هذا المضمار هو رابطة أمريكا الشمالية للمهنيين والعلماء المسلمين وهي تقصد إلى اجتذاب المثقفين والمفكرين المسلمين المنتمين إلى أصول اثنية وثقافية مختلفة ولكنهم يهتمون بمناقشة التحدي الذي يواجه حياة الجماعة المسلمة في أمريكا. وبعض المنظمات موجهة إلى هويات اثنية ومهنية بعينها ومنها مثلاً رابطة الأطباء الباكستانيين في أمريكا الشمالية وهي تتيح لأعضائها الفرص التي تكفل تطوير مهاراتهم التنظيمية ضمن سياق إسلامي، وتعمل الرابطة كذلك على تنظيم أنشطة على صعيد القواعد الجماهيرية ومن ذلك مثلاً إنشاء العيادات المجانية للمجتمعات المحلية للتأكيد على أن الإسلام يبشر بالمحبة وبمراعاة الجار.

وسواء كان المسلمون يستعينون أحياناً بالمنظمات الوطنية أو كانوا يعملون في استقلال عن تلك المنظمات فهم حريصون على تشكيل الجماعات على الصعد المحلية والإقليمية. فالمجالس الإسلامية في كثير من أنحاء الولايات المتحدة تخدم بوصفها وحدات تنظيمية للمراكز والمساجد. وفي كثير من الحالات تشكل رسوم العضوية في التجمعات المحلية ميزانية الصرف على الاجتماعات السنوية والخدمات المقدمة من أجل المساعدات المالية والمشورات العائلية ودعم القضايا الدولية للمسلمين. كما يتزايد على المستويين المحلي والإقليمي عدد من مجالس الشورى ومن ذلك مثلاً مجلس الشورى الإسلامي في نيويورك وقد تطور من مجرد جماعة دراسية صغيرة لقادة مسلمي المدينة فأصبح أعضاء المجلس الآن يلتقون شهرياً للعمل على رفعة الإسلام وتحسين ظروف السجون للنزلاء المسلمين

ولمكافحة المخدرات وغير ذلك من أشكال الخدمة المجتمعية. وقد عمد وارث دين محمد مؤخراً إلى إعادة تنشيط مجلس شورى الأئمة فأعاد تشكيله فأصبح مجلس الشورى الجديد في إلينوى بحيث يتولى دعم دائرة الأئمة على مستوى الولاية بأكملها ويشرف على أعمال عدد من اللجان الفرعية التي يترأسها قادة مسلمون من ذكور وإناث كما يعمل على إنشاء المدارس والمساجد في جميع أنحاء الولاية.

ويركّز العدد المتزايد للمنظمات سواء على الصعيد القومي أو المحلي تركيزاً محدداً على الساحة السياسية، على نحو ما يفعل مثلاً المجلس الإسلامي الأمريكي في واشنطن العاصمة وهو منظمة غير ربحية تنقسم بالطابع الاجتماعي السياسي وقد تم إنشاؤه عام ١٩٩٠ ليعمل على نشر القيم الأخلاقية بين صفوف المسلمين وعلى توعية الناخبين بشأن العملية الانتخابية. ولأن المجلس مهتم بتمثيلية المزيد من النفوذ السياسي لصالح المسلمين فهو يعقد مؤتمرات قومية حول قضايا من قبيل «أمريكا المسلمة: كيف تصبح حقيقة سياسية»، كما ينظم المجلس حملات منتظمة لتسجيل الناخبين بالتنسيق مع المجموعات المسلمة المحلية. وقد دأبت هيلاري كلينتون حين كانت السيدة الأولى في البيت الأبيض على دعوة أعضاء المجلس إلى الاحتفال بعيد الفطر في البيت الأبيض. وينظم المجلس حملات من أجل الاعتراف الرسمي بالعيدين الإسلاميين كإجازتين على المستوى الوطني، ظل يعمل على أن تتشر مصلحة البريد في الولايات المتحدة طوابع للعيد في عام ٢٠٠٠. أخيراً نعرض لمجلس الشئون العامة الإسلامية وهو منظمة تضم أفراداً من الحزبين الكبيرين في الولايات المتحدة ويركز بدوره على تثقيف الناخبين ومساعدة المسلمين على فهم القضايا واستيعاب أساليب اتخاذ القرارات السياسية ضمن سياق الإسلام. وهذا المجلس يتواجد باستمرار في المؤتمرات التي يعقدها كل من الحزبين السياسيين.

مكافحة التحيز ضد المسلمين

من المهام الأساسية لكثير من المنظمات الإسلامية السابق ذكرها العمل على تحديد السبل التي يتواصل من خلالها التحيز ضد الإسلام والمسلمين على مسرح الحياة الأمريكية. وعلى نحو ما لاحظنا، تبذل جهود متواصلة لضمان أن تكون

المعلومات بشأن الإسلام التي تحتويها الكتب المدرسية المقررة وغيرها من مواد المناهج الدراسية في المدارس الحكومية دقيقة وغير متحيّزة. وتعمل بعض المنظمات من أجل التعرف على السُّبل التي دأبت بها وسائل الإعلام الجماهيرية على تشويه المعلومات عن الإسلام في أمريكا وكذلك على المستوى الدولي وطرح هذه المعلومات بصورة مغلوبة. كما أنها تسترعى الانتباه العام إلى الحالات التي يواجه فيها مسلمو الولايات المتحدة وكندا معاملة تقوم على أساس من التحيز المفضل أو الظلم سواء في مكان العمل أو في ساحات أخرى من الحياة العامة. وتساور الجماعة المسلمة الأمريكية عوامل من القلق العميق لأن المشاعر المناهضة للإسلام من جانب الجمهور العام في حال من التزايد بدلا من أن تخف حدتها وقد تفاقت تلك المشاعر السلبية بفعل حوادث العنف التي جرت على الصعيد الدولي باسم الإسلام وأدت إلى زيادة الإمعان في إساءة تصوير الإسلام والمسلمين في وسائل الإعلام. لدرجة أن عامة القراء ممن يفتقرون إلى أي معلومات لا يجدون صعوبة تذكر في التعرف على المسلمين على نحو ما تصورهم به رسوم الكرتون المتحركة. حيث المسلم دائما يبرش بعينه ويتوسط وجهه أنف هائل الضخامة ويرتدي كوفية ويفرك يديه قبل أن يسأل عن إمكانية حصوله على شاحنة صغيرة (بيك أب) وبعض الديناميت. أو أن المسلم يقف حاملا لافتة عليها عبارة «الموت للكافرين جميعا» وبجانبه قسيس يحمل بدوره لافتة مكتوبا عليها «صلوا من أجل السلام» أو أن المسلم يشير إلى خارطة عليها أهداف محددة ما بين دور الحضانة أو دور المسنين أو عنابر الولادة ويسأل عما إذا كانت هناك أماكن أخرى مرشحة تحظى بأولوية الاختيار لكي يبدأ بقصفها^(٨). وأصبح بعض المراقبين من مسلمين وغير مسلمين يتعرفون على هذا التشويه المنهجي للإسلام ويطلقون عليه وصف رهاب الإسلام (إسلاموفوبيا) أو الخوف من كل شيء إسلامي. ويشعر الكثيرون أن هذا الأمر يلقي تشجيعا عندما تعتمد عناصر معينة في الحكومة الأمريكية إلى تصوير الإسلام على أنه «العدو الجديد» حيث تحله محل الشيطان القديم وهو الشيوعية على الساحة الدولية بوصفه خطرا رهيبا يتهدد الديمقراطية النيابية^(٩).

(*) تفاقت هذه الحالة أيضا بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١ في ظل شعار «مكافحة الإرهاب» وهيمنة فكر

كذلك يشعر المسلمون بقلق خاص بشأن احتمال اتساع نطاق التضليل الإعلامي ونشر أهواء التحيز مع التطور السريع لاستخدام شبكة الإنترنت. وفيما تزداد إمكانية اطلاع الأطفال والمراهقين بالمدارس على محتويات «الشبكة» التماساً للتقارير المدرسية والمشاريع الأخرى فهم كثيراً ما يصادفون الدعايات التي تنشر صورة سلبية عن الإسلام. وثمة كتاب متاح على شبكة الإنترنت ويحمل نذيراً بالتحذير قائلاً إن خطر الإسلام حقيقى وأفدح من تهديد الشيوعية لأن المسلمين على الاستعداد للموت فى سبيل الإسلام وفى سبيل نشر دعوتهم من خلال «الجهاد أو الحرب المقدسة». ويواصل المؤلف تحذيره قائلاً إن «علينا أن نعمل لوقف نشر الإسلام قبل أن يفوت الأوان». والذين يساورهم القلق إزاء سهولة نشر مثل هذه المواد يلاحظون أن الإسلام هو الدين السماوى الوحيد الذى أصبح هدفاً لمثل هذه الإهانات والاتهامات الباطلة. كذلك يمكن التعرف على هذه التحيزات المناهضة للإسلام ولكن معبراً عنها بصورة أقل اتساماً بالطابع الرسمى ولكنها ليست أقل من حيث الفعالية إذا ما دخل المرء إلى غرفات الثروة على شبكة الإنترنت.

ومن المنظمات التى تكرس جهودها تحديداً من أجل التعرف على هذا التحيز المناهض للمسلمين فى الولايات المتحدة وكندا ومكافحته، «مجلس العلاقات الأمريكية الإسلامية» (كير) فى واشنطن العاصمة. ويقوم مركز البحوث الأمريكى المسلم التابع للمجلس بتوثيق الحوادث والفعاليات التى تؤثر على ما للمسلمين من حقوق مدنية فى أمريكا ومن ذلك مثلاً التحرشات والسلوك العنيف الذى أعقب حادثة التفجير فى مدينة أوكلاهوما عام ١٩٩٥ التى تم فى أعقابها فوراً استهداف المسلمين (بصورة خاطئة) كمسؤولين عنها. ومن منطلق إدراك مركز البحوث المذكور أن معظم الأمريكيين للأسف الشديد يجهلون أى شيء عن الإسلام أو يتلقون معلومات مشوشة عنه فهو يشجع المجتمعات المسلمة المحلية على أن تتواصل وتعمل على توعية القطاعات الأخرى من المجتمع الأمريكى من خلال نشر المعلومات الدقيقة فى هذا الخصوص. كما دأبت منظمة «كير» على استخدام الإنترنت كى تنشر بانتظام الحوادث التى عومل فيها المسلمون بالولايات المتحدة

المحافظين الجدد على الساحة السياسية والفكرية فى الولايات المتحدة «المترجم».

معاملة مجحفة أو متحيزة (لأى فرد أن يطلب الاتصال بشبكة كير وقائمتها البريدية المخصصة للقراءة فقط).

وكثيراً ما يعقب وصف هذه الحوادث تقديم معلومات محددة عن الجهة التي يوجه القراء كتاباتهم إليها أو يتصل بها حيث يكون هذا الاتصال مع طرف ملائم بما يؤثر على إمكانية اتخاذ قرار إيجابي بشأن المسألة. وفيما يلي نوعيات من القضايا التي قررت منظمة كير أن تتقاسمها مع قرائها:

كاريكاتور في صحيفة كندية يصور كلباً مسعوراً يرتدى كوفية عربية ويمكن التعرف عليه بوضوح على أنه يجسد التطرف الإسلامى وهو يرتبط تحديداً بقتل سواح في مصر. وتحت الرسم عبارة كتب عليها «مع اعتذارنا للكلاب في كل مكان»، وقد اتصلت «كير» بالصحيفة معربة عن قلقها العميق وطالبة نوعاً من الاعتذار وهو ما حصلت عليه بالفعل.

فُصلت عاملة من وظيفتها وكانت تعمل في إحدى سلاسل محلات الكعك الوطنية لأنها رفضت التخلي عن غطاء رأسها على أساس أن دينها يقتضى ذلك وبعد تدخل «كير» أعيدت إلى وظيفتها وسمح لها بارتداء حجاب للرأس بما يتسق مع مقتضيات الصحة والسلامة.

بعد حادثة أخرى قيل فيها إن موظفة مسلمة تعرضت للضرب بينما كانت تؤدي الصلاة في موقع العمل. وبناء على إلحاح «كير» أمرت الشركة بإجراء تحقيق دقيق أدى إلى تقديم اعتذار رسمى والتأكيد على مراعاة الحساسية إزاء الآخرين في عمليات تدريب المشرفين.

معلمة في إحدى ثانويات ولايات الجنوب أبدت ملاحظات تفوح بالكراهية العنصرية إزاء تلميذة في الرابعة عشرة من العمر بشأن زيها الإسلامى. وبعد تدخل «كير» قُدم اعتذار رسمى للطالبة وأدى ذلك إلى أن وافقت المدرسة على تيسير إجراء مناقشة عن الإسلام وضرورة احترام عقائد الآخرين وتنظيم تدريبات لمراعاة الحساسية بشأن الإسلام وتخصيص غرفة يستخدمها الطلاب المسلمون خلال شهر رمضان.

كما أعربت منظمة «كير» عن عميق امتنانها إزاء استجابة الرئيس (السابق) كلينتون للعبث الذى تعرض له الرمز الإسلامى، وكان قد عُرض لأول مرة فى عام ١٩٩٧ فى بهو البيت الأبيض جنباً إلى جنب مع شجرة عيد الميلاد الوطنية وثرىا المينورا اليهودية وكانت النجمة قد أزيلت من الرمز الإسلامى ووضع محلها علامة الصليب (النازى) المعقوف.

وفى عام ١٩٩٥، وفى ضوء ردود الأفعال إزاء حادثة التفجير فى مدينة أوكلاهوما، أصدرت «كير» تقريراً خاصاً بشأن مناهضة المسلمين من حيث تصويرهم ضمن قوالب نمطية جامدة (ستريو تايب) أو تعرضهم لتحرش أو لجرائم الكراهية، وحمل التقرير عنوان "التسرع فى الأحكام" وتبع ذلك تقارير أخرى عن أوضاع حقوق الإنسان للمسلمين فى الولايات المتحدة بما فى ذلك تقرير حمل عنوان «ثمن الجهل» (١٩٩٦) وعنوان «كشف الستار عن التحيز» (١٩٩٧). وهذه التقارير المطولة تعمل فى آن واحد على توثيق الاستمرار المؤسف للحوادث التى تكشف عن الصعوبات التى ما برح المسلمون يواجهونها باستمرار فى أمريكا فيما تقدم فى الوقت نفسه أملاً للمسلمين الذين يشهدون بذل جهود مطردة منظمة وفعّالة من جانب جماعات مثل «كير» من أجل التصدى لتلك المشاكل. ويعمل مع كير عدد من العلماء غير المسلمين إضافة إلى دعاة للإسلام ويتم التنسيق الوثيق بين أنشطتهم وبين عمل المنظمات الأخرى مثل الجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية (إسنا) والدائرة الإسلامية لأمريكا الشمالية.

ومن الطبيعى ألا يكون جميع المسلمين المقيمين فى الولايات المتحدة مشغولين بجهود تبذل على نحو ما عرضنا لحماية الإسلام وتعزيزه. وهم لا يشاركون فى مختلف أشكال الحياة الدينية للمسلمين التى تتضح معالمها باستمرار فى مجتمعات أمريكا بأسرها. ومع ذلك فبالنسبة لعدد متزايد من الذين يعتبرون الإسلام دينهم عن وعى وبحق ويريدون أن يعيشوا حياتهم بطرق تؤكد فهمهم هذا للدين ومقتضياته، فإن الأمر يشهد زيادة فى إقامة المؤسسات التى تعينهم على ذلك. وفى كل حال فالتحيز ضد دينهم ما زال حقيقة لا بد وأن يتعامل معها مسلمو أمريكا بطريقة أو بأخرى وإن كان هناك أفراد ومنظمات من المسلمين وغير المسلمين يعملون على الكف عن نماذج التضليل وحوادث المعاملة المجحفة التى

تتم في هذا الشأن من أجل التصدي لها. وتهيئ الجماعات المحلية والوطنية سُبُل التوعية والدعم وتتيح المعلومات بأشكال شتى لمساعدة المسلمين على معالجة أى مشكلة تصادفهم معالجة حقيقية. وفي الوقت نفسه يجد المسلمون تأييدًا متزايدًا في كثير من قطاعات المجتمع الأمريكي لجهودهم من أجل طرح الإسلام بصورة نزيهة ومعقولة، ولقد يأتى اليوم الذى يجدون فيه أن مكافحة التحيز ضد الإسلام وطرح صورة لجماعة دينية معقولة تعمل من أجل صالح المجتمع الأمريكى هى مهمة أيسر من الآن وذلك بمساعدة زملائهم فى مجالات التعليم وفى المنظمات الدينية الأخرى بل وفى بعض قطاعات المؤسسة السياسية ذاتها.

الحواشي

- ١- جولزار حيدر «الحيز والممارسة المعمارية للمسلمين» في ميتكالف، محرر، تخصيص حيز إسلامي في أمريكا الشمالية وأوروبا.
- ٢- من إعلان منشور في مجلة «المسلم» ذي موسم ماجازين (أبريل ١٩٩٨).
- ٣- حداد ولوميس، القيم الإسلامية في الولايات المتحدة.
- ٤- بون لفلاس، «الجيش الأمريكي يعين أول واعظ مسلم، إسلاميك هورايزونز (مايو/يونيه ١٩٩٥).
- ٥- «مطلوب عناصر مسلمة للعمل في السجون»، ذي مسجد (أغسطس ١٩٩٧).
- ٦- عمر أفضل «ما بعد السمر والسود والبيض: المسلمون في أمريكا الشمالية، ذي مسجد (يوليه ١٩٩٧).
- ٧- تحريم س جهاد في «رسائل»، ذي مسجد (فبراير/مارس ١٩٩٨).
- ٨- جون وودز، «تصوير وتنميط الإسلام» في: المسلمون في أمريكا: الفرص والتحديات (شيكاغو: معهد الإستراتيجية والسياسة الدولية، ١٩٩٦).

الفصل الثامن

التطلع نحو المستقبل

«إن أثر الإسلام على مستقبل المجتمع الأمريكى سوف يتوقف إلى حد كبير على مدى أهمية المبادئ الإسلامية بالنسبة لهذا المجتمع؛ فالأفكار والمُثل العليا الإسلامية بحاجة إلى طرحها بدقة وبلغة تفهمها الجماهير، على أن تتولى تنفيذها المؤسسات التى تستطيع أن تعالج بفعالية القضايا التى تتسم بالاتصال الوثيق بحياة الناس ويتمثل هدفنا فى هذا الصدد فى أن نصل إلى عقول وأفئدة الذين يطمحون إلى مستقبل أفضل»^(١).

هكذا يتكلم الدكتور ماهر حتوت من المركز الإسلامى فى جنوبى كاليفورنيا باعتباره واحداً من الأفراد البارزين المعبرين عن الإسلام الأمريكى المعاصر، وذلك فى مقالة حدد فيها المجالات التى يشعر بضرورة إدراجها ضمن أجندة للحوار على مدار السنوات القادمة. وبيت القصيد هنا هو تعبير «الاتصال الوثيق». وكما رأينا فإن عقيدة الإسلام وشعاره فى الولايات المتحدة تحدها طائفة واسعة من التفسيرات. ومن الواضح أن ليس ثمة فهم غالب يستطيع جميع الذين يصفون أنفسهم بأنهم مسلمون أن يوافقوا عليه، بل إن كل مجموعة يتعين عليها أن تواصل التساؤل عما إذا كان تفسيرها الخاص للإسلام وما يتصل بذلك من آثار مترتبة بشأن أسلوب الحياة والاستقامة الذى يختاره أعضاؤها، أمراً يتفق بالضرورة مع المجتمع الأمريكى المعاصر. ومن تلك الأسئلة أيضاً ما يتعلق بما إذا كان شباب هذه الجماعة سوف يواصلون النظر إلى دينهم فى ضوء الأهمية التى يتسم بها. أما الذين حاولوا حتى الآن أن يعيشوا حياتهم فى إطار من العزلة النسبية خشية أن يؤدي الإفراط فى التواصل مع أمريكا للقضاء على عقيدتهم وثقافتهم، فقد يضطرون إلى التساؤل عما إذا كانت الأجيال القادمة ستجد أن من الضروري أن تصبح أكثر انفتاحاً وأكثر تلقياً للثقافة التى وجدوا أنفسهم بمنأى عنها. أما الذين اختاروا الارتباط الكامل بأمريكا ومن ثم تخلّوا عن كثير من أركان

الممارسة الإسلامية: قد يكتشفون أنهم فقدوا جزءاً من الوضوح والتميز اللذين يتسم بهما معنى أن يكون الإنسان مسلماً.

وفيما يبدو الحوار وكأنه يستقطب المشاركين فيه إلى حيث الانقسام إلى فئتين هما: «دعاة العزلة» من جانب و«دعاة الاندماج» من الجانب الآخر، فإن المسلمين يسعون إلى مقاومة هذا النوع من المصطلحات فلا العزلة ولا الاستيعاب ينظر إليهما بعامة كهدف في الحوارات التي تدور بين المسلمين بحثاً عن توجيهات يستلهمونها أو مبادئ يسترشدون بها على نطاق أغلبية أعضاء الكيان المعقد الذي يجسده الإسلام الأمريكي. وإذا كان من المستبعد بطبيعة الحال أن يتحقق الإجماع في مثل هذه الأمور، فإن هناك جهوداً متزايدة تستهدف تحديد القضايا التي يمكن التوصل بشأنها إلى توافق بين الآراء. ويعتقد الكثيرون أن من الواجبات الرئيسية بالنسبة للمسلمين العمل على توضيح ما يتسم بالمرونة من تلك القضايا ومن ثم يمكن إعادة تفسيره ضمن السياق الغربي، وما يدخل في حكم الأقدار التي من الواضح أن الله كتبها على البشر في حياتهم واستجاباتهم ومن ثم لا يمكن الأخذ بالرد بشأنها. وفي هذا المجال يقول فتحي عثمان وهو مسلم بارز ومؤلف لموسوعة ضخمة عن القرآن: لا بد من التمييز بين الثابت (الإلهي) والمتحول ولا سبيل لأن يحل أحدهما محل الآخر»^(٢).

حول هذا لا يكاد يثور الخلاف. بيد أن المشكلة تتأني لدى التطرق إلى تحديد ما يندرج ضمن أي من هاتين الفئتين. وهنا تظل الأسئلة مطروحة: متى يكون مستصوباً، على سبيل المثال، اتباع التفسير الكلاسيكي للسنة والشرعية في سياق المعيشة في الولايات المتحدة، ومتى يكون واجباً إضفاء تعديلات وتحويرات في هذا المضمار؟ ما هي عناصر القانون والعرف الملزمة للمسلمين المؤمنين بصرف النظر عن المكان الذي يعيشون فيه، وما هي العناصر التي تتيح مواصلة التفسيرات المرنة؟ إن المسلمين على مستوى كل التجمعات في أمريكا يترحون هذه الأسئلة باهتمام وشغف. كما أن الحكماء الذين يمثلون طائفة واسعة من الرؤى والثقافات والتفسيرات يحاولون بدورهم تقديم الإجابات. وقد درج المسلمون على أن يروا العالم منقسماً إلى دارين: الأولى هي دار الحرب التي تنطبق على الأقاليم التي لا يسود فيها الإسلام، بينما الثانية هي دار الإسلام حيث يمثل المسلمون

الأغلبية ومن ثم يتمتعون بحرية اتباع شريعة الإسلام. وفي بعض الأحيان يحل مصطلح دار الكفر محل مصطلح دار الحرب^(١). وبالنسبة لبعض المسلمين فإن تلك الفئات ما زالت منطبقة. وبوصفهم أعضاء أقلية دينية فهم يشعرون بتعارض وتوتر إزاء الثقافة الأمريكية. وإذا ما نظر المرء إلى أمريكا على أنها سياق غريب يتوجب على صعيده تجنب المشاركة في مسار المجتمع قدر الإمكان، حينها تسود استجابات «أكثر محافظة» على الأسئلة الأساسية. «ويؤكد البعض أنه لولا ما تتسم به ثقافة الغرب من طابع «انحلالى» أو كافر بشكل عام، لما تعيّن على تجمعات المسلمين أن تعاني ما تعانيه من مشاكل التشرّد وادعاءات الاعتداء على الأطفال وارتكاب العنف المنزلى وإدمان المخدرات وإيداع الأبناء فى إصلاحيات»^(٢). والذين يختارون الاعتقاد بأن أمريكا هي أرض الإسلام حتى ولو لم يشكّل المسلمون أغليبيتها يجنحون إلى الأخذ بمزيد من المرونة فى تفسيرهم للحلول الواجبة للمشاكل التى يواجهها المسلمون فى أمريكا. ومن المفكرين من يقارن بين هجرة المسلمين إلى الولايات المتحدة على سبيل المثال وبين حدث الهجرة التى قام بها النّبي محمد من مكة إلى المدينة. وبقدر ما تمكن النّبي من إقامة مجتمع إسلامى فى تلك البيئة التى كانت غريبة عنه فى الأساس فإن هؤلاء المفكرين يقولون بأن على المسلمين أن يعملوا لتحقيق مثل هذا الهدف فى أمريكا.

وكثير من المسلمين المقيمين بالولايات المتحدة، سواء الذين وفدوا فى مراحل متأخرة أو أفراد العائلات المسلمة من أفراد الجيلين الثانى والثالث يريدون بحق أن يستوعبوا بالقدر نفسه ضمن سياق الثقافة الأمريكية ولا يحاولون تأكيد عناصر هويتهم مما قد يفرق بينهم وبين الآخرين. وهذا العزوف عن الغلو فى تأكيد الهوية الإسلامية اتسمت به أعداد كبيرة من المسلمين الأمريكيين منذ الأيام الأولى للهجرة الوافدة حيث نمت هذه الاتجاهات، كما رأينا، من واقع عوامل منها مثلاً التماس فرص العمل وعقد الزيجات المشتركة بين الأديان وعدم الرضا عن قيادات المساجد فضلاً عن أشكال شتى من الصلوات التى أنشأوها مع الثقافة الأمريكية. وبالنسبة للبعض فإن الزيادة فى مشاعر التحيز ضد المسلمين فى ضوء

(١) هذا التسميم فيه نظر كما يقال فى ضوء تصوّرات العصر الحديث «المترجم».

الأنشطة الإرهابية والمشاعر المؤيدة لإسرائيل والشعارات المناهضة لأمريكا التي يرفعها كثير من الزعماء العرب المسلمين إضافة إلى عدد من الحقائق الأخرى الشديدة الانتشار في العقود العديدة الأخيرة كل ذلك أدى إلى تشجيع استيعاب هؤلاء المسلمين.

وبالنسبة إلى أفراد آخرين ضمن مجتمع مسلمي أمريكا فإن هذه العوامل ذاتها، بما في ذلك ارتفاع مدّ الصحوّة الإسلامية في كثير من أنحاء العالم، أعادت تنشيط وعيهم ومسئوليتهم الدينية. وشجّعهم في ذلك التحدى بأن الإسلام يقف دولياً في مواجهة العلمانية الدنيوية الغربية فضلاً عن القلق الذي يساورهم بشأن مؤثرات هذا الاتجاه الدنيوى العلمانى ذاته على أبنائهم في أمريكا ومن ثم فقد ظلوا يتطلعون باستمرار إلى الإسلام ويروجون له بوصفه عقيدة ومنهجاً للحياة فى آن واحد. وبالتأكيد فإن كثيراً من أفراد الأجيال الأول والثانى والثالث من المسلمين يريدون بالفعل الاقتران علانية بالمجتمع الأمريكى خوفاً من أن يصبحوا، أو أن يصبح أبنائهم، هدفاً للتحيز والتمييز. لكن أفراداً كثيرين آخرين سئموا مما يرونه صوراً متحيّزة ومجحفة للإسلام والمسلمين تعرضها الميديا الأمريكية، ومن ثم فهم يغتنمون الفرصة لتصحيح تلك الصور من خلال القدوة التي يجسدونها في حياتهم بشأن جوهر «الإسلام الحق» عندما يمارسه المؤمنون به عن ورع وتقوى. وبالنسبة لهؤلاء المسلمين، وهم يضمنون مهاجرين وأقرباء -أمريكيين وغيرهم من المتحولين إلى الإسلام، يظل من الجوهرى التماس السبل التي يعيشون بها دينهم ويعبرون عنه وعن هويتهم الإسلامية فيما يعترفون بضرورة التكيف مع الحياة الأمريكية والمشاركة فيها. وهم ينطلقون من واقع أساليب عديدة ومتباينة من المشاركة حتى بات الإسلام الأمريكى على مشارف مرحلة فاصلة في ضوء سعى المسلمين المضى قدماً نحو مستقبل يمكن تحقيقه ضمن السياق الأمريكى.

ويبقى بعد ذلك السؤال: ما هي القضايا الأخطر المطروحة على الأجندة العامة للمسلمين في أمريكا؟. إن هناك ما يشير إلى وجود عدد من القضايا التي يتم تعريفها بوصفها مجالات تستحق الاهتمام وذلك في ضوء استعراض للمؤلفات المطروحة في هذا الشأن وإطلالة على جداول أعمال الاجتماعات والمؤتمرات التي تعقد على الصعيدين القومى والإقليمى والحوارات التي تمت مع الذين يتبوأون

مواقع قيادية فى قطاعات شتى فى مجتمع مسلمى أمريكا. ومن بين هذه القضايا نلاحظ ما يلى، علماً بأنها ليست قضايا حصرية ولا تبادلية وإن كانت تعكس كلها وبدرجة ما مجموعة مشتركة من القضايا التى تدعو إلى الانشغال.

السلطة المرجعية

فى مجتمع يعيش حالة الشتات بعيداً عن الوطن الأصلى على نحو ما يتسم به بالضرورة مجتمع الإسلام فى أمريكا لا بد وأن يُطرح السؤال: لمن الحق فى مرجعية تفسير الحياة الإسلامية «القيّمة» أو «القويمة»؟ بالنسبة للأفرو - أمريكيين تتسم هذه القضية بأبعاد شتى. فالذين كانوا يوماً ما أعضاء فى جماعة «أمة الإسلام» وعاشوا حتى وفاة رسولهم المحبوب، المكرم إيلجا (إيليا) محمد، تُعَيّن عليهم أن يحسموا الأمر فيما إذا كانوا يتبعون قيادة لويس فرقان وجماعة «أمة الإسلام» المعاد تشكيلها أو يولون ثقتهم للمبادرات الجسورة التى اتخذها وارث دين محمد وفهمه الجديد لما يعنيه أن يكون الإنسان أسود ومسلماً. وكثير من الزعماء الأفرو - أمريكيين الآخرين نشأوا عبر العقود العديدة الأخيرة ومنهم من اتبع مذهب السنة ومنهم طانقيون وهم يدعون سلطة يمارسونها على أتباعهم ويلتمسون تعزيز وزيادة عضوية جماعاتهم. أما الجانب الآخر من قضية المرجعية بالنسبة لكثير من الأفرو - أمريكيين فيتعلق بمدى الحاجة إلى الإنصياح إلى السلطة المرجعية للمهاجرين القادمين من بلدان عاشت قروناً طويلة من الأعراف الإسلامية فى حين أن الأفرو - أمريكيين هم فى معظمهم وافدون جدد نسبياً إلى ساحة الإسلام. ويتساءل أحد الأفرو - أمريكيين ممن اعتنقوا الإسلام سنوات طويلة قائلاً: «أى حق يملكه باكستانى أو سعودى لكى يقول لى كيف أمارس إسلامي؟ لست أرى أن طول الأمد الذى عاشه الإنسان مسلماً يعنى بالضرورة أنه يعرف كيف يكون مسلماً أفضل»^(٤). وفيما يتحرك وارث الدين وغيره إلى استلام زمام القيادة فى مواقع الجماعة المسلمة الأمريكية ككل فإن مثل هذه القضايا قد ينحسر مدها ولكنها ما زالت مصدراً لحالات من التوتر بالنسبة لبعض السود.

السلطة المرجعية أيضاً قضية تتسم بأهمية كبيرة بالنسبة لأعضاء الجماعات المهاجرة بين مسلمى أمريكا ولا سيما الوافدين إليها فى مراحل أقرب عهداً. لقد

عرف الناس أمريكا على أنها مكان يتيح تطوير فهم جديد للإسلام ويصدق ذلك بالضبط لأنه مكان بعيد ومتحرر من رقابة السلطات الدينية المهيمنة على الأمور في الأقطار الإسلامية. يقول الدكتور وحيد أكبر رئيس رابطة الأطباء الباكستانيين في أمريكا الشمالية: «إن أمريكا... تتيح فرصًا هائلة للمسلمين لكي يعكفوا بحق على تطوير وتعزيز دينهم. وفي هذا البلد يتاح للمسلمين أن يمارسوا الإسلام كما تجدر ممارسته حيث لا قيود على الدين بمرسوم حكومي ولا سيطرة على العقيدة بعامل طائفي»^(٥). ومع ذلك فهذه الحرية نفسها، رغم أنها تمثل انعتاقًا للبعض إلا أنها تصيب البعض الآخر بتوتر عصبي شديد. لقد نشأوا وتربوا في ظل فهم عميق بأن من الشخصيات الدينية من يتمتع بسلطات مرجعية قوية (بل ومطلقة). ومن ثم فهناك الكثير سواء في مجتمعات السنة أو الشيعة ممن جاعوا من أقطار إسلامية محافظة وممن لا يزالون ينظرون إلى تلك الشخصيات وإلى تفسيراتها للإسلام كمرجعية يستهدون بها في حياتهم في أمريكا.

كذلك يمكن أن تكون عوامل التمويل مهمة بدورها في مسألة الساطة والنفوذ، ويمكن أن يتسم بتعقيد خاص أمر الحسم فيما إذا كانت بعض التفسيرات ملائمة أو غير ملائمة بالنسبة لممارسة العقيدة في الغرب وخاصة عندما يأتي العون المالي الخارجي المقدم للمؤسسات الدينية والتعليمية للمسلمين في أمريكا مرتبطًا بالتفسيرات العقائدية والمصالح السياسية لمانحي تلك الأموال.

الوحدة

السعى نحو ما يوحد جميع المسلمين في أمريكا، أيا كان شكل هذا التوحيد، ما زال شاغلًا مستمرًا بينهم وهو يتسم بأبعاد واسعة شتى. وفي هذا السياق يطرح السؤال بأساليب مختلفة: هل هناك ما يميز الإسلام الأمريكي لدرجة يمكن بها تمييزه تحديدًا عن الأمة الأمريكية؟ لقد رأينا في الفصول السابقة كثيرًا من الطرق التي كان فيها هذا السعى نحو تلك الوحدة أمرًا بعيد المنال وكم تشقُّ المهاجرون باختلافات الثقافة والعرف فبعض الباكستانيين الذين وصلوا مؤخرًا قد يظنون على سبيل المثال أن المسلمين العرب من الجيلين الثاني والثالث أصبحوا ليبراليين للغاية فيما يتعلق بممارستهم الإسلام فيما قد يتحفظ العرب من ناحية أخرى على الأسلوب

«الفوقي» الذي يتبعه الباكستانيون وكأنهم يعلمونهم كيف يكون المرء مسلماً. وكثير من أهل السنة يؤكدون بحماس أن العلاقات بين السنة والشيعية مثيرة للإعجاب في أمريكا بينما هناك أصوات داخل المجتمع الشيعي نفسه تعارض ذلك بدعوى أن هذه العلاقات ليست منسجمة لا من قريب ولا من بعيد.

من ناحية أخرى يناضل السود والهسبانيون والأمريكيون الأصليون وغيرهم بحثاً عن هوية سواء تحت المظلة الأوسع للإسلام الأمريكي أو بصورة محددة كأعضاء في التجمعات العرقية - الاثنية التي ينتمون إليها. والأفرو - أمريكيين من أتباع وارث الدين لا يشعرون بالرضا لأن جماعة «أمة الإسلام» بقيادة لويس فرقان التي يعدونها أبعد ما تكون بصورة خطيرة عن صحيح العقيدة ما زالت تنعم بكثير من الشهرة لدى الصحافة الأمريكية. ولا يسعدهم كذلك حقيقة أنهم عندما يرتدون ملابسهم المحتشمة أو عندما يعرفون أنفسهم في بعض الأحيان كمسلمين فإن هناك من يتصورهم في غالب الأحيان أعضاء في جماعة «أمة الإسلام». الإشكاليات نفسها تثور بالنسبة للمسلمين السنة السود وتتمثل في حركات طائفية مثل «أنصار الله» أو جماعة «الخمس في المائة» الذين يُنظر إلى معتقداتهم وممارساتهم بعامة على أنها أبعد ما تكون عن صحيح الإسلام القويم.

تأتي بعد ذلك المشاكل التي تتعلق بالروابط بين الأفرو - أمريكيين والمهاجرين المسلمين التي ألمحنا إليها آنفاً. وتقول أمينة بفرلي مكلويد من جامعة ديبول: «لقد نشأ تمييز واضح بين التجمعات الباكستانية والهندية والعربية والأفرو - أمريكية بما يمكن رؤيته بجلاء من واقع المطبوعات الصادرة والهيكل التنظيمية والمناسبات الاجتماعية. لقد ذاعت بالنسبة للمهاجرين دعوى أن ثمة إسلاماً توحيدياً في العالم الإسلامي وهو المعيار الأساسي للقياس، بينما تجارب المسلمين الأفرو - أمريكيين ينبغي رفضها وبدلاً من ذلك فإن عليهم أن يطمحوا لممارسة شيء اسمه الإسلام السلفي الصحيح. وهذا التأكيد ما زال في بعض قطاعات من المجتمع المسلم يشكل حافزاً على الانقسام»^(٦). وهناك من المسلمين من يأسف أسفاً شديداً، لا لأن المسلمين الأفرو - أمريكيين يشعرون بوطأة ضغوط من هذا القبيل، بل لأن الاهتمام ينصرف إليهم بدلاً من أن ينصب على الجهود

الملموسة التي جرى بذلها من أجل تضام الصفوف بين المهاجرين والأفرو -
أمريكيين المتحولين وغيرهم بحيث ينضوى الجميع تحت لواء الإسلام الأمريكي.

وفيما تظل معظم المنظمات الإسلامية القومية بصورة غالبية إما من
المهاجرين أو الأفرو - أمريكيين، وبينما يساور بعض المسلمين السود شعور من
الاستياء لأنهم لم يدعوا للمشاركة مباشرة في أعمال هيئة مثل الجمعية الإسلامية
في أمريكا الشمالية (إسنا)، فالحق أيضًا أن عددًا من مجالس التنسيق بات يضم قادة
من المهاجرين والأفرو - أمريكيين وهم يحتلون مواقع القيادة في تلك المجالس. ولا
جدال في أن مواصلة الجهود المبذولة حاليًا للتوصل إلى تقدير أفضل وفهم أعمق
وتعاون أوسع بين مختلف الجماعات التي تشكل فيما بينها الإسلام الأمريكي ما
برح قضية ذات أهمية عليا تنصدر أجندة المسلمين في الولايات المتحدة.

القيادة

بالنسبة لجميع المسلمين الأمريكيين، تتسم بأهمية فائقة مسألة اجتذاب قيادة
أمريكية أصيلة للمساجد والمراكز الإسلامية وتزويدها بسبل التدريب الملائم. وما
يكاد يكون جميع الذين يعملون كأئمة في المجتمعات المهاجرة وممن يُنظر إليهم
على أنهم مؤهلون جيدًا تلقوا تعليمهم في الخارج وغالبًا ما يكون ذلك في مصر أو
العربية السعودية أو إيران. ومن أسف أنه في الغالب الأعم فالذين لم يحصلوا في
الولايات المتحدة سوى النذر اليسير من التعليم ومنهم من يفتقر إلى أي تعليم على
الإطلاق استدعوا لقيادة الصلوات والنهوض بمسؤوليات أخرى ملقاة حاليًا على
عاتق الأئمة الأمريكيين حيث يرجع ذلك ببساطة إلى الافتقار من الأساس إلى أي
قيادة حازت ما ينبغي من تعليم وتدريب. ومن الواضح أن من السبل التي يمكن بها
للمسلمين الأمريكيين أن يشرعوا في تخليص أنفسهم من تأثيرات الإسلام عبر
البحار وللدرجة التي يرون أنها مرغوبة أو ضرورية، ما يتمثل في تطوير
مناهجهم لتعليم وتدريب الأئمة. وعندما سئل أحد قادة المجلس الإسلامي الأمريكي
عن أهم قضية قائمة بذاتها وتواجه مسلمي أمريكا اليوم أجاب على الفور: «إنها
تهيئة سبل إعداد الرجال لتولي مواقع القيادة الدينية وبالذات ليكونوا أئمة»^(٧).

وكما رأينا فإن ثمة قلة من المؤسسات الإسلامية تجتاز حاليًا مراحل من

النضج بما يؤهلها لتنفيذ برامج من هذا القبيل وفي مقدمتها كلية الإسلام والعلوم الاجتماعية في فرجينيا. وفي حالات قليلة يتم وضع برامج تعاونية مع كليات المسيحية البروتستانتية ومنها مثلاً مجمع هارت فورد في كونكتيكت وكلية أصول الدين اللوثرية في شيكاغو من أجل تجميع الموارد اللازمة لتدريب قيادات للمسلمين. وبقدر ما زادت المهام المطلوبة من الأئمة، بقدر اتساع المجالات التي أصبح مطلوباً أن يتدرب عليها الأئمة تدريباً كافياً. فبالإضافة إلى معرفة اللغة العربية والقرآن وأسس الشريعة الإسلامية وأصول الدين والتاريخ، ينبغي أن يكون الأئمة على معرفة بأساليب الوعظ وقيادة الفعاليات اللازمة لدورة الحياة الإسلامية وعليهم أن يلموا بأسس الاهتمام الدعوى وإسداء المشورة وفهم بنود التمويل المتصل بإدارة شؤون المسجد فضلاً عن الدراية الفنية التي تتيح تنفيذ البرامج التعليمية الملائمة للأطفال والشباب والكبار. وبالإضافة إلى ذلك يُطلب من الأئمة في غالب الأحيان المشاركة في الأنشطة المجتمعية والحوار المشترك بين الأديان كما يلزمهم الإمام بأسلوب أداء وظائفهم ضمن هذه السياقات الأوسع نطاقاً. ومن ثم فلا يزال الطريق طويلاً أمام مسلمي أمريكا من أجل التصدي الكامل لمعظم هذه التحديات.

المراة

عبر العالم الإسلامي بأسره بدأ دور المراة فى البروز، بهدوء أحياناً وبصورة درامية أحياناً أخرى بوصفها من العناصر الرئيسية فى إدارة شئون فى المجتمعات الإسلامية التى تنتمى إليها. ورغم أن كثيراً من النساء ما زلن غير متعلّقات وغير عاملات (برغم أنهن يعملن ساعات طويلة فى أشغال غير مأجورة) وغير ملّقات بحقوقهن الإسلامية، فإن نساء أخريات أصبحن يتكلمن ويكتبن بفصاحة عن أدوارهن كمشاركات فى الجمعيات المسلمة الناشئة كما يطرحن تفسيرات جديدة ولافتة للنظر لمواد من القرآن والحديث التى طالما فهمت عبر العصور على أنها تعزل المراة عن المشاركة فى الحياة العامة. وتولى كثير من حركات الإحياء الإسلامى فى الخارج تشجيعها للمراة لى تطالب بحقوقها المشروع فى النشاط العام بين صفوف المجتمع كما تؤيد مشاركتها فى مجال السياسة وأمور الحكم فضلاً عن المجالات التى تتسم بطابع تقليدى أكثر كالتعليم والرعاية المنزلية.

وتتعرض النساء المسلمات في أمريكا لمؤثرات ناشئة عن جوانب شتى: فبعضهن اقتنعن بأن التقاليد المحافظة التي ربما نشأت في كنفها ما زالت توفر الفهم الأنسب للأسلوب الأمثل للسلوك وللأدوار التي ينبغي لهن أن يؤدينها. والبعض الآخر يستمعن ويتأثرن بعمق بالتفسيرات الجديدة المثيرة التي تأتي من مختلف أنحاء العالم الإسلامي ومن هؤلاء النساء أنفسهن من قدمن تلك التفسيرات في سياقات شتى قبل المجيء إلى أمريكا. وعليه ترتفع أصواتهن باستمرار في حوارات بشأن ما هو الأنسب والأجدر للمرأة المسلمة الأمريكية. ولا شك أن الحوارات التي تدور بين صفوف النساء الأمريكيات ممن يعرفن أنفسهن كنصيرات للحركة النسائية أو للمرأة تؤثر على الرجال والنساء بطرق شتى. وفيما تجد كثير من النساء المسلمات في أول الأمر أن خطاب الحركات النسائية هو خطاب نخبوي وعنصري وبعيد الصلة عن قضاياهن، فإن الأمر يشهد مزيداً من المحاولات الكثيرة التي تبذلها نساء مسلمات وغير مسلمات للمشاركة في الحوار الذي يدور بين الأطراف وينطوي على المزيد من الثراء الفكري والفائدة. أما المدى الذي يمكن أن تؤثر به بعض هذه الأصوات المختلفة أو جميعها على دور المرأة في الأمة الغربية فأمر بدأ في الظهور مؤخراً.

في الوقت نفسه فإن قيادة المنظمات القومية باتت تشجع النساء المسلمات اللاتي تلقين تعليماً مهنيًا واخترن البقاء في البيت إلى أن يكبر الأطفال بصورة كافية، على التماس الوسائل التي تتيح لآرائهن أن تصبح معروفة ولمساهماتهن في المجتمع المحيط أن تصبح بادية للعيان. وتشارك الكثيرات في أنشطة المساجد لا في البرامج التعليمية فحسب بل كثيراً ما ينخرطن في عضوية مجالس المساجد وفي سائر الهياكل الإشرافية. وتتطوع نساء للمساعدة في التعليم بالمدارس الحكومية التماساً لفرص لتعليم أبنائهن وكذلك تعليم الذين لا يعرفون سوى النذر اليسير سواء عن الإسلام أو عن مضمون العقائد والممارسات الإسلامية وعن فحوى المواسم والأعياد التي يجري الاحتفال بها. وكما رأينا فهناك أخريات ناشطات في برامج ما بعد المدرسة في المسجد ويقمن بتطوير أشكال من التعليم المنزلي لأبنائهن. ومن الأدوار المختلفة التي تؤديها نساء أمريكيات مسلمات ما ترد أمثلته في «السير الشخصية» وبقدر ما ينجح المسلمون في رسم معالم محددة لإسلام أمريكي متميز فإن المرأة سوف تسهم كثيراً في مثل هذا التعريف.

السياسة

حتى الآونة الأخيرة ظل الأمريكيون المسلمون في معظمهم بعيدًا عن المشاركة السياسية لعدد من الأسباب. فالمهاجرون القادمون من أقطار تشهد مشاركة سياسية ضئيلة أو غير فعالة يمكن أن يصعب عليهم أحيانًا أن يفهموا أن الأوضاع مختلفة في أمريكا. كما أن بعض المسلمين اقتنعوا أن الصوت الذي يدلون به أو المشاركة من جانبهم أمور لن تحدث فرقًا وهم يعتقدون أن السياسات الوطنية والدولية الأمريكية لن تفيد المسلمين في قليل أو كثير فيما شعر آخرون منهم بأن مشاركتهم في مضمار السياسة حرام بالفعل.

مع ذلك فهذا الوضع يتغير بصورة درامية إلى حد ما حيث يدرك المسلمون أنهم إذا ما نظموا صفوفهم فإن بوسعهم حق التمتع بنفوذ ملموس في السياسة الأمريكية. ويحال في هذا الصدد إلى آية «إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ» (الآية ١١ من سورة الرعد) دليلًا على ضرورة أن يستلم المسلمون زمام المبادرة من أجل إضفاء التغييرات المفيدة بأنفسهم. ومن هنا شرع البعض يتكلم عن سلبية المسلمين باعتبارهم مسئولين عن كثير من المشاكل التي تواجهها جماعتهم حاليًا. وفي مقال بعنوان «تقرير مصير المسلمين - حان الوقت» على سبيل المثال يتحدث طبيب باكستاني المسلمي لكي ينهضوا لآداء مسئولياتهم قائلا:

«لقد أصبح المسلمون في العالم بليون نسمة (عدد كبير منهم يعيشون فوق تلال من الموارد النفطية وغيرها من الموارد الطبيعية» إلا أن صوتنا ما زال أقرب ما يكون إلى الصمت المميت... وهكذا خسرنا الغابات من أجل الأشجار. ونحن ننشط كثيرًا لكي نختلف ونطلق الشعارات ويعوق بعضنا مسيرة الآخر سواء كان ذلك على مستوى الفرد أو مستوى الجماعة أو مستوى الدول... ويا قوم: ثمة أخبار جديدة، فإله يضمن رزق كل نفس وعليه فلسوف يأتيك نصيبك من الله سواء خرجت وكتببت رسائل إلى الصحف أو شاركت في مسيرات الاعتراض أو كتبت إلى ممثليك السياسيين أو رشحت نفسك لموقع جماهيري أو اخترت أن نكتفى بالقعود رهينة الخمول الفكرى بين جدران البيوت الفاخرة أو على متن السيارات الفارهة. فما الذى يقتضيه الأمر لكي نوقف مسلمي أمريكا من غفوتهم؟ وكيف

يتسنى لنا أن نعالج قصر النظر الجماعي الذي أصابنا؟ وما الذي نتخيله من معاناة أبنائنا بما يدفعنا إلى أن نتحول من مجرد متفرجين إلى حيث نكون مشاركين؟»^(٨).

وقد عقد في الآونة الأخيرة اجتماع وطني لتحالف المسلمين الأمريكيين وهو منظمة يافعة مكرسة لتنظيم صفوف المسلمين إلى حيث يشكلون كتلة تصويت رئيسية على المستوى القومي وكان موضوعه الرئيسي هو «كيف نصل إلى انتخاب ٢٠٠٠ أمريكي مسلم للمناصب العامة بحلول عام ٢٠٠٠». وكان تركيز الاجتماع على نحو ما انعكس في الكتابات الصادرة والمناقشات التي دارت ينصب على تهيئة مرشحين مسلمين لمجالس إدارات المدارس ومناصب المجالس البلدية وإدارة الحملات اللازمة لانتخاب رؤساء بلديات مسلمين وأعضاء برلمانات الولايات مع التخطيط لوجود مسلم في نهاية المطاف في المحكمة العليا الأمريكية. ويقول الدكتور أغا سعيد مؤسس التحالف الأمريكي المسلم وأمينه العام: «أعتقد أن بوسعنا أن نصبح قوة كبرى من حيث الدفع بالمسلمين إلى تسجيل أسمائهم كناخبين ومن ثم المشاركة في النظام السياسي الأمريكي وأخيرا لكي يصبحوا ناشطين فعالين في المضمار السياسي»^(٩). ولذلك فهو يصر على ضرورة أن تتجاوز نظرة المسلمين هوياتهم الثقافية كي يركزوا على الأرضية المشتركة التي تجمعهم كمسلمين. وتبذل بعض الجماعات جهودا ملموسة لتشجيع النساء المسلمات على الترشح للمناصب العامة. ومنذ منتصف عقد الثمانينيات ظهر عدد من لجان العمل السياسية (الباك) ومنها مثلا اللجنة التابعة للجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية (إسنا) مع إيلاء قدر كبير من الاهتمام لضرورة إعداد المزيد من الاختصاصيين العاملين على تشكيل لوبي إسلامي. ووصل الأمر إلى حد أن هناك من بات يسأل عما إذا كان من المهم إيجاد عصابة مستقلة من الناخبين المسلمين.

كما تعمل كثير من الجماعات المحلية على تشجيع المشاركة السياسية من خلال جهودها في تقديم المساعدة على تسجيل الناخبين وتشجيع المرشحين المسلمين على خوض الانتخابات من أجل المناصب العامة. وبلغ الأمر كذلك إلى اتخاذ مستشارين محنكين يسدون النصيحة إلى الناخبين في الحالات التي يبلغ فيها الحماس من حيث التأييد الجماهيري من جانب أعضاء المجتمع المسلم حدا من الغلو لدرجة أن يفضى إلى إحراج حقيقى لمرشح ما ومن ثم يحول دون انتحاده أو

انتخابها. وتدل التقديرات الراهنة على أن المسلمين في أمريكا منقسمون بصورة تكاد تكون متساوية بين الديمقراطيين والجمهوريين والمستقلين. وعلى المستوى السياسى بذلت جهود مركزة من أجل تنسيق المشورة التى تسدى إلى الناخبين المسلمين بشأن القضايا التى يطرحها المرشحون والمواقف التى يتخذونها. وتعمل لجنة تنسيق قومية تضم فى عضويتها ست منظمات بما فى ذلك المجلس الإسلامى الأمريكى ولجنة العمل السياسى ومنظمة «كير» من أجل تبادل ونشر المعلومات فى هذا الشأن كما قام وارث دين محمد وأعوانه بإنشاء ائتلاف الحكم الرشيد لتزويد الأمريكيين المسلمين بالرؤية السياسية. وقد أدت التغيرات التى أضفاها وارث الدين على عملية إدخال المسلمين فى زمرة الإسلام السنى، فضلاً عن شجبه سياسة جماعة «أمة الإسلام» التى كانت قد حثت أعضائها على عدم المشاركة فى نشاط المجتمع الأمريكى، إلى نتيجة مباشرة تمثلت فى اتساع مشاركة المسلمين فى الحياة السياسية على الصعيدين المحلى والوطنى. وتشهد السنوات القادمة مشروعاً يكفل أن يشارك المهاجرون والأفرو - أمريكيين فى الاضطلاع بأدوار رئيسية على المسرح السياسى الأمريكى.

ويتمحور تفكير الذين يدعون إلى توسيع آفاق المشاركة السياسية حول أهمية التأثير فى الأساليب التى سوف تتعامل بها السياسة الخارجية (الأمريكية) مع الأقطار الإسلامية فضلاً عن أثر هذه السياسات على الطريقة التى ينظر بها عامة الأمريكيين إلى عقيدة الإسلام. وعليه فإن الهدف الذى يعمل من أجله الكثيرون يتمثل فى مزيد من التعاون بين المسلمين الأمريكيين والمؤسسة السياسية الأمريكية. وفى هذا الصدد يقول أحد المعلقين «إن قيام شراكة بين المسلمين وبين الولايات المتحدة فى الداخل وفى الخارج أمر ينطوى على إمكانات هائلة تفيد الطرفين معاً. ورغم أن المرء قد يكنّ مزيداً من الاحترام للإمكانيات التى ينطوى عليها النظام الأمريكى فى معرض استجابته لمصالحه الوطنية بيد أن إعادة طرح الإسلام كعنصر من عناصر تحقيق المصلحة الأمريكية وليس كتهديد لها إنما يقع على عاتق المسلمين الأمريكيين»^(١٠).

وهناك أسئلة كثيرة تواجه الجماعة الإسلامية وهى تتطلع إلى مستقبلها القريب ومن ذلك مثلاً: كيف سيتغير المسلمون ومن ثم يتغير الإسلام الأمريكى

نفسه عندما تصبح الأجيال الثانی والثالث والرابع من المهاجرين أبعد أكثر وأكثر عن الجذور التي ينتمون إليها؟ فلم يعد باستطاعة الأمريكيين من غير المسلمين أن يتكلموا عن الإسلام بوصفه ديناً «أجنبياً وافذاً» ولا حتى بوصفه ديانة «شرقية». لقد أصبح الإسلام جزءاً من أمريكا وهامهم المسلمون يشكلون باطراد شريحة حيوية من سكانها. ويبقى السؤال أيضاً هو: إلى أي حد سيؤثر ذلك على التصورات الخارجية والداخلية للإسلام والمسلمين؟ وهل سيعتمد أغلبية المسلمين إلى تعريف أنفسهم بوصفهم أمريكيين أصبحوا بالصدفة مسلمين أو على أنهم مسلمون تصادف أن عاشوا في أمريكا؟ وما هو الفرق بين هذين التعريفين وما هو أثرهما في حياتهم العامة والخاصة؟ وهل سيحقق الإسلام في أمريكا هدفه المعلن بأن يصبح قوة سياسية يُعتمد بها؟ وهل من المرجح أن تتحسر مشاعر السخط والتحيّز الأمريكية تجاه الإسلام نتيجة توسع الصلات مع المسلمين وتطور فهم دينهم وممارساتهم؟ ومن الذي سيقفل تقديم الأصول المرجعية للمسلمين الأمريكيين وهم بسبيلهم باستمرار إلى التمكن من اختيار الاتجاه الذي يسرون فيه؟

ما زال السعي نحو قيام أمة أمريكية بمعزل عن الهويات العرقية - الاثنية التي كثيراً ما أدت إلى تقسيم وتشتت البشر بدلاً من توحيدهم، أمراً يحتل مكانة عالية على أجندة الكثير من مسلمي اليوم، بل هو يتسم بأهمية خاصة بالنسبة للشباب الذين سيصبحون القادة الجدد للجماعة. ولهذا فلسوف تكون العقود القادمة حاسمة باعتبار أن المسلمين في الولايات المتحدة وكندا سوف تتضح أمامهم الصورة بشأن أوضاعهم واحتياجاتهم وضرورة أن ينظموا صفوفهم لكي تسمع أصواتهم في غمار الادعاءات المتنافسة لمجتمع أمريكي متعدد الأعراق. وأياً كان تطور أنماط الحياة الدينية أو الاجتماعية أو الشخصية فمن الواضح أنه سيظل من واجب المسلمين أن تتجسد فيهم استمرارية القدوة التي يستمدونها من سيرة وإيمان النبي وجماعته فيما ينشأ كيان جديد له صفاته وسماته الخاصة - إسلام أمريكي بحق.

الحواشي

- ١- ماهر حتوت «طبيعة الخطاب الإسلامي في أمريكا»، ذي ميناريت (يناير ١٩٩٨).
- ٢- المهنيون المسلمون يجتمعون لمناقشة القضايا موضع الاهتمام المشترك، ذي ميناريت (مايو ١٩٩٦).
- ٣- الخدمات الاجتماعية للمسلمين تتخذ خطوة إلى الأمام، إسلاميك هورايزونز، (يوليه/أغسطس ١٩٩٦).
- ٤- وردت في حديث خاص مع المؤلفة في عام ١٩٩٨.
- ٥- عمر بن عبد الله «العيون تتابع مستقبل المعتنقين في أمريكا»، إسلاميك هورايزونز (مايو/يونيه ١٩٩٥).
- ٦- مكلود، الإسلام الأفرو - أمريكي.
- ٧- قُبلت للمؤلفة في يونيو ١٩٩٨.
- ٨- محجبين إسلام حسين «تقرير مصير المسلمين - حان وقتها!» واشنطن ريبورت أون ميدل إيست أفيرز (مايو/يونيه ١٩٩٨).
- ٩- ريتشارد كورتيس «الدكتور أغا سعيد: قائد دينامي لتوسيع تحالف المسلمين الأمريكيين ذي واشنطن ريبورت أون ميدل إيست أفيرز (ديسمبر ١٩٩٧).
- ١٠- المسلمون الأمريكيون/تشكيل سياسة الولايات المتحدة: شراكة جوهرية حان وقتها، ذي مسدج (ديسمبر ١٩٩٥).

ملاحح سير شخصية

مسلمون أمريكيون مرموقون

عرضت الفصول السابقة من الكتاب معلومات عن تاريخ الإسلام ومظاهره المختلفة في أمريكا بأسلوب سردي قدر الإمكان في محاولة ترمي لأن تعكس حياة الأفراد المسلمين حقيقة النطاق الواسع للخلفيات والاهتمامات والتفسيرات التي أسهمت وما زالت تسهم في رسم صورة الإسلام في الغرب. وفيما يلي نبذات من سير شخصية لاثني عشر فردًا من رجال ونساء لم يتسن الإسهاب في التطرق إليها في الفصول السابقة فيما تشهد سيرة حياتهم بمدى الإسهامات التي قدمها المسلمون للحياة في أمريكا: منهم مهاجرون ومنهم أفرو- أمريكيين ومنهم أنجلو- متحولين من ذكور وإناث ومنهم علماء ورياضيون وقادة دينيون ومنهم أحياء وراحلون. ولكنهم في مجموعهم يمثلون على نحو أو آخر شخصيات عامة كما أنهم أسهموا جميعًا في الجهود التي بذلت على مدار القرن العشرين لصياغة الإسلام الأمريكي والمشاركة في مسيرته.

الكسندر وب

قام هذا الصحفي الأبيض، ويدعى إلكسندر راسيل وب، بإنشاء أول مؤسسة إسلامية موثقة في نيويورك هي «الإخوان المسلمون الأمريكيون» في عام ١٨٩٣ كان وب من مواطني نيويورك وعُيِّن قنصلًا للولايات المتحدة في مانيلا بالفلبين في عام ١٨٨٧. وعكف لوقت طويل على التعمق في دراسة الأدبيات الدينية فكان أن شُغف أيضًا شُغف بالدين الإسلامي على نحو ما كان يمارسه المؤمنون به في الشرق. ويزعم أبناء الطائفة الأحمدية أن مراسلاته مع (زعيمهم) غلام أحمد في ثمانينيات القرن التاسع عشر هي المفتاح الذي أفضى إلى تحوله إلى دين الإسلام. والمهم أنه قرر نطق الشهادتين وبهما تحول من مذهب المشيخية المسيحية إلى الإسلام وأعقبه على الفور زوجته وأبناؤه. وقد سعى وب للحصول على دعم مالي من أجل نشر الإسلام في أمريكا الشمالية من المسلمين فيما وراء البحار وخاصة

من الهند والعربية السعودية. وبالإضافة إلى تأسيس أول دار إسلامية مسلمة للعبادة في أمريكا كان من أنشطته العديدة نشر جريدة على مدى عدة سنوات حملت عنوان «العالم الإسلامي» إضافة إلى تأليف عدد من الكتب التي قصد بها تقديم الإسلام إلى الأمريكيين مع إنشاء أول صحافة إسلامية في أمريكا وتمثيل الإسلام في المؤتمر البرلماني العالمي للأديان في شيكاغو المعقود في عام ١٨٩٣.

على أن مسجد مانهاتن الذي أنشأه وب كان عمره قصيراً فقد اشتجرت خلافت بين أعضائه وكان ذلك على حساب المؤسسة كلها وجاءت الانشقاقات الداخلية فتسربت إلى الصحف التي سارعت إلى النشر عن ادعاءات بشأن سوء الإدارة المالية من جانب وب الذي اعترف بأنه لم ينجح سوى في تأمين النذر اليسير من التمويل الدولي وخلص أخيراً إلى القول بأن جهوده لم تتجم عنها نتائج لها أي صفة دائمة على الثقافة الدينية في أمريكا. وبلغ الأمر أن نشرت جريدة نيويورك تايمز مقالا تحت عنوان «سقوط الإسلام في أمريكا» فكان بذلك الخاتمة الحقيقية لجهوده في أن يطرح ديانته على الجمهور الأمريكي. ومع هذا كله فقد كان وب رجلاً في غاية الجدية من حيث إخلاصه للإسلام ورغبته في نقل رسالته إلى مدينته التي ولد فيها وإلى بلده، ومن هنا فما زال المسلمون يوقرونه باعتباره رائد الدعوة أو النشاط التبشيري للدين الإسلامي إلى أمريكا البيضاء، وقد توفي وب في عام ١٩١٦.

بتي شاباز

زوجة، ومن ثم أرملة، الزعيم المحبوب والمثير للجدل مالكولم إكس التي لم تكن حياتها سهلة بأي وجه من الوجوه ففيما كانت تعلن كثيراً عن قناعاتها بأن مالكولم أحبها بحق هي وأبناؤهما الخمسة فقد اعترفت أيضاً بأن فترات غيابه الطويلة (رغم الرسائل والمكالمات الهاتفية) ومعاملته لها طبقاً للأنماط التقليدية من السيطرة الذكورية كانت أمراً صعباً في التعامل معه. وعندما أطلق الرصاص على مالكولم كانت بتي شاباز هي التي حمت بناتها بجسدها الحي. وثمة كاتب حاول واهماً أن يثنى عليها وقد جلست مرتدية السواد في الصف الثاني خلال جنازة مالكولم وقد أهدت بها الشرطة فأشار إليها على أنها «جاكلين كيندي سوداء». وقد

انتهت حياة بتى نفسها فى عام ١٩٩٧، ومرة أخرى جاءت النهاية وسط ظروف مأساوية عندما أصيبت بحروق من الدرجة الثالثة فى معظم جسدها بعد أن أشعل حفيدها النار فى السكن الذى كانا يعيشان فيه.

وكما هو مسجل فى دفاتر مكتب التحقيقات الفيدرالية، ففى عام ١٩٥٦، وكانت أيامها تعرف باسم بتى سوندرز، انضمت إلى معبد نيويورك السابع التابع لجماعة «أمة الإسلام» فأعيدت تسميتها لتصبح الأخت بتى إكس. ويكتب مالكولم فى سيرته الذاتية أنه لاحظها فقط لفترة بسيطة دون أن يعيرها أى اهتمام حقيقى وأنها ربما لم تكن حتى تدرك أنه كان يعرف هويتها. وقد وصف بتى على أنها فتاة طويلة القامة بشرتها أشد سوادا من بشرته وأنها من مواطنى ديترويت وكانت تعمل فى مدرسة تلميذ فى إحدى مستشفيات نيويورك وتلقى محاضرات عن الصحة الشخصية فى فصول دراسية للفتيات والنساء المسلمات. وعندما اكتشفت عائلة بتى أنها أصبحت مسلمة هددت بقطع إعانتها المالية التى كانت تقدمها من أجل دراستها. ويفيد مالكولم أنه ناقش إمكانية زواجهما مع إيلجا (إيليا) محمد وحصل على موافقته وبعد ستة أعوام من الإفراج عنه من السجن تزوج مالكولم بيتى وكان ذلك فى يناير من عام ١٩٥٨.

أما بتى نفسها فنقول إن مالكولم كان بارد الأعصاب بل وخشن الطباع فى فترة الخطوبة ولكن كان يستطيع أن يكون عطوفاً لين العريكة كزوج. وطبقاً لما نقول فقد أصبح يقدم العون ليعلمها كيف تحب كامراً وكيف تنهض بإخلاص بمسئولياتها كام. ومع ذلك فإن فرض سلطته عليها فى إطار الزواج ورغبته فى إظهارها قدوة للمسلمة الطيبة كان فيها ما يكفى لإغضاب بتى التى كادت فى واقع الأمر تتركه بعد مولد الثلاثة الأول من أبنائهما. واعترفت بأنها ارتضت أن تتقاسمه مع بقية الجماعة إلا أنه من جانبه كان ينزع إلى تملكها تماماً ومع ذلك فقد ظلت ذكرياتها عن مالكولم بشكل عام تصدر عن حب بل وامتنان. ثم أن بتى ظلت بعد وفاة مالكولم هى المصدر الذى عرفنا من خلاله الكثير عن الجوانب الشخصية الحميمة لزوجها وعن علاقته ومواقفه بالنسبة إلى إيلجا (إيليا) محمد.

وفى أعقاب وفاة مالكولم، سافرت بتى شاباز لأداء فريضة الحج إلى مكة

مقتفية أثر زوجها في رحلته وظلت تبعث برسائلها من هناك إلى أصدقائها في هارلم بشأن روعة مدينة الإسلام المكرمة فضلاً عن أجواء السكنية التي تخيم عليها. وعلى مدار السنوات أصبحت محاضرة له شعبيته وجمعت من حولها دائرة حميمة من الأصدقاء شملت كوريتا سكوت كنج^(*) والشاعرة مايا أنجيلو. وكان يلتمس النصيحة منها ساسة وحركيون ناشطون واختصاصيون في التعليم وغيرهم وكانت من جانبها تعلن أنها تتبع الإسلام السنّي فعلمت بناتها الست من مالمالكولم تعليمًا إسلاميًا وظلت تعمل من خلف الكواليس مع مسئولى الحكومة وممثلى مختلف التجمعات المسلمة في سبيل رفعة الإسلام.

في المستشفى الذي فارقت فيه الحياة أمضت معظم وقتها وهي تنصت إلى تسجيلات من المصحف المرتل. ونشرت جريدة الرسالة رثاءً لبتي شاباز اختتمته بقولها: «سينول أمرها كما سينول أمرنا جميعًا في نهاية المطاف إلى الله ولكن المسئولية في إسناد أمور الدعوة إلى أفراد أسرة شاباز تظل واجبًا دينيًا يتحمله الذين يستطيعون التعامل معهم ونسأل الله أن يهب الصبر للعائلة وأن يساعد الأمة على أن تواجه تحديات الحاضر»^(١).

إسماعيل ولياء الفاروقى

أصيبت الدوائر المسلمة والأكاديمية بصدمة عنيفة في أمريكا وانتابها الحزن العميق واستبد بها الغضب الشديد عندما جرى في ٢٤ مايو من عام ١٩٨٦ اغتيال إسماعيل الفاروقى وزوجته لمياء في منزلهما بولاية بنسلفانيا، بينما كانا يستعدان للاحتفال بعيد الفطر. تلاميذهما المسلمون كانا يطلقان عليهما وصف «ماما وبابا» بعد أن اضطلعوا بأدوار لها أهميتها الاستثنائية في تعليم شباب المسلمين ومساعدتهم على النضوج الفكرى والأخلاقى. ولذلك فقد حضر الجنازة قادة قوميون ودوليون فضلاً عن عدد كبير من زملائهما في المجال الأكاديمى الأمريكى.

إسماعيل الفاروقى، من مواليد يافا في فلسطين عام ١٩٢١ وينتمى إلى أسرة تجمع بين الدين والعلم. وبعد أن تلقى تعليمه العالى في الولايات المتحدة درس

(*) أرملة زعيم حركة الحقوق المدنية مارتن لوتر كنج «المترجم».

العلوم الإسلامية التراثية في الأزهر بالقاهرة فجمع بذلك بين علوم الغرب وعلوم الشرق. وأدى الوقت الذي قضاه في معهد ماك غيل للدراسات الإسلامية فضلاً عن تأثيره بالمناخ السياسي الذي نشأ في ظلّه، إلى تنمية اهتماماته بالتخصص في الاستعراب. وبالنسبة للفاروقى لم تكن الدراسات العربية مجرد انتماء قومى محدود بل كانت محوراً للوعى العربى بوصفه جزءاً من عالمية الإسلام. وبعد اتصاله برابطة الطلاب المسلمين في عام ١٩٦٥ وما بعده كرّس نفسه وأعماله بالذات إلى ما أطلق عليه وصف "أسلمة المعرفة" وإذ كان أحد مؤسسى رابطة علماء الاجتماع المسلمين ظل ملتزماً بإعادة فهم التفوق الذى تحقق فى ماضى الإسلام من أجل تسليط الضوء على المضمون الفكرى لمستقبله. ومن عام ١٩٦٨ وحتى وفاته عمل إسماعيل الفاروقى أستاذاً فى جامعة تمبل حيث أنشأ برنامجاً رئيسياً للدراسات العليا فى موضوع الإسلام والعلوم الاجتماعية.

كان الفاروقى واحداً من عدد قليل نسبياً من العلماء المسلمين الذين أولوا اهتماماً أكاديمياً جاداً بالمسيحية بعد أن أنجز دراسة شاملة عن الأخلاقيات المسيحية. وعلى مدى سنوات ظل مشاركاً فى نشاطات فكرية مسيحية-إسلامية. وظل يعمل بغير كلل من أجل نشر الدعوة الإسلامية بل كان أحياناً يقول بأن ميادين الأكاديمية الأمريكية كانت الساحة التى تنطلق منها أنشطته فى الدعوة والاتصال. وشارك كذلك فى تأسيس الكلية الإسلامية الأمريكية فى شيكاغو وبذل جهوداً واسعة النطاق لإنشاء المعهد الدولى للفكر الإسلامى فى هيرندون بولاية فرجينيا الذى كان مكرّساً لأسلمة العلوم الاجتماعية والطبيعية. وقبيل وفاته كان عاكفاً على التخطيط لافتتاح فروع للمعهد المذكور فى بلدان أخرى مسلمة وغير مسلمة.

لمياء الفاروقى كانت أستاذة فى الدراسات الإسلامية وخاصة فى مجالات الديانة والفن والموسيقى وهى أمريكية تحولت إلى الإسلام وتضلعت فى علوم اللغة العربية ثم سافرت عبر أقطار العالم الإسلامى كى تعلم وتلقى المحاضرات. وأصدرت نصوصاً تأسيسية عن المرأة فى الإسلام فأدانت التماذى فى الغلو فى الحركة النسائية الغربية وتبنت أمر التمييز بين الأدوار والمسئوليات المحددة بوضوح لكل من الرجال والنساء. كرّست لمياء حياتها لمساعدة المسلمين على

استعادة تراثهم الفنى والثقافى وبخاصة أولئك الذين يعيشون ضمن سياق غربى أو يخضعون لوطاة ضغوط التغريب. لقد عمل كل من إسماعيل ولمياء الفاروقى بقدر هائل من القوة والهمة والإخلاص من أجل إعداد الشباب المسلم للقيام بمهمة صياغة إسلام يجمع بين الحيوية والقدرة العملية على الحياة فى العالم المعاصر. ولذلك فإن فقدهما جاء مصاباً فادحاً للإسلام الأمريكى.

محمد على (كلاى)

فى صدارة الشخصيات العامة فى أمريكا ممن يقترن اسمهم بالإسلام الملاكم محمد على الذى وُجِّهت إليه اهتمامات الميديا الإعلامية أكثر من أى رياضى آخر فقد ظهر على غلاف مجلة المصور الرياضى (سبورتس إيلستراتد) أكثر من ثلاثين مرة كما أصبح اسمه ووجهه معروفين للناس فى جميع أنحاء العالم.

وُلِدَ محمد على باسم كاسيوس مارسيلوس كلاى فى عام ١٩٤٢ فى لويز فيل بولاية كنتاكي من أم معمدانية المذهب وأب من الكنيسة الميثودية. بدأ الملاكمة فى سن صغيرة لكى يتمكن من أن يشتري سيارة لوالديه، وعندما كان فى عشرينيات العمر اعتبره الكثيرون أعظم ملاكم على مر الزمان، وبعد أن فاز فى أولمبياد روما فى عام ١٩٦٠ أصبح معبود الجماهير الأمريكية إذ كان أنيقاً جذاباً وناجحاً بشكل مرموق. وفى عام ١٩٦٣ سجّل ألبوماً عمد فيه إلى الإشادة بمزاياه الشخصية («أنا الأعظم») وكانت تلك قفزة جلبت له المزيد من الشهرة وإن جلبت عليه بعض السخرية.

وقبل ثمانية عشر يوماً من هزيمته سونى ليستون ليصبح بعد ذلك بطل العالم فى الوزن الثقيل، كان كلاى قد انضم إلى جماعة «المسلمون السود» تحت تأثير مالكولم إكس. وبعد تحوله إلى الإسلام بدا للعيان وكأنه تغيّر، فقد خفف من غلواء تباهيه بشأن ما حققه من إنجازات مؤكداً بدلاً من ذلك على أهمية الإسلام بوصفه قوة روحية فى حياته. وظل مصراً على أن أهم ما حدث فى حياته هو اتخاذه الاسم الإسلامى محمد على. مع ذلك فقد فعل هذا كله فى وقت لم تكن فيه جماعة «أمة الإسلام» محبوبة فى الولايات المتحدة الأمر الذى اشتعل معه غضب

لجنة الملائكة. ومن موقع البطل سرعان ما أصبح محمد على موضع الاشتباه. وفي الوقت نفسه، وعندما وقعت حالة الانشقاق في صفوف «أمة الإسلام» بين إيجا محمد ومالكولم إكس، انحاز محمد على إلى صف إيجا وكان ذلك مدعاة لخيبة أمل عميقة وأحاسيس مجروحة ألتم بصديقه مالكولم إكس. ذلك لأن محمد على كان يعتقد بأن إيجا (إيليا) هو رسول الله. وفي عام ١٩٦٧ ومن منطلق معارضته لحزب فيتنام رفض محمد على التجنيد في صفوف القوات المسلحة على أساس أنه واعظ في دين الإسلام وما كان من لجنة ولاية نيويورك الرياضية إلا أن ألغت رخصة الملائكة الخاصة به بل وسحبت اعترافها ببطولته.

ولقد اتسمت الحياة المهنية لمحمد على فيما بعد بالتفاوت الشديد بين النجاح والإخفاق وإن كان ثمة اعتراف عام بأنه ظل يقاتل حتى بعد المرحلة التي كانت تسمح بها حالته الجسدية فقد انتهى الأمر إلى التشخيص بإصابته بمرض باركنسون الرعاش. في الوقت نفسه كان قد ظهر في مناسبات كثيرة ليتكلم أمام الجمهور عن حياته وعن الإسلام بينما كانت الحكومة ممعنة في مراقبته كعضو في جماعة «أمة الإسلام». ورغم أنه لم يكن يوماً ما داعية متحمساً للمبادئ العنصرية للجماعة إلا أنه ظل يبشر بالاعتزاز العرقي فأصبح بطل الأمريكان السود. ما زال محمد على حتى اليوم يمارس شعائر الإسلام ويعير اسمه لتوزيع المواد التعليمية الإسلامية وكان مساهماً كبيراً في تمويل مؤسسات إسلامية مثل مسجد الفاطر وهو أول مسجد يُبنى من أوله إلى آخره في مدينة شيكاغو كما أنه يصلي خمس مرات في اليوم ويرى أن هذا ينظف عقله بقدر ما أن الاغتسال يصفى بدنه ويقول إن عظماء التاريخ الحقيقيين لا يريدون أن يكونوا عظماء في حد ذاتهم بل إنهم عظماء بقدر مساعدتهم للغير وبقدر قربهم من الله.

محمود مصطفى أيوب الفقيه

تعود المشاركون في الدورات التي تعقد عن الإسلام في الأكاديمية الأمريكية للديانات وغيرها من التجمعات الأكاديمية والمهنية ولوقت طويل على متابعة مساهمات واحد من أكثر أعضاء الأكاديمية دقة وبلاغة وهو محمود أيوب. لقد ظل محمود أيوب وهو مثقف أوتي قدراً كبيراً من الموهبة الرفيعة والتقوى الشخصية

العميقة صوتاً من أصوات النزاهة العلمية والتقدير والفهم المتعاطف على مدى حياته الفكرية. وُلد في أسرة من المزارعين الفقراء في عين قانا بجنوب لبنان وانتظم في سلك أكاديمي شمل الدراسة في جامعة بيروت الأمريكية وفي جامعة بنسلفانيا ثم جامعة هارفارد. وتعالج رسالته للدكتوراه التي نشرت بعنوان «مكابدة الخلاص في الإسلام» معنى دلالة استشهاد الإمام الحسين ومعنى الحياة والتقوى عند الشيعة، فضلاً عن معاناته الشخصية نظراً لفقر عائلته وكف بصره إذ كان طفلاً بسبب الإصابة بمرض الجلوكوما كما تشمل أعماله العلمية العديدة تفسيراً ضافياً للقرآن وعدداً كبيراً من المقالات عن العلاقات بين المسيحيين والمسلمين.

ويبدو أن الاهتمام بالعلاقات بين الأديان جاء نتيجة شخصية من نتائج خلفية أيوب وتعليمه، فهو ينحدر من أسرة شيعية أرسلته إلى مدرسة تبشير بريطانية تابعة للكنيسة المشيخية حيث تعلم أسس حياة التكريس المسيحية. وبهذا فقد نشأ وترعرع في ظل بيئة مسلمة ومسيحية. ومن بواكير حياته كان محمد أيوب يبدى تقديراً عميقاً للتنوع الديني ويقول «لقد ترعرعت في لبنان حيث صوت المؤمن وجرس الكنيسة يمكن سماعهما معاً وهما يدعوان المؤمنين إلى الله. وفضلاً عن ذلك فهناك الوجدان الشيعي الذي يقوم على المعاناة والشهادة على النحو الذي تعبّر عنه الشعائر والطقوس الدينية المحركة للمشاعر وقد تعرّضت لها من سن صغيرة للغاية ومن ثم ظلت متدينا على الدوام^(٢)» ويشهد أيضاً بأن الفترة التي قضاها في جمعية الأصدقاء في كلية تابعة لمذهب الكويكر بإنجلترا ساعدته على إعادة اكتشاف جذوره الإسلامية. ومن خلال دراساته وتأملاته فيما يراه بأنه التراث الروحي الحافل للإسلام والمسيحية فقد نمت بين جوانح محمود أيوب صلة خاصة نسبته إلى الصوفية وحياة الزهاد.

عمل محمد أيوب أستاذاً في الدراسات الإسلامية في جامعة تمبل منذ عام ١٩٨٨ وظل يواصل رسالته في تقديم الإسلام إلى طلابه وإلى سائر مستمعيه في أشد أشكاله وضوحاً وأيسرها فهماً. وهو يساهم بانتظام في الحوارات النشطة المشتركة بين الأديان واصفاً نفسه، لا على أنه ينتمي إلى مدرسة شرعية أو دينية بعينها من مدارس الفكر بل على أنه إنسان يحاول أن يتمثل التراث الإسلامي بوصفه أستاذاً عالمًا وباحثاً روحياً في وقت واحد. ويستشهد أيوب بما عمد إليه

القرآن من تشجيع البشر على أن يتنافسوا في الخيرات وكذلك بما أكده العهد الجديد بأننا رغم إطلاقتنا من عدسة معتمة إلا أن الناس سوف يعرفون الحق في يوم من الأيام والحق يحرر المؤمنين.

الإمام سراج وهّاج

الإمام سراج وهّاج شخصية مسلمة بارزة على مسرح الحياة العامة اليوم وهو قائد الجماعة في مسجد التقوى في بروكلين، نيويورك كما أنه نائب رئيس الجمعية الإسلامية في أمريكا الشمالية ونائب رئيس مجلس الشورى في نيويورك. ويقوم الإمام سراج برحلات كثيرة حول العالم يخاطب فيها المسلمين وسائر الجماعات ليتناول طائفة واسعة من القضايا ولكن من منظور إسلامي. الإمام في الأصل كان مسيحياً معمدانياً ولكنه أصبح مسلماً منذ أواخر عقد الستينيات وهو خطيب متحمس للغاية يعرف كيف يشعل حماس الجماهير ولا يتردد قط في أن يحدد ما يراه من علل تصيب حالياً المجتمع الأمريكي فضلاً عن طرح الحلول التي يقدمها الإسلام سواء كنظام اجتماعي أو كمجموعة من المعتقدات الدينية. ويدّعي كذلك بانتظام لكي يتكلم في الاجتماعات القومية للمنظمات الإسلامية حيث يتمتع بشعبية خاصة في صفوف الشباب. وفي مؤتمر صيفي عُقد مؤخراً في منظمة الشباب المسلم في أمريكا الشمالية ألقى كلمة في أكثر من ٨٠٠ من شباب الجنسين فشجعهم على أن يتذكروا أن الوقت يتحرك بإيقاع «تَك تَك» طارحاً السؤال هل أنتم على استعداد للموت؟ ومؤكداً لهم أن عليهم أن يعتزوا بكل لحظة تنقضي من العمر لأنها هبة من الله وأن علينا أن نعيش حياتنا من منطلق الوعي بأن الزمن يمضي لأننا لا نعرف متى نموت ولكننا مسئولون عما نفعل وسوف يحاسبنا الله^(٣).

ومن الأنشطة المحلية العديدة التي يمارسها الإمام سراج برنامج فعال يتصدر حملة مناهضة للمخدرات في مدينة نيويورك وقد أفضت الحملة إلى إغلاق نحو ١٥ من بؤر تعاطي المخدرات. وفي عام ١٩٩١ كان سراج وهّاج أول مسلم يدّعي ليؤدي دعاء الابتهاال في الدورة الافتتاحية للكونجرس في واشنطن العاصمة. وقبل ذلك كان الأمر يقتصر على الصلوات المسيحية واليهودية فقط وهذه المناسبة مهدت الطريق لدعوات وجهت إلى مسلمين آخرين برغم أن عددهم ما زال محدوداً لكي يشاركوا بصورة أكثر نشاطاً في الشؤون العامة.

سيد حسين نصر

ربما لا يوجد مسلم آخر من المقيمين في أمريكا توجه إليه الدعوة باستمرار ممثلاً عن الإسلام ومفسراً له أمام الجمهور العام بأكثر مما يدعى سيد حسين نصر، أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة جورج واشنطن في العاصمة واشنطن. من مواليد طهران بإيران وهو شيعي يتكلم باسم وحدة الإسلام وتكامل مذاهبه ومدارسه السلفية. كما أنه نموذج للمثقف الشامل حيث بدأ تعليمه الكلاسيكي الواسع بدراسة الجيولوجيا والفيزياء ثم تحول إلى دراسة الفلسفة الشرقية والغربية وتاريخ العلوم البحتة وعلم الاجتماع وأصول الديانة الإسلامية والمسيحية التاريخية والمعاصرة ثم تطور حركة الزهد الإسلامي والجوانب الروحية والفنية والثقافية. وبعد إنهاء تعليمه في الغرب عاد سيد نصر إلى إيران ليدرس في جامعة طهران وكان مديراً للأكاديمية الإيرانية الإمبراطورية للفلسفة عندما قامت الثورة في عام ١٩٧٩ وبعدها اضطر إلى الفرار من البلد. ويكمن خلف تعاليم وكتابات حسين نصر الموضوع المحوري الذي يقول بأن العالم الحديث، ولا سيما الغرب، لم يعد يفهم ولا يقدر ما يصفه بأنه «المقدس». وهو يكتب قائلاً «إن الإنسان حتى وهو يعيش في هذا العالم قادر على أن يتحول إلى الشاطئ الآخر من الوجود وأن يتخذ موقفاً في عالم المقدس كي يشاهد الطبيعة ذاتها وهي مفعمة بالجلال»^(١)، وهو معارض صلب للأيديولوجيات المعاصرة مثل الحداثة والعقلانية والعلمانية والمادية إذ يرى في المبادئ الخالدة للإسلام المتعارف عليه أفضل علاج ناجع. وما محاولته لتشجيع التكامل بين العلم والفلسفة والفن، وهو ما يعتقد أنه من أعظم إنجازات الإسلام التراثي، إلا انعكاس لقناعته بأن الوحدة المركزية لجميع الأشياء تتجلى في وحدانية الله. ومن المشاكل المعاصرة مثل الكوارث البيئية ما يعزوه إلى ضياع العلوم المقدسة حيث العلاقة قائمة بين الأرضي والسمائي وحيث يتألف التاريخ البشري والإلهي. ويعارض سيد حسين نصر معارضة شديدة قيام ما يسمى في الغرب باسم الأصولية الإسلامية ويرى فيها تكراراً نمطياً خطيراً لبعض الأخطاء التي سبق إلى ارتكابها الغرب الحديث. وهو يشارك بكل جدية في حوار

مع أفراد ينتمون إلى مذاهب دينية شتى داعياً البشر جميعاً إلى العودة إلى ما يشكل أعمق الجوانب الروحية في عقائدهم. كما يُسَلِّم بأن وجود المسلم في أمريكا اليوم مسألة تتطوى على تحدٍّ خاص لأن المسلمين مقطوعو الصلة مع تاريخهم الإسلامي ومع تراثهم وثقافتهم. ويكرّس سيد حسين نصر جهوده للعمل من أجل الإثراء الروحي لجميع المسلمين المقيمين في الغرب من خلال مساعدتهم على الارتباط بتراثهم والمصادر الروحية التي توحد صفوفهم على نحو ما هو قائم في الفنون والعلوم والمذاهب الفلسفية للإسلام الحنيف.

كريم عبد الجبار

كريم عبد الجبار يعد في نظر كثير من عشاق الرياضة البدنية أعظم لاعب كرة سلة على مر التاريخ بعد أن حظى بالتصويت ٦ مرات في الرابطة القومية لكرة السلة على أنه أكبر اللاعبين من ناحية القيمة، وهو أيضاً واحد من أشهر المسلمين على الساحة الأمريكية العامة. هذا اللاعب الطويل القامة (٧,٢ قدماً) مولود في أعالي هارلم باسم «فرديناند لويس السندور» وقد أصبح نجماً لجامعة كاليفورنيا في لوس أنجيلوس بعد التحاقه بالرابطة القومية لكرة السلة من خلال فريق بلووكي بكس في عام ١٩٦٩ وبعدها تحول السندور إلى فريق لوس أنجيلوس ليكرز. وقد بلغ من سيطرته على مجال كرة السلة في الجامعات لدرجة أن طريقة «غمر» الكرة التي كان يتفوق بها مُنعت رسمياً من المباريات الرياضية بين الكليات. وأدى ذلك إلى أن طوّر «لو السندور» الرمية التي ذاعت بفضلها شهرته الشخصية والمعروفة باسم خطاف السماء «سكاي هوك» التي وُصفت بأنها الرمية التي غيرت مجرى كرة السلة، وبفضلها استطاع أن يسجل أكثر من ٣٨٠٠٠ نقطة في موسم الدوري لرابطة كرة السلة القومية وعندما كسبت ملووكي لقب الرابطة في موسم ١٩٧٠/١٩٧١، كان السندور الذي أصبح وقتها كريم عبد الجبار هو ملك «الباسكت بول» المتوّج.

ليو السندور تلقى تعاليم إسلامه أولاً على يد حمّاس عبد الخالص^(*) وهو

(*) يرجى الإحالة إلى ملاحظتنا السابقة بشأن «العبد الخالص». «المترجم».

عازف إيقاع سابق في موسيقى الجاز ومؤسس المذهب الحنفى فى واشنطن العاصمة. وطبقا لشهادته الشخصية فقد نشأ على أن يأخذ السلطة على محمل الجد سواء كانت سلطة الراهبات أو المدرسين أو المدربين. وفى جهاده الروحى اتبع تعاليم عبد الخالص اتباعا وثيقا وهو الذى خلق على "السندور" اسم عبد الكريم الذى ما لبث أن غيره إلى كريم عبد الجبار بمعناه الذى يفيد النبالة وأنه عبد الله الجبار. ومع ذلك فما أسرع ما قرر أن يزيد على تعاليم عبد الخالص بعكوفه شخصيا على دراسة القرآن ومن أجله عكف على تعلم أسس اللغة العربية. وفى عام ١٩٧٣ سافر إلى ليبيا والعربية السعودية لى يستوعب اللغة بصورة أفضل ويتعلم عن الإسلام فى بعض سياقاته "الأصلية". لم يكن عبد الجبار مهتما بأن تصدر عنه التصريحات بشأن إسلامه على نحو ما فعل محمد على كلاى فى إطار معارضته حرب فيتنام بل كان قصارى ما يرغب فيه عبد الجبار هو أن يعرف نفسه بهدوء بوصفه أفرو- أمريكى ومسلما أيضا. ومن ثم نكر بوضوح أن اسم "السندور" الذى كان يحمله هو اسم لعبد أو أنه حرفيا هو جلاب العبيد الذى جاء بأسرته من غرب أفريقيا إلى دومينيكا ومنها إلى ترينيداد حيث نقلوهم بعد ذلك إلى أمريكا.

وكعضو فى المذهب الحنفى، يؤكد كريم عبد الجبار هويته كمسلم سننى برغم أنه لم يعرف عنه قط أن كان مغاليا فى ممارسته للدين. ولأنه فى حال من الترحال المستمر، ولأن الألعاب والتدريبات كثيرا ما تتم خلال أوقات الصلاة المقررة فلم يلزم نفسه بدقة لى يودى الصلوات الخمس فى مواعيدها. وهو يعرب عن إيمان عميق بما يسميه الكيان الأسمى مع وضوحه فى فهم أن محمدا هو نبي الله وأن القرآن هو وحى من عند الله. وإذ يعارض ما حمله عليه أبوه من دفعه إلى العقيدة الكاثوليكية فهو يصر على أن يظل لأبنائه الحرية فى اتخاذ ما يرونه من قرارات خاصة بهم (وأبناؤه بالمناسبة من أم بوذية).

وفى عام ١٩٩٨ عادت الأضواء لتسلط على كريم من جديد وفى هذه المرة لم تكن من أجل مهاراته فى كرة السلة ولكن عندما ظهر فى إعلان عن مشروب البيرة ويومها قال: لم أجد أى مشكلة فى هذا الصدد لقد أكدنا أنهم يفهمون أننى لا أشرب. والشركة تعرف أننى اتخذت موقفا علنيا ضد تناول المشروبات الروحية

وأعتقد أن الإعلان تم إعداده بأناقة^(٥). بيد أنه ما لبث أن قدم اعتذاره بعد حوار مع أعضاء مجلس الشئون العامة الإسلامية عن أى إحراج يمكن أن يكون قد سببه للجماعة المسلمة. ومن جانبه فإن كريم يتقبل مسئوليته عن سلوك حياة إسلامية قوية قدر الإمكان على أن تكون حياة تتيح فى بعض الأحيان تطويع الدين للمتطلبات التى تقتضيها مهنة رياضى فى أمريكا.

لا لا بختيار

هناك كتاب بعنوان «ملائكة فى طور النشوء» ويتعلق بسبع نساء أمريكيات انضممن إلى الحركة الصوفية المتنامية وانخرطن من ثم فى سلك الطريقة النقشبندية الصوفية الرائجة شعبيا. مؤلفة الكتاب هى لا لا بختيار وهى تعمل فى دار نشر القاضى الإسلامية بشارع بلمونت فى شيكاغو وفى كتابها تصف بختيار هؤلاء النساء اللاتى اخترن طريق التصوف وتناول إيضاح أن النواحي السيكولوجية المتاحة من خلال أساليب الإسلام السلفى فى الاستجابة إزاء المشاكل هى بديل عملى عن الطرق الحديثة للعلاج النفسانى. وهذا المجلد، ومثله كثير كتبه لا لا بختيار، يصور قناعتها بأن تشديد الإسلام السلفى على الأخلاقيات والاستقامة السلوكية أمر أساسى تقتضيه سلامة الصحة العقلية للإنسان.

درست الفلسفة وتخصصت فى الدراسات الدينية وعلم النفس وهى تصف أعمالها بأنها أقرب إلى بحوث عالم الآثار فى كلاسيكيات العصور الوسطى. أما اكتشافها فكان عبارة عن نظام رائع لعلم النفس يتخذ جذوره فى الفكر اليهودى - المسيحى - الإسلامى فضلاً عن الفكر اليونانى. وهى تؤكد أنه بدلاً مما تصفه بأنه الجهود العقيمة إلى حد ما المبذولة فى عالم اللاهوت يمكن أن نجد فى علم النفس ما هو مشترك من حيث البصيرة والفهم. وقد أنجزت مؤخراً عملاً فى ثلاثة مجلدات تشرح فيه علم النفس التقليدى والأصول الإسلامية/الصوفية لتغيير المعانى من خلال عمليات القلب والإبدال. وعلى أساس هذا البحث فهى تعمل لوضع استبيان ذاتى يتم تقديمه إلى عدد من المجامع فى محاولة لإيجاد الأرضيات المشتركة استناداً إلى معرفة الناس لذواتهم. وفى الفترة الحالية تسدى لا لا بختيار مشورتها إلى المراهقين المسلمين باستخدام علم النفس المتعارف عليه على أساس

التحليل النفسى وهى ترى أنه فيما تظل الفتيات والشابات منفتحات عادةً إزاء هذه الطريقة إلا أنهم يصادفون مقاومة فى غالب الأحيان من جانب الآباء الذين تربوا فى ظل نظام تراه لا يتناسب ببساطة مع أمريكا. وتصف بختيار أحد أهدافها الأساسية التى تقوم من أجله بالتدريس وإلقاء المحاضرات والكتابة وهو تدريب وتنقيف الاستشاريين المسلمين فى مجال علم النفس المتعارف عليه. وفى عمودها الاستشارى الشهرى المنشور فى المجلة الإسلامية تساعد النساء والفتيات على التعامل مع ما قد يصادفهن من مشاكل فى واقع الحياة. وفى معرض ردها على زوجة بلغ زوجها من البخل والتقتير مبلغاً تجده هى وأبناؤها أمراً من الصعب التعايش معه تقول «ينبغي لك محاولة مساعدته على أن يلمس بنفسه هذه الرذيلة التى يتصف بها ومدى تأثيرها عليك وعلى أبنائك. ساعديه على أن يتعلم العطاء وامدحيه عندما يفعل ذلك فإذا ما وصل إلى فهم الجهاد الأكبر فلسوف يتعلم أن عليه التغلب على نزعة التقتير هذه لأنها تتبع من شعور الأنا عنده وليست طبيعته التى فطره الله عليها^(١)» ولأن لالا بختيار سيدة مسلمة نشأت فى الغرب فهى تحدد قضيتين أساسيتين تواجهان المسلمين الذين يعيشون فى أمريكا: أن يتعلموا كيف ينجحون فى أداء دور الوالدين لأبنائهما وفى ثقافتهما ثم يتواصلان باستمرار مع تراثهما الإسلامى بينما يعملان فى الوقت نفسه على اتخاذ هوية أمريكية. وهى تلمح فسحة واسعة من الأمل فى جيل البالغين الشباب ولا سيما الذين استطاعوا أن يواصلوا حياتهم فى ظل نظام للوالدية كثيراً ما كان بعيد عن التلاؤم مع الثقافة الأمريكية الراهنة. وفى هذا المجال تقول إن الفصيل هنا هو أن نتصور كيف تسنى لهم أن يصبحوا أعضاء فعالين فى هذا المجتمع دون أن يفقدوا تماماً ارتباطهم الوثيق بجذورهم الإسلامية. كما أنها تخشى أن ضياع هذه الصلة لن يكون من آثاره سوى أن يظل وسواساً يلح على أئمة الأمريكيين المسلمين فى الأجيال التالية.

مُزْمَل هـ. صَدِيقِي

من الشخصيات البارزة على ساحة المشهد الإسلامى فى أمريكا اليوم مُزْمَل صَدِيقِي مدير الجمعية الإسلامية فى مقاطعة أورانج بمنطقة جاردن جروف بكاليفورنيا.

هو عضو في مجلس الفقه بأمريكا الشمالية ومن مؤسسي مجلس المساجد بالولايات المتحدة وكندا. ومن ثم فـصديقي مفكر مسلم معني بعمق- بمساعدة المسلمين على أن يعيشوا حياتهم بكل معنى الكلمة في أمريكا. وكان برنامجـه الأسبوعي الديني المذاع بالراديو بيت من بـاسادينا منذ عام ١٩٨٢. وللسيد صديقي حضور بارز على الساحة الإسلامية الدولية فهو عضو في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية في مصر والمسجد الأعلى للمساجد في مكة بالمملكة العربية السعودية. في عام ١٩٤٣ وُلِدَ مُزْمَل صديقي في الهند وتعلم في جامعة عليكرة الإسلامية ودار العلوم نواة العلماء في لوكو بالهند كما حصل على درجات علمية من الجامعة الإسلامية بالمدينة في المملكة العربية السعودية وجامعة برمنجهام في إنجلترا كما أنه يحمل درجة الدكتوراه في الدين المقارن من جامعة هارفارد. وخلال حياته المهنية ظل صديقي نموذجا للمسلم الناشط حركيا الذي يعمل مع المنظمات الإسلامية على الصعيد الوطني والصعيد الدولي على السواء وقد ترأس لجنة الشئون الدينية في رابطة الطلبة المسلمين وعمل رئيسا لقسم الشئون الدينية في مكتب رابطة العالم الإسلامي وكان مديرا للمركز الإسلامي في واشنطن العاصمة. وفي عام ١٩٩٧ انتخب رئيسا للجمعية الإسلامية في أمريكا الشمالية (إسنا) وتتوازن هذه المشاركات المهنية مع أنشطة أكاديمية ملموسة بما في ذلك إلقاء المحاضرات في الجامعات والمؤسسات في أنحاء شتى من العالم وتدريس مقررات في جامعات عدة وهو الآن أستاذ مشارك في جامعة ولاية كاليفورنيا.

إن مُزْمَل صديقي يجسد نموذجا على اهتمام عميق بالحوار والشراكة بين الأديان وقد شارك في اجتماعات وحلقات دراسية سواء على المستوى القومي أو في مجلس الكنائس العالمي والمجلس القومي للمسيحيين واليهود بالولايات المتحدة الأمريكية (الذي يعرف الآن ببساطة بأنه المجلس القومي آية على تحوله ليشمل مسلمين في كثير من أنشطته). وهو يعمل كذلك نائبا لرئيس أكاديمية الدراسات اليهودية-المسيحية والإسلامية في كاليفورنيا كما شارك في أكثر من مائتي مناسبة حوارية مع زملاء مسيحيين ويهود.

أمنية ودود(*)

مشاهدو فيلم وثائقي عن الإسلام بعنوان «الجنة تحت أقدام الأمهات» قد يروعه التفسير البليغ لدور المرأة في الإسلام الذي تقدمه أمينة ودود، الأستاذة بجامعة كومنولث فيرجينيا في ريتشموند. فعلى مدى عدد من السنوات أخذت البروفيسور ودود على عاتقها مسئولية أن تتقاسم مع الأمريكيين الآخرين فهمها للإسلام وللفرص الخاصة التي يتيحها للمرأة لكي تصبح مشاركا مبدعا في الحياة الدينية والاجتماعية. وهي إذ تتمتع بعضوية مجلس المستشارين في لجنة المحاميات المسلمات لحقوق الإنسان (كرامة) إلا أنها تكرر وقتا لا يستهان به للنهوض بالدعوة الاجتماعية في المجتمعات الغربية وغيرها وبخاصة من أجل حقوق المرأة. ولقد ألقت محاضرات في شتى أنحاء العالم عن المرأة في الإسلام بصفة عامة وعن المرأة الأفرو- أمريكية المسلمة بصفة خاصة إضافة إلى موضوع عن الجوانب الروحية والحركة النسائية من منظور إسلامي.

وعلى مدار سنوات ثلاث واصلت أمينة ودود التدريس في الجامعة الإسلامية الدولية في كوالالمبور، ماليزيا، حيث أصبحت عضواً في جماعة «الأخوات المسلمات» وهي جماعة نسائية غير حكومية صغيرة معنية بالبحوث والدراسات وتضم نساء مهنيات يمثلن عددا كبيرا من المهن المختلفة. وتقول إن هذه التجربة ساعدتها على أن تفكر بصورة عملية في مفاهيم من قبيل «العدالة» و «التغيير الاجتماعي» وما تعنيه تلك المفاهيم في واقع الأمر. ومن التجارب المختلفة في مجال المنظمات غير الحكومية التي اكتسبتها أمينة فهي تؤكد هذا الأمر على أنه الأهم عما عداه («إنه محك الاختبار لجميع المجالات الأخرى») لكنها وغيرها من النساء لم يقتصر دورهن على مناقشة إستراتيجيات التغيير بل تعدى ذلك إلى حيث التفكير عمليا في إمكانية أن تؤدي هذه الإستراتيجيات في الواقع إلى حدوث فرق في حياة المرأة. وفي ضوء ما لاحظته من زيادة كبيرة في عدد المنظمات الإسلامية بالولايات المتحدة يساورها القلق عندما تنجح هذه المنظمات إلى أن تنحصر ضمن الأطر الإقليمية دون أن يتبلور لديها الوعي بأهمية اتباع أجندة

(*) ذاع اسمها على الصعيدين الإسلامي والعالمي عندما قامت بإمامة صلاة الجمعة في نيويورك في منتصف مارس/آذار ٢٠٠٥ «انترجم».

تشمل الولايات المتحدة على اتساعها وأحيانا تنقسم تلك المنظمات بتسلسل هرمى فى هيكلها وقد يصدق هذا حتى على الجماعات النسائية. ولذلك فهى تواصل التفكير فى كيفية جعل تجربتها الماليزية منطبقة ضمن السياق الأمريكى مؤكدة باستمرار على أهمية التفكير عالميا والتففيذ محليا.

وعليه، فهى تواصل بحوثها وكتاباتها وخاصة بشأن المرأة والمفاهيم الجديدة للأسرة. وتستمر أحاديثها فى إطار طائفة واسعة من السياقات. وربما يكون أفضل مساهمة من جانبها إلى الإسلام الأمريكى ما يتمثل فى حياتها ذاتها التى تمثل ما يعنيه أن يكون للمرء هوية إسلامية وتقول ودود «أعتقد أن ثمة «إسلاماً» موجوداً فى كل نوع من أنواع النشاط. وما هو مهم بالنسبة لهويتى كمسلمة ينطبق على أى شيء يضعه الله فى طريقى: ما بين غسل الثياب إلى السفر إلى النوم إلى الكتابة»^(٧) كما أنها تعتقد أن من أهم القضايا التى تواجه المسلمين الأمريكيين اليوم قضية تحقيق الوحدة ككيان يتسم بوضع الأقلية وهذا يعنى التجانس الداخلى والتطور المؤسسى بما من شأنه تيسير النمو والتطور كجماعة بما فى ذلك المدارس والمساجد والرابطات والخدمات الاجتماعية التى تقدم على الصعيدين المحلى والقومى. والمهم هو التركيز على إرساء قاعدة أخلاقية قوية يبشر بها القرآن مع إيلاء الاعتبار الدقيق لتطبيق السنة فى العالم المعاصر. كما ترحب أمينة ودود بالتقدم المحرز فى مجال التعليم والتحصيل العلمى للمسلمين ولكنها فى الوقت نفسه تعرب عن أسفها إزاء الاهتمام المبالغ فيه بالجوانب الجيوبوليتيكية وذلك نتيجة ما يظل مطروحا من تصورات عن «خطر الإسلام» بدلا من التركيز على المبادئ الروحية/الأخلاقية للإسلام كنظام له قدسيته.

طلال ي. عيد

صدرت مجلة جامعة هارفارد وعلى صدر صفحتها عنوان يقول «الإمام طلال عيد يودى أول صلاة إسلامية فى خطاب استهلال حفل التخرج»^(٨)، وهكذا فللمرة الأولى فى تاريخها الطويل دعت جامعة هارفارد فى عام ١٩٩٧ مسلماً ليقدم الدعاء الافتتاحى فى حفل التخرج. على أن الإمام طلال عيد، المدير الدينى للمركز الإسلامى فى نيو إنجلند منذ عام ١٩٨٢، ليس غريبا على هارفارد فهو حاصل على درجة جامعية من كلية ترينتى (التثليث) وكان يستكمل دراسة

الدكتوراه هناك في التخصص نفسه وبالنسبة للجماعة التي يقودها وقوامها ما بين ثلاثين إلى أربعين ألف مسلم في منطقة بوسطون الكبرى، كان ذلك تكريماً واعترافاً وفرصة لتبيان أن المسلمين، جنباً إلى جنب مع المسيحيين واليهود وغيرهم يشكلون جزءاً فعالاً من مجتمع جامعة هارفارد ومن مناطق الجوار والمجتمعات التي تقع الجامعة وسطها.

الإمام عيد مواطن من لبنان كان قد أنشأ مسجداً في مدينة طرابلس وعمل قائداً دينياً إلى حين نشوب الحرب الأهلية اللبنانية وهو يتذكر بحزن عميق جهوده لكي يظل محايداً بين جماعات الميليشيا المتحاربة التي فرضت سيطرتها على الحي الذي يسكنه ويقول: «كنت أتكلم لغة السلام بينما كان الجميع يتعاملون بلغة الحرب»^(٩). وتحدو الإمام قناعة عميقة بأن الصراعات في الشرق الأوسط هي في جوهرها صراعات فيما بين جماعات اثنية قبل أن تكون بين مسلمين ومسيحيين أو يهود. ثم جاءت الدعوة التي تلقاها من رابطة العالم الإسلامي لكي يخدم في الولايات المتحدة كإمام لمسجد بوسطن بمثابة فرصة سعيدة برغم أنه لم يكن يساوره قط نية أن يجعل من أمريكا وطنه الدائم. تخرج الإمام عيد في جامعة الأزهر بالقاهرة وهو يحاول الجمع بين تعليمه الإسلامي والغربي لمساعدة أفراد جماعته على التصدي لمشاكل الحياة في المدينة من منظور إسلامي. وبالإضافة إلى دراساته وخدماته في المسجد فالإمام يعمل مع الشباب ويلقى مواعظه في مستشفى الأطفال في بوسطن.

يحدد الإمام عيد هدفين لنفسه ولأعضاء مركزه الإسلامي: الهدف الأول هو العمل في سبيل تحقيق الوحدة بين المسلمين الذين أتوا من أقطار عديدة وخلفيات ثقافية مختلفة وهو يعترف أن هذا ليس بالأمر السهل على طول الخط. أما الهدف الثاني فيتمثل في فتح أفنية للتواصل مع أفراد من غير المسلمين للمساعدة على تغيير المدركات المغلوطة وإزالة الصور النمطية المقولبة الجامدة. وانطلاقاً من تجاربه في لبنان فهو مقتنع بأن الحياة في ظل العزلة تفضي إلى التخوف من الآخر، ولذلك يعتقد أن المجتمع التعددي في أمريكا يتيح فرصة فريدة لأبناء الديانات المختلفة كي يتعايشوا مع بعضهم البعض بحيث يحسن كل منهم فهم الآخر وأن يعملوا جميعاً من أجل السلام.

الحواشي

- ١- رحيل «بيتى شاباز»، «الرسالة» ذى مسدج (يوليه ١٩٩٧).
- ٢- رسالة خاصة للمؤلفة، يناير ١٩٩٨.
- ٣- مؤتمر منظمة مينا الصيفى، إسلاميك هورايزونز (نوفمبر/ديسمبر ١٩٩٦).
- ٤- سيد حسين نصر، المعرفة والمقدس (نيويورك، منشورات كروس رود، ١٩٨١).
- ٥- كريم وسط الخلاف حول إعلان البيرة»، ذى ميناريت (فبراير ١٩٩٧).
- ٦- «الدكتورة لا لا»، مجلة المسلم. ذى مسلم ماجازين (أبريل ١٩٩٨).
- ٧- رسالة خاصة إلى المؤلفة، مارس ١٩٩٨.
- ٨- غازيت، العدد ١٠٢ (٥ يونيه ١٩٩٧).
- ٩- مارى دى روزيا «أمل عظيم لإمام»، ليفنج سيتى (مارس ١٩٩٦).

سلسلة زمنية

١٤٩٢ وما بعدها	عدد قليل من المسلمين المطرودين من إسبانيا ربما يكونون قد وصلوا إلى السواحل الأمريكية.
١٧٠٠-١٨٠٠	آلاف من الأفارقة السود يجلبون إلى أمريكا كعبيد.
نحو ١٨٧٥	بداية هجرة المسلمين من سورية أساسا.
مطالع ١٩٠٠	أول مجتمعات مسلمة في منطقة وسط الغرب (من أمريكا).
١٩٠٧	إنشاء الجمعية المحمدية الأمريكية في مدينة نيويورك.
١٩١٠-١٩٢٧	حضرة عنايت خان يعلم المذاهب الصوفية في جميع أنحاء أمريكا.
١٩١٣	إنشاء المعبد العلمي الأمريكي المغربي في نيوارك، نيوجيرسي.
١٩١٨ وما بعدها	ثاني أكبر موجة للمهاجرين المسلمين.
١٩٢٠ وما بعدها	مصنع فورد للسيارات في دير بورن، ميتشغن يجتذب عمالا مسلمين.
١٩٢٠	المفتي محمد صادق أول مبشر أحمدي إلى أمريكا.
١٩٢٨	أول مسجد كندي يبنى في إدمونتون، ألبرتا.
١٩٣٠	ثالث موجة من المهاجرين المسلمين.
١٩٣٠-١٩٣٣	و. د. فارض يبشر في ديترويت وتبدأ جماعة «أمة الإسلام».
١٩٣٢	إليجا (إيليا) محمد ينقل مقر «أمة الإسلام» إلى شيكاغو.
١٩٣٤	الانتهاء من تشييد «أم المساجد في أمريكا» في سידار رابيدز، أيوا.

جمعية الوسام العربى الأمريكى يتم إنشاؤها فى بوسطن.	١٩٣٥
مالكولم ليتل ينضم إلى جماعة أمة الإسلام وكان نزيل السجن.	١٩٤٧
زيادة كبيرة فى حجم هجرة المسلمين من الهند-باكستان وأوروبا الشرقية.	١٩٤٧-١٩٦٠
نقل مقر الأحمديّة إلى مسجد الفضل الأمريكى فى واشنطن العاصمة.	١٩٥٠
مالكولم (بعد أن أصبح إكس) يُفرج عنه من السجن ويبدأ التبشير بمذاهب جماعة «أمة الإسلام».	١٩٥٢
تشكيل اتحاد المنظمات الإسلامية.	١٩٥٢
إقامة المركز الإسلامى فى واشنطن العاصمة.	١٩٥٧
إنشاء مركز المذهب الحنفى فى واشنطن العاصمة.	أواخر عقد الخمسينيات
حركة «دار الإسلام» تنمو فى بروكلين.	مطالع الستينيات
بير ولاية خان بيرز كزعيم للمذهب الصوفى فى الغرب.	الستينيات
مالكولم إكس يؤسس جريدة محمد سبيكس (محمد يتكلم - حديث محمد).	١٩٦١
تشكيل رابطة الطلاب المسلمين فى جامعة إلينوى.	١٩٦٣
الملاك كاسيوس كلاى يصبح محمد على.	١٩٦٤
إعفاء مالكولم إكس من منصب واعظ المعبد رقم ٧ فى نيويورك.	١٩٦٤
إنشاء أمة الله لفئة الخمسة فى المائة فى هارلم.	١٩٦٤
مالكولم إكس يحج إلى مكة ثم يقطع علاقته مع جماعة «أمة الإسلام».	١٩٦٤

اغتيال مالكولم (وقد أصبح الحاج مالك الشاذلي).	١٩٦٥
إلغاء حصص المهاجرين يفضي إلى زيادة كبيرة في هجرة الوافدين المسلمين.	١٩٦٥
تأسيس الدائرة الإسلامية لأمريكا الشمالية.	١٩٦٨
تأسيس مذهب نعمة الله للصوفيين (الشيعة) في أمريكا في سان فرانسيسكو.	عقد السبعينيات
تأسيس زمالة باوا محي الدين في فيلادلفيا.	١٩٧١
وفاة إيلجا محمد. والاس محمد يصبح زعيم جماعة «أمة الإسلام».	١٩٧٥
إنشاء مقر لرابطة الطلاب المسلمين في بلينفيلد، إنديانا.	١٩٧٥
عيسى محمد يغيّر جماعة العبريين الإسلاميين النوبيين لتصبح حركة أنصار الله.	١٩٧٥
والاس محمد يقود أتباعه إلى طريق الإسلام السلفي.	١٩٧٧-١٩٨٥
لويس فرقان ينفصل عن والاس ويبدأ في إعادة بناء «أمة الإسلام».	١٩٧٨
هجرات إسلامية من جميع أنحاء العالم لأسباب سياسية واجتماعية واقتصادية.	الثمانينيات-التسعينيات
ظهور عدد من لجان العمل السياسية الإسلامية.	الثمانينيات-التسعينيات
والاس محمد يصبح وارث دين محمد.	١٩٨٠
تشكيل الجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية (إسنا).	١٩٨١
إنشاء الكلية الإسلامية الأمريكية في شيكاغو.	١٩٨٣
وارث الدين يعلن أن أتباعه هم أعضاء الإسلام السنّي.	١٩٨٥
إنشاء جماعة الإيمان اللاتينية (بيداد) والمخالفة الإسلامية في مدينة نيويورك.	منتصف الثمانينيات

وارث الدين يصبح أول مسلم يفتتح بالدعاء دورة مجلس شيوخ الولايات المتحدة.	١٩٩٠
المجلس الإسلامى الأمريكى يتم تنظيمه فى واشنطن العاصمة.	١٩٩٠
أول واعظ مسلم يتم تجنيده فى جيش الولايات المتحدة.	١٩٩٣
تأسيس الجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية.	١٩٩٣
إنشاء رابطة الشباب المسلمين فى سجن سنج سنج.	١٩٩٤
إنشاء مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية (كير) فى واشنطن العاصمة.	١٩٩٤
أول واعظ مسلم يكلف بالعمل فى السلاح البحرى للولايات المتحدة.	١٩٩٦
مطار دنفر الدولى هو أول مطار يضم مسجدًا.	١٩٩٦
بدء نشاط كلية العلوم الإسلامية والاجتماعية فى فرجينيا.	١٩٩٦
عرض الرموز الإسلامية فى باحة البيت الأبيض.	١٩٩٧
البنّاجون يستضيف مسلمين على مائدة إفطار رمضان.	١٩٩٨

المصادر المتاحة على شبكة الإنترنت

هذه المصادر متاحة على أساس منتظم حيث يستطيع المسلمون وغيرهم المشاركة في المناقشات أو المعلومات التي تتعلق بما يكاد يكون أى موضوع. وفيما يلي ثبت بعدد من تلك المصادر علماً بأن الاجتهاد المدقق فى هذا الشأن يمكن أن يوصل إلى المزيد من تلك الفواقع الحاسوبية.

A great range of resources on the Internet are being made available on a regular basis. Muslims or others can key into discussions or information on almost any subject. Following are a few of the materials that can currently be accessed. The enterprising browser will easily be able to discover more.

Islamic Web sites: <http://www.mpac.org/network.html>

American Muslim Alliance (AMA): <http://mercury.hypersurf.com/ama/>

American Muslim Council (AMC): <http://www.amermuslim.org/>

Council on American-Islamic Relations (CAIR): <http://www.mpac.org/cair.html>

Islamic Intellectual Forum: <http://www.islamforum.org/>

Muslim Student Network: <http://www.mpac.org/msn.html>

Muslim Women's League: <http://www.win.net/mwl/>

Mosques and Muslim Institutions: <http://www.mpac.org/network/mosques.html>

Muslim Student Associations in the U.S.: <http://www.mpac.org/network/msa.html>

Links to Muslim Countries: <http://www.mpac.org/network/country.html>

Working with Peace Organizations: <http://www.mpac.org/network/other.html>

Interfaith Gateway: <http://www.mpac.org/network/interfaith.html>

The Shi'a Home Page: <http://shia.org/>

All about Ashura: <http://www.ashsura.com/>

Islamic Human Rights Commission: <http://members.tripod.com/>

IslamiCity News Search Service: <http://www.islamicity.org/>

CyberBookstore: <http://www.islamicity.org/bookstore/default.htm>

Announcements and News:

<http://www.islamicity.org/media/ANCMTS/default.htm>

Cyber Yellow Pages: [http://islam.org:81/cyberpages/FMPro?-db=yellow pages](http://islam.org:81/cyberpages/FMPro?-db=yellow%20pages)

IslamiCity Chat and Conference Center: <http://islam.org/Chat/default.htm>

Islamic Circle of North America: <http://www.icna.com/main/shtml>

Voice of Islam lectures, sermons, and news in Real Audio format:

<http://www.islamicity.org/voi/> [you need a sound card and Real Audio Player software]

Cyber TV Network: <http://www.islamicity.org/cyberTV/default.htm> [you need a sound card and Real Audio Player software]

Muslim World Journey (information on Muslim countries):

<http://www.islamicity.org/world/default.htm>

Holy Quran: <http://www.islamicity.org/Mosque/Quran.htm>

Virtual Mosque: <http://www.islamicity.org/mosque/default.asp>

Ask the Imam: <http://www.islamicity.org:81/imam/default.htm>

Culture: <http://www.islamicity.org/culture/default.htm>

News: <http://www.islamicity.org/media/default.htm>

Economic and Business Plaza: <http://www.islamicity.org/economic/default.htm>

Education Parkway: <http://www.islamicity.org/education/default.htm>

Science and Technology Square: <http://www.islamicity.org/science/default.htm>

Public Affairs and Political Center: <http://www.islamicity.org/politics/default.htm>

CyberPort: <http://www.islamicity.org/port/default/htm>

Muslim Matrimonial Link.

<http://www.matrimonials.com/MML/?> —or—

<http://www.ummah.net/comfort/>

المؤلفة فى سطور

جىن سمىث

هى أستاذة الدراسات الإسلامية فى مجمع هارتفورد العلمى فى ولاية كونكتيكت. وهى المحرر المشارك لكتاب «العالم الإسلامى» ومحرر «موسوعة المرأة فى أديان العالم»، كما أنها مؤلفة كتاب «مفهوم الإسلام فى تاريخ التفسير القرآنى»، وقد شاركت فى تأليف كتاب «مهمة فى أمريكا». والدكتورة سمىث عضوة فى لجنة العلاقات بين الأديان التابعة للمجلس القومى للكنائس فى الولايات المتحدة. وعن كتابها تقول البروفيسور إيفون حداد الأستاذة بجامعة جورج تاون: إن الكتاب يمثل دراسة استقصائية شاملة أتاحت لأصوات المسلمين أن ترتفع لتطرح القضايا التى تواجههم فى أمريكا المعاصرة. ويقول البروفيسور سليمان نياغ من جامعة هاورد: إن الكتاب مساهمة مرموقة فى الأدبيات المتنامية التى تصدر عن المسلمين فى المجتمع الأمريكى، ومن ثم فهو عمل لا غنى عنه بالنسبة للمهتمين بالشأن الإسلامى فى أمريكا وبتاريخ الأديان التى هاجرت إلى الولايات المتحدة.

المترجم فى سطور

محمد الخولى

- كاتب وباحث وخبير فى الإعلام والترجمة الدولية.
- عمل مذيعة وصحفيًا ومستشارًا ومحاضرًا فى عدد من المؤسسات الإذاعية والصحفية ومعاهد التدريب الإعلامى فى مشرق العالم العربى ومغربه ومازال ينشر مقالاته ودراساته فى الصحف والمجلات فى مصر وخارجها.
- عمل بمنظمة الأمم المتحدة مسئولاً إعلامياً ومترجماً ثم كبيراً للمترجمين وذلك على مدار ٢٠ عاماً تنقل فيها بين هيئات المنظمة الدولية فى كل من بيروت وبغداد وأديس أبابا ونيويورك.
- عضو عامل فى نقابة الصحفيين (القاهرة) والاتحاد الدولى للمترجمين (جنيف) والأكاديمية الأمريكية للعلوم السياسية (نيويورك) والجمعية العالمية للمستقبل (واشنطن).
- أصدر حتى الآن ١٤ كتاباً بين تأليف وترجمة.
- ومن أحدث مؤلفاته:
 - كتاب «القرن الحادى والعشرون» (دار الهلال-القاهرة).
 - كتاب «قضايا وأفكار معاصرة» (دار البيان، دبی).
- ومن أحدث ترجماته:
 - كتاب «الحملة الأمريكية» (دار الهلال).
 - كتاب «القاهرة فى الحرب العالمية» (دار الموقف العربى - القاهرة).

المشروع القومي للترجمة

المشروع القومي للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التي حققتها مشروعات الترجمة التي سبقته في مصر والعالم العربي ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

- ١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .
- ٢- التوازن بين المعارف الإنسانية في المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .
- ٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .
- ٤- ترجمة الأصول المعرفية التي أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعي في الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التي تضع القارئ في القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .
- ٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .
- ٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومي للترجمة

١- اللغة العليا	جون كوين	أحمد درويش
٢- الوثنية والإسلام (ط١)	ك. مانهو بانتيكار	أحمد فؤاد بليغ
٣- التراث المسروق	جورج جيمس	شوقي جلال
٤- كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتتيكوف	أحمد الحضري
٥- ثريا في غيبوبة	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
٦- اتجاهات البحث اللساني	ميلكا إلبتش	سعد مصلوح ووفاء كامل فايد
٧- العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غراندمان	يوسف الأنطكي
٨- مشعلو الحرائق	ماكس فريش	مصطفى ماهر
٩- التغيرات البيئية	أندرو. س. جودي	محمود محمد عاشور
١٠- خطاب الحكاية	جيرار جينيت	محمد مفتاح وعبد الجليل الأزدي وعمر حلي
١١- مختارات شعرية	فيسوفا شيمبوريسكا	هناء عبد الفتاح
١٢- طريق الحرير	ديفيد براونستون وأيرين فرانك	أحمد محمود
١٣- بيانة الساميين	روبرتسن سميث	عبد الوهاب علوب
١٤- التحليل النفسي للأدب	جان بيلمان نويل	حسن المودن
١٥- الحركات الفنية منذ ١٩٤٥	إدوارد لوسى سميث	أشرف رفيق عفيفي
١٦- أثينة السوداء (ج١)	مارتن برنال	يشراف أحمد عثمان
١٧- مختارات شعرية	فيليب لوكين	محمد مصطفى بدوي
١٨- الشعر النسائي في أمريكا اللاتينية	مختارات	طلعت شاهين
١٩- الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	نعيم عطية
٢٠- قصة العلم	ج. ج. كراوثر	يمنى طريف الخولي وبدوي عبد الفتاح
٢١- خوخة وآلف خوخة وقصص أخرى	صمد بهرنجي	ماجدة العناني
٢٢- مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	سيد أحمد علي الناصري
٢٣- تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	سعيد توفيق
٢٤- ظلال المستقبل	باتريك بارندر	بكر عباس
٢٥- مثوى	مولانا جلال الدين الرومي	إبراهيم الدسوقي شتا
٢٦- دين مصر العام	محمد حسين هيكل	أحمد محمد حسين هيكل
٢٧- التنوع البشري الخلاق	مجموعة من المؤلفين	يشراف: جابر عصفور
٢٨- رسالة في التسامح	جون لوك	منى أبو سنة
٢٩- الموت والوجود	جيمس ب. كارس	بدر الديب
٣٠- الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مانهو بانتيكار	أحمد فؤاد بليغ
٣١- مصادر دراسة التاريخ الإسلامي	جان سوناجيه - كلود كايين	عبد الستار الحلوجي وعبد الوهاب علوب
٣٢- الانقراض	ديفيد روب	مصطفى إبراهيم فهمي
٣٣- التاريخ الاقتصادي لأفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	أحمد فؤاد بليغ
٣٤- الرواية العربية	روجر ألن	حصه إبراهيم المنيف
٣٥- الأسطورة والحداث	بول ب. بيكسون	خليل كلفت
٣٦- نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	حياة جاسم محمد

٢٧-	واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	جمال عبد الرحيم
٢٨-	نقد الحداثة	ألن تورين	أنور مفيت
٢٩-	الحسد والإغريق	بيتر والكوت	منيرة كروان
٤٠-	قصائد حب	أن سكستون	محمد عبد إبراهيم
٤١-	ما بعد المركزية الأوروبية	بيتر جران	عاطف أحمد وإبراهيم فتحي ومحمود ماجد
٤٢-	عالم ماك	بنجامين باربر	أحمد محمود
٤٣-	الذهب المزوج	أوكتاڤيو پاث	المهدي أخريف
٤٤-	بعد عدة أصياف	ألنوس هكسلي	مارلين تادرس
٤٥-	التراث المغفور	روبرت دينيا وجون فاين	أحمد محمود
٤٦-	عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	محمود السيد على
٤٧-	تاريخ النقد الأدبي الحديث (ج١)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨-	حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ماهر جويجاتي
٤٩-	الإسلام في البلقان	هـ . ت . نوريس	عبد الوهاب غلوب
٥٠-	ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأتطكى
٥١-	مسار الرواية الإسبانية أمريكية	داريو بيانونيا وخ. م. بينياليستى	محمد أبو العطا
٥٢-	العلاج النفسى التدعى	ب. نوفاليس وس. روجسيفيتز وروجر بيل	لطفي قطيم وعادل دمرdash
٥٣-	الدراما والتعليم	أ. ف. ألنجاتون	مرسى سعد الدين
٥٤-	المفهوم الإغريقى للمسرح	ج. مايكل والتون	محسن مصيلحي
٥٥-	ما وراء العلم	جون بولكنجهوم	على يوسف على
٥٦-	الأعمال الشعرية الكاملة (ج١)	فديريكو غرسية لوركا	محمود على مكى
٥٧-	الأعمال الشعرية الكاملة (ج٢)	فديريكو غرسية لوركا	محمود السيد و ماهر البطوطى
٥٨-	مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	محمد أبو العطا
٥٩-	المحبرة (مسرحية)	كارلوس مونيث	السيد السيد سهيم
٦٠-	التصميم والشكل	جوهانز إيتين	صبرى محمد عبد الفنى
٦١-	موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	ياشرف : محمد الجوهري
٦٢-	لذة النص	رولان يارت	محمد خير البقاعى
٦٣-	تاريخ النقد الأدبي الحديث (ج٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤-	برتراند راسل (سيرة حياة)	ألان رود	رمسيس عوض
٦٥-	فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	رمسيس عوض
٦٦-	خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧-	مختارات شعرية	فرناندو بيسوا	المهدي أخريف
٦٨-	نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
٦٩-	العالم الإسلامى فى أول القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠-	ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج روبريخت	عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١-	السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	حسين محمود
٧٢-	السياسى العجوز	ت. س. إليوت	فؤاد مجلى
٧٣-	نقد استجابة القارئ	چين ب. تومبكنز	حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤-	صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل. ا. سيمينوفا	حسن بيومى

أحمد درويش	أندريه موروا	فن التراجم والسير الذاتية	٧٥-
عبد المقصود عبد الكريم	مجموعة من المؤلفين	چاك لاكان وإغواء التحليل النفسي	٧٦-
مجاهد عبد المنعم مجاهد	رينيه ويليك	تاريخ النقد الأدبي الحديث (ج٢)	٧٧-
أحمد محمود ونورا أمين	رونالد روبرتسون	العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	٧٨-
سعيد الفانمي وناصر حلاوي	بوريس أوسبنسكي	شعرية التأليف	٧٩-
مكارم الفمري	ألكسندر بوشكين	بوشكين عند «نافورة الدموع»	٨٠-
محمد طارق الشرقاوي	بنديكت أندرسن	الجماعات المتخيلة	٨١-
محمود السيد علي	ميجيل دي أرنامونو	مسرح ميجيل	٨٢-
خالد المعالي	غوتفريد بن	مختارات شعرية	٨٣-
عبد الحميد شيحة	مجموعة من المؤلفين	موسوعة الأدب والنقد (ج١)	٨٤-
عبد الرازق بركات	صلاح زكي أقطاي	منصور الحلاج (مسرحية)	٨٥-
أحمد فتحي يوسف شتا	جمال مير صادق	طول الليل (رواية)	٨٦-
ماجدة العناني	جلال آل أحمد	نون والقلم (رواية)	٨٧-
إبراهيم الدسوقي شتا	جلال آل أحمد	الابتلاء بالغرب	٨٨-
أحمد زايد ومحمد محيي الدين	أنتوني جينز	الطريق الثالث	٨٩-
محمد إبراهيم مبروك	بورخيس وآخرون	رسم السيف وقصص أخرى	٩٠-
محمد هناء عبد الفتاح	باربرا لاسوتسكا - بشونباك	المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	٩١-
نادية جمال الدين	كارلوس ميجيل	أساليب ومفاهيم المسرح الإبتدائي المعاصر	٩٢-
عبد الوهاب علوب	مايك فينرستون وسكوت لاش	محدثات العولمة	٩٣-
فوزية العشماوي	صمويل بيكيت	مسرحيتنا الحب الأول والصحبة	٩٤-
سري محمد عبد اللطيف	أنطونيو بويرو بايخو	مختارات من المسرح الإسباني	٩٥-
إيوار الخراط	نخبة	ثلاث زنبقات وردة وقصص أخرى	٩٦-
بشير السباعي	فرنان برودل	هوية فرنسا (مج١)	٩٧-
أشرف الصباغ	مجموعة من المؤلفين	الهم الإنساني والابتزاز الصهيوني	٩٨-
إبراهيم قنديل	ديفيد روبنسون	تاريخ السينما العالمية (١٨٩٥-١٩٨٠)	٩٩-
إبراهيم فتحي	بول هيرست وجراهام تومبسون	مساطة العولمة	١٠٠-
رشيد بنحو	بيرنار فاليط	النص الروائي: تقنيات ومناهج	١٠١-
عز الدين الكتاني الإدريسي	عبد الكبير الخطيبي	السياسة والتسامح	١٠٢-
محمد بنيس	عبد الوهاب المؤيد	قبر ابن عربي يليه آياه (شعر)	١٠٣-
عبد الغفار مكارى	برتول بريشت	أوبرا ماهوجني (مسرحية)	١٠٤-
عبد العزيز شبيل	جيرارچينيت	مدخل إلى النص الجامع	١٠٥-
أشرف علي دعور	ماريا خيسوس روبييرامتي	الأدب الأندلسي	١٠٦-
محمد عبد الله الجعيدى	نخبة من الشعراء	صدرة اللباني في الشعر الأمريكي اللاتيني المعاصر	١٠٧-
محمود علي مكي	مجموعة من المؤلفين	ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي	١٠٨-
هاشم أحمد محمد	جون بولوك وعادل درويش	حروب المياه	١٠٩-
منى قطان	حسنة بيجوم	النساء في العالم النامي	١١٠-
ريهام حسين إبراهيم	فرانسيس هيدسون	المرأة والجريمة	١١١-
إكرام يوسف	أرلين علوي ماكليود	الاحتجاج الهادي	١١٢-

أحمد حسان	سادى پلانت	١١٣- راية التمرد
نسيم مجلى	ول شوينكا	١١٤- مسرحيتا حصاد كونجى وسكان المستقع
سمية رمضان	فرچينيا وولف	١١٥- غرفة تخص المرء وحده
نهاد أحمد سالم	سينثيا نلسون	١١٦- امرأة مختلفة (برية شفيق)
منى إبراهيم وهالة كمال	ليلي أحمد	١١٧- المرأة والجنوسة فى الإسلام
لميس النقاش	بث بارون	١١٨- النهضة النسائية فى مصر
ياشراف: روف عباس	أميرة الأزهرى سنبل	١١٩- النساء والأمره وتولين الطلاق لى التاريخ الإسلامى
مجموعة من المترجمين	ليلي أبو لغد	١٢٠- الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط
محمد الجندى وإيزابيل كمال	فاطمة موسى	١٢١- الليل الصغير فى كتابة المرأة العربية
منيرة كروان	جوزيف فوجت	١٢٢- نظام العربة القديم والنموذج المثالى للإنسان
أنور محمد إبراهيم	أنيل، الكسندرو فناوليننا	١٢٣- الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية
أحمد فؤاد بليغ	جون جراى	١٢٤- الفجر الكاتب: أوهام الرأسمالية العالمية
سمحة الخولى	سيدرك ثورپ ديفى	١٢٥- التحليل الموسيقى
عبد الوهاب علوب	فولفانج إيسر	١٢٦- فعل القراءة
بشير السباعى	صفاء فتحى	١٢٧- إرهاب (مسرحية)
أميرة حسن نويرة	سوزان باسنيت	١٢٨- الأدب المقارن
محمد أبو العطا وآخرون	ماريا دولورس أسيس جاروته	١٢٩- الرواية الإسبانية المعاصرة
شوقى جلال	أندريه جوندرو فرانك	١٣٠- الشرق يصعد ثانية
لويس بقطر	مجموعة من المؤلفين	١٣١- مصر القديمة: التاريخ الاجتماعى
عبد الوهاب علوب	مايك فيذرستون	١٣٢- ثقافة العولة
طلعت الشايب	طارق على	١٣٣- الخوف من المرايا (رواية)
أحمد محمود	بارى ج. كيمب	١٣٤- تشريح حضارة
ماهر شفيق فريد	ت. س. إليوت	١٣٥- المختار من نقد ت. س. إليوت
سحر توفيق	كينيث كوتو	١٣٦- فلاحو الباشا
كاميليا صبحى	جوزيف مارى مواريه	١٣٧- منكرات ضابط فى العملة الفرنسية على مصر
وجيه سمعان عبد المسيح	أندريه جلوكسمان	١٣٨- عالم التليفزيون بين الجمال والعنف
مصطفى ماهر	ريتشارد فاچنر	١٣٩- پارسيغال (مسرحية)
أمل الجبورى	هربرت ميسن	١٤٠- حيث تلتقى الأنهار
نعيم عطية	مجموعة من المؤلفين	١٤١- اثنتا عشرة مسرحية يونانية
حسن بيومى	أ. م. فورستر	١٤٢- الإسكندرية : تاريخ ودليل
عدلى السمرى	ديرك لايدر	١٤٣- قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى
سلامة محمد سليمان	كارلو جولادونى	١٤٤- صاحبة اللوكاندة (مسرحية)
أحمد حسان	كارلوس فوينتس	١٤٥- موت أرتيميو كروث (رواية)
على عبدالرؤف البيمبى	ميجيل دى ليبس	١٤٦- الورقة الحمراء (رواية)
عبدالغفار مكاوى	تاتكرىد بورست	١٤٧- مسرحيتان
على إبراهيم منوفى	إنريكى أندرسون إمبرت	١٤٨- القصة القصيرة: النظرية والتقنية
أسامة إسبر	عاطف فضول	١٤٩- النظرية الشعرية عند إليوت وأونيس
منيرة كروان	روبرت ج. ليتمان	١٥٠- التجربة الإغريقية

١٥١-	هوية فرنسا (مج ٢ ، ج١)	فرنان بروول	بشير السباعي
١٥٢-	عدالة الهند وقصص أخرى	مجموعة من المؤلفين	محمد محمد الخطابي
١٥٣-	غرام القراءة	فيولين فانويك	فاطمة عبدالله محمود
١٥٤-	مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	خليل كلفت
١٥٥-	الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة من الشعراء	أحمد مرسى
١٥٦-	المدارس الجمالية الكبرى	جى أنبال وآلان وأوديت ثيرمو	مى التمساني
١٥٧-	خسرو وشيرين	النظامى الكنجوى	عبدالعزیز بقوش
١٥٨-	هوية فرنسا (مج ٢ ، ج٢)	فرنان بروول	بشير السباعي
١٥٩-	الأيديولوجية	بيفيد هوكس	إبراهيم فتحي
١٦٠-	آلة الطبيعة	بول إيرليش	حسين بيومى
١٦١-	مسرحيتان من المسرح الإسباني	أليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	زيدان عبدالحليم زيدان
١٦٢-	تاريخ الكنيسة	يوحنا الأسبوى	صلاح عبدالعزیز محجوب
١٦٣-	موسوعة علم الاجتماع (ج ١)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهري
١٦٤-	شامبوليون (حياة من نور)	جان لاكوثير	نبيل سعد
١٦٥-	حكايات الثعلب (قصص أطفال)	أ. ن. أفاناسييف	سهير المصادفة
١٦٦-	العلاقات بين المسلمين واليهود في إسرائيل	يشعياهو ليفمان	محمد محمود أبوغدير
١٦٧-	في عالم طاغور	رابندر نات طاغور	شكري محمد عياد
١٦٨-	دراسات في الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	شكري محمد عياد
١٦٩-	إبداعات أدبية	مجموعة من المؤلفين	شكري محمد عياد
١٧٠-	الطريق (رواية)	ميجيل دليبيس	بسام ياسين رشيد
١٧١-	وضع حد (رواية)	فرانك بيجو	هدى حسين
١٧٢-	حجر الشمس (شعر)	نخبة	محمد محمد الخطابي
١٧٣-	معنى الجمال	وانتر. ستيس	إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤-	صناعة الثقافة السوداء	إيليس كاشمور	أحمد محمود
١٧٥-	التلفزيون في الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦-	نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	جلال البنا
١٧٧-	أنطون تشيخوف	هنرى تروايا	حصه إبراهيم المنيف
١٧٨-	مختارات من الشعر اليوناني الحديث	نخبة من الشعراء	محمد حمدي إبراهيم
١٧٩-	حكايات أيسوب (قصص أطفال)	أيسوب	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠-	قصة جاويد (رواية)	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
١٨١-	النقد الأدبي الأمريكي من الثلاثينيات إلى الستينيات	فنسنت ب. ليتش	محمد يحيى
١٨٢-	العنف والنبوة (شعر)	وج. بيتس	ياسين طه حافظ
١٨٣-	جان كوكتو على شاشة السينما	رينيه جيلسون	فتحي العشري
١٨٤-	القاهرة: حالة لا تتام	هانز إيندورفر	دسوقي سعيد
١٨٥-	أسفار العهد القديم في التاريخ	توماس تومسن	عبد الوهاب علوب
١٨٦-	معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل إنورد	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧-	الأرض (رواية)	يُرج علوى	محمد علاء الدين منصور
١٨٨-	موت الأدب	ألفين كرتان	بدر الديب

١٨٩-	الغنى والبصيرة: مقالات في بلاغة النقد المعاصر	بول دي مان	سعيد الغانمي
١٩٠-	محاورات كرونفوشيسوس	كونفوشيسوس	محسن سيد فرجاني
١٩١-	الكلام رأسمال وقصص أخرى	الحاج أبو بكر إمام وآخرون	مصطفى حجازي السيد
١٩٢-	سياحت نامه إبراهيم بك (ج١)	زين العابدين المراغي	محمود علاوي
١٩٣-	عامل المنجم (رواية)	بيتر أبراهامز	محمد عبد الواحد محمد
١٩٤-	مختارات من النقد الأنجلو-أمريكي الحديث	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
١٩٥-	شتاء ٨٤ (رواية)	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
١٩٦-	المهلة الأخيرة (رواية)	فالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
١٩٧-	سيرة الفاروق	شمس العلماء شبلي النعماني	جلال السعيد الحفناوي
١٩٨-	الاتصال الجماهيري	إدوين إمري وآخرون	إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩-	تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية	يعقوب لاندائو	جمال أحمد الرفاعي وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠-	ضحايا التنمية: المقاومة والبدائل	جيرمي سيبروك	فخري لبيب
٢٠١-	الجانب الديني للفلسفة	جوزايا رويس	أحمد الأنصاري
٢٠٢-	تاريخ النقد الأدبي الحديث (ج٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣-	الشعر والشاعرية	الطاف حسين حالي	جلال السعيد الحفناوي
٢٠٤-	تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	أحمد هويدي
٢٠٥-	الجيئات والشعوب واللغات	لويجي لوقا كافاللي - سفورزا	أحمد مستجير
٢٠٦-	الهيولية تصنع علماً جديداً	جيمس جلايك	علي يوسف علي
٢٠٧-	ليل أفريقي (رواية)	رامون خوتاسنديز	محمد أبو العطا
٢٠٨-	شخصية العربي في المسرح الإسرائيلي	دان أوريان	محمد أحمد صالح
٢٠٩-	السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٠-	مثنويات حكيم سنائي (شعر)	سنائي الغزنوي	يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١-	فردينان دوسوسير	جوناثان كلر	محمود حمدي عبد الغني
٢١٢-	قصص الأمير مرزيان على لسان الحيوان	مرزيان بن رستم بن شروين	يوسف عبد الفتاح فرج
٢١٣-	مصر منذ قدم نابليون حتى رحيل عبدالناصر	ريمون فلاور	سيد أحمد علي الناصري
٢١٤-	قواعد جديدة للمنهج في علم الاجتماع	أنطوني جيننز	محمد محيي الدين
٢١٥-	سياحت نامه إبراهيم بك (ج٢)	زين العابدين المراغي	محمود علاوي
٢١٦-	جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٧-	مسرحيتان طبيعيتان	صمويل بيكيت وهارولد بينتر	نادية البنهاوي
٢١٨-	لعبة الحجلة (رواية)	خوليو كورتاثان	علي إبراهيم منوفي
٢١٩-	بقايا اليوم (رواية)	كانزو إيشجورو	طلعت الشايب
٢٢٠-	الهيولية في الكون	باري باركر	علي يوسف علي
٢٢١-	شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	رفعت سلام
٢٢٢-	فرانز كافكا	رونالد جراي	نسيم مجلى
٢٢٣-	العلم في مجتمع حر	باول فيرابند	السيد محمد نقادى
٢٢٤-	دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	منى عبدالظاهر إبراهيم
٢٢٥-	حكاية غريق (رواية)	جابريل جارتيا ماركيث	السيد عبدالظاهر السيد
٢٢٦-	أرض المساء وقصائد أخرى	بيفيد هربت لورانس	طاهر محمد علي البربري

السيد عبدالظاهر عبدالله	خوسيه ماريا ديث بوركي	المرح الإسباني في القرن السابع عشر	٢٢٧-
ماري تيريز عبدالمسيح وخالد حسن	جانيت وولف	علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	٢٢٨-
أمير إبراهيم العمري	نورمان كيغان	مازق البطل الوحيد	٢٢٩-
مصطفى إبراهيم فهمي	فرانسواز جاكوب	عن الذباب والفئران والبشر	٢٣٠-
جمال عبدالرحمن	خايمي سالوم بيدال	الترافيل أو الجيل الجديد (مسرحية)	٢٣١-
مصطفى إبراهيم فهمي	توم ستونير	ما بعد المعلومات	٢٣٢-
طلعت الشايب	أرثر هيرمان	فكرة الاضمحلال في التاريخ الغربي	٢٣٣-
فؤاد محمد عكود	ج. سبنسر تريمنجهام	الإسلام في السودان	٢٣٤-
إبراهيم الدسوقي شتا	مولانا جلال الدين الرومي	ديوان شمس تبريزي (ج١)	٢٣٥-
أحمد الطيب	ميشيل شودكفيتش	الولاية	٢٣٦-
عنايات حسين طلعت	روين فيدين	مصر أرض الوادي	٢٣٧-
ياسر محمد جادالله وعيسى مديولى أحمد	تقرير لمنظمة الأنكتاد	العولة والتحرير	٢٣٨-
نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق	جيلا رامراز - رايوخ	العربي في الأدب الإسرائيلي	٢٣٩-
صلاح محجوب إدريس	كاي حافظ	الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	٢٤٠-
ايتسام عبدالله	ج. م. كوتزي	في انتظار البرابرة (رواية)	٢٤١-
صبري محمد حسن	وليام إميسون	سبعة أنماط من الغموض	٢٤٢-
ياشرف: صلاح فضل	ليفي بروفنسال	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج١)	٢٤٣-
نادية جمال الدين محمد	لاورا إسكييل	الغليان (رواية)	٢٤٤-
توفيق على منصور	إليزابيتا أديس وآخرون	نساء مقاتلات	٢٤٥-
على إبراهيم منوفي	جابريل جارتيا ماركيت	مختارات قصصية	٢٤٦-
محمد طارق الشرقاوي	والتر أرمبرست	الثقافة الجماهيرية والحدثة في مصر	٢٤٧-
عبداللطيف عبدالحليم	أنطونيو جالا	حقول عدن الخضراء (مسرحية)	٢٤٨-
رفعت سلام	دراجو شتامبوك	لغة التمزق (شعر)	٢٤٩-
ماجدة محسن أباطة	بومتيك فيتك	علم اجتماع العلوم	٢٥٠-
ياشرف: محمد الجوهري	جوردون مارشال	موسوعة علم الاجتماع (ج٢)	٢٥١-
على بدران	مارجو بدران	رائدات الحركة النسوية المصرية	٢٥٢-
حسن بيومي	ل. أ. سيمينوفا	تاريخ مصر الفاطمية	٢٥٣-
إمام عبد الفتاح إمام	ديف روينسون وجودي جروفز	أقدم لك: الفلسفة	٢٥٤-
إمام عبد الفتاح إمام	ديف روينسون وجودي جروفز	أقدم لك: أفلاطون	٢٥٥-
إمام عبد الفتاح إمام	ديف روينسون وكريس جارات	أقدم لك: ديكارت	٢٥٦-
محمود سيد أحمد	وليم كلي رايت	تاريخ الفلسفة الحديثة	٢٥٧-
عبادة كُحيلة	سير أنجوس فريزر	الفجر	٢٥٨-
فاروجان كازانجيان	نخبة	مختارات من الشعر الأرمني عبر العصور	٢٥٩-
ياشرف: محمد الجوهري	جوردون مارشال	موسوعة علم الاجتماع (ج٢)	٢٦٠-
إمام عبد الفتاح إمام	زكي نجيب محمود	رحلة في فكر زكي نجيب محمود	٢٦١-
محمد أبو العطا	إبواريو مندوتا	مدينة المعجزات (رواية)	٢٦٢-
على يوسف على	چون جرين	الكشف عن حافة الزمن	٢٦٣-
لويس عوض	هوراس وشلي	إبداعات شعرية مترجمة	٢٦٤-

٢٦٥-	روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصمويل جونسون	لويس عوض
٢٦٦-	مدير المدرسة (رواية)	جلال آل أحمد	عادل عبدالمنعم على
٢٦٧-	فن الرواية	ميلان كونديرا	بدر الدين عروكي
٢٦٨-	ديوان شمس تبريزي (ج٢)	مولانا جلال الدين الرومي	إبراهيم الدسوقي شتا
٢٦٩-	وسط الجزيرة العربية وشرقها (ج١)	وليم جيفورد بالجريف	صبري محمد حسن
٢٧٠-	وسط الجزيرة العربية وشرقها (ج٢)	وليم جيفورد بالجريف	صبري محمد حسن
٢٧١-	الحضارة الغربية: الفكرة والتاريخ	توماس سى. باترسون	شوقي جلال
٢٧٢-	الأنيرة الأثرية فى مصر	سى. سى. والترز	إبراهيم سلامة إبراهيم
٢٧٣-	الاصول الاجتماعية والثقافية لمركه مراهي في مصر	جوان كول	عنان الشهاوى
٢٧٤-	السيدة باربارا (رواية)	رومولو جاييجوسر.	محمود على مكي
٢٧٥-	د. س. إليود شاعرًا ونقادًا وكاتبًا مسرحيًا	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
٢٧٦-	فنون السينما	مجموعة من المؤلفين	عبدالقادر التلمساني
٢٧٧-	الحيئات والصراع من أجل الحياة	براين فورد	أحمد فوزي
٢٧٨-	البدايات	إسحاق عظيموف	ظريف عبدالله
٢٧٩-	الحرب الباردة الثقافية	ف. س. سوندرز	طلعت الشايب
٢٨٠-	الأم والنصيب وقصص أخرى	بريم شند وأخرون	سمير عبدالحميد إبراهيم
٢٨١-	الفريوس الأعلى (رواية)	عبد الحليم شرر	جلال الحفناوى
٢٨٢-	طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس وولبرت	سمير حنا صادق
٢٨٣-	السهل يحترق وقصص أخرى	خوان رولفو	على عبد الرزاق البمبي
٢٨٤-	هرقل مجنوناً (مسرحية)	يوريبينيس	أحمد عثمان
٢٨٥-	رحلة خواجه حسن نظامى الدهلوى	حسن نظامى الدهلوى	سمير عبد الحميد إبراهيم
٢٨٦-	سياحت نامه إبراهيم بك (ج٢)	زين العابدين المراهي	محمود علاوى
٢٨٧-	الثقافة والعولة والنظام العالمى	أنتونى كنج	محمد يحيى وآخرون
٢٨٨-	الفن الروائى	ديفيد لودج	ماهر البطوطى
٢٨٩-	ديوان متوجهرى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	محمد نور الدين عبدالمنعم
٢٩٠-	علم اللغة والترجمة	جورج مونان	أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١-	تاريخ المسرح الإسباني في القرن العشرين (ج١)	فرانشيسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٢-	تاريخ المسرح الإسباني في القرن العشرين (ج٢)	فرانشيسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٣-	مقدمة للأدب العربى	روجر ألن	مجدى توفيق وآخرون
٢٩٤-	فن الشعر	بوالو	رجاء ياقوت
٢٩٥-	سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل وبيل موريز	بدر الديب
٢٩٦-	مكبث (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٢٩٧-	فن النحو بين اليونانية والسريانية	ديونيسيوس ثراكس ويوسف الاموازي	ماجدة محمد أنور
٢٩٨-	مأساة العبيد وقصص أخرى	نخبة	مصطفى حجازى السيد
٢٩٩-	ثورة فى التكنولوجيا الحيوية	جين ماركس	هاشم أحمد محمد
٣٠٠-	استعراض بعض مشاهير الأدب الإنجليزى والفرنسى (ج١)	لويس عوض	جمال الجزيرى وبهاء جاهين وإيزابيل كمال
٣٠١-	استعراض بعض مشاهير الأدب الإنجليزى والفرنسى (ج٢)	لويس عوض	جمال الجزيرى و محمد الجندى
٣٠٢-	أقدم لك: فنجنشتين	جون هيتون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام

٢٠٣-	أقدم لك: بوذا	جين هوب ويورن فان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٢٠٤-	أقدم لك: ماركس	ريوس	إمام عبد الفتاح إمام
٢٠٥-	الجلد (رواية)	كروزيو مالابارته	صلاح عبد الصبور
٢٠٦-	الحماسة: النقد الكانطى للتاريخ	جان فرانسوا ليوتار	نبيل سعد
٢٠٧-	أقدم لك: الشعور	ديفيد بابينو وهوارد سلينا	محمود مكي
٢٠٨-	أقدم لك: علم الوراثة	ستيف جونز ويورن فان لو	ممنوح عبد المنعم
٢٠٩-	أقدم لك: الذهن والمخ	أنجوس جيلاتي وأوسكار زاريت	جمال الجزيري
٢١٠-	أقدم لك: يونج	ماجي هايد ومايكل ماكجنس	محيى الدين مزيد
٢١١-	مقال فى المنهج الفلسفى	ر.ج. كولنجوود	فاطمة إسماعيل
٢١٢-	روح الشعب الأسود	وليم بيبويس	أسعد حليم
٢١٣-	أمثال فلسطينية (شعر)	خاير بيان	محمد عبدالله الجعيدى
٢١٤-	مارسيل بوشامب: الفن كعدم	جانيس مينيك	هويدا السباعي
٢١٥-	جرامشى فى العالم العربى	ميشيل بروندينو والطاهر لبيب	كاميليا صبحي
٢١٦-	محاكمة سقراط	أى. ف. ستون	نسيم مجلى
٢١٧-	بلا غد	س. شير لايموفا - س. زنيكين	أشرف الصباغ
٢١٨-	الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٩-	صور نريدا	جايتري اسيففاك وكريستوفر نوريس	حسام نايل
٢٢٠-	لمعة السراج لحضرة التاج	مؤلف مجهول	محمد علاء الدين منصور
٢٢١-	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ٢، ج ١)	ليفى برو فنتسال	باشراف: صلاح فضل
٢٢٢-	وجهات نظر حديثة فى تاريخ الفن العربى	دبليو يوجين كلينباور	خالد مفلح حمزة
٢٢٣-	فن الساتورا	تراث يونانى قديم	هانم محمد فوزى
٢٢٤-	اللعب بالنار (رواية)	أشرف أسدى	محمود علاوى
٢٢٥-	عالم الآثار (رواية)	فيليب بوسان	كريستين يوسف
٢٢٦-	المعرفة والمصلحة	يورجين هابرماس	حسن صقر
٢٢٧-	مختارات شعرية مترجمة (ج ١)	نخبة	توفيق على منصور
٢٢٨-	يوسف وزليخا (شعر)	نور الدين عبد الرحمن الجامى	عبد العزيز بقوش
٢٢٩-	رسائل عيد الميلاد (شعر)	تد هيوز	محمد عيد إبراهيم
٢٣٠-	كل شىء عن التمثيل الصامت	مارفن شيرد	سامى صلاح
٢٣١-	عندما جاء السريين وقصص أخرى	ستيفن جراى	سامية دياب
٢٣٢-	شهر العسل وقصص أخرى	نخبة	على إبراهيم منوفى
٢٣٣-	الإسلام فى بريطانيا من ١٥٥٨-١٦٨٥	نبيل مطر	بكر عباس
٢٣٤-	لقطات من المستقبل	آرثر كلارك	مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٥-	عصر الشك: دراسات عن الرواية	ناتالى ساروت	فتحي العشرى
٢٣٦-	متون الأهرام	نصوص مصرية قديمة	حسن صابر
٢٣٧-	فلسفة الولاء	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٢٣٨-	نظرات حائرة وقصص أخرى	نخبة	جلال الحفناوى
٢٣٩-	تاريخ الأدب فى إيران (ج ٢)	إنوار براون	محمد علاء الدين منصور
٢٤٠-	اضطراب فى الشرق الأوسط	بيرش بيربروجلو	فخرى لبيب

٢٤١-	قصائد من رلكه (شعر)	راينر ماريا رلكه	حسن حلمي
٢٤٢-	سلامان وأبسال (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجامي	عبد العزيز بقوش
٢٤٣-	العالم البرجوازي الزائل (رواية)	ناين جورديمر	سمير عبد ربه
٢٤٤-	الموت في الشمس (رواية)	بيتر بالانجيو	سمير عبد ربه
٢٤٥-	الركض خلف الزمان (شعر)	بونه ندائي	يوسف عبد الفتاح فرج
٢٤٦-	سحر مصر	رشاد رشدي	جمال الجزيري
٢٤٧-	الصبي الطاشون (رواية)	جان كوكتو	بكر الطو
٢٤٨-	التصوفة الأولون في الأدب التركي (ج١)	محمد فؤاد كوبريلي	عبدالله أحمد إبراهيم
٢٤٩-	دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	آرثر والدهورن وآخرون	أحمد عمر شاهين
٢٥٠-	بانوراما الحياة السياحية	مجموعة من المؤلفين	عطية شحاتة
٢٥١-	مبادئ المنطق	جوزايا رويس	أحمد الانصاري
٢٥٢-	قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	نعيم عطية
٢٥٣-	الفن الإسلامي في الأندلس: الزخرفة الهندسية	باسيليو بابون مالدونادو	علي إبراهيم منوفي
٢٥٤-	الفن الإسلامي في الأندلس: الزخرفة النباتية	باسيليو بابون مالدونادو	علي إبراهيم منوفي
٢٥٥-	التيارات السياسية في إيران المعاصرة	حجت مرتجي	محمود علاوي
٢٥٦-	الميراث المر	بول سالم	بدر الرفاعي
٢٥٧-	متون هرمس	تيموش فريك وبيتر غاندي	عمر الفاروق عمر
٢٥٨-	أمثال الهوسا العامة	تخبة	مصطفى حجازي السيد
٢٥٩-	محاضرة بارمنيدس	أفلاطون	حبيب الشاروني
٢٦٠-	أنثروبولوجيا اللغة	أندريه جاكوب ونويلا باركان	ليلي الشرييني
٢٦١-	التصحر: التهديد والمجابهة	آلان جرينجر	عاطف معتمد وأمال شاور
٢٦٢-	تلميذ بابنبرج (رواية)	هاينرش شيبورل	سيد أحمد فتح الله
٢٦٣-	حركات التحرير الأفريقية	ريتشارد جيبسون	صبري محمد حسن
٢٦٤-	حادثة شكسبير	إسماعيل سراج الدين	نجله أبو عجاج
٢٦٥-	سام باريس (شعر)	شارل بودلير	محمد أحمد حمد
٢٦٦-	نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا بنكولا	مصطفى محمود محمد
٢٦٧-	القلم الجريء	مجموعة من المؤلفين	البراق عبدالهادي رضا
٢٦٨-	المصطلح السردى: معجم مصطلحات	جيرالد برنس	عابد خزندار
٢٦٩-	المرأة في أدب نجيب محفوظ	فوزية العشماوي	فوزية العشماوي
٢٧٠-	الفن والحياة في مصر الفرعونية	كليرلا لويت	فاطمة عبدالله محمود
٢٧١-	التصوفة الأولون في الأدب التركي (ج٢)	محمد فؤاد كوبريلي	عبدالله أحمد إبراهيم
٢٧٢-	عاش الشباب (رواية)	وانغ مينغ	وحيد السعيد عبدالحميد
٢٧٣-	كيف تعد رسالة دكتوراه	أومبرتو إيكو	علي إبراهيم منوفي
٢٧٤-	اليوم السادس (رواية)	أندريه شديد	حمادة إبراهيم
٢٧٥-	الخلود (رواية)	ميلان كونديرا	خالد أبو اليزيد
٢٧٦-	النضب وأحلام السنين (مسرحيات)	جان أنوي وآخرون	إدوار الخراط
٢٧٧-	تاريخ الأدب في إيران (ج٤)	إدوارد براون	محمد علاء الدين منصور
٢٧٨-	المسافر (شعر)	محمد إقبال	يوسف عبدالفتاح فرج

جمال عبدالرحمن	سنيل باث	٢٧٩- ملك فى الحديقة (رواية)
شيرين عبدالسلام	جونتر جواس	٢٨٠- حديث عن الخسارة
رائيا ابراهيم يوسف	ر. ل. تراسك	٢٨١- أساسيات اللغة
أحمد محمد نادى	بهاء الدين محمد إسفنديار	٢٨٢- تاريخ طبرستان
سمير عبدالحميد ابراهيم	محمد إقبال	٢٨٣- هدية الحجاز (شعر)
إيزابيل كمال	سوزان إنجيل	٢٨٤- القصص التى يحكيها الأطفال
يوسف عبدالفتاح فرج	محمد على بهزادراد	٢٨٥- مشترى العشق (رواية)
ريهام حسين ابراهيم	جانيت تود	٢٨٦- دفاعاً عن التاريخ الأدبى النسوى
بهاء جاهين	جون دن	٢٨٧- أغنيات وسوناتات (شعر)
محمد علاء الدين منصور	سعدى الشيرازى	٢٨٨- مواعظ سعدى الشيرازى (شعر)
سمير عبدالحميد ابراهيم	نخبة	٢٨٩- تفاهم وقصص أخرى
عثمان مصطفى عثمان	إم. فى. روبرتس	٢٩٠- الأرشيفات والمدن الكبرى
منى الدروبي	مايف بينشى	٢٩١- الحافلة الليلى (رواية)
عبداللطيف عبدالحميد	فرناندو دى لاجرانجا	٢٩٢- مقامات ورسائل أندلسية
زينب محمود الخضيرى	نبوة لويس ماسينيون	٢٩٣- فى قلب الشرق
هاشم أحمد محمد	بول ديفيز	٢٩٤- القوى الأربع الأساسية فى الكون
سليم عبد الأمير حمدان	إسماعيل فصيح	٢٩٥- آلام سياوش (رواية)
محمود علاوى	تقى نجارى راد	٢٩٦- السافاك
إمام عبدالفتاح إمام	لورانس جين وكيتى شين	٢٩٧- أقدم لك: نيتشه
إمام عبدالفتاح إمام	فيليب تودى وهوارد ريد	٢٩٨- أقدم لك: سارتر
إمام عبدالفتاح إمام	ديفيد ميروفتش وآلن كوركس	٢٩٩- أقدم لك: كامى
باهر الجوهري	ميشائيل إنده	٤٠٠- مومو (رواية)
ممدوح عبد المنعم	زياودن ساردر وأخرون	٤٠١- أقدم لك: علم الرياضيات
ممدوح عبد المنعم	ج. ب. ماك إيفوى وأوسكار زاريت	٤٠٢- أقدم لك: ستيفن هوكينج
عماد حسن بكر	توبور شتورم وجوتفرد كولر	٤٠٣- ربة المطر والملابس تصنع الناس (روايتان)
ظبية خميس	ديفيد إبرام	٤٠٤- تعويذة الحسى
حمادة ابراهيم	أندريه جيد	٤٠٥- إيزابيل (رواية)
جمال عبد الرحمن	مانويلا مانتاناريس	٤٠٦- المستعربون الإسبان فى القرن ١٩
طلعت شاهين	مجموعة من المؤلفين	٤٠٧- الأدب الإسباني المعاصر بأقلام كتابه
عنان الشهاوى	جوان فوتشركنج	٤٠٨- معجم تاريخ مصر
إلهامى عمارة	برتراند راسل	٤٠٩- انتصار السعادة
الزواوى بغورة	كارل بوير	٤١٠- خلاصة القرن
أحمد مستجير	جينييفر أكرمان	٤١١- همس من الماضى
بإشراف: صلاح فضل	ليفى بروفنسال	٤١٢- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ٢، ج ٢)
محمد البخارى	ناظم حكمت	٤١٣- أغنيات المنفى (شعر)
أمل الصبان	باسكال كازانوف	٤١٤- الجمهورية العالمية للأدب
أحمد كامل عبدالرحيم	فريدريش لورينمات	٤١٥- صورة كوكب (مسرحية)
محمد مصطفى بدوى	أ. أ. رتشاريز	٤١٦- مبادئ النقد الأدبى والعلم والشعر

- ٤١٧- تاريخ النقد الأدبي الحديث (ج٥) رينيه ويليك مجاهد عبدالمنعم مجاهد
- ٤١٨- سياسات الزمر الحاكمة في مصر العشانية جين هاثواي عبد الرحمن الشيخ
- ٤١٩- العصر الذهبي للإسكندرية جون مارلو نسيم مجلى
- ٤٢٠- مكرو ميجاس (قصة فلسفية) فولتير الطيب بن رجب
- ٤٢١- الولاء والقيادة في المجتمع الإسلامي الأول روى متحدة أشرف كيلانى
- ٤٢٢- رحلة لاستكشاف أفريقيا (ج١) ثلاثة من الرحالة عبدالله عبدالرازق إبراهيم
- ٤٢٣- إسرارات الرجل الطيف نخبة وحيد النقاش
- ٤٢٤- لوائح الحق ولوامع العشق (شعر) نور الدين عبدالرحمن الجامى محمد علاء الدين منصور
- ٤٢٥- من طاووس إلى فرح محمود طلوعى محمود علاوى
- ٤٢٦- الخفافيش وقصص أخرى نخبة محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
- ٤٢٧- بانديراس الطاغية (رواية) باى إنكلان ثريا شلبى
- ٤٢٨- الخزانة الخفية محمد هوتك بن داود خان محمد أمان صافى
- ٤٢٩- أقدم لك: هيجل ليود سبنسر وأندرجى كروز إمام عبدالفتاح إمام
- ٤٣٠- أقدم لك: كانط كرستوفر وانت وأندرجى كليموفسكى إمام عبدالفتاح إمام
- ٤٣١- أقدم لك: فوكو كريس هوروكس وزوران جفتيك إمام عبدالفتاح إمام
- ٤٣٢- أقدم لك: ماكياثلى باتريك كبرى وأوسكار زاريت إمام عبدالفتاح إمام
- ٤٣٣- أقدم لك: جويس ديفيد نوريس وكارل فلنت حمدي الجابرى
- ٤٣٤- أقدم لك: الرومانسية دونكان هيث وجودى بورهام عصام حجازى
- ٤٣٥- توجهات ما بعد الحداثة نيكولاس زديرج ناجى رشوان
- ٤٣٦- تاريخ الفلسفة (مج ١) فردريك كويستون إمام عبدالفتاح إمام
- ٤٣٧- رجالة هندي في بلاد الشرق العربى شبلى النعماني جلال الحفناوى
- ٤٣٨- بطلات وضحايا إيمان ضياء الدين بيبرس عايدة سيف الدولة
- ٤٣٩- موت المرابى (رواية) صدر الدين عيسى محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
- ٤٤٠- قواعد اللهجات العربية الحديثة كرستن بروستاد محمد طارق الشرقاوى
- ٤٤١- رب الأشياء الصغيرة (رواية) أرونداتى روى فخرى لبيب
- ٤٤٢- حثشبسوت: المرأة الفرعونية فوزية أسعد ماهر جويجاتى
- ٤٤٣- الله الغريبة: تاريخها ومستوياتها وتغيرها كيس فرستينج محمد طارق الشرقاوى
- ٤٤٤- أمريكا اللاتينية: الثقافات القديمة لاوريت سيجورنه صالح علمانى
- ٤٤٥- حول وزن الشعر پرويز نائل خانلرى محمد محمد يونس
- ٤٤٦- التحالف الأسود ألكسندر كوكبرن وجيفرى سانت كليلر أحمد محمد
- ٤٤٧- أقدم لك: نظرية الكم ج. پ. ماك إيفوى وأوسكار زاريت معدوح عبدالمنعم
- ٤٤٨- أقدم لك: علم نفس التطور ديلان إيفانز وأوسكار زاريت معدوح عبدالمنعم
- ٤٤٩- أقدم لك: الحركة النسوية نخبة جمال الجزيرى
- ٤٥٠- أقدم لك: ما بعد الحركة النسوية صوفيا فوكا وريبىكا رايت جمال الجزيرى
- ٤٥١- أقدم لك: الفلسفة الشرقية ريتشارد أوزبورن ويورن فان لون إمام عبد الفتاح إمام
- ٤٥٢- أقدم لك: لينين والثورة الروسية ريتشارد إيجينانزى وأوسكار زاريت محيى الدين مزيد
- ٤٥٣- القاهرة: إقامة مدينة حديثة جان لوك أرنو حليم طوسون وفؤاد الدمان
- ٤٥٤- خمسون عاماً من السينما الفرنسية رينيه بريدال سوزان خليل

٤٥٥-	تاريخ الفلسفة الحديثة (مج ٥)	فردريك كويلستون	محمود سيد أحمد
٤٥٦-	لا تنسنى (رواية)	مريم جعفرى	هويدا عزت محمد
٤٥٧-	النساء فى الفكر السياسى الغربى	سوزان مولر أوكين	إمام عبدالفتاح إمام
٤٥٨-	الموريسكيون الأندلسيون	موشيس غارثيا أرينال	جمال عبد الرحمن
٤٥٩-	نحو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية	توم تيتنبرج	جلال البنا
٤٦٠-	أقدم لك: الفاشية والنازية	ستوارت هود وليتزا جانستز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦١-	أقدم لك: لكأن	داريان ليدر وجوى جروفز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦٢-	طه حسين من الأزهر إلى السوريين	عبدالرشيد الصادق محمودى	عبدالرشيد الصادق محمودى
٤٦٣-	البولة المارقة	ويليام بلوم	كمال السيد
٤٦٤-	ديمقراطية للقلّة	مايكل بارنتى	حصّة إبراهيم المنيف
٤٦٥-	قصص اليهود	لويس جنزبيرج	جمال الرفاعى
٤٦٦-	حكايات حب ويطولات فرعونية	فيولين قانونك	فاطمة عبد الله
٤٦٧-	التفكير السياسى والنظرة السياسية	ستيفين ديلى	ربيع وهبة
٤٦٨-	روح الفلسفة الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الانتصارى
٤٦٩-	جلال الملوك	نصوص حبشية قديمة	مجدى عبدالرازق
٤٧٠-	الأراضى والجودة البيئية	جارى م. بيرزنسكى وآخرون	محمد السيد الننة
٤٧١-	رحلة لاستكشاف أفريقيا (ج ٢)	ثلاثة من الرحالة	عبد الله عبد الرزاق إبراهيم
٤٧٢-	دون كيخوتى (القسم الأول)	ميجيل دى ثريانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٣-	دون كيخوتى (القسم الثانى)	ميجيل دى ثريانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٤-	الألب والنسوية	بام موريس	سهام عبدالسلام
٤٧٥-	صوت مصر: أم كلثوم	فرجينيا دانييلسون	عادل هلال عنانى
٤٧٦-	أرض الحباب بعيدة: بيرم التونسي	ماريلين بوث	سحر توفيق
٤٧٧-	تاريخ المسح منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين	هيلدا هوخام	أشرف كيلانى
٤٧٨-	الصين والولايات المتحدة	ليوشيه شنج ولى شى دونج	عبد العزيز حمدي
٤٧٩-	المقهى (مسرحية)	لاوشه	عبد العزيز حمدي
٤٨٠-	تساي ون جى (مسرحية)	كو مو روا	عبد العزيز حمدي
٤٨١-	بردة النبى	روى متحدة	رضوان السيد
٤٨٢-	موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية	روبير جاك تيبو	فاطمة عبد الله
٤٨٣-	النسوية وما بعد النسوية	سارة چامبل	أحمد الشامى
٤٨٤-	جمالية التلقى	هانسن روبرت ياكس	رشيد بنحدو
٤٨٥-	التوبة (رواية)	نذير أحمد الدهلوى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٦-	الذاكرة الحضارية	يان أسمن	عبدالحليم عبدالغنى رجب
٤٨٧-	الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية	رفيع الدين المراد أبادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٨-	الحب الذى كان وقصائد أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٩-	هُسْرُل: الفلسفة علماً دقيقاً	إدموند هُسْرُل	محمود رجب
٤٩٠-	أسفار البيغاء	محمد قادري	عبد الوهاب علوب
٤٩١-	نصوص قصصية من روائع الألب الأقرشى	نخبة	سمير عبد ربه
٤٩٢-	محمد على مؤسس مصر الحديثة	جى قارجيت	محمد رفعت عواد

خطابات إلى طالب الصوتيات	هارولد بالمر	محمد صالح الضالع	٤٩٣-
كتاب الموتى: الخروج في النهار	نصوص مصرية قديمة	شريف الصيفي	٤٩٤-
اللوى	إيوارد تيفان	حسن عبد ربه المصري	٤٩٥-
الحكم والسياسة في أفريقيا (ج١)	إكوانو بانولى	مجموعة من المترجمين	٤٩٦-
الطمانية والنوع والنولة في الشرق الأوسط	نادية العلى	مصطفى رياض	٤٩٧-
النساء والنوع في الشرق الأوسط الحديث	جوديث تاكر ومارجريت مريودز	أحمد على بدوى	٤٩٨-
تقاطعات: الأمة والمجتمع والنوع	مجموعة من المؤلفين	فيصل بن خضراء	٤٩٩-
في طفولتى: دراسة في السيرة الذاتية العربية	تيتز روكي	طلعت الشايب	٥٠٠-
تاريخ النساء في الغرب (ج١)	أرثر جولد هامر	سحر فراج	٥٠١-
أصوات بديلة	مجموعة من المؤلفين	هالة كمال	٥٠٢-
مختارات من الشعر الفارسي الحديث	نخبة من الشعراء	محمد نور الدين عبدالمنعم	٥٠٣-
كتابات أساسية (ج١)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق	٥٠٤-
كتابات أساسية (ج٢)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق	٥٠٥-
ربما كان قديساً (رواية)	أن تيلر	عبدالحميد فهمي الجمال	٥٠٦-
سيدة الماضي الجميل (مسرحية)	بيتر شيفر	شوقي فهمي	٥٠٧-
المولوية بعد جلال الدين الرومي	عبدالباقي جلبنازلى	عبدالله أحمد إبراهيم	٥٠٨-
الفقر والإحسان في مصر سلاطين الممالك	أدم صبرة	قاسم عبده قاسم	٥٠٩-
الأرملة الماكورة (مسرحية)	كارلو جولونى	عبدالرازق عيد	٥١٠-
كوكب مرقع (رواية)	أن تيلر	عبدالحميد فهمي الجمال	٥١١-
كتابة النقد السينمائي	تيموثي كوريغان	جمال عبد الناصر	٥١٢-
العلم الجسور	تيد أنتون	مصطفى إبراهيم فهمي	٥١٣-
مدخل إلى النظرية الأدبية	جونثان كولر	مصطفى بيومى عبد السلام	٥١٤-
من التقليد إلى ما بعد الحداثة	فدوى مالطى دوجلاس	فدوى مالطى دوجلاس	٥١٥-
إرادة الإنسان في علاج الإدمان	أرنولد واشنطن ودونا باوندى	صبرى محمد حسن	٥١٦-
نقش على الماء وقصص أخرى	نخبة	سمير عبد الحميد إبراهيم	٥١٧-
استكشاف الأرض والكون	إسحق عظيموف	هاشم أحمد محمد	٥١٨-
محاضرات في المثالية الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى	٥١٩-
الولع الفرنسي بمصر من الحلم إلى المشروع	أحمد يوسف	أمل الصبيان	٥٢٠-
قاموس تراجم مصر الحديثة	أرثر جولد سميث	عبدالوهاب بكر	٥٢١-
إسبانيا في تاريخها	أميركو كاسترو	على إبراهيم منوفى	٥٢٢-
الفن الطليطلى الإسلامى والمذجن	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى	٥٢٣-
الملك لير (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى	٥٢٤-
موسم صيد في بيروت وقصص أخرى	دنيس جونسون	نادية رفعت	٥٢٥-
أقدم لك: السياسة البيئية	ستيفن كرول ووليم رانكين	محيى الدين مزيد	٥٢٦-
أقدم لك: كافكا	ليفيد زين ميروفيتس وروبرت كرمب	جمال الجزيري	٥٢٧-
أقدم لك: تروتسكى والماركسية	طارق على وفل إيفانز	جمال الجزيري	٥٢٨-
بدائع العلامة إقبال في شعره الأردى	محمد إقبال	حازم محفوظ وحسين نجيب المصرى	٥٢٩-
مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية	رينيه جينو	عمر الفاروق عمر	٥٣٠-

٥٣١-	ما الذي حدث في «حدث» ١١ سبتمبر؟	چاك دريدا	صفاء فتحي
٥٣٢-	المغامر والمستشرق	هنري لورنس	بشير السباعي
٥٣٣-	تعلم اللغة الثانية	سوزان جاس	محمد طارق الشراقي
٥٣٤-	الإسلاميون الجزائريون	سيفرين لوبا	حمادة إبراهيم
٥٣٥-	مخزن الأسرار (شعر)	نظامي الكنجوي	عبدالعزیز بقوش
٥٣٦-	الثقافات وقيم التقدم	صمويل منتجتون ولورانس هارينزون	شوقي جلال
٥٣٧-	للحب والحرية (شعر)	نخبة	عبدالفار مكاوي
٥٣٨-	النفس والآخر في قصص يوسف الشاروني	كيت دانييلز	محمد الحديدي
٥٣٩-	خمسة مسرحيات قصيرة	كاريل تشرشل	محسن مصيلحي
٥٤٠-	توجهات بريطانية - شرقية	السير رونالد ستورس	رؤف عباس
٥٤١-	هي تتخيل وهلاوس أخرى	خوان خوسيه مياس	مروة رزق
٥٤٢-	قصص مختارة من الألب اليوناني الحديث	نخبة	نعيم عطية
٥٤٣-	أقدم لك: السياسة الأمريكية	باتريك بروجان وكريس جرات	وفاء عبدالقادر
٥٤٤-	أقدم لك: ميلاني كلابن	روبرت هنشل وآخرون	حمدي الجابري
٥٤٥-	يا له من سباق محموم	فرانسيس كريك	عزت عامر
٥٤٦-	ريموس	ت. ب. وايزمان	توفيق علي منصور
٥٤٧-	أقدم لك: بارت	فيليب تودي وأن كورس	جمال الجزيري
٥٤٨-	أقدم لك: علم الاجتماع	ريتشارد أوزبرن وبورن فان لون	حمدي الجابري
٥٤٩-	أقدم لك: علم العلامات	بول كيرلي ولينجانز	جمال الجزيري
٥٥٠-	أقدم لك: شكسبير	نيك جروم وييرو	حمدي الجابري
٥٥١-	الموسيقى والعولمة	سايمون ماندي	سمحة الخولي
٥٥٢-	قصص مثالية	ميجيل دي ثربانتس	علي عبد الرؤف البعبي
٥٥٣-	مدخل للشعر الفرنسي الحديث والمعاصر	دانيال لوفرس	رجاء ياقوت
٥٥٤-	مصر في عهد محمد علي	عفاف لطفى السيد مارسوه	عبدالسميع عمر زين الدين
٥٥٥-	الإستراتيجية الأمريكية للقرن العادي والقرن	أناثولي أوتكين	أنور محمد إبراهيم ومحمد نصرالدين الجبالي
٥٥٦-	أقدم لك: جان بولريار	كريس هوروكس وزوران جيفتك	حمدي الجابري
٥٥٧-	أقدم لك: الماركيز دي ساد	ستوارت هود وجراهام كرولي	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٨-	أقدم لك: الدراسات الثقافية	زيودين ساردارويورين فان لون	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٩-	الماس الزائف (رواية)	تشا تشاجي	عبدالحى أحمد سالم
٥٦٠-	صلصلة الجرس (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوي
٥٦١-	جناح جبريل (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوي
٥٦٢-	بلايين وبلايين	كارل ساجان	عزت عامر
٥٦٣-	ورود الخريف (مسرحية)	خايننتو بينابينتى	صبرى محمدى التهامي
٥٦٤-	عش الغريب (مسرحية)	خايننتو بينابينتى	صبرى محمدى التهامي
٥٦٥-	الشرق الأوسط المعاصر	ديورا ج. جيرنر	أحمد عبدالحميد أحمد
٥٦٦-	تاريخ أوروبا في العصور الوسطى	موريس بيشوب	علي السيد علي
٥٦٧-	الوطن المغتصب	مايكل رايس	إبراهيم سلامة إبراهيم
٥٦٨-	الأصول في الرواية	عبد السلام حيدر	عبد السلام حيدر

٥٦٩-	موقع الثقافة	هومى بابا	ثائر ديب
٥٧٠-	دول الخليج الفارسي	سير روبرت هاى	يوسف الشارونى
٥٧١-	تاريخ النقد الإسباني المعاصر	إيميليا دى ثوليتا	السيد عبد الظاهر
٥٧٢-	الطب فى زمن الفراغة	برونو أليوا	كمال السيد
٥٧٣-	أقدم لك: فرويد	ريتشارد ابيجنانس وأسكار زارتى	جمال الجزيرى
٥٧٤-	مصر القديمة فى عيون الإيرانيين	حسن بيرنيا	علاء الدين السباعى
٥٧٥-	الاقتصاد السياسى للعولمة	نجير وودز	أحمد محمود
٥٧٦-	فكر ثريانتس	أمريكو كاسترو	ناهد العشرى محمد
٥٧٧-	مغامرات بينوكيو	كارلو كولودى	محمد قدرى عمارة
٥٧٨-	الجماليات عند كيتس وهنت	أيومى ميزوكوشى	محمد إبراهيم وعصام عبد الروف
٥٧٩-	أقدم لك: تشومسكى	جون ماهر وچودى جرونز	محيى الدين مزيد
٥٨٠-	دائرة المعارف النولية (مج ١)	جون فيزر ويول سيترجز	بإشراف: محمد فتحى عبدالهادى
٥٨١-	الحمقى يموتون (رواية)	ماريو بوزو	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٢-	مرايا على الذات (رواية)	هوشنك كلشيرى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٣-	الجيران (رواية)	أحمد محمود	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٤-	سفر (رواية)	محمود دولت آبادى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٥-	الأمير احتجاب (رواية)	هوشنك كلشيرى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٦-	السينما العربية والأفريقية	ليزبيث مالكموس وروى أرمز	سهام عبد السلام
٥٨٧-	تاريخ تطور الفكر الصينى	مجموعة من المؤلفين	عبدالعزیز حمدى
٥٨٨-	أمنحوتب الثالث	أنيس كابرول	ماهر جورجياتى
٥٨٩-	تمبكت العجبية (رواية)	فيلكس دييوا	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٥٩٠-	أساطير من الموروثات الشعبية الفلنتينية	نخبة	محمود مهدى عبدالله
٥٩١-	الشاعر والمفكر	هوراتىوس	على عبدالقواب على وصلاح رمضان السيد
٥٩٢-	الثورة المصرية (ج ١)	محمد صبرى السوربونى	مجدى عبدالحافظ وعلى كورخان
٥٩٣-	قصائد ساحرة	بول فاليرى	بكر الحلو
٥٩٤-	القلب السمين (قصة أطفال)	سوزانا تامارو	أمانى فوزى
٥٩٥-	الحكم والسياسة فى أفريقيا (ج ٢)	إكوانو بانولى	مجموعة من المترجمين
٥٩٦-	الصحة العقلية فى العالم	روبرت ديجارليه وآخرون	إيهاب عبدالرحيم محمد
٥٩٧-	مسلمو عرناطة	خوليو كاروياروخا	جمال عبدالرحمن
٥٩٨-	مصر وكتمان وإسرائيل	دونالد ريدفورد	بيومى على قنديل
٥٩٩-	فلسفة الشرق	هرداد مهرين	محمود علاوى
٦٠٠-	الإسلام فى التاريخ	برنارد لويس	مدحت طه
٦٠١-	النسوية والمواطنة	ريان فوت	أيمن بكر وسمر الشيشكى
٦٠٢-	ليوتار: نحو فلسفة ما بعد حداثة	جيمس وليامز	إيمان عبدالعزيز
٦٠٣-	النقد الثقافى	أرثر أيزنبرجر	وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسى
٦٠٤-	الكوارث الطبيعية (مج ١)	باتريك ل. أبوت	توفيق على منصور
٦٠٥-	مخاطر كوكبنا المضطرب	إرنست زيبروسكى (الصغير)	مصطفى إبراهيم فهمى
٦٠٦-	قصة البردى اليونانى فى مصر	ريتشارد هاريس	محمود إبراهيم السعدنى

٦٠٧-	قلب الجزيرة العربية (ج١)	هارى سينت فيليبى	صبرى محمد حسن
٦٠٨-	قلب الجزيرة العربية (ج٢)	هارى سينت فيليبى	صبرى محمد حسن
٦٠٩-	الانتخاب الثقافى	أجنر فوج	شوقى جلال
٦١٠-	العمارة المدججة	رفائيل لويث جوشمان	على إبراهيم منوفى
٦١١-	النقد والأيدولوجية	تيرى إيجلتون	فخرى صالح
٦١٢-	رسالة النفسية	فضل الله بن حامد الحسينى	محمد محمد يونس
٦١٣-	السياحة والسياسة	كوان مايكل هول	محمد فريد حجاب
٦١٤-	بيت الأقصر الكبير (رواية)	فوزية أسعد	منى قطان
٦١٥-	مرض الأكله التى وقعت فى بغداد من ١١١٧ إلى ١١١٩	أليس بسيرينى	محمد رفعت عواد
٦١٦-	أساطير بيضاء	روبرت يانج	أحمد محمود
٦١٧-	الفولكلور والبحر	هوراس بيك	أحمد محمود
٦١٨-	نحو مفهوم لاقتصاديات الصحة	تشارلز فيليبس	جلال البنا
٦١٩-	مفاتيح اورشليم القدس	ريمون استانبولى	عايدة الباجورى
٦٢٠-	السلام الصليبي	توماش ماستاك	بشير السباعى
٦٢١-	النوية المعبر الحضارى	وليم ي. آدمز	فؤاد عكود
٦٢٢-	أشعار من عالم اسمه الصين	أى تشينغ	أمير نبيه وعبدالرحمن حجازى
٦٢٣-	نواير جحا الإيراني	سعيد قانعى -	يوسف عبدالفتاح
٦٢٤-	أزمة العالم الحديث	رينيه جينو	عمر الفاروق عمر
٦٢٥-	الجرح السرى	جان جينيه	محمد برادة
٦٢٦-	مختارات شعرية مترجمة (ج٢)	نخبة	توفيق على منصور
٦٢٧-	حكايات إيرانية	نخبة	عبدالوهاب علوب
٦٢٨-	أصل الأنواع	تشارلس داروين	مجدى محمود المليجى
٦٢٩-	قرن آخر من الهيمنة الأمريكية	نيقولاى جويات	عزة الخميسى
٦٣٠-	سيرتى الذاتية	أحمد بللو	صبرى محمد حسن
٦٣١-	مختارات من الشعر الأفرقى المعاصر	نخبة	ياشراف: حسن طلب
٦٣٢-	المسلمون واليهود فى مملكة فالنسيا	لولورس برامون	رانيا محمد
٦٣٣-	الحب وفنونه (شعر)	نخبة	حمادة إبراهيم
٦٣٤-	مكتبة الإسكندرية	روى ماكرويد وإسماعيل سراج الدين	مصطفى البهنساوى
٦٣٥-	التبثيت والتكيف فى مصر	جودة عبد الخالق	سمير كريم
٦٣٦-	حج يولنده	جناب شهاب الدين	سامية محمد جلال
٦٣٧-	مصر الخديوية	ف. روبرت هنتز	بدر الرفاعى
٦٣٨-	الديمقراطية والشعر	روبرت بن ورين	فؤاد عبد المطلب
٦٣٩-	فندق الأرق (شعر)	تشارلز سيميك	أحمد شافعى
٦٤٠-	الكسياد	الأميرة أناكومنينا	حسن حبشى
٦٤١-	برتراندرسل (مختارات)	برتراند رسل	محمد قدرى عمارة
٦٤٢-	أقدم لك: داروين والتطور	جوناثان ميلر ويورين فان لون	ممنوح عبد المنعم
٦٤٣-	سفرنامه حجاز (شعر)	عبد الماجد الدرايادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٦٤٤-	العلوم عند المسلمين	هوارد دتيرنر	فتح الله الشيخ

٦٤٥-	السياسة الخارجية الأمريكية ومبادئها الداخلية	تشارلز كجلى ويوجين ويتكوف	عبد الوهاب علوب
٦٤٦-	قصة الثورة الإيرانية	سپهر نبيح	عبد الوهاب علوب
٦٤٧-	رسائل من مصر	جون نينيه	فتحى العشرى
٦٤٨-	بورخيس	بياتريث سارلو	خليل كلفت
٦٤٩-	الخوف وقصص خرافية أخرى	جى دى موياسان	سحر يوسف
٦٥٠-	الدولة والسلطة والسياسة فى الشرق الأوسط	روجر أوين	عبد الوهاب علوب
٦٥١-	ديليسبس الذى لا نعرفه	وثائق قديمة	أمل الصبان
٦٥٢-	آلهة مصر القديمة	كلود ترونكر	حسن نصر الدين
٦٥٣-	مدرسة الطغاة (مسرحية)	إيريش كستتر	سمير جريس
٦٥٤-	أساطير شعبية من أوزبكستان (ج١)	نصوص قديمة	عبد الرحمن الخميسى
٦٥٥-	أساطير وآلهة	إيزابيل فرانكو	حليم طوسون ومحمود ماهر طه
٦٥٦-	خبز الشعب والأرض الحمراء (مسرحيتان)	ألفونسو ساسترى	ممدوح البستاوى
٦٥٧-	محاكم التفتيش والموريسكيون	مرثيديس غارثيا أرينال	خالد عباس
٦٥٨-	حوارات مع خوان رامون خيمينيث	خوان رامون خيمينيث	صبرى التهامى
٦٥٩-	قصائد من إسبانيا وأمريكا اللاتينية	نخبة	عبد اللطيف عبد الحليم
٦٦٠-	نافذة على أحدث العلوم	ريتشارد فايفيلد	هاشم أحمد محمد
٦٦١-	روائع أندلسية إسلامية	نخبة	صبرى التهامى
٦٦٢-	رحلة إلى الجنور	داسو سالدنيار	صبرى التهامى
٦٦٣-	امراة عابية	ليوسيل كليفتون	أحمد شافعى
٦٦٤-	الرجل على الشاشة	ستيفن كوهان وإنا راي هارك	عصام زكريا
٦٦٥-	عوالم أخرى	بول دافيز	هاشم أحمد محمد
٦٦٦-	تطور الصورة الشعرية عند شكسبير	ولفجانج اتش كليمن	جمال عبد الناصر ومبحث الجيار وجمال جاد الرب
٦٦٧-	الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربى	ألن جولندر	على ليلة
٦٦٨-	ثقافات العولة	فريدريك جيمسون وماساو ميوشى	ليلي الجبالى
٦٦٩-	ثلاث مسرحيات	ول شوينكا	نسيم مجلى
٦٧٠-	أشعار جوستاف أدولفو	جوستاف أدولفو بكر	ماهر البطوطى
٦٧١-	قل لى كم مضى على رحيل القطار؟	جيمس بولنوين	على عبد الأمير صالح
٦٧٢-	مختارات من الشعر الفرنسى للأطفال	نخبة	إبتهال سالم
٦٧٣-	ضرب الكليم (شعر)	محمد إقبال	جلال الحفناوى
٦٧٤-	ديوان الإمام الخمينى	آية الله العظمى الخمينى	محمد علاء الدين منصور
٦٧٥-	أثينا السوداء (ج٢، مج١)	مارتن برنال	بإشراف: محمود إبراهيم السعدنى
٦٧٦-	أثينا السوداء (ج٢، مج٢)	مارتن برنال	بإشراف: محمود إبراهيم السعدنى
٦٧٧-	تاريخ الأدب فى إيران (ج١، مج١)	إدوارد جرانفيل براون	أحمد كمال الدين حلمى
٦٧٨-	تاريخ الأدب فى إيران (ج١، مج٢)	إدوارد جرانفيل براون	أحمد كمال الدين حلمى
٦٧٩-	مختارات شعرية مترجمة (ج٢)	وليام شكسبير	توفيق على منصور
٦٨٠-	سنوات الطفولة (رواية)	ول شوينكا	سمير عبد ربه
٦٨١-	هل يوجد نص فى هذا الفصل؟	ستانلى فش	أحمد الشيمى
٦٨٢-	نجوم حظر التجوال الجديد (رواية)	بن أوكرى	صبرى محمد حسن

صبرى محمد حسن	ت. م. ألوكو	سكين واحد لكل رجل (رواية)	٦٨٣-
رزق أحمد بهنسى	أوراثيو كيروجا	الاعمال القصصية الكاملة (أنا كندا) (ج١)	٦٨٤-
رزق أحمد بهنسى	أوراثيو كيروجا	الاعمال القصصية الكاملة (المصراع) (ج٢)	٦٨٥-
سحر توفيق	ماكسين هونج كنجستون	امرأة محاربة (رواية)	٦٨٦-
ماجدة العنانى	فتانة حاج سيد جوادى	محبوبة (رواية)	٦٨٧-
فتح الله الشيخ وأحمد السماحى	فيليب م. دوبر وریتشارد أ. موار	الانفجارات الثلاثة العظمى	٦٨٨-
هناء عبد الفتاح	تالوش روجيفيتش	الملف (مسرحية)	٦٨٩-
رمسيس عوض	(مختارات)	محاكم التفتيش فى فرنسا	٦٩٠-
رمسيس عوض	(مختارات)	ألبرت أينشتين: حياته وغرامياته	٦٩١-
حمدي الجابرى	ريتشارد أبيجانسى وأوسكار زاريت	أقدم لك: الوجودية	٦٩٢-
جمال الجزيرى	حائيم برشيت وآخرون	أقدم لك: القتل الجماعى (المحرقة)	٦٩٣-
حمدي الجابرى	جيف كولنر وييل مايبلين	أقدم لك: دريدا	٦٩٤-
إمام عبدالفتاح إمام	ديف روبنسون وجودى جروف	أقدم لك: رسل	٦٩٥-
إمام عبدالفتاح إمام	ديف روبنسون وأوسكار زاريت	أقدم لك: روسو	٦٩٦-
إمام عبدالفتاح إمام	روبرت وبفين وجودى جروف	أقدم لك: أرسطو	٦٩٧-
إمام عبدالفتاح إمام	ليود سبنسر وأنترزيجى كروز	أقدم لك: عصر التنوير	٦٩٨-
جمال الجزيرى	إيفان وارد وأوسكار زاريت	أقدم لك: التحليل النفسى	٦٩٩-
بسمة عبدالرحمن	ماريو فرجاش	الكاتب وواقعه	٧٠٠-
منى البرنس	وليم رود فيفيان	الذاكرة والحدائق	٧٠١-
محمود علاوى	أحمد وكيليان	الأمثال الفارسية	٧٠٢-
أمين الشواربى	إنوار جرانثيل براون	تاريخ الأدب فى إيران (ج٢)	٧٠٣-
محمد علاء الدين منصور وآخرون	مولانا جلال الدين الرومى	فيه ما فيه	٧٠٤-
عبدالحميد مذكور	الإمام الغزالى	فضل الأنام من رسائل حجة الإسلام	٧٠٥-
عزت عامر	جونسون ف. يان	الشفرة الوراثية وكتاب التحولات	٧٠٦-
وفاء عبدالقادر	هوارد كاليجل وآخرون	أقدم لك: فالتر بنيامين	٧٠٧-
رؤف عباس	دونالد مالكولم ريد	فراغة من؟	٧٠٨-
عادل نجيب بشرى	ألڤريد أدلر	معنى الحياة	٧٠٩-
دعاء محمد الخطيب	يان هاتشبائى وجوموران إليس	الأطفال والتكنولوجيا والثقافة	٧١٠-
هناء عبد الفتاح	ميرزا محمد هادى رسوا	درة التاج	٧١١-
سليمان البستانى	هوميروس	ميراث الترجمة: الإلياذة (ج١)	٧١٢-
سليمان البستانى	هوميروس	ميراث الترجمة: الإلياذة (ج٢)	٧١٣-
حنا صاوه	لامنيه	ميراث الترجمة: حديث القلوب	٧١٤-
نخبة من المترجمين	مجموعة من المؤلفين	جامعة كل المعارف (ج١)	٧١٥-
نخبة من المترجمين	مجموعة من المؤلفين	جامعة كل المعارف (ج٢)	٧١٦-
نخبة من المترجمين	مجموعة من المؤلفين	جامعة كل المعارف (ج٣)	٧١٧-
نخبة من المترجمين	مجموعة من المؤلفين	جامعة كل المعارف (ج٤)	٧١٨-
نخبة من المترجمين	مجموعة من المؤلفين	جامعة كل المعارف (ج٥)	٧١٩-
نخبة من المترجمين	مجموعة من المؤلفين	جامعة كل المعارف (ج٦)	٧٢٠-
مصطفى لبيب عبد الفتى	ه. أ. ولفسون	فلسفة المتكلمين فى الإسلام (مج١)	٧٢١-

الصفحة وقصص أخرى	٧٢٢-
تحديات ما بعد الصهيونية	٧٢٣-
اليسار الفرويدي	٧٢٤-
الاضطراب النفسي	٧٢٥-
المويسكيون في المغرب	٧٢٦-
حلم البحر (رواية)	٧٢٧-
العولة: تدمير العمالة والنمو	٧٢٨-
الثورة الإسلامية في إيران	٧٢٩-
حكايات من السهول الأفريقية	٧٣٠-
النوع: الذكر والأنثى بين التميز والاختلاف	٧٣١-
قصص بسيطة (رواية)	٧٣٢-
مأساة عطيل (مسرحية)	٧٣٣-
بونابرت في الشرق الإسلامي	٧٣٤-
فن السيرة في العربية	٧٣٥-
التاريخ الشعبي للولايات المتحدة (ج١)	٧٣٦-
الكوارث الطبيعية (مج٢)	٧٣٧-
دمشق من مصر ما قبل التاريخ إلى الدولة المملوكية	٧٣٨-
دمشق من الإمبراطورية العثمانية حتى الوقت الحاضر	٧٣٩-
خطابات القوة	٧٤٠-
الإسلام وأزمة العصر	٧٤١-
أرض حارة	٧٤٢-
الثقافة: منظور دارويني	٧٤٣-
ديوان الأسرار والرموز (شعر)	٧٤٤-
المآثر السلطانية	٧٤٥-
تاريخ التحليل الاقتصادي (مج١)	٧٤٦-
الاستعارة في لغة السينما	٧٤٧-
تدمير النظام العالمي	٧٤٨-
إيكولوجيا لغات العالم	٧٤٩-
الإلياذة	٧٥٠-
الإسراء والمعراج في تراث الشعر الفارسي	٧٥١-
ألمانيا بين عقدة الذنب والخوف	٧٥٢-
التنمية والقيم	٧٥٣-
الشرق والغرب	٧٥٤-
تاريخ الشعر الإسباني خلال القرن العشرين	٧٥٥-
ذات العيون الساحرة	٧٥٦-
تجارة مكة	٧٥٧-
الإحساس بالعولة	٧٥٨-
النثر الأردني	٧٥٩-
الدين والتصور الشعبي للكون	٧٦٠-
يشار كمال	الصفصافي أحمد القطوري
إفرايم نيمنى	أحمد ثابت
بول روبنسون	عبد الريس
جون فيتكس	مى مقلد
غيرمو غوثاليس بوسنو	مروة محمد إبراهيم
باچين	وحيد السعيد
موريس آليه	أميرة جمعة
صادق زيبا كلام	هويدا عزت
أن جاني	عزت عامر
مجموعة من المؤلفين	محمد قدرى عمارة
إنجو شولتسه	سمير جريس
وليم شيكسبير	محمد مصطفى بدوى
أحمد يوسف	أمل الصبان
مايكل كويرسون	محمود محمد مكى
هوارد زن	شعبان مكارى
باتريك ل. أبوت	توفيق على منصور
جيرار دى جورج	محمد عواد
جيرار دى جورج	محمد عواد
بارى هندس	مرفت ياقوت
برنارد لويس	أحمد هبكل
خوسيه لاكوادرا	رزق بهنسى
روبرت أونجر	شوقى جلال
محمد إقبال	سسير عبد الحميد
بيك الدنبلى	محمد أبو زيد
جوزيف أ. شومبيتر	حسن النديمى
تريفيور وايتوك	إيمان عبد العزيز
فرانسيس ويل	سمير كريم
ل.ج. كالفيه	باتسى جمال الدين
هومبيرت	بإشراف: أحمد عثمان
نخبة	خلد انسابى
جمال قارصلى	نمر عارورى
إسماعيل سراج الدين وآخرون	محسن يوسف
أنا ماري شيمل	عبد السلام حيدر
أندرو ب. ديبكى	على إبراهيم منوفى
إنريكي خارديل بونثيلا	خالد محمد عباس
بازيشيا كرون	أمال الروبى
بروس روبنز	عاطف عبد الحميد
مولوى سيد محمد	جلال الحفناوى
السيد الأسود	السيد الأسود

فاطمة ناعوت	فيرجينيا وولف	٧٦١- جيوب مثقلة بالحجارة ()
عبدالعال صالح	ماريا سوليداد	٧٦٢- المسلم عدواً و صديقاً
نجوى عمر	أنريكو بيا	٧٦٣- الحياة فى مصر
حازم محفوظ	غالب الدهلوى	٧٦٤- ديوان غالب الدهلوى (شعر غزل)
حازم محفوظ	خواجه الدهلوى	٧٦٥- ديوان خواجه الدهلوى (شعر تصوف)
غازى برو و خليل أحمد خليل	تيرى هنتش	٧٦٦- الشرق المتخيل
غازى برو	نسيب سمير الحسينى	٧٦٧- الغرب المتخيل
محمود فهمى حجازى	محمود فهمى حجازى	٧٦٨- حوار الثقافات
رندا النشار و ضياء زاهر	فريدريك هتمان	٧٦٩- أدباء أحياء
صبرى التهامى	بينيتو بيريث جالدوس	٧٧٠- السيدة بيرفيكتا
صبرى التهامى	ريكاردو جويرة الديس	٧٧١- السيد سيجوننو سومبرا
محسن مصيلحى	إليزابيث رايت	٧٧٢- بريخت ما بعد الحداثة
ياشراف: محمد فتحى عبدالهادى	جون فيزر و بول ستيرجز	٧٧٣- دائرة المعارف الدولية (ج٢)
حسن عبد ربه المصرى	مجموعة من المؤلفين	٧٧٤- الديمقراطية الأمريكية: التاريخ والمرتكزات
جلال الحفناوى	نذير أحمد الدهلوى	٧٧٥- مرآة العروس
محمد محمد يونس	فريد الدين العطار	٧٧٦- منظومة مصيبت نامه (مج١)
عزت عامر	جيمس إ. ليدسى	٧٧٧- الانفجار الأعظم
حازم محفوظ	مولانا محمد أحمد و رضا القادري	٧٧٨- صفوة المديح
سمير عبد الحميد إبراهيم و سارة تاكاهاشى	نخبة	٧٧٩- خيوط العنكبوت وقصص أخرى
سمير عبد الحميد إبراهيم	غلام رسول مهر	٧٨٠- من أب الرسائل الهندية حجاز ١٩٢٠
نبيلة بدران	هدى بدران	٧٨١- الطريق إلى بكين
جلال عبد المقصود	مارفن كارلسون	٧٨٢- المسرح المسكون
طلعت السروجى	فيك جورج و بول ويلدنج	٧٨٣- العولمة والرعاية الإنسانية
جمعة سيد يوسف	ديفيد أ. وولف	٧٨٤- الإساءة للطفل
سمير حنا صادق	كارل ساجان	٧٨٥- تأملات عن تطور ذكاء الإنسان
سحر توفيق	مارجريت أتوود	٧٨٦- المذبذبة (رواية)
إيناس صادق	جوزيه بوفيه	٧٨٧- العودة من فلسطين
خالد أبو اليزيد البلتاجى	ميروسلاف فرنر	٧٨٨- سر الأهرامات
منى الدروبي	هاجين	٧٨٩- الانتظار (رواية)
جيهان العيسوى	مونيك بوتنو	٧٩٠- الفرائدونية العربية
ماهر جويجاتى	محمد الشيمى	٧٩١- المطور ومعامل المطور فى مصر القنينة
منى إبراهيم	منى ميخائيل	٧٩٢- دراسات حول التمس التمسيرة إمبرس ومحفوظ
رؤف و صفى	جون جريفيس	٧٩٣- ثلاث رؤى للمستقبل
شعبان مكارى	هوارد زن	٧٩٤- التاريخ الشعبى للولايات المتحدة (ج٢)
على عبد الرؤف البعبى	نخبة	٧٩٥- مختارات من الشعر الإسباني (ج١)
حمزة المزينى	نعوم تشومسكى	٧٩٦- أفاق جديدة فى دراسة اللغة والذهن
طلعت شاهين	نخبة	٧٩٧- الرؤية فى ليلة معتمة (شعر)
سميرة أبو الحسن	كاترين جيلدرود و دافيد جيلدرود	٧٩٨- الإرشاد النفسى للأطفال

٧٩٩-	سلم السنوات	أن تيلر	عبد الحميد فهمى الجمال
٨٠٠-	قضايا فى علم اللغة التطبيقي	ميشيل ماكارثى	عبد الجواد توفيق
٨٠١-	نحو مستقبل أفضل	تقرير دولى	باشراف: محسن يوسف
٨٠٢-	مسلمو غرناطة فى الآداب الأوروبية	ماريا سوليداد	شرين محمود الرفاعى
٨٠٣-	التغير والتنمية فى القرن العشرين	توماس باترسون	عزة الخميسى
٨٠٤-	سوسيولوجيا الدين	دانييل ميرفي-ليجيه وچان بول ويلام	درويش الحلوجى
٨٠٥-	من لا عزاء لهم (رواية)	كازو إيشيجورو	طاهر البربرى
٨٠٦-	الطبقة العليا المتوسطة	ماجدة بركة	محمود ماجد
٨٠٧-	يحيى حقى: تشريح مفكر مصرى	ميريام كوك	خيرى دومة
٨٠٨-	الشرق الأوسط والولايات المتحدة	ديفيد دابليو ليش	أحمد محمود
٨٠٩-	تاريخ الفلسفة السياسية (ج١)	ليو شتراوس وجوزيف كرويسى	محمود سيد أحمد
٨١٠-	تاريخ الفلسفة السياسية (ج٢)	ليو شتراوس وجوزيف كرويسى	محمود سيد أحمد
٨١١-	تاريخ التحليل الاقتصادى (مج٢)	جوزيف أشومبيتر	حسن النعيمى
٨١٢-	نثر العالم: الصورة والأشوب فى الحياة الاجتماعية	ميشيل مافينولى	فريد الزاهى
٨١٣-	لم أخرج من ليلى (رواية)	أنى إرنو	نورا أمين
٨١٤-	الحياة اليومية فى مصر الرومانية	نافثال لويس	أمال الروبى
٨١٥-	فلسفة المتكلمين (مج٢)	ه. أ. والفسون	مصطفى لبيب عبدالغنى
٨١٦-	العدو الأمريكى	فيليب روجيه	بدر الدين عرويكى
٨١٧-	مائدة أفلاطون: كلام فى الحب	أفلاطون	محمد لطفى جمعة
٨١٨-	الحرفيون والتجار فى القرن ١٨ (ج١)	أندريه ريمون	ناصر أحمد وياتسى جمال الدين
٨١٩-	الحرفيون والتجار فى القرن ١٨ (ج٢)	أندريه ريمون	ناصر أحمد وياتسى جمال الدين
٨٢٠-	ميراث الترجمة: هملت (مسرحية)	وليم شكسبير	طانيوس أفندى
٨٢١-	هفت بيكر (شعر)	نور الدين عبد الرحمن الجامى	عبد العزيز بقوش
٨٢٢-	فن الرباعى (شعر)	نخبة	محمد نور الدين عبد المنعم
٨٢٣-	وجه أمريكا الأسود (شعر)	نخبة	أحمد شافعى
٨٢٤-	لغة الدراما	دافيد برتش	ربيع مفتاح
٨٢٥-	ميراث الترجمة: عصر النهضة فى إيطاليا (ج١)	ياكوب يوكهارت	عبد العزيز توفيق جاويد
٨٢٦-	ميراث الترجمة: عصر النهضة فى إيطاليا (ج٢)	ياكوب يوكهارت	عبد العزيز توفيق جاويد
٨٢٧-	أهل مخرج: اليهود والمستوطنون واللبن يلقون للعلات	دونالد پ. كول وثرىا تركى	محمد على فرج
٨٢٨-	ميراث الترجمة: النظرية النسبية	ألبرت أينشتين	رمسيس شحاتة
٨٢٩-	مناظرة حول الإسلام والعلم	إرنست رينان وجمال الدين الأفغانى	مجدى عبد الحافظ
٨٣٠-	رق العشق	حسن كريم بور	محمد علاء الدين منصور
٨٣١-	ميراث الترجمة: تطور علم الطبيعة	ألبرت أينشتين وليو پولد إنفلد	محمد النادى وعطية عاشور
٨٣٢-	تاريخ التحليل الاقتصادى (ج٣)	جوزيف أشومبيتر	حسن النعيمى
٨٣٣-	الفلسفة الألمانية	فرنر شميدرس	محسن الدمرداش
٨٣٤-	كنز الشعر	نبيح الله صفا	محمد علاء الدين منصور
٨٣٥-	تشيخوف: حياة فى صور	بيتر أوربان	علاء عزمى
٨٣٦-	بين الإسلام والغرب	موتيس غارثيا	ممدوح البستارى

عناكب فى المصيدة	ناتاليا فيكو	على فهمى عبدالسلام
فى تفسير مذهب بوش ومقالات أخرى	نعوم تشومسكى	لبنى صبرى
أقدم لك: النظرية النقدية	ستيوارت سين ويورين فان لون	جمال الجزيرى
الخواتم الثلاثة	جوتنهولد ليسينج	فوزية حسن
هملت: أمير الدانمارك	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
منظومة مصيبت نامه (مج ٢)	قريد الدين العطار	محمد محمد يونس
من روائع القصيد الفارسي	نخبة	محمد علاء الدين منصور
دراسات فى الفقر والعولة	كريمة كريم	سمير كريم
غياب السلام	نيكولاس جويات	طلعت الشايب
الطبيعة البشرية	ألفريد أدلر	عادل نجيب بشرى
الحياة بعد الرأسالية	مايكل ألبرت	أحمد محمود
ميراث الترجمة: تاريخ الدولة العربية	يوليوس فلهون	عبد الهادى أبو ريدة
سونيتات شكسبير	وليم شكسبير	بدر توفيق
الخيال، الأسلوب، الحداثة	مقالات مختارة	جابر عصفور
ميراث الترجمة: الطب التجريبي	كلود برنار	يوسف مراد
العلم والحقيقة	ريتشارد دوكنز	مصطفى إبراهيم فهمى
الساعة فى الأندلس: عمارة الفن والحضارة (مج ١)	باسيليو بايون مالتونانو	على إبراهيم منوفى
الساعة فى الأندلس: عمارة الفن والحضارة (مج ٢)	باسيليو بايون مالتونانو	على إبراهيم منوفى
فهم الاستعارة فى الأدب	جيرارد ستيم	محمد أحمد حمد
القضية الموريسكية من وجهة نظر أخرى	فرانثيسكو ماركيث يانو بيانويا	عائشة سويلم
فانجا (رواية)	أندريه بريتون	كامل عويد العامرى
جوهر الترجمة: عبور الحدود الثقافية	ثيو فرمانز	بيومى قنديل
السياسة فى الشرق القديم	إيف شيمل	مصطفى ماهر
مصر وأوروبا	القاضى فان بملن	لطيفة سالم
الإسلام والمسلمون فى أمريكا	جين سميث	محمد الخولى

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٧٣٨٦ / ٢٠٠٥